مسئولية الإعلام الإسلامي

في ظل النظام العالمي الجديد

دكتور
رشدي شحاتة أبو زيد
كلية الحقوق - جامعة حلوان

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

الناشر
دار الفكر العربي
٦ أش جواد حسني - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذا اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم﴾

صدق الله العظيم

سورة التوبة الآية: ٤٠

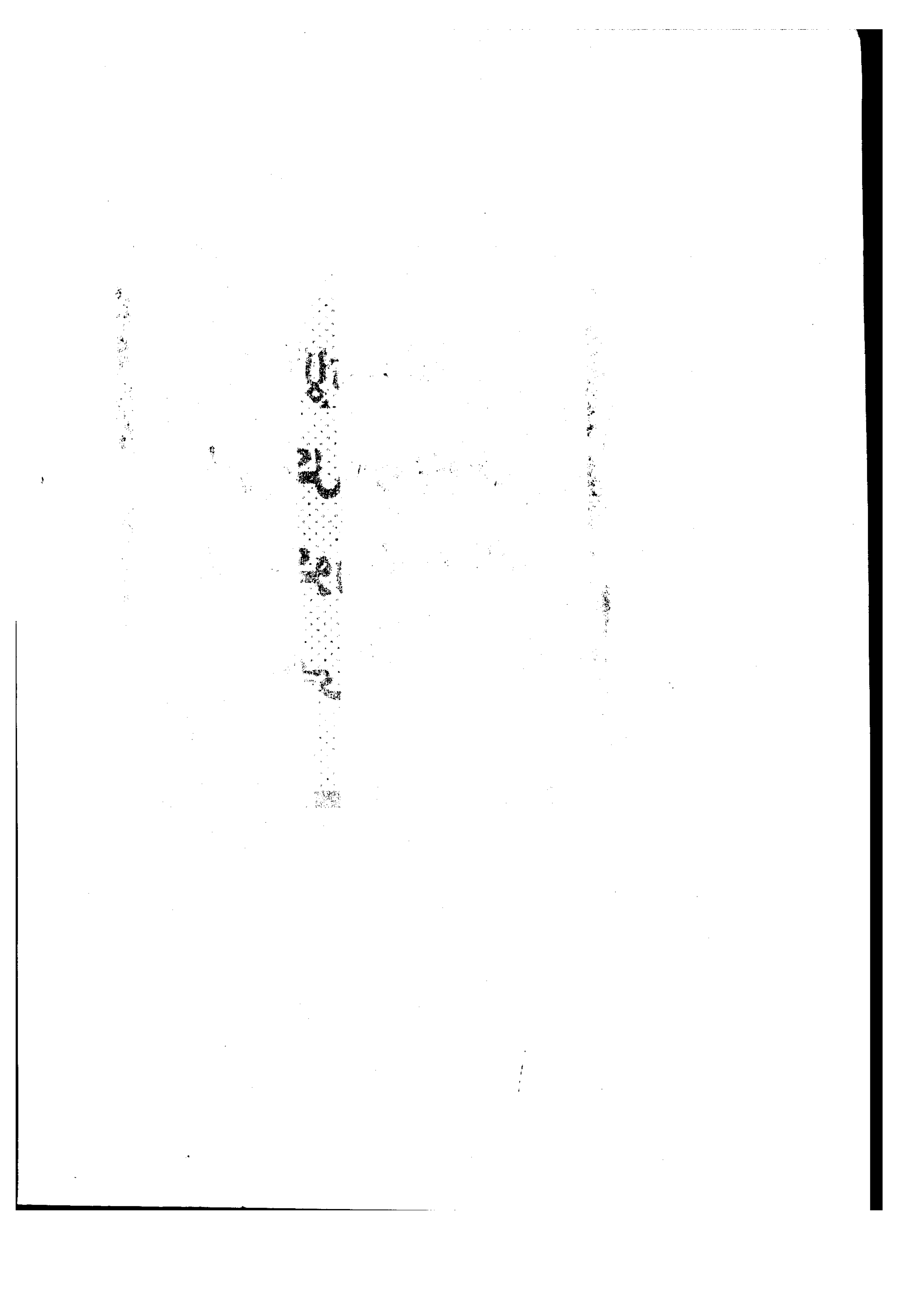
﴿إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾

صدق الله العظيم

سورة الرعد الآية: ١١

الإهداء

إلى كل من يعمل
لكى تكون كلمة الله
هى العليا



المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذى ضرب مثلا للكلمة الطيبة فجعلها كشجرة طيبة ... أصلها ثابت وفرعها فى السماء. تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ... وضرب سبحانه مثلا للكلمة الخبيثة فجعلها كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ... مالها من قرار ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتفكرون.

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد بن عبد الله الصادق الوعد الأمين القائل فى حديثه.

«إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لايلقى لها بالا يرفعه الله بها درجات وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لايلقى لها بالا يهوى بها فى جهنم»(١).

لقد كرم الله الانسان عن سائر مخلوقاته وسخر له كل مافى السموات والأرض وسخر له الليل والنهار ، ومن أجل هذا وذاك فقد كلف الله الانسان وحمله الأمانة التى ابت السموات والأرض والجبال وأشفقن من حملها فكان ذلك تكريما له وتشريفا لانه منح العقل والفهم والقدرة على التمييز وحرية الاختيار ، فالعقل هو مناط التكليف حيث لايقع التكليف على غير قادر مريد مدرك لما كلف به وإذا كان الانسان هو الكائن الذى أتى عقلا وإدراكا من بين سائر الكائنات فقد كان هو الكائن الذى اختص بالتكليف وتحمل امانة ما كلف به(٢).

وبعد

فان الإسلام هو دين الله الخالص وشريعته الباقية الذى ارتضاه الله لخلقه وهو يعنى فيما يعنيه إسلام النفس لخالقها واستعمالها فى طاعته فى كل شأن من شئون حياتها وفق ما اراد الله لاتشذ فى ذلك ولاتحيد.

---

(١) صحيح البخارى، باب حفظ اللسان، من كتاب الرقاق جـ٨ ص ١٢٥، طبعة دار الشعب.

(٢) التفسير القرآنى للقرآن، عبد الكريم الخطيب، جـ٢٢ ص ٧٦١.

ومن ثم

فانه ليس بعجيب أن يكون للكلمة -مسموعة أو مقروءة- هذا الشأن العظيم فيما يقع للناس من خير أو شر ... .

فالكلمة الطيبة قد تُصلح مجتمعا بأسره ، وقد تقيم دولة بكل أسباب مقوماتها ... والكلمة الخبيثة قد تُفسد مجتمعا كاملا ، وقد تهوى بأمة إلى مهاوى الضياع والهلاك.

فالكلمة ليست لفظا ومعنى وحسب ، وإنما هى مع هذا جيوش زاحفة ، أو مصانع قائمة ، أو مخترع مذهل.

إن وراء كل عمل انسانى كلمة دفعت به إلى هذا الوجود ... .

فالانقلابات الاجتماعية ، والثورات الاصلاحية ، انما هن ولائد الكلمات الطيبة التى انطلقت من صدور المصلحين ، وحمله المشاعل ، إلى عامة الناس ، فبصرتهم بمواقع الخير ، وانارت لهم معالم الطريق[١] !!!.

إن الكلمة قد تنطلق من لسان متصل بقلب سليم ، وعقل يقظ فاذا هى نغم عذب فى كل أذن ، واحساس نبيل فى كل شعور ، ووازع ملهم فى كل ضمير !!.

وإن الكلمة لتنطلق من لسان مشدود إلى قلب مريض ، وعقل فارغ ، ووجدان سقيم ، فاذا هى أشبه بجنين يولد لغير تمام ، لايلبث حتى يصبح فى عالم الأموات.

وسواء فى هذا ، الكلمة المسموعة ، أو المقروءة ... فكما تحمل الكلمة المسموعة مشاعر صاحبها ، وتنقل معها انفعالاته وأحاسيسه ، كذلك تفعل الكلمة المقروءة ، فتنقل عن كاتبها - اذا صدقها القول مايجرى فى نفسه من مشاعر ، ومايقوم فى خاطره من ايمان بما يجرى به قلمه ويصوره بيانه.

---

(١) مشاعل على الطريق، بقلم عبد الرحيم فودة، ص ٤.

وقد تستمد «الكلمة» قوتها من حسن صوغها ، وجمال جرسها ، وكرم معناها وقد تستمد قوتها من القلب الذى صدرت منه وتظهر آثارها فى القلب الذى يحسن لقاءها واستقبالها.

ولقد كان - ﷺ- القاضى الأول يحذر الخصوم ويوقظ ضمائرهم وينبههم لخطورة الكلمة.

فعن أم سلمة أنه - ﷺ- قال: «إنما أنا بشر وانكم لتختصمون إلى ولعل بعضكم أن يكون الحن بحجته من بعض فأقضى بنحو مما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار»[1].

ولاينكر أحد أن الاعلام فى عصرنا الحاضر وفى كل العصور قائم على الكلمة من حيث صياغتها ونشرها عبر قنواته المتعددة من اذاعات مسموعة ومرئية وكتب ومجلات دورية ويومية.

وإذا كان الإعلام فى عالمنا المعاصر قد اصبح صناعة ضخمة تمكن الدول المتقدمة من أن تحتل موقع القيادة والريادة فى العالم بسبب سيطرتها على وكالات الأنباء الدولية الكبرى والصحف العالمية الواسعة الانتشار ، والقنوات الفضائية التى تجوب السماوات المفتوحة فى هذا العالم دون عوائق طبيعية أو صناعية. كما تحتل اغلب المواقع على شبكة المعلومات الدولية «الانترنت».

فمما لاشك فيه أن الأمة العربية اليوم فى أمس الحاجة لمراجعة حساباتها وتصفية خلافاتها ليجلس الجميع على مائدة مفاوضات ليتصالحون ويتصارحون لكى يشعر الجميع بالأمن والأمان ويعمل الكل من خلال هدف واحد حتى تتوحد كلمتهم وتقوى شوكتهم.

---

(١) وفى رواية «عن ام سلمة قالت انه - ﷺ- قال: «انكم تختصمون إلى ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضى له على نحو مما اسمع منه فمن قطعت له من حق اخيه شيئا فلا يأخذه فإنما اقطع له به قطعه من النار». صحيح مسلم، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة من كتاب الأقضية، جـ٢ ص ٦٠، طبعة عيسى الحلبى.

وخاصة وأن عالمنا اليوم أصبح يموج بتيارات شتى وأخطار متنوعة ولم يعد فى قدرة وطن ما أن يغلق حدوده الجغرافية فلا يخترقها وافد عقلى أو يحبسها عن تأثير فكرى ، فأصبحت النوافذ مشرعة والأبواب مفتحة لكل التيارات ، ولقد تخلف عن تلك التيارات غديد من المتغيرات أثرت فى عقول الكثيرين فى كافة المجالات ، أو حولت وبدلت تقاليد وموروثات ، سواء أكان ذلك فى المجال الدينى أم السياسى أم الاقتصادى أم الاجتماعى وبذلك ظهرت أنماط جديدة فى حياتنا ، واختفت أنماط كانت لها سيطرتها خاصة فى المجالين الأخلاقى والحياتى.

ولقد انتهى الوضع العالمى الآن إلى حركة «اقترابية» اجتمع بها البعيد ودنا بها النائى ، والتقت أيد على حب طالما دميت فى المعارك أو تضاربت فى نزاع ، ويمكن أن يمتد بصرنا الفكرى حاليا إلى ما يحدث فى العالم نستلهم إشارته ونفهم دلالته حتى نعرف لغة العصر ومؤشرات أحداثه[١].

فنحن نعيش عصرا تتجمع فيه الشعوب وتتوحد فيه الافكار وتندمج فيه الكيانات الصغيرة فى وحدات إقليمية كبرى ويضحى فيه حكام تلك الشعوب بالكثير من مظاهر سيادتهم وسلطانهم حتى يبلغوا المدى فى حماية شعوبهم ورعاية مصالحها وما أمر الوحدة الأوربية عنا ببعيد فقد تراجعت مظاهر السيادة فى اقطارها وأوشكت الحدود أن ترتفع وتزول وظهرت عملة موحدة جديدة وجوازات سفر موحدة جديدة وتشريعات موحدة جديدة كل ذلك حتى تثبت هذه الشعوب فى مواجهة تجمعات أخرى تنشأ فى أسيا وامريكا.

فهل نستوعب حكاما ومحكومين طبيعة هذا التحول العالمى ... وفداحة الخطر الذي يتهددنا جميعا حين نصر على هذا التفرق ثم ننتقل منه الى صراعات محلية وحروب أهلية تكاد تذهب بما بقى من أسباب القوة وعناصر المنعة والقدرة على مواجهة الآخرين[٢].

---

(١) قضية الايمان والكفر من مطبوعات وزارة الأوقاف، ص ٣.

(٢) نظرة إلى مستقبل المسلمين أ.د. احمد كمال أبو المجد ورقة عمل مقدمة لمؤتمر حاضر العالم الاسلامى ونظره للمستقبل، ص ٥.

والمسلم الصادق لايستطيع أن يفلت من الإحساس الغامر بالحزن والأسى وهو يرى من حوله شعوبا تنطلق متسابقة إلى أمام همتها مشغولة بالغد والمستقبل وأبصارها معلقة بالأفق البعيد.

والعرب والمسلمون ينكسون الرؤس أو يلوونها إلى وراء ، فينبشون قبورهم بأيديهم ، أو ينقبون عن درر تركها الأولون.

أجيال هناك من الناس والشعوب تحقق بالعلم وسلطان العقل ثورات متعاقبة فى تاريخ الإنسان تضيف بها حلقات جديدة فى سلسلة اكتشاف الوجود والتعرف على سنن الله الضابط لحركة الكون والناس وتذليل الأرض وتسخيرها كما اذن الله ... واكثر المسلمين مشغولون بالنظر إلى الماضى منكفئون على احداثه وقضاياه منهولون بذلك كله عن حاضرهم.

ولابد أن نذكر ونحن نتوجه إلى الحديث عن مستقبل المسلمين أن التقدم العلمى فى وسائل الرصد والقياس والسرعة الهائلة التى تتحقق بها الإكتشافات العلمية المتلاحقة قد جعل استشراف المستقبل أقرب إلى التقدير العلمى المنضبط منه إلى التنبوء والرجم بالظنون.

لقد آن الأوان أن ترتفع الرؤس المنكسة ، وأن تلوى الاعناق التى لاتنظر إلا إلى وراء ... لنواجه معا تبعات مستقبل آت لاريب فيه.

ولاينبغى أن يغيب عن الاذهان أيضا أن قضية تصحيح صورة الإسلام فى الغرب وفى العالم كله لن تتم وتكتمل الا بتغيير أحوال المسلمين أنفسهم فطالما هم على حالهم الذى لا يسر صديقا ولاعدوا ستظل الصورة كما هى.

أما اذا قوى جانبهم فكريا وعلميا وروحيا واقتصاديا وعسكريا فسيفرضون احترامهم على العالم كله. فالكرة الآن -كما يقول رجال الرياضة- فى ملعب المسلمين ، والمبادرة فى أيديهم لتغيير أحوالهم.

﴿إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾[1].

---

(١) سورة الرعد الآية: ١١.

ولاشك أن النقد الذاتى هو الخطوة الأولى نحو تصحيح أوضاعنا وتصحيح صورتنا فى أعين الآخرين واستعادة احترامنا أمام العالم كله[١].

ولقد صدق سيدنا رسوله الله - ﷺ- حين قال: «المسلم كيس فطن» «اتقوا فراسة المؤمن فانه يرى بنور الله».[٢]

وإنه لمن فضول القول أن الشريعة الإسلامية لم تغفل عن ناحية من نواحى الحياة إلا وعالجتها علاجا شافيا كافيا ، فظهرت أحكامها سواء فى تسيير شؤون الأسرة والمجتمع. أو تنظيم شؤون الحكم والدولة. وهذبت سلوك الفرد والجماعة ونظمت العلاقة بين الراعى والرعية على أسس متينة وبشكل لم ترق إليه النظم الوضعية.

ومن هذا المنطلق كان من الضرورى أن تكون الدول العربية هى مصدر التنمية والتعامل والتبادل وتكون العمالة العربية والكفاءات العربية هى التى تخطط لنا مشروعاتنا الإنمائية الاستثمارية وتنفيذها وفق سلوك إسلامى مدروس ومن خلال إعلام قوى هداف لكل شبابنا العربى. قال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾.

فيجب علينا أن نراقب الله فى كل تصرفاتنا حتى لاتتخذنا أبواق الدعاية والتشهير مضغة فى الأفواه وتتطاول على الإسلام القويم الذى حباه الله سبحانه وتعالى بالكمال الصالح لكل زمان ومكان.

ويجب علينا أن نقترب ونتواصل ونتلاحم فيما بيننا وان نعمل من أجل إعلاء كلمة الإسلام وراية الإسلام فى اعين العالم اجمع. وسيعلى الله سبحانه وتعالى من قدرنا ويقوى امتنا وييسر أحوالنا.

وفى ظل مرحلة جديدة وهامة من مراحل العمل الإسلامى المشترك وفى اطار

(١) حولية كلية اصول الدين، العدد الرابع، الاسلام فى تصور أدباء وفلاسفة الغرب، أ.د. محمود حمدى زقزوق، ص ٤٥.

(٢) الجامع الصغير فى احاديث البشير النذير للامام جلال الدين بن أبى بكر السيوطى المتوفى عام ٩١١هـ ط١ ص ٩، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

استراتيجية اعلامية موحدة لمد جسور الارتباط والتواصل بين كافة البلدان الاسلامية في ظل المتغيرات الدولية.

يمكن للقائمين على الاعلام الاسلامى أن يتحملوا عبء مهمة التوحيد والتآخى بين الدول الإسلامية. وتحسين الصورة الذهنية عن الاسلام لدى الغرب وغير المسلمين فى كل مكان.

وبالنظر فى مبادئ الفقه الإسلامى وقيمه ومثله نجد ما يساعد رجال الاعلام فى تحقيق هذا الهدف الذى نسعى اليه جميعا والذى نتحرك لتحقيقه وسط عالم يموج بالمتغيرات والتطورات المتلاحقة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا مما يدعونا نحن شعوب الدول الاسلامية وحكوماتها أن نعى هذه المتغيرات ونتعامل معها وننفعل بها فى إطار من التمسك بالقيم الأصيلة والتوازن الدقيق بين الأصالة والمعاصرة وفى تحرك سليم ومحسوب لنشر الدعوة الإسلامية.

ولاجدال فى أننا نشهد تأزمات فى حركة الفكر الاسلامى فى عصرنا الحاضر، وهذا التأزم يقتضى تكاتف الجهود العلمية فى سبيل الخروج من الازمة التى يعانيها هذا الفكر فى شتى مجالاته.

ولن يخرجنا من ذلك كله الا تنشيط حركة البحث العلمى فى تلك المجالات حتى لايجمد هذا الفكر ويتخلف عن الركب ويعزل نفسه عن متغيرات العصر.

ولايستطيع أحد إنكار أن رجال الاعلام وهم فى طريقهم لتحقيق هذا الهدف يواجهون بتحديات كثيرة فى مقدمتها.

الثورة التكنولوجية الهائلة والسريعة فى أجهزة الإعلام وأدواته وأساليبه التى حولت العالم إلى قرية إعلامية واحدة مفتوحة لجميع الأفكار والآراء والاجتهادات وهو مايعنى بالدرجة الأولى أن رجال الاعلام الاسلامى مطالبون بالقيام بدورهم الاسلامى وسط هذه التيارات التى يموج بها عالمنا وتعيشها قريتنا الاعلامية الواحدة بحيث يعيدون التوازن إلى التدفق الاعلامى من والى الدول الاسلامية ونستثمر عهد الأقمار الصناعية فى تحقيق التوازن المطلوب.

ومما يبشر بالخير أن رجال الاعلام الإسلامى فى مصر قد خطوا خطوة كبيرة على هذا الطريق من خلال القناة الفضائية المصرية واطلاق القمر الصناعى المصرى «النايل سات».

وتم وصول الارسال المصرى إلى كل الدولة العربية وعدد كبير من الدول الأفريقية والأوربية والأسيوية.

وهذا الانفتاح الاعلامى المصرى على العالم مجرد خطوة لاظهار الفكر الإسلامى لابد وأن تتبعها خطوات أخرى.

وهذا يتطلب اعادة بناء وتنظيم البنية الأساسية للنظم الاعلامية فى الدول الإسلامية ودعم وتقوية المنظمات الاعلامية الاسلامية وفى مقدمتها اتحاد اذاعات الدول الإسلامية واتحاد وكالات الانباء الاسلامية.

كما يجب انشاء منظمة اسلامية للإعلام لتحقيق التوازن الاعلامى واقرار وثيقة خاصة بميثاق الشرف الاعلامى الاسلامى لمواجهة النظام العالمى الجديد.

وهذا الواقع الجديد «العولمة» يلقى على الأمة الإسلامية شعوبا وحكومات مسئوليات ضخمة فى استثمار المعطيات العصرية فى تقنيات الإعلام وموارد المعلومات لنشر الدعوة الإسلامية وتصحيح صورتها لدى الرأى العالم العالمى.

وفى الحقيقة أننا نستطيع أن نستفيد من الواقع العلمى الجديد بصورة أفضل إذا خلصت النوايا وأعددنا العدة ، ووضعنا الخطط وسرنا وفقا للأصول والمناهج العلمية التى لاتتعارض مع قواعد الفقه الإسلامى

أى أن العولمة إذا كان لها من سلبيات فى نظر البعض فان لها ايجابيات كثيرة اقتصادية وسياسية وثقافية فهى تفتح باب التنافس العالمى على أوسع نطاق كما تفتح آفاقا واسعة لاحداث تغيرات جذرية فى النظم السياسية والاقتصادية والثقافية فى العالم الإسلامى.

وهذا البحث يتضمن الحديث عن مسئولية الإعلام الإسلامى فى عالمنا المعاصر فى الفصول الآتية:

الفصل الأول: التعريف بالإعلام ومسئوليته فى ظل النظام العالمى الجديد.

الفصل الثانى: الصورة الذهنية للإسلام والمسلمين لدى الغرب.

الفصل الثالث: موقف الفقه الإسلامى من هذه الصورة.

الفصل الرابع: كيفية تحسين صورة الإسلام والمسلمين السلبية لدى غير المسلمين.

الفصـــل الأول

التعـــريف بالاعـــلام ومســـئوليتة في ظل النظام العالمى الجديد

ويتضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالاعلام الإسلامى.

المبحث الثانى: التعريف بالمسئولية فى الفقه الإسلامي.

المبحث الثالث: التعريف بالنظام العالمى. الجديد «العولمة» وموقف الفقه الإسلامى منه.

الفصل الأول

التعريف بالاعلام ومسئوليته
فى ظل النظام العالمى الجديد

تمهيد:

لقد اسفرت التطورات السريعة المتلاحقة فى السنوات الاخيرة من القرن الحالى عن ظهور تكتلات اقتصادية وسياسية كبرى بين الشعوب ذات الحضارات المتقاربة دفاعا عن مصالحها فى مواجهة الشعوب الأخرى فزادت الهوة بين الشعوب الغنية والشعوب الفقيرة.

كما أسفرت هذه التطورات من ناحية ثانية عن إحياء روح الصراعات الحضارية والعرقية والدينية لدى فريق آخر من الشعوب حفاظا على هويتها وذاتيتها مما أدى إلى اشتشراء العنف والإرهاب والتصرف بكل صورة وساعد على ذلك انفراد الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها الدول الصناعية السبع بقيادة العالم بعد سقوط الاتحاد السوفيتى وتراجع الافكار التى كان ينادى بها وازدياد التخلف والفقر فى الدول الصغيرة.

وضاعف من آثار هذه الصراعات أن الدول المتقدمة الغنية لاتكيل بكيل واحد فى الأحداث المتماثلة بل تنحاز دائما أبدأ إلى مايحقق مصالحها[1].

وكان لكل هذه التطورات آثارها فى العالم الإسلامى ، ومعظم شعوبه من شعوب العالم الثالث النامى.

فبدأ الصدام بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية ومحاولات الغرب المستمرة فرض حضارته على العالم الإسلامى.

(١) موقف الاسلام من غير المسلمين فى المجتمعات الاسلامية وموقف المجتمعات الغربية من المسلمين، أ.د. صوفى حسن أبو طالب، بحث مقدم فى المؤتمر العام التاسع للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية المنعقد فى القاهرة فى الفترة من ١٩٩٧/٧/١٣م إلى ١٩٩٧/٧/١٦م ص١.

وهذه المحاولات من الغرب تتطلب من القائمين على أمور المسلمين وخاصة من يعمل فى مجال الاعلام الاسلامى مسئولية عدم انسلاخ الشعوب الاسلامية من جلدها والانضواء تحت جناح الحضارة الغربية ، واظهار أهمية مشاركة المسلمين فى بناء الحضارة المعاصرة ولايقف دورهم عند حد اعارة الشعوب الأوربية لأسس حضارتهم فى عصر النهضة.

وللتعريف بهذه المفردات المحدث عنها فى هذا الفصل فى ثلاثة مباحث كما يلى:

المبحث الأول: التعريف بالاعلام الإسلامى.

المبحث الثانى: التعريف بالمسئولية فى الفقه الإسلامى.

المبحث الثالث: مفهوم النظام العالمى الجديد «العولمة» وموقف الفقه الإسلامى منه.

المبحث الأول

التعريف بالاعلام الإسلامى

تمهيد :

لقد اراد الله سبحانه وتعالى لامة الاسلام أن تكون امة دعوه يقوم كل فرد فيها رجلا كان أو امرأة بواجبة فى نشر كلمة الله واشاعة الخير والرحمة والفضيلة بين الناس بالكلم الطيب والمثال الصالح والقدوة الحسنة.

فقال سبحانه ﴿ولتكن منكم امه يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون﴾[١].

وحين التزم المسلمون بهذا الهدى الكريم عزوا وسادوا ونشروا العدل والخير والعلم واسهموا فى ارساء قواعد الحضارة الانسانسة على أسس من الايمان والتسامح ومكارم الاخلاق لأن الحضارة الاسلامية تعتمد على التراث الحضارى المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ولاتفصل بين الدين والدولة.

لذلك يمزج تراثها الحضارى بين الايمان والعقل ، وبين الدين والعلم ويضع حدودا لمجال كل منهما.

بخلاف الحضارة الغربية التى تعتمد على التراث الحضارى الكلاسيكى «الفلسفة الإغريقية والقانون الرمانى» والكتاب المقدس «التوراة والإنجيل» والفكر المسيحى الذى يفصل بين الدين والدولة ولذلك اعتمد التراث الغربى على العقل البشرى وحده فكانت حضارة علمانية بحتة.

واذا كانت امواج الغزو الاجنبى قد طغت على اكثر بلاد الاسلام ردحا من الزمن ، فدخلت معها عوامل التأخر والجمود. وأسباب الخلاف مما اضعف دور المسلمين وأقعدهم عن واجب الدعوة وحرمهم من اللقاء على قاعدة مستقرة ونهج واضح وفهم صحيح لمبادئ الاسلام.

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٤.

وتصدى للدعوى من لاتتوفر له الخصائص الضرورية للداعية. فشاعت الفتن واتسعت فجوة الخلاف ولم يعد المسلمون قادرون على حماية أنفسهم وديارهم فضلا عن اداء دورهم الانسانى والقيام بدحض الشبهات التى نسبت ظلما للاسلام والمسلمين حتى يكونوا فى المنزلة التى ارادها الله تعالى لهم فى قوله تعالى:
﴿كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾[١].

ولقد ظهرت فى الآونة الاخيرة والحمد لله مؤسسات ومنظمات رسمية وشرفية تعمل فى ميادين الدعوة الاسلامية ومجالاتها المختلفة كل حسب طريقته وفى نطاق امكاناته وموارده ، ولقد ادت المؤسسات واجبات كبيرة فى مجال الدعوة واثمرت جهودها ثمرات طيبة الا أن قلة التنسيق والتعاون بينهما قد أدى إلى انواع من الازدواجية والتناقض التى تهدر معها الجهود والاموال وتأتى النتائج أقل من المستوى المأمول ومن هنا تبرز اهمية التوجه لتحقيق التنسيق بين جهود العاملين لخدمة هذا الهدف الكبير فى مشروع خطة واضحة تحقق الهدف من التعاون بين المؤسسات الرسمية والشعبية[٢].

وخاصة مع بداية قرن جديد من عمر البشرية وعصر جديد يسمونه بعصر «العولمة» التي سيكون لها اكبر عوامل التأثير فى وضع المسلمين ومكانتهم على خريطة العالم الحديث.

وهذا التأثير هو الذى أثار اهتمام العلماء والباحثين لاستكشاف أثر العولمة على الرسالة الاعلامية التى تتناقلها هذه الوسائل مما أصبح يهدد بغزو ثقافى واختراق فكرى لعالمنا العربى والاسلامى الذى يتلقى اكثر مما يرسل مما لايمكنه من التعامل معاملة الند مع القوة الاعلامية المسيطرة فى عالم لم يعد فيه مكان للضعفاء والعجزة[٣].

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١١٠.

(٢) استراتيجية العمل الإسلامى المشترك فى مجال الدعوة الإسلامية اعداد لجنة الخبراء المنبثقة عن لجنة تنسيق العمل الاسلامى المشترك بمنظمة المؤتمر الاسلامى، ص ٢٤.

(٣) الرسالة الاعلامية بين العالمية والعولمة، أ.د. محى الدين عبد الحليم، ورقة مقدمة إلى (=)

وهذا المبحث يتضمن مطلبين:

المطلـب الأول: تعريف الاعلام الإسلامى فى اللغة والاصطلاح.
المطلب الثانى: انظمة الاعلام الإسلامى.

المطلب الأول

تعريف الإعلام الإسلامى في اللغة والاصطلاح

الاعـلام فى اللغـة ، مـشـتق من أعلم ، يقـال أعلم إعـلامـا بمعنى أخـبـر اخبارا(١).

وفى الاصطلاح هناك خلطا كبيرا أدى إلى غموض بعض المفاهيم الخاصة بالاعلام الاسلامى.

فالبعض يعتبر أن الدعوة والاعلام شئ واحد فى حين يرى البعض الآخر أن مفهوم الإعلام أشمل من مفهوم الدعوة.

مفهوم الإعلام:

من المعروف أن الاعـلام قديم قدم المجتمع البشرى ، فمنذ أن وجد الانسان على هذا الكوكب استخدم بعض الحركات «الشكل البدائى للاعلام قبل أن يهتدى الانسان إلى اللغة» ثم وجد الاعلام بشكله البنسيط «نقل الأخبار والمعلومات بصورة موضوعية».

فالاعلام من حيث اللغة يعنى «اخبار أو اطلاع الآخرين ويحوى معنى التعليم وهو يعنى بالانجليزية **In formation** أى المعلومات(٢).

(=) ندوة الاعلام الدولى وقضايا العالم الإسلامى، القاهرة، رابطة الجامعات الإسلامية، ٢٨ ، ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٩٨م.

(١) لسان العرب، لابن منظور، جـ٢ ص ٧٨١ مادة علم.

(٢) تنمية المجتمع وقضايا العالم التربوى، الاستاذ الدكتور/ رشاد احمد عبد اللطيف، ص ١٣٥، دار المعرفة الجامعية.

واصطلاح الاعلام هذا يمكن تحقيقه بطريقتين:

الاتصال عن طريق الوسائل ، الاتصال بالجماهير ... ومع ذلك فالاعلام لايعنى الاتصال بكل شخص فالوسائل تتجه نحو اختيار جماهيرها ، كما أن الجماهير تختار أيضا من بينها مايلائمها.

ويعد الاعلام بصفة عامة منهج وعملية يقوم بهدف التنوير والتثقيف والاحاطة بالمعلومات الصادقة التى تخاطب عقول الأفراد لترفع من مستواهم وتدفعهم إلى العمل من أجل المصلحة العامة كما تخلق فيهم مناخا صحيا يمكنهم من التوافق مع المجتمع رأهدافه(١).

وقد قام البعض بوضع تعريفات كثيرة للاعلام اذكر منها مايلى:

أ- بالنسبة لمفهوم الإعلام العام:

* **يرى الدكتور جمال العطيفى أن الاعلام هو:** «إحاطة الرأى العام علما بما يجرى من امور وحوادث سواء فى الشئون الداخلية ، أم فى الخارجية»(٢).

* **ويرى الدكتور ابراهيم امام أن الإعلام هو:** «نشر الاخبار والمعلومات والآراء على الجماهير»(٣).

* **ويرى استاذنا الدكتور يوسف قاسم أن الاعلام هو:** «تزويد الناس بالاخبار الصادقة والمعلومات الصحيحة والحقائق الثابتة التى تساعد الناس على تكوين رأى صائب فى واقعة معينة»(٤).

---

(١) العلاقات العامة، دكتور/ السيد حنفى عوض، ص ٥٠ ، مكتبة وهبة، طبعة ١٩٨٣م.

(٢) حرية الصحافة، د. جمال العطيفى طبعة ١٩٧١، ص ٢٦.
أشار اليه استاذنا الدكتور/ يوسف قاسم فى كتابه ضوابط الاعلام فى الشريعة الإسلامية وانظمة المملكة العربية السعودية، الناشر، عمادة شئون المكتبات - جامعة الرياض، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ص ٣.

(٣) العلاقات العامة والمجتمع، د. ابراهيم امام، ص ٢١٦ ، القاهرة مكتبة الانجلو ١٩٨١م.

(٤) ضوابط الاعلام فى الشريعة الإسلامية وانظمة المملكة العربية السعودية، هامش ص ٤، الرياض ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

* كما عُرف الاعلام بأنه «النقل الحر والموضوعى للاخبار والمعلومات باحدى وسائل الاعلام. أو أنه نقل الاخبار والوقائع بصورة صحيحة»(١).

ب- بالنسبة للإعلام الإسلامى:

* يرى الدكتور/ محى الدين عبد الحليم أن الاعلام الإسلامى هو «تزويد الجماهير بحقائق الدينالاسلامى المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله بصورة مباشرة أو غير مباشرة من خلال وسيلة اعلامية عامة بواسطة قائم بالاتصال لديه خلفية واسعة ومتعمقة فى موضوع الرسالة التى يتناولها ، وذلك بغية تكوين رأى عام صائب يعى الحقائق الدينية ويترجمها إلى واقع فى سلوكه ومعاملاته»(٢).

فالاعلام يخاطب عقول الجماهير وعواطفهم ويقوم علي المناقشة والحوار والاقناع كما ينزع نزعة ديمقراطية تتيح الفرصة لافراد المجتمع للمشاركة وابداء الرأى وتنمية الانتماء لديهم للمجتمع الذى يعيشون فيه ... وعلى هذا لابد أن تتسم العملية الاعلامية بالامانة والموضوعية.

* ويرى الاستاذ الدكتور/ محمد سيد محمد أن الأصل فى الإعلام الاسلامى أنه الاعلام العام غير المتخصص لمجتمع مسلم أو دولة مسلمة أو حكومة اسلامية لكن الواقع المعاصر لمجتمعاتنا الاسلامية يحتم علينا القول بأن الاعلام الاسلامى فى ظروفنا المعاصرة هو صورة من صور الإعلام المتخصص وهو الاعلام الدينى(٣).

ولما كان الهدف من انشاء أجهزة الاعلام هو تبصير وتوعية الجماهير وتعليمهم بطريق غير مباشر، والاقناع وايضا الترفيه عن افراد المجتمع كما يتوقع من أجهزة الاعلام أن تعرض المعلومات أو الموضوع بأسلوب بسيط ييسر فهم مايحيط بالناس من مظاهر ووقائع وأحداث سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية أو

---

(١) دور الاعلام فى التنمية، محمد عبد القادر احمد، ص ١٠٢، الطرق، وزارة الثقافة والاعلام، ١٩٨٢.

(٢) الاعلام الاسلامى الأصول والقواعد والاهدف، أ.د. محى الدين عبد الحليم، مؤسسة إقرأ الخيرة، طبعة ١٩٩٢م، ص ٥٤.

(٣) المسئولية الاعلامية فى الاسلام، د. محمد سيد محمد، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، مكتبة الخانجى بالقاهرة، ص ٣٦.

سياسية أو دينية.

فان الاستاد الدكتور/ محمد كما امام يرى أن مفهوم الاعلام الاسلامى يتجاوز المعلومة الدينية التى تنشر عبر وسائل الاعلام «فالنظرية الاسلامية فى الاعلام تنبسط على كل المادة التى تبثها الوسيلة الاعلامية ، سواء اتخذت شكل المادة الاخبارية أو التعليق السياسى أو البرنامج الثقافى أو العلمى أو الاجتماعى وسواء كانت قصة أو مسلسلا أو مسرحية كل هذه الأشكال تتكامل فى الاعلام الإسلامى سواء فى التزامها مادة وفكرا بمشروعية الاسلام العليا ، أو فى ارتباطها عضويا بالنظرية الإسلامية فى الإعلام»(١).

فالاعلام هو عملية نشر وتقديم معلومات صحيحة ، وحقائق واضحة وأخبار صادقة ، وموضوعات دقيقة ، ووقائع محددة ، وأفكار منطقية ، وآراء راجحة للجماهير مع ذكر مصادرها خدمة للصالح العام(٢).

ويرى الاستاذ/ محمد أحمد يونس الصحفى بجريدة الاهرام المصرية ان مفهوم الاعلام الإسلامى «إعلام عام محتواه ووسائله ، يلتزم فى كل ما ينشره أو يذاع أو يعرض على الناس بالتصور الاسلامى للانسان والكون والحياة المستمدة اساسا من القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية وما ارتضته الأمة من مصادر التشريع فى اطارهما»(٣).

إما مفهوم الدعوة:

فيرى البعض أن الدعوة تقتصر على الأعمال الدينية فقط من عقائد وعبادات والأعمال التى تتعلق بالتاريخ الإسلامى.

---

(١) النظرية الاسلامية للاعلام، الاستاذ الدكتور/ محمد كمال امام، الكويت، دار البحوث العلمية، طبعة ١٩٨١، ص ١٣.

(٢) علم النفس الاجتماعى، أ. حامد عبد السلام زهران، ص ٣٣٧، القاهرة، عالم الكتب ١٩٨٤م.

(٣) وظائف الاعلام الإسلامى، للاستاذ/ محمد أحمد يونس، ورقة مقدمة إلى ندوة الاعلام الدولى وقضايا العالم الإسلامى، القاهرة، ٢٨ - ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٩٨م، ص ٥.

وارى أن هناك تباينا واختلافا بين مفهوم الاعلام الاسلامى ومفهوم الدعوة الاسلامية ، فيجب التفرقة بين الدعوة والإعلام ليس بمعنى الانفصال التام ولكن لكى يكون لكل مجاله المحدد ، لان الاعلام يتحدد مفهومه بالعملية الاتصالية التى تقوم على نقل الاخبار والحقائق والمعلومات وتزويد الجماهير بها بقصد التأثير على تلك الجماهير وإقناعها بالمواد والموضوعات أو القضايا التى يتم بثها أو نشرها بوسائل أو قنوات إعلامية.

أما مفهوم الدعوة الإسلامية فهو أشمل وأعم واعمق فى الاهداف والوسائل، ولذلك يرى العلامة ابن تيمية أن الدعوة الاسلامية هى «الدعوة إلى الايمان بالله ، وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما اخبروا به وطاعتهم فيما امروا ، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين ، واقام الصلاة ، وايتاد الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت، والدعوه إلى الايمان بالله وملائكته ورسله والبعث بعد الموت؟ والإيمان بالقدر خيره وشره ، والدعوة إلى أن يعبد الانسان ربه كأنه يراه[1].

فالدعوة ، هى الرسالة والتعاليم والنظم والقوانين واسلوب الحياة التى نزلت من عند الله بطريق الوحى على محمد -ﷺ-.

كما أن الدعوة هى تبليغ الناس كافة ، باللفظ والقول ، أو بهما معا بالقول فى الخطبة والمحاضرة والدرس والمناقشة ، بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، بالدعوة الفردية.

وتبليغ كذلك بالكلمة المكتوبة والمقروءة ، وبالتربية والتعليم وبالصحافة والإعلام والنشر ، إلى غير ذلك.

وتبليغ كذلك بالقدوة الحسنة ، والسيرة الطيبة ، والنظام الصالح والعمل الكريم والأخوة العامة ، واسلوب الحياة الامثل والاكرم والأوفق الذى يحقق استقرار الفطرة ويرضى تطلعاتها.

* وعموما فالاعلام الاسلامى «الدينى» هو ذلك النوع من الاعلام الذى

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية، الطبعة الأولى، جـ١٥، ص ١٥٨.

يتخذ من الفكر الاسلامى ومصادره الاساسية منهجا للعمل باستخدام وسيلة البث المسموع أو المرئى لخدمة الإسلام وقضاياه ، واسلوبا للتخاطب مع الافراد
ما تصوره آيات القرآن ال

* فالاعلام حين يعبر عن واقع الحياة بدون إثارة أو توجيه للعنف والجريمة وإنما قيما نبيلة يكون إعلاما إسلاميا.

* والإعلام حيث يحرص على ثروة الانسانية المتمثلة فى شبابها عدة الحاضر الذى نباركه وأمل المستقبل المرجو الذى نرقبه بفهم مستقيم وإدراك مستنير فيجعله قادرا على أن يميز الطيب من الخبيث حتى لاتختلط عليه مفاهيم تعوق خطواته أو تحتار بها مسيرته ويجبنه موقفا فكريا ينجو به من أن يكون ضالا أو مضلا فيسلم لأمته يبنيها ويكتب صفحات المجد من تاريخها ، فى عالم ليس فيه مكانا للقاعدين أو المترددين أو الواهنين ، وبذلك يمكن الله به لمجتمعه وامته فنظفر بشبابنا الحاملين اعباء رحلة غدنا وقد ساروا هم الهداة المهتدين والبررة الصادقين المخلصين يكون اعلاما اسلاميا.

* والخبر حينما يكون صادقا وليس موجها لمصالح خاصة وإنما لمصالح الأمة ، والنصيحة حينما تكون برئية من كل غرض يكون إعلاما إسلاميا.

* وحتى الترفيه والترويح الخالى من الاسفاف والتبذل وكذلك الاغنية التي تسمو بالروح وتدعو الى قيم وعواطف نبيلة تدخل فى الاعلام الاسلامى. وهذا كله جزء ووسيلة من وسائل الدعوة الاسلامية. فقد كان الصحابى أبى الدرداء رضى الله عنه أنه يقول إنى لاستجم قلبى بالشئ من اللهو لأقوى به على الحق ، وقال - ﷺ-: «روحوا القلوب ساعة فساعة»(١).

وكان الزهدى يحدث ثم يقول هاتوا من أشعاركم ، هاتوا من أحاديثكم فان الاذن مجاجة وإن للنفس حمضة . وكالن يقول روحوا القلوب ساعة وساعة.

وكان أصحاب النبى - ﷺ- يتناشدون الأشعار. وقصيدة «بانت سعاد» قالها كعب بن زهير فى المسجد النبوبى فى المدينة.

(١) الجامع الصغير، جـ٢ ص ٢٥.

المطلب الثاني

انظمة الاعلام الاسلامى

يقصد بأنظمة الاعلام مجموعة القواعد التى وضعها أولو الأمر لتنظيم الاعلام ، وكيفية أدائه لوظيفته. وتنظيم النشاط الإعلامى حسب مايحقق مصلحة المجتمع.

ومجال حديثى هنا عن انظمة الاعلام ذات التأثير علي المجتمع الدولى[١] وهذا يتطلب التعريف بانظمة الاعلام ذات التأثير الدولى فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام أولا ثم انظمة الاعلام ذات التأثير الدولى فى العصر الحديث. وأشير إليهما باختصار فيما يلى:

الفرع الأول

انظمة الإعلام
فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

تبدو أهمية الاعلام الاسلامى من وجوب تبليغ الدعوة الاسلامية إلى سائر الامم والشعوب الاخرى خارج الدولة الاسلامية بعد تبليغ الدعوة داخليا تنفيذا لقول رب العالمين ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[٢].

لان الاسلام يقف اليوم أمام تيارات عالمية عاتية ، من سياسية ، ومذهبية ، وعقائدية ، وفكرية ، واجتماعية ، وعنصرية ، كلها تحاول إقصاءه عن المجتمعات والناس. ولكنه ينظر بعين الإشفاق والرحمة والرثاء إلى هؤلاء المخدوعين والضالين والمضلين ، يريد لهم أن يجتمعوا على الطريق السوى وأن يسيروا على هدى الله وأن يعملوا للحق وبالحق ولأجل الحق وحدة ، وكلما مضت الايام كلما تبينا الحاجة إلى أن يسود الاسلام مجتمعات اليوم لينقذها مما هى فيه من فساد وانحلال وضياع وحرمان.

(١) لأن الهدف من هذا البحث هو اظهار مسئولية الاعلام الإسلامى تجاه غير المسلمين فى المجتمع الدولى خارج مصرنا الحبيبة.

(٢) سورة الشعرا الآية: ٢١٤.

إنه دين الإنسانية ، ودين القيمة ، الدين الخالد العام الصالح لكل زمان ومكان.

ورسولنا العظيم كان يدرك اهمية اعلام غير المسلمين بهذه الحقائق ولذلك اتخذ الخطوات الآتية لتحقيق غرضة وهو نشر الإسلام:

أ- عرض الرسول نفسه على القبائل العربية.
ب- إقامة العلاقات الودية مع اليهود.
جـ- بعثات الرسول إلى الامراء والملوك.

اولا: عرض الرسول نفسه على القبائل العربية:

لاشك أن الاتصال الشخصي فى ذاته يعتبر أساس لجميع العمليات الاعلامية، ومن بينها العملية الاعلامية التى تعرف «بالعلاقات العامة» ، والعملية التى تعرف «بالاعلان».

لكن الاتصال الشخصى اكثر مايؤثر فى الحقيقة فى ميدانين خطيرين هما ميدان الدعوة وميدان الدعاية.

والقدرة على ممارسة الاتصال الذى من هذا النوع شرط فى نجاح العمليات الاعلامية لانه ياعب دورا خطيرا فى الاعلام على جميع المستويات.

وللاتصال الشخصى قدرة كبيرة على التأثير فى الجماهير اكثر بكثير من بقية وسائل الإعلام الاخرى(١).

والمهم فى هذا الاتصال هو مدى ثقة الجمهور فى مصدر الاعلام ، لان هذه الثقة هى الاساس الذى يبنى عليه الجمهور تصديقه أو عدم تصديق للرسالة الاعلامية.

وهذه الوسيلة «الاتصال الشخصى» كانت أولى الوسائل التى مارسها الرسول

(١) الاعلام والاتصال بالجماهير، د. ابراهيم إمام، ص ١٢.

فى نشر الدعوة وأول خطوة من خطوات العمل الاعلامى الكبير الذى قام به الرسول بل كانت من أخطر هذه الصور الاعلامية على الاطلاق وقد التزم الرسول بهذه الوسيلة الخطرة منذ بدء الرسالة إلى أن توفاه الله سبحانه وتعالى.

ولقد لقى النبى - ﷺ- تعبا شديدا فى ممارسة هذه الوسيلة من وسائل الاعلام مع قومه ومواطنيه فى مكة وغيرها. من مدن الحجاز وذلك فى العهد الأول من عهود رسالته وهو العهد المكى بالذات ذلك أن الرسالة التى جاء بها النبى - ﷺ- لقيت نفورا واعتراضا كبيرا من جانب العرب فى مكة.

واستمر الرسول يمارس هذه الوسيلة الفعالة فى أول الأمر مع العامة والفقراء، وقد رأى هؤلاء فى العقيدة الجديدة تحريرا لانفسهم من قيود واغلال كثيرة ، ولم تكن لهم أموال ضخمة يخشون عليها ولاتجارة عظيمة يخافون كسادها ولازعامات كبيرة يضنون بها.

وأخذ الرسول يعرض نفسه على القبائل العربية هنا وهناك ويحاول أن يناقش أفرادها سواء كانوا من الاغنياء أو الفقراء[(١)] وعلى سبيل المثال

لقاء الرسول برجال من الخزرج فى البيعة الأولى:

عندما خرج الرسول فى موسم من مواسم العرب ليعرض نفسه على القبائل وبينما هو عند «العقبة» اذ لقى رهطا من الخزرج ، وكان الخزرج فى نزاع مستمر مع الأوس فى داخل يثرب ، وكانوا يخرجون من حين لآخر للبحث عن قبيلة من قبائل العرب تعينهم على الأوس. ووصلوا فى ذلك إلى العقبة ولقيهم النبى - ﷺ- هناك فسألهم قائلا: من أنتم؟ فقالوا من الخزرج ، قال: أمن موالى يهود؟ قالوا نعم قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا بلى وجلسوا معه - ﷺ- ، وعرض عليهم الاسلام وعندئذ تذكروا قول اليهود لهم أن نبيا قد حان وقت ظهوره ، وقد أظل زمانه وستيعقبونه لتقتلوه كما قتلت عاد وإرم فلما كلمهم رسول الله - ﷺ- ودعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض ياقوم تعلمون والله أنه النبى الذى توعدكم به يهود فلا

(١) الاعلام فى صدر الاسلام، الدكتور/ عبد اللطيف حمزه، طبعة دار الفكر، ص ٧٦.

يسبقنكم إليه ، فاجابوه عليه الصلاة والسلام فيما دعاهم اليه وصدقوه وقبلوا منه ماعرض عليهم من الاسلام. وقالوا إنا قد تركنا قومنا وبينهم من العداوة والشر ما بينهم فعسى أن يجمعهم الله بك. وسنقدم عليهم وندعوهم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذى اجبناك اليه من هذا الدين فان يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك ثم قدموا المدنية وذكروا أمر هذا النبى الجديد ودعوهم إلى الايمان به حتى اذا كان العام القادم أتى من الأنصار اثنا عشر رجلا فلقوا الرسول «بالعقبة» وكانت البيعة الأولى للنبى - ﷺ -(١).

ولقد كان النبى - ﷺ - فى ممارسته لهذه الوسيلة من وسائل الاعلام «الاتصال الشخصى» لايفرق بين الاغنياء والفقراء ولابين العبيد والسادة.

رحلة الطائف:

خرج النبى - ﷺ - إلى ثقيف بالطائف وذلك ليعرض نفسه عليهم لعله يجد فيهم من يستجيب لدعوته وينصره علي قومه وعشيرته ، ولم يكن بصحبته فى رحلته إلى الطائف أحد من أصحابه.

والطائف مدينة صغيرة حصينة على بعد سبعين ميلا من مكة تسكنها قبيلة ثقيف.

ولما انتهى رسول الله - ﷺ - إلى هذه المدينة قصد إلى نفر من ثقيف هم يومئذ سادة هذه القبيلة فعرض عليهم الإسلام. فما كان من آل ثقيف إلا أن أساءوا استقباله وعاملوه أسوأ معاملة ، وبالغوا فى ذلك أقصى درجات المبالغة فقد أعاروه جميعا أذنا صماء ، وأقام بينهم عشرة أيام يخطب الناس ويتلو عليهم رسالته ولامن مجيب.

وكان مما احتج به أهل ثقيف على الرسول أن قالوا له: أعجزت عن أن تقنع قومك برسالتك فجئت إلينا لتقنعنا بها؟.

---

(١) سيرة ابن هشام، جـ١ ص ٧١. مطبعة حجازى بالقاهرة طبعة سنة ١٩٣٨ ، تحقيق محى الدين عبد الحميد.

ولما وصلت الأزمة بينه وبينهم إلى هذه الدرجة طلبوا منه أن يغادر الطائف ، وما كاد الرسول يهم بمغادرة المدينة حتى وجد أشرافها وسادتها قد أغروا به سفهاءهم يسبونه ويصيحون به وقد اصطفوا على جانبي الطريق على مسافات طويلة في داخل المدينة فلما مر من بينهم جعلوا يرشقونه بالحجارة حتى اصابت الحجارة رجليه وعقبيه وسال منه الدم وكان كلما اشتد نزيف دمه وأعياه التعب جلس يستريح بعض الشئ ، ولكنهم لم يتركوه بل كانوا يأمرونه بمتابعة السير.

اذ ذاك اتجه الرسول إلى بستان لعتبة بن ربيعة ، وجلس فى ظل شجرة وتحركت نفس عتبة شفقة عليه فبعث غلامه فقطف له شيئا من عنب ، فلما وضع النبى يده فيه قال: باسم الله. ثم اكل. فنظر الغلام دهشا ثم قال: هذا كلام لايقوله أهل هذه البلاد ، فسأله الرسول عن بلده ودينه ، فلما علم أنه نصرانى من «نينونى» قال له أمن قبيله الرجل الصالح يونس بن متى؟ فسأله الغلام: وما يدريك مايونس بن متى؟ قال محمد: ذاك أخى كان نبيا وأنا نبى ، فأكب الغلام على محمد يقبل رأسه ، ويديه وأسلم.

ثم مضى النبى فى رحلته والصبية والغلمان يتبعونه بالحجارة حتى وصل إلى شجرة يستظل بظلها وهناك اتجه إلى ربه يدعوه[١].

بهذه النفس الصافية وبهذا الصبر الجميل والخلق الكريم قابل الرسول قسوة البشر ولم ييأس قط من رحمة الله ولامن نصره وتأييده.

وهذا مثال واحد فقط على ما كان يلقاه الرسول من عنت القبائل التي عرض نفسه عليها أو التى كان يمارس معها وسيلة من الوسائل الاعلامية التى هى من حق كل انسان فى الوجود من يوم خلق آدم إلى اليوم وهى وسيلة الاتصال المباشر.

ولقد كان النبى -ﷺ- وهو يعرض نفسه على القبائل العربية يتبع طرق الدعوة العلنية التي رسمتها الآية الكريمة: ﴿وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ، إن ربك هو أعلم بمن

(١) البداية والنهاية للإمام ابى الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقى المتفوى سنة ٧٧٤هـ ، المكتبة القيمة ، جـ٢ ص ١٦١ وما بعدها.

ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾[1].

وهذا الطريق فى التعريف بالاسلام واحكامه طريق الحكمة أو استخدام العقل فى اكمل صوره ، وطريق الموعظة الحسنة أو ابداء النصح باخلاص وصدق ، وفى شئ كثير من اظهار الحب والمودة.

وطريق الجدل بالتى هى أحسن أو التحدث إلى القوم بالحسنى وذلك فى يسر وهدوء وبتقديم البراهين والأدلة كان هو الطريق الذى اتبعه الرسول فى دعوته وعن طريقه .إستمال اليه قلوب العرب حتى استجاب له الكثيرون منهم.

ويجب[2] على الدعاة اثناء عرضهم للاسلام وأحكامه فى عصرنا الحاضر أن يلتزموا بهذا الطريق. لأنه أمر[3] من الله سبحانه وتعالى لرسوله وللمؤمنين.

---

(١) سورة النحل الآية: ١٢٥.

(٢) الواجب لغة يأتى بمعنى اللازم . فيقال: وجب الحق أى لزم ، ويأتى بمعنى الساقط ، فيقال وجب الحائط أى سقط، المصباح المنير، باب الواو مع الجيم، ص ٨٠٣.
وفى اصطلاح الاصوليين «عرفه القاضى البيضاوى بقوله "الذى يذم شرعا تاركه قصدا مطلقا" » نهاية السول على منهاج الوصول، جـ١ ص ٤١.
وكلمة «يذم» هنا قيد فى التعريف يخرج ثلاثة متعلقات لاذم فيها وهى المندوب فلاذم على تركه ، والمكروه ، فلاذم على فعله ، والمباح ، فلاذم لاعلى فعله ولا على تركه ، أما الواجب فيذم على تركه.
والمراد بالذم: أن ينص فى كتاب الله تعالى ، أو فى سنة رسوله -ص- أو تجمع الأمة على لوم واستنقاص هذا التارك استنقاصا يرتب العقاب على تركه للفعل .
ومصدر الذم هنا إنما هو الشرع ليس غيره ، خلافا لزعم المعتزلة فى قلوهم بالتحسين والتقبيح العقليين. الحكم الشرعى التكليفى، الدكتور/ صلاح زيدان، دار الصحوة للنشر، ص ٥٢، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(٣) الأمر فى اللغة يطلق على عدة معان: يطلق علي القول الطالب للفعل، وهو بهذا المعنى ضد النهى، القاموس المحيط، جـ١ ص ٢٦٥. المعجم الوسيط، جـ ١ ص ٢٦.
وفى اصطلاح الاصوليين: هو القول الطالب للفعل بالوضع، شرح الأسنوى، جـ٢ ص ٧.
وتستعمل صيغة الأمر فى معان كثيرة اختلف الاصوليون فى عددها كما اختلفوا فى دمج بعض المعانى فى بعض .
وقد اتفق الأصوليون على استعمال صيغة الأمر فى هذه المعانى مثل الايجاب ، الندب ، التأديب ، الأرشاد ، الاباحة ، الإذن ، التهديد ، الانذار ، وغيرها كثير ، واتفقوا على أن صيغة الأمر إذا صحبتها قرينة فهم منها المعنى الذى تحدده القرينة. واختلفوا بعد ذلك (=)

والأمر حقيقة فى الوجوب.

ثانيا: اقامة العلاقات الودية مع اليهود:

بالنظر فى سير الرسول - ﷺ- ، نجد انه قد مارس هذا النوع من أنواع الاعلام وبذل فيه اكبر جهد ممكن.

فقد وجد الرسول عند هجرته من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة التى استقر بها تسكنها ثلاث عشائر يهودية كبيرة وهى.

١- بنو النضير.

٢- بنو قريظة.

٣- بنو قينقاع.

(=) فى استعمال صيغة الأمر المجردة عن القرائن فى كل من الطلب والتهديد والاباحة. وهل تكون حقيقة فى معنى من هذه المعانى أو فى اكثر من معنى اختلفوا فى هذا على مذاهب ثمانية.
والراجع من هذه المذاهب أن صيغة الأمر إذا اطلقت وتجردت عن القرائن كان المعنى الحقيقى لها هو الوجوب. واذا استعملت فى غير هذا فيكون استعمالا مجازيا ، لابد فيه من القرينة ، وقد قال بهذا الرأى الجمهورمن الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة والظاهرية والمعتزلة والشيعة الامامية والزيدية، اصول السرخسى، جـ١ ص ١٦ ، تيسير التحرير، جـ١ ص ٣٤٢ ، مختصر ابن الحاجب بشرح العضد، جـ٢ ص ٧٩ ، المحصول للرازى، جـ١ ص ٦٦ ، المنهاج بشرح الأسنوى، جـ٢ ص ١٨ ، شرح الكوكب المنير، ص ١١، ارشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول لمحمد بن على بن محمد الشوكانى المتوفى سنة ١٢٥٠هـ - ١٨٣٩م ، مطبعة مصطفى الحلبى، ص ٨٣.
واستدلوا بأدلة كبيرة:
من القرآن قوله تعالى لابليس ﴿**مامنعك ألا تسجد إذ امرتك**﴾ سورة الاعراف الآية: ١٢ ، وقوله تعالى ﴿**واذا قيل لهم اركعوا لايركعون**﴾ سورة المرسلات الآية: ٤٨ ، وقوله تعالى ﴿**إنما قولنا لشئ إذا اردناه أن نقول له كن فيكون**﴾ سورة النحل الآية: ٤.
ومن السنة ما رواه البخارى بسنده إلى ابى سعيد بن المعلى قال: كنت اصلى فى المسجد، فدعانى رسول الله -ص- فلم اجبه ، فقلت يارسول الله إنى كنت أصلى ، فقال: الم يقل الله ﴿**استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم**﴾ ، صحيح البخارى، جـ٧ ص ٣٠ طبعة الشعب.
وقد وقع الاجماع من الصحابة رضوان الله عليهم على فهم وجوب الفعل من مجرد صيغة الأمر فى حوادث لاتكاد تحصى وكان هذا شائعا منهم من غير نكير ، وهذا يثبت ان صيغة الأمر حقيقة فى الوجوب.

وأما بقية سكان المدينة فكانت تتألف من قبيلتين هما.

١- قبيلة الأوس.
٢- قبيلة الخزرج.

وكانت الكثرة من هاتين القبيلتين قد دخلت فى الإسلام.

فقد نظر الرسول فى هذا الكيان العربى الذى تألفت منه المدينة ، وفى الاجزاء التى يتألف منها هذا الكيان ، وإذ ذاك فكر أول مافكر فى عقد «ميثاق» بين المسلمين واليهود وعرضه عليهم(١)، وكان هذا الميثاق يتألف من البنود الآتية.

١- أن يتعايش المسلمون واليهود فى داخل المدينة وكأنهم أمة واحدة وهذا معبر عنه فى العصر الحديث بكلمة «التعايش السلمى».

٢- أن يلزم كل من الفريقين دينه وألا يتدخل فى دين الآخر.

٣- يجب على كل من الفريقين فى حالة نشوب الحرب مع فريق ثالثا أن يبادر لنصرة الآخر ، ولكن بشرط أن يكون الفريق المعتدى عليه مظلوما وأن يكون الفريق المعتدى هو الظالم.

٤- فى حالة الهجوم على المدينة نفسها يجب على الفريقين أن يتعاونا فى الدفاع عنها معا.

٥- على الفريقين أن يتشاورا فى الصلح اذا رغبا فيه.

٦- ينظر الفريقان إلى المدينة على أنها بلد حرام لايحل فيه سفك الدماء.

٧- فى حال النزاع بين الفريقين يكون الرسول هو الحكم الأخير.

إن العمل على إنشاء هذه العلاقات الودية يعتبر عملا سياسيا واجتماعيا واعلاميا فى وقت واحد.

(١) الرحيق المختوم لفضيلة الشيخ صفى الرحمن المبار كفورى- مطبعة الانوار المحمدية، ص ٢٢٥ وما بعدها.

بل هو عمل اعلامى من الدرجة الأولى ذلك أنه يهدف إلى التعايش السلمى على أحسن وجه ، وبه ينظر التاريخ إلى الرسول على أنه رجل ممتاز فى جميع الميادين[١].

ثالثا: بعثات الرسول إلى الأمراء والملوك:

عندما عاد الرسول - ﷺ- من صلح الحديبية دعا المسلمين إلى اجتماع عام أوضح لهم فيه أن الاسلام جاء رحمة للناس كافة وأن العرب ليسوا هم المقصودين وحدهم بهذا الدين وأن الوقت قد حان لحمل الرسالة الاسلامية إلى جهات أخرى فى داخل بلاد العرب وفى خارجها.

وأنه يجب البدء بالملوك والأمراء المجاورين لهم ومنهم يومئذ: قيصر الروم ، وكسرى فارس ، ونجاشى الحبشة ، والمقوقس ، وعزيز مصر ، وأمير البحرين ، وصاحب دمشق ، وامراء اليمن ، وهذا كله فضلا عن امراء العرب الذين لم يدخلوا بعد فى هذا الدين ، منهم الأمير شرحبيل وغيره.

واستقر رأى النبى - ﷺ- على أن يبعث الى كل واحد من هؤلاء بوفد من قبله - ﷺ- ومع الوفد رسالة خاصة يدعوه فيها إلى عبادة الله وحده وإلى الايمان الذى جاء به محمد. فبعث - ﷺ-.

١- دحية بن خليفة الكلبى إلى قيصر ملك الروم.
٢- وعبد الله بن حذافة السهمى إلى كسرى ملك فارس.
٣- وعمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى ملك الحبشة.
٤- وحاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس ملك الاسكندرية.
٥- وعمرو بن العاص الهمى إلى جيفر وعبد ابنى الجلندى ملكى عمان.
٦- وسليط بن عمرو إلى «ثمامة بن آثال وهوازة بن على» على الحنفيين ملكى اليمامة.
٧- والعلاء بن الحضرمى إلى المنذر بن ساوى العبدى ملك البحرين.

(١) الاعلام فى صدر الاسلام، ص ١٣٨.

٨- وشجاع بن وهب الأسرى إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى ملك تخوم الشام[١].

ولقد قام الرسول - ﷺ- بهذه الحركة الاعلامية الواسعة النطاق ، وأوفد البعثات إلى جميع الجهات بعد أن نزلت الآية الكريمة: **﴿قل يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئا ولايتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولا اشهدوا بأنا مسلمون﴾**[٢].

ولم يكن الرسول يهدف من وراء هذه الحركة الإعلامية إلى التوسع فى النفود أو إلى جاه أو سلطان أو نحو ذلك إنما كان الرسول يحرص من خلال هذه الحركة أن يفهم المسلمون أن الإسلام لم يقصد به العرب وحدهم ، ولكن يقصد به الناس كافة.

وهكذا اثبت التاريخ أن محمدا أول من زاول «الاتصال الشخصى المباشر» من وسائل الاعلام القديمة والحديثة - وذلك عن طريق الوفادة وطريق الرسالة- ومما لاشك فيه أن العرب فى الإسلام كانوا أقدر على ممارسة هذه الوسيلة من وسائل الاعلام منهم فى الجاهلية لاشئ إلا لاختلاف القيم التى كانت تحكمهم فى الجاهلية[٣].

---

(١) سيرة النبى لابن هشام، جـ٤ ص ٢٧٨ ، مطبعة حجازى بالقاهرة، سنة ١٩٣٨، تحقيق محى الدين عبد الحميد.

(٢) سورة آل عمران الآية: ٦٤.

(٣) الاعلام فى صدر الاسلام، ص ١٥١.

الفرع الثانى

انظمة الاعلام الإسلامى فى العصر الحاضر

لاشك ان انظمة ووسائل الإعلام فى العصر الحاضر كثيرة وسوف اشير هنا إلى أهم نظامين فقط منها وهما:

١- المسـجد:

إن للمسجد رسالة كبرى ، وأهمية عظمى ، فى توجيه المسلمين المقيمين فى الغرب وتكييف سلوكهم ، وايجاد الرأى العام: المستنير باحكام الشرع ، وتعاليم الدين ليشق الناس طريقهم فى هذه الحياة على هدى من كتاب ربهم وسنة نبيهم فلا تنحرف بهم الأهواء ، ولاتضل بهم السبل.

قال تعالى: **﴿وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾**(١).

ومن هنا يبرز الدور الخطير الذى يقوم به الدعاة والمرشدون فى الغرب وتظهر المهمة الكبرى ، التى يحملونها فى اعناقهم: لارشاد الآمة وتهذيب نفوس غير المسلمين وجمعهم على كلمة سواء عن طريق الخطب التى تعتبر قوة من قوى الإعلام التى لها اهميتها البالغة.

والواقع أن كل الطوائف المهنية ، التى تعيش فى أرض الله تبتكر من الوسائل: ما يروج بضاعتها ، ويحسن سلعتها المعروضة حتى يقبل عليها الناس.

والسبب فى ذلك أنهم محترفون لهذه المهنة ، ومتخصصون فيها ويراعون قواعدها وأصولها. فكذلك يجب على القائمين على امورالمساجد فى الدول غير الإسلامية أن يحسنوا عرض الإسلام واحكامه فى صورة طيبة مقبولة ولنا فى خطب رسول الله اسوة حسنة. فلقد كانت خطبة -ﷺ- غاية فى التأثير والاقناع بدعوة الناس إلى التوحيد وعبادة الله وحده لاشريك له. وبيان كل ما أنزله الله فى

---

(١) سورة الأنعام الآية: ١٥٣.

كتابه الكريم. سواء فيما يتعلق بالأصول التى يقوم عليها الدين الحنيف ، أو فى حال الجهاد والدفاع عن هذا الدين العظيم. أو فى بيان أحوال الآخرة وأوصاف الجنة والنار أو فى مجال الأخلاق وحسن المعاملة. الى غير ذلك من الأغراض السامية والأهداف النبيلة.

ومما لاشك فيه أن أشهر خطبة عليه الصلاة والسلام هى خطبته فى حجة الوداع وفيما يلى نسوق طرفا منها:

«أيها الناس اسمعوا منى أبين لكم ، فانى لاأدرى لعلى لا القاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا ... أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام إلى أن تلقواربكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ألا هل بلغت اللهم فاشهد فمن كان عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها. وإن ربا الجاهلية موضوع وأول ربا أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب وإن دماء الجاهلية موضوعه وأول دم ابدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب.

أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب اكركم عند الله أتقاكم ، ليس لعربى فضل على عجمى ولا لأبيض على أسود فضل إلا بالتقوى ألا هل بلغت . اللهم فاشهد قال السامعون نعم فقال عليه الصلاة والسلام فليبلغ الشاهد منكم الغائب»[1].

٢- الوقف الإسلامى:

لقد اسهمت الأوقاف الاسلامية اسهاما كبيرا فى دعم مسيرة الدعوة الاسلامية لايصالها إلى جميع شعوب الأرض ، وفى مقدمة هذه الأوقاف الوقف على المساجد. وأعمال الجهاد والوقف على اهتداء غير المسلمين والوقف على مقارمة الغزو العسكرى والفكرى والتنصيرى التى تعرض لها العالم الاسلامى فى العصور المتأخرة[2].

---

(١) صحيح مسلم، جـ٢ ص ٨٨٩، طبعة ١٣٧٤هـ - ١٩٩٥م، وضوابط الإعلام فى الشريعة الإسلامية، أ. د. يوسف قاسم، ص ٩.

(٢) دور الوقف فى تنمية العمل فى مجال الدعوة الإسلامية، أ.د. محمد الدسوقى، مجلة الوعى الاسلامى، العدد ٤٠٢- صفر ١٤٠٢هـ - مايو ١٩٩٩م، ص ٣٠.

واشير باختصار شديد إلى تعريف الوقف واقسامه فيما يلى:

اولا: تعريف الوقف لغة وشرعا:

الوقف فى اللغة:

الحبس والمنع وهو مصدر وقفت الشئ اذا حبسته ، يقال وقفت الدابة اذا حبستها على مكانها ، ومنه الموقف ، لأن الناس يقفون فيه يوم الحساب ، أى يحبسون للحساب والوقوف فى القراءة -قطع الكلمة عما بعدها[(١)].

وقد يطلق على الشئ الموقوف ، فيقال: هذه الأرض وقف -أى موقوفة- ، ووقفت مالى فى سبيل الله أى حبسته فى سبيل من سبل الخير والنفع العام وجمعه أوقاف.

تعريف الوقف شرعا:

اختلفت عبارات الفقهاء حول تعريف الوقف فى الشرع ولكنها لاتخرج عن الحقيقة اللغوية السابق ذكرها.

أ- عند الاحناف:

هو حبس شئ معلوم بصفة معلومة ، وقيل هو حبس العين على ملك الواقف والتصدق بالمنفعة[(٢)].

ب- وعند المالكية:

هو وقف منفعة مملوك ولو بأجرة ، أو وقف غلته لمستحق بصيغة مدة مايراه المحبس[(٣)].

وقيل هو حبس العين على حكم ملك الواقف ، وحظر التصرف فيها بأى من

---

(١) المعجم الوجيز -معجمع اللغة العربية- طبعة وزارة التربية والتعليم، سنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ص ٦٧٩.

(٢) الاختيار لتعليل المختار، مجد الدين الموصلى، طبعة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، والمبسوط، ط ١٢ س ٢٧، القاموس المحيط، جـ٣ ص ٣٠٥، جـ٢ ص ٢٩٧.

(٣) الشرح الصغير، سيدى احمد الدردير، طبعة ١٩٨٦م، جـ٣ ص ٣٣٦، الخرشى،جـ٧ ص ٧٨.

التصرفات التملكية والتصدق بمنفعتها فى أوجه الخير والبر على وجه لازم.

جـ- وعند الشافعية:

هو حبس الملك فى سبل الله تعالى للفقراء وابناء السبيل وغيرهم ، يصرف عليهم منافعة ويبقى أصله على ملك الواقف[١].

د- وعند الحنابلة:

هو تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة[٢].

ومن خلال التعريفات السابقة أرى ان الوقف هو «حبس العين عن التصرف فيها والتصدق بمنفعتها على بعض الأفراد أو الجهات»[٣].

ثانيا: أقسام الوقف في الفقه الإسلامي:

القسم الأول: الوقف الخيرى :

هو الذى يكون لجهات البر والخير العامة ، مثل المدارس والمساجد ، والجامعات والمستشفيات والملاجئ والفقراء والمساكين وابن السبيل عامة[٤].

ويستوى فى هذا أن يكون الوقف منذ نشأته مؤبدا على الجهة الخيرية أو كان وقفا عليها مدة مؤقتة من بدايته ، كخمس سنوات ، ثم يصير بعدها لذريته أو لذوى قرابته.

القسم الثاني: الوقف الأهلى :

وهو الذى يقصد به تحقيق نفع خاص لبعض الأفراد كالوقف على بعض

(١) أحكام الاحكام شرح عمدة الأحكام، لابن دقيق العبد، نشر الكتب العلمية، بيروت، جـ٣ ص٢٠٩.

(٢) الكافى فى فقه الإمام أحمد، لابن قدامة، نشر المكتب الاسلامى، بيروت، طبعة ١٤٠٨هـ ، جـ٢ ص ٤٤٨ ، ومنتهى الارادات، جـ٢ ص ٤٧٨.

(٣) أحكام الوصية وموجز أحكام الوقف فى الفقه الإسلامى والقانون، أ.د. محمود بلال مهران، طبعة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، دار الثقافة العربية، ص٢٥١.

(٤) الكافى فى فقه الإمام احمد جـ٢ ص ٤٤٩.

الابناء دون البعض ، أو الاقارب دون غيرهم[١]، وقد يكون الوقف الأهلى ، بتخصيص ريعه فى الابتداء لمعين من الناس بالذات أو الوصف ، ثم يؤول بعده ، لجهة من جهات الخير أو البر كأن يقول: وقفت قطعة ارضى هذه على أولادى ثم على جامعة كذا بعدهم.

أوجه الفرق بين الوقف الخيرى والأهلى:

أ- الوقف الأهلى هو حبس المال على جهة خاصة قد تنقطع أو لاتنقطع.

أما الوقف الخيرى فهو حبس للمال على جهة عامة الأصل فيها أنها مستمرة -لاتنقطع.

ب- الوقف الخيرى: لو انقطعت الجهة الموقوف عليها المال فانه لايرجع إلى الواقف بل يصرف على جهة عامة أخرى من جهات الخير العامة.

أما الوقف الأهلى: اذا انقطعت الجهة الموقوف عليها المال عاد المال للواقف أولورثته من بعده.

مفهوم الوقف فى القانون المصرى:

ثم اعداد قانون شامل لمسائل الاوقاف برقم ٤٨ لسنة ١٩٤٦م يستمد احكامه من المذاهب الفقهية دون أن يقتصر فى ذلك على مذهب معين مثل مذهب الحنفية وابطال الشروط التعسفية التى اعتاد الواقفون ذكرها فى الوقف لاستحقاق المستحقين وغير ذلك[٢].

حكم الوقف شرعا:

بالنظر فى أقوال الفقهاء حول حكم الوقف شرعا يتضح لى أنه من التصرفات المباحة فى المال شرعا ، سواء كان هذا التصرف جائزا ، أو مندوبا أو مستحبا فهو

(١) أحكام الوقف فى الفقه الإسلامى، أ.د. أنور دبور، دار الوفاء للطباعة والنشر، سنة ١٤٠٣هـ، ص ٥.

(٢) مصادر التشريع الاسلامى، ».د. محمد عبد المنعم حبشى، طبعة ١٩٩٨، ص ٤٧٥.

أمر مشروع دون خلاف بين أحد من الفقهاء.[١].

ولم يرد في السنة إلا أساس تشريع الوقف ، وأما أحكامه التفصيلية فأساسها اجتهاد الفقهاء واستنباطهم بناء على تطبيق القواعد الفقهية الكلية أو رعاية المصالح المرسلة أو العرف أو غير هذا من مصادر التشريع التى يبنى عليها المجتهدون اجتهادهم حيث لانص فى القرآن الكريم.

الأدلة الشرعية على جواز الوقف:

يعتبر الوقف فى الاسلام من أجل اعمال الخير التى دعا إليها الله تبارك وتعالى امة الاسلام. وقد دل على مشروعية الوقف القرآن والسنة والمقعول كما يلى:

القرآن الكريم:

أ- قال تعالى: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وفى الرقاب﴾[٢].

المراد بايتاء المال فى الآية الكريمة هو الصدقة الجارية.

ب- قال تعالى: ﴿وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ، هو خير وأعظم أجرا﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾[٤].

---

(١) أحكام الوصية والوقف، المرجع السابق، ص ٢٥١ ، وقد اشار إلى مؤلف الاستاذ الكبير/ عبد الوهاب خلاف، احكام الوقف، ص ٦.

(٢) سورة البقرة الآية: ١٧٧.

(٣) سورة المزمل الآية: ٢٠

(٤) سورة آل عمران الآية: ٩٢.

فكل الآيات الدالة على التصدق والانفاق فى الخير تدل على مشروعية
الوقف لأنه يحقق النفع العام والخاص ، ويقوم على المصالح الاجتماعية التى تعظم
حاجة المجتمع اليها(١).

السنة النبوية:

أ- قال - ﷺ-: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية ، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»(٢).

فالمراد بالصدقة الجارية هنا الوقف ، أى وقف المال على جهات الخير التى لاتنقطع.

وقد كان الوقف فى عهد الرسول - ﷺ- وأصحابه ، بابا للصدقات الجارية ، أى المستمرة ، ومصدر خير ونفع للجماعة المسلمة.

ب- عندما هاجر النبى - ﷺ- إلى المدينة المنورة وجد بئرا يمتلكها يهودى ويبيع ماءها للمسلمين مستغلا ندرة الماء فيبيعها بأغلى الاسعار ، وهنا نادى رسول الله - ﷺ- قائلا. «من يشترى بئر رومة فيجعل فيها دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها فى الجنة».

فاشتراها عثمان بن عفان -رضى الله عنه- وجعلها وقفا على المسلمين جميعا(٣).

وقد اوقف عمر بن الخطاب نصيبه من ارض خيبر والتى قال فيها لرسول الله - ﷺ- «يا رسول الله إنى أصبت أرضا بخيبر لم أصب مالا قط هو أنفس عندى منه ، فما تأمرنى فيها؟ قال - ﷺ- "إن شئت حبست أصلها -أى وقفته- وتصدقت

(١) بحوث فى الوصية والوقف، أ.د. محمد الشحات الجندى، دار النصر للتوزيع والنشر، ص٢٠٨.

(٢) الجامع الصحيح للامام مسلم -القاهرة ١٣٨٤هـ، جـ٥ ص ٧٣ ، الجامع الصغير للسيوطى، جـ١ ص ٣٥

(٣) نيل الأوطار، للشوكانى، طبعة عيسى الحلبى، جـ٦ ص ١٢٧.

بها" قال ابن عمر راوى الحديث: فتصدق بها عمر أنه لايباع أصلها ولايبتاع ولايورث ولايوهب ، قال فتصدق بها عمر فى الفقراء وفى القربى وفى الرقاب وفى سبيل الله وابن السبيل والضعيف لاحناح على من وليها -أى تولى إدارتها- أن يأكل منها بالمعروف أو يطعم صديقا غير متمول فيه -أى متملك فيه- وفى رواية غير متمولا مالا »(١).

وقد وقف كبار الصحابة ، أبا بكر وعمر وعثمان وعلى ، والزبير بن العوام، ومعاذ بن جبل ، واسماء بنت أبى بكر وغيرهم وقفوا أنفس أموالهم(٢).

المعقـــــول:

لاشك أن الوقف الذى يكون فيه حبس العين على حكم ملك الله تعالى ، والتصدق بالثمر على جهة من جهات البر ، هو من أنواع الصدقات الجارية بعد وفاة المتصدق ، يعم خيرها ويكثر برها ، وتتضافر بها الجماعات فى مد ذوى الحاجات ، وانشاء دور الخير من معاهد للعلم وتنوير العقول بالمعرفة. ومستشفيات لعلاج أمراض الناس وتخفيف آلامهم ، وملاجئ تؤوى الأيتام وتحمى الأحداث ، وتقيهم شر الضياع والتشرد ، ويكونون قوة عاملة مصلحة لاقوة هادمة مخربة.

أهمية الوقف فى تنمية العمل فى مجال الدعوة الإسلامية:

لقد تطور الوقف ابتداء من عصر الصحابة حتى بلغ حدا جعل له الخلفاء الراشدون ومن بعدهم من عهد عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- وحتى اليوم ولاية مستقلة عن أموال الدولة سميت بزمام الوقف -أى ولاية الوقف وجعل لها واليا- أى ناظرا- يتولى إدارتها وتصريف شئونها حسب ماشرط الواقفون.

ونظرا لاهمية الوقف فى العصر الحاضر فقد صدر فى مصر القانون رقم ٨٠

---

(١) صحيح مسلم، نشر دار الجيل، بيروت، ص ٧٤ ، وفى رواية البخارى «تصدق عمر بأصلها: لايباع ولايوهب ، ولكن ينفق ثمره» بلوغ المرام من أدلة الأحكام، للامام بن حجر العسقلانى، طبعة ١٩٨٠، ص ٢٢٨.

(٢) بحوث فى الوصية والوقف، أ.د. محمد الشحات الجندى، ص ٢٠٩.

لسنة ١٩٧١م، والخاص بانشاء هيئة تسمى هيئة الأوقاف المصرية -تكون لها الشخصية الاعتبارية وتتبع وزير الأوقاف ويكون مقرها مدينة القاهرة[١].

وللوقف اهمية كبرى منذ الفتح الاسلامى ولاتزال ممتلكاته العقارية موجودة حتى الآن ، ولم يتوقف عطاؤه طيلة أربعة عشر قرنا فى مجال الخدمات العامة التعليمية والصحية والاجتماعية والتنموية .

وكان بمثابة بناء صلب لمعظم مؤسسات المجتمع الأهلى «المدنى» التى لايزال بعضها قائما فضلا عن دورة فى انشاء ودعم عديد من الجمعيات الخيرية.

فعن طريق الوقف يستمر العمل الصالح للعبد باعتبار الوقف من الصدقات الجارية كما أخبر بذلك رسول الله -ﷺ-.

ولقد غذى الوقف على المساجد الدعوة الاسلامية برجال يفقهون أحكام دينهم وتعاليمه ويجاهدون فى سبيل نشرها وتبليغها.

ولقد كان للوقف دور هام فى حماية الدعوة الإسلامية ودفع غارات المعتدين عليها ، وذلك عن طريق تلك المؤسسات الوقفية ، الخاصة بالمرابطين فى سبيل الله، يجد فيها المجاهدون كل ما يحتاجون إليه من سلاح وذخيرة وطعام وشراب ، وكان لها أثر كبير فى صد غزوات العباسيين وصد غزوات الغربيين أيام الحروب الصليبية عن بلاد الشام ومصر.

ولم يقتصر دور الوقف فى مجال الدعوة الإسلامية على بناء المساجد ، وحماية الدين من المعتدين.

وانما كان له دوره فى اهتداء غير المسلمين فقد خصصت أوقاف كثيرة لهؤلاء الذين ارتضواالإسلام دينا ، وكانت عونا لهم على تثبيت إيمانهم وتأليف قلوبهم[٢].

---

(١) الزكاة فى الاموال الوقفية وموقفها من المحاسبة الضريبية، أ.د. محمد احمد جادو، بحث مقدم إلى ندوة التطبيق المعاصرة للزكاة، مركز صالح كامل، من ١٤ ، ١٦ ديسمبر سنة ١٩٩٨م، ص ٢.

(٢) المؤلفة جمع مؤلف من التأليف ، وهو جمع القلوب ، والمراد بالمؤلفة قلوبهم الذين يتألفون(=)

ومن ذلك ما ورد فى السجلات الشرعية لمدينة بورصة التركية ، فقد جاء فيها «أن بعض الواقفين قد خصصوا صندوقا للمهتدين من ايرادات الأوقاف ، وأن الوقفية التى تعزى للأمير السلجوقى «شمس الدين التون أبا» الذى عاش فى القرن الثامن عشر الميلادى كان من شروطها «أن من اهتدى من غير المسلمين من الغرباء وأهل هذه الديار وترك دينه الباطل يصرف لطعامه وملابسه وأحذيته وختانه ولتعليمه قدرا من القرآن تصح به الصلاة خمس اسهم الخان المختص بمقام الدباغين المرسوم بالحديقة الجديدة المحتوى على ثمانية عشر مسكنا وعلوا الكائن بربض قصر مدينة قونية فى محله تعرف بالميدانى.

وجاء فى وقفية سجلت قبل وقفية الأمير شمس الدين بنحو ثلاثمائة عام وهى وقفية الحاج عوض الذى كان وزيرا فى عصر مراد الثانى: «ويجمع كل يوم درهمان لمن يحتاج إلى مصلحته ممن يتمسك بعروة الايمان خارجا عن وادى الكفر والطغيان ويختار الهداية على الضلالة والعصيان».

والذى لاريب فيه أن شروط الواقفين الخاصة بمساعدة المهتدين كانت سببا من أسباب دعمهم واستقرار حياتهم ، كما أنها كانت عاملا مشجعا للذين يريدون أن يؤمنوا بهذا الدين.

وبذلك كفلت الأوقاف تنمية الدعوة الإسلامية فى مجال اهتداء غير المسلمين وهو مجال له أهميته فى العمل الدعوى ، ولم تكن الأوقاف العثمانية وحدها هى التى خصصت بعض ايراداتها للمهتدين وانما كانت الأوقاف فى العالم الإسلامى كله

(=) بالعطاء ويستمال به قلوبهم سواء اكانوا من الكفار أم من المسلمين. ولقد كان النبى - ﷺ - يتألفهم لاتقاء شرهم وليكونوا عونا للمسلمين والإسلام كما ثبت عنه فى صحيح البخارى أنه قال: «والله إنى لأعطى الرجل وادع الرجل والذى أدع أحب إلى من الذى أعطى ، ولكنى اعطى أقواما لما أرى فى قلوبهم من الجزع والهلع ، وآكل اقواما إلى ما جعل الله فى قلوبهم من الغنى والخير». صحيح البخارى، كتاب الجمعة، جـ٢ ص ١٠ طبعة الاميرية.

وصح عنه - ﷺ - أنه أعطى سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيننة بن الحصن والأقرع بن حابس وعباس بن مرداس كل انسان منهم مائة من الأبل وثبت فى صحيح مسلم أنهأعطى علقمة بن علاثة مائة من الإبل ثم قال للإنصار لما عتبوا عليه «ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاه والابل وترجعون برسول الله - ﷺ - إلى رحالكم. صحيح مسلم، جـ٣ ص ١٠٨.

ترعى هؤلاء الذين آمنوا بالاسلام ، وان كان للاوقاف العثمانية وبخاصة فى مدينة بورصة التركية دور الريادة فى هذا[١].

خلاصة القول:

إن الوقف كان له دور بارز فى تنمية العمل فى مجال الدعوة الإسلامية ، ولقد هيأ للدعاة والمجاهدين السبيل لنشر دين الله وتبصير الناس بأحكامه ، كما هيأ لهم أسباب الجهاد المسلح ضد الطامعين والحاقدين والمتربصين وكان له دور فى حماية المهتدين والذين ارتضوا الإسلام دينا.

وفى عصر الهجمة الاستعمارية أدى رسالته فى مقاومة سياسة الغزو الفكرى والتبشير التنصيرى ، ومن ثم كان له أثره الرضاح فى الحفاظ على الأصالة الإسلامية ، بكل خصائصها وسماتها[٢].

---

(١) اثر الاوقاف العثمانية فى اهتداء غير المسلمين للاستاذ عثمان جنين، مجلة الخيرية، سنة ١٤١٧هـ ، ص ٢٦، مشار إليه فى مقال أ.د. محمد الدسوقى، دور الوقف فى تنمية العمل فى مجال الدعوة الإسلامية، مجلة الوعى الإسلامى، العدد ٤٠٢ - ١٤٠١هـ - مايو يونيو سنة ١٩٩٩م، ص ٣٢ ، ٣٣.

(١) مقال أ.د. محمد الدسوقى، بمجلة الوعى الإسلامى، ص ٣٣.

المبحث الثانى

التعـــــريف بالمســـئولية
فى الفقه الإسلامى

تمهيد:

إن الإسلام يحارب من قديم الزمان لأن العالم كله يعلم أن أمة الإسلام لو اجتمعت وتعاونت وتضامنت فانها ستكون الرائدة للعالم ولهذا فان حقد الاعداء يجعلهم لايتركون فرصة للطعن من خلالها فى الاسلام وتشكيك الآخرين إلا ويذلوا قصارى جهدهم وقاموا بتشكيك الآخرين للوصول لهذا الهدف وهم بزعمهم وحقدهم هذا يظنون انهم يستطيعون النيل من الاسلام وتجاهل هؤلاء جميعا بحقيقة الإسلام فى أنه دين الله الخالد وأن الله عز وجل هو المدافع عنه لكن الله عز وجل يعطى الفرصة بعد الفرصة لأمة الإسلام لتدافع عن دينه ويشرها بالنصر على الأعداء إن التزمت بشريعته أما ان تخاذلت أمة الإسلام عن نصرة الدين فان الله عز وجل هو الذى سيحمى دينه وينتصر على اعدائه وهو الغالب على أمره.

وكل يوم نسمع ونقرأ عن حملات معادية للاسلام والمسلمين وللأسف الشديد هذه الحملات تتزايد وتأخذ اشكالا عديدة ، بل انها تستفيد من أحدث تكنولوجيا الاتصال والمعلومات للمضى فى هذه الخطط التى لم تتوقف على مدى عهود طويلة لرسم صورة ذهنية سيئة للاسلام والمسلمين ، وتتنوع مجالات هذه الصورة الذهنية للاسلام والمسلمين عند الغربيين فتشمل المسرح ، والرواية والقصة والموسوعات ، والكتب الدراسية ، والافلام السينمائية والاذاعة «راديو وتلفزيون» والصحافة المطبوعة «صحف - مجلات» والمؤتمرات والندوات العلمية وغيرها من استطلاعات الرأى.

فالقوم جادون ونحن غير مكترثين. ويخيل إلى البعض منا من خلال بعض المظاهر السلوكية السلبية فى الغرب أنها شعوب لاهية عابثه والحق أن القوم هناك قد عرفوا تماما الحد الفاصل بين الجد واللهو.

ونحن نخلط بينهما دائما ، كما أننا دائما رافضون ساخطون نكتفى بمواقف الاستنكار والشجب ، بمعنى أننا عاجزون عن القيام بعمل إيجابى ومذنبون فى حق انفسنا وديننا ومقدساتنا.

فذاكرتنا قد ضعفت إلى الحد الذى لم تعد فيه قادرة على تذكر شئ من كثرة مايقال ، ومؤسساتنا الاسلامية قد تقاعست عن أداء الدور المنوط بها فى خدمة قضايانا الاسلامية .

ولم يبق هناك من سبيل غير الجهود الفردية هنا وهناك، والتى تمثل الأمل الوحيد فى الوقت الحاضر ، ولكنها غير كافية لمواجهة مؤسسات علمية كبرى تجند لها شتئ الامكانات وتحظى بالدعم المستمر من جانب الحكومات الغربية والدعم الكنسى من جانب الفاتيكان.

ومن هنا فاننا اذا اردنا أن نتعرف بطريقة سليمة على مواقف الغرب من الإسلام والحضارة الإسلامية فلا يجوز لنا أن نقف عند بعض الظواهر الوقتية العارضة ، بل يجب أن نبحث عن الجذور هذه المواقف فى أعماق الفكر الغربى ، تلك الجزور التى ترسخت فى هذه الأعماق منذ قرون طويلة بفعل مؤثرات عديدة[١].

فاذا كنا لم نحاول أن ندرس التراث الغربى ونحلله وننقده كما فعل الغربيون بتراثنا فعلينا على الأقل أن ندرس ماكتبوه عنا حتى نعرف الأسباب التى من أجلها كانت حملتهم الظالمة علينا وعلى ديننا ومقدساتنا.

ولتحقيق هذه الغاية لابد من الانفتاح بكل موضوعية وحكمه باتجاه العالم لتحسين وتقوية العلاقات بين مجتمعاتنا والمجتمع الدولى من خلال تقديم منهجنا الاسلامى العالمى وتصوراتنا وقيمنا فى التعايش الانسانى وتخفيف التناقضات الثقافية والمنهجية بين نظرة المسلمين وتصورهم للعلاقات الدولية والمشاركة فى اقامة نظام عالمى عادل ونظرة الآخرين وتصوراتهم حول هذا الأمر.

(١) الاسلام فى تصور ادباء وفلاسفة الغرب، أ.د. محمود حمدى زقزوق، حولية كلية اصول الدين بالقاهر، العدد الرابع ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

وكل هذا يلقى بالعبء على المسئولين وعلى كل راع مسئول أمام الله أن يعمل على اظهار مبادئ ديننا الإسلامى الحنيف وخاصة المسئولين عن الاعلام الاسلامى فعليهم عبء العمل الايجابى وهو اظهار الاركان والمبادئ الاسلامية التى يجهلها الغربين.

وهذا المبحث يتضمن المطالب الآتية:

المطلب الأول: تعريف المسئولية وبيان اقسامها.

المطلب الثانى: تعريف الامانة وبيان اقسامها.

المطلب الثالث: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

المطلب الأول

تعريف المسئولية
وبيان اقسامها

الفرع الأول

تعريف المسئولية

المسئولية فى اللغة:

معناها كون الإنسان مسئولا مؤاخذا. ومادة سأل فى العربية تفيد فى الاستعمال العام فى الاستفسار عن مجهول.

كما جاء فى قوله تعالى: ﴿**يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير**﴾[١].

وفى قوله تعالى: ﴿**يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج**﴾[٢].

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢١٧.

(٢) سورة البقرة الآية: ١٨٩.

وفى قوله تعالى: ﴿**يسألونك عن الخمر والميسر كل فيهما اثم كبير**﴾(١).

وقد تفيد المادة معنى وراء الاستفسار ، كالتهويل ، والتهديد ، وكالتغريم والعقوبة ، وفى هذا المعنى نجد قوله تعالى: ﴿**فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون**﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿**وقفوهم أنهم مسئولون**﴾(٣).

وقوله - ﷺ -: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»(٤).

والفقهاء الاسلاميون -لم يستعملوا هذه الكلمة للتعبير عن المؤاخذة، وانما استعملوا لفظين آخرين أحدهما الضمان أو التضمين والآخر الغرامة أو التغريم.

ومن استعمالات الضمان فى هذا الصدد ، قولهم «ضمان الغصب» «وتضمين الأمين» «وضمان المأمور» «وضمان القيمة».

ومن استعمالات الغرامة قولهم «الجهاد فرض والغرامات لاتقترن بالفروض»(٥).

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢١٩.

(٢) سورة الحجر الآية: ٩٢ ، ٩٣.

(٣) سورة الصافات الآية: ٢٤.

(٤) رواه البخارى فى صحيحة، جـ٩ ص ٧٧ ، وصحيح مسلم، جـ٣ ص ١٤٥٦.

(٥) المسئولية المدنية والجنائية فى الشريعة الإسلامية، للاستاذ الامام الاكبر محمود شلتوت، مطبعة الأزهر، ص ٢.

الفـــــرع الثانى

اقسام المســـئولية وبيان اهميتها

ميز فقهاء الشريعة الاسلامية بين أنواع المسئولية الجنائية والمدنية فجعلوا المسئولية الجنائية خاصة بالحدود والقصاص والتعزيرات أما المسئولية المدنية فهى خاصة بالعقود والمعاملات المالية والتعويضات.

ولذلك نجد فى تعريفات الفقهاء للجناية بأنها «اسم لما يكتسب من الشر، وشرعا اسم لفعل محرم حل بمال أو نفس وخص الفقهاء الغصب والسرقة بما حل بمال، والجناية بما حل بنفس أو طرف»[١].

كما أن الفقهاء يعبرون عن دفع الضرر الذى يصيب الجماعة، وعما يحقق مصلحتها بحق الله، أى انهم يعبرون عن الحق العام بحق الله كما يعبرون عن دفع الضرر الذى يصيب الفرد، وعما يحقق مصلحته، بحق العبد، أى انهم يعبرون عن الحق الخاص بحق العبد.

وفى ذلك يقول الاصوليون «وحق الله تعالى مايتعلق به النفع العام» للعالم، فلا يختص به أحد وينسب إلى الله تعالى تعظيما، أو لئلا يختص به أحد من الجبابرة كحرمة البيت الذى يتعلق به مصلحة العام، باتخاذه قبله لصلواتهم، ومثابة لاعتذار اجرامهم وحرمة الزنا.

كما يتعلق بها من عموم النفع فى سلامة الانسان وصيانة الفراش وتحريم السرقة وشرب الخمر والتجسس والربا والغش فى المعاملات وحرمان القاتل المتعمد من الميراث[٢].

ويقسم رجال القانون الوضعى المسئولية الى مسئولية أدبية ومسئولية قانونية.

---

(١) رد المحتار على الدر المختار، للحصكفى، ت ١٠٨٨هـ، جـ٥ ص ١٣٧، شرح تنوير الابصار للتمرتاشى، ١٠٠٤هـ،مطبعة مصطفى الحلبى.

(٢) مرآة الأصول، جـ٢ ص ٢٨، حاشية التلويح على التوضيح، جـ٢ ص ١٥١، الفروق للقرافى، لأحمد بن ادريس المشهور بالقرافى ت ٦٨٤هـ الطبعة الأولى، ١٣٤٦هـ، جـ١ ص ١٨٠، كشف الأسرار، جـ٤ ص ١٣٤، شرح المنار لابن ملك، ص ٨٨٥.

وتنقسم المسئولية القانونية إلى جنائية ومدنية. كما تنقسم المسئولية المدنية إلى عقدية وتقصيرية.

فالمسئولية القانونية تتحقق حينما يرتكب المرء فعلا يسبب به ضررا لغيره فيؤاخذه القانون على ذلك.

أما المسئولية الأدبية فتتحقق حينما يقترف المرء اثما يسأل عنه أمام الله ، ويحاسبه عليه الضمير ، سواء أكان ذلك بعمل ايجابى أم سلبى. والمرجع فى ذلك هو حسن النية وسوؤها وهو لذلك شخصى بحت(١).

وموضوع المسئولية كما تصوره آيات القرآن الكريم ، ونصوص السنة ، فى غاية من الأهمية ، لأنه من الأسس والدعائم التى أرساها الإسلام لابنائه ومعتنقيه، ليهديهم إلى الطريق المستقيم ، فى كل ميادين الحياة النافعة ، من الصدق فى القول والإخلاص فى العمل والتحلي بصفة الامانة وغير ذلك من الأسس والدعائم المحكمة الدقيقة ، والتى بها ترقى الأمم وتنهض بها الحضارات.

ومما يؤكد عظم المسئولية فى الامانة وأهميتها، وشرف من يتصف بها أن النبى - ﷺ- قد نفى الايمان عمن لا أمانه عنده فقال - ﷺ-: «لاإيمان لمن لا امانة له»(٢).

والشريعة الإسلامية لاتشترط فى المسئولية الجنائية النص على الجريمة أو العقاب وهذا وضع يتفق تمام الاتفاق مع صلاحيتها للتطبيق فى كل العصور والاحوال. وليس من شك فى أن الناس يتطورون فى تقدم الحياة ، وابتكار وسائل الخير وصوره، فليس من الحكمة مع هذا التشريع ، الذى جاء للخلود أن ينص على جرائم وعقوبات بأعيانها ثم يقول لاجريمة الا بنص ولاعقوبة إلا بنص.

إن التعريف الكلى للجريمة يسهل على الحاكم تطبيقه على الحوادث بمعونة

---

(١) الوسيط للسنهورى، الدكتور عبد الرازق السنهورى، الطبعة الثانية، ص ٧٤٣ ، ٧٤٤.

(٢) مسند الامام احمد، الطبعة الثانية، دار الفكر سنة ١٩٧٨م، جـ٣ ص ٦٢٦، كنز العمال، فى سنن الأقوال والافعال، الطبعة الثانية، سنة ١٣٧٤هـ، جـ٣ ص ٦١.

العرف والبينات وهذا فيما لم ينص عليه من جرائم «غير الحدود».

غير أن تقدير الجريمة والعقوبة فى غير المنصوص ، يحتاج إلى فقه نافذ ومعرفة بالزمن ، وأحوال الناس ، وما يحقق مصالحهم ، كما يحتاج إلى عدالة راسخة. فاذا ضعفت هذه المعانى فى القضاة ، وغلب الجور ، وتحكمت المصلحة الخاصة ، جاز لولى الأمر -ممثلا فى السلطة التشريعية- تحديد الجرائم، وتقدير عقوباتها ، شريطة الا يخرج بذلك عن منصوص أومجمع عليه ، فاذا خرج عنها ، ولم يعتد بالبيئة وظروفها الزمنية والمكانية ، ولم يراع فى تحديده وتقديره مقايس الامة للفضيلة والرذيلة ولاتقاليدها الدينية ، وأعرافها الخلقية ، واقتصر على استيراد التقنين من الفقه الأجنبى كان بذلك منحرفا عن الدين الاسلامى ، وعن تقاليد الأمة واعرافها ، غير محقق للأمة الاستقرار والاستقامة فى ظله.

أهمية المسئولية: يتحمل المسلمون أصحاب العربية مسئولية خاصة فى العالمين ، ذلك أنهم مطالبون بتحقيق الكلمة الطيبة فى القرآن التى تؤتى أكلها كل حين.

فالقرآن الكريم كتاب محدود الحجج لانهائى المعنى ، وعندما نزل القرآن متحديا العرب بلغتهم ومافيها من إعجاز شمل اللفظ والتصوير والتناغم وهو ماعجز اصحاب اللغة الذين نزل فيهم عن التحدى فى مجاله رغم أن العداء مع من جاء بهذا القرآن ارتفع إلى درجة القتال الذى لايفتر لسنوات طويلة. فلما انقضت السنون تبين أن التحدى كان اكثر عمقا وشدة. فمن أين يأتى من يقبل التحدى -بالاضافة إلى اللغة- بفكر يتجدد به التحدى فى كل جانب من جوانب الحياة مع مضى الزمن.

ولظهور خطورة المسئولية الملقاة على عاتق من يعمل بالاعلام عامة وبالاعلام الاسلامى خاصة.

يقول - ﷺ -: «الامارة امانة وهى يوم القيامة خزى وندامة الا من أمر بحق وادى بالحق ماعليه فيها»[١].

(١) المستدرك على الصحيحين للامام الحافظ ابن عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابورى: جـ٤ ص ١٠٣ ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

نعم الامارة وما أروعها وما أعظمها وما احبها إلى النفس عند التولية!! وما أمرها ، وما أشقى النفس بها عندما تدير ظهرها لصاحبها المتيم بها ، وترحل عنه رحيلا غير كريم.

واتصور ان وظيفة العمل بالاعلام شأنها يكون كذلك بالنسبة للاهثين عند محرابها ضارعين ، خاشعين ، وهى ليست كذلك لمن تأبى عليها فجاءت صاغرة اليه ترجو نفع الناس من امكاناته وقدراته.

إن اختيار من يعمل بالاعلام فى بلادنا شئ كبير وعظيم ودقيق فهو اختيار لفطنة من يختار ولدين من يختار.

والمسلم الذى يختار للعمل بالاعلام الموجه لغير المسلمين يشعر بعبء الاختيار وفداحة مسئوليته وذلك لأمور يفرضها عليه ايمانه وتلزمه بها منزلته فى قومه ومكانته.

قال العرب: «اختيار المرء جزء من عقله» ومعنى هذا فى عرفهم ، أو قل حكمتهم أن الاختيار ينعكس سلبا وايجابا على شخصية من يختار ، وهذا يدعو إلى مزيد من الاثارة والتبصر ، والتعالى على الأهواء[١].

إن «الكلمة »رسالة ولها أثر كبير فى كيان الفرد وسلوك المجتمع.

إن «الكلمة» قد تنطلق من لسان متصل بقلب سليم ، وعقل يقظ ، فاذا هى نغم عذب فى كل أذن ، واحساس نبيل فى كل شعور ، ووازع ملهم فى كل ضمير.!

وإن «الكلمة» لتنطلق من لسان مشدود إلى قلب مريض ، وعقل فارغ ووجدان سقيم ، فاذا هى أشبه بجنين يولد لغير تمام ، لايلبث حتى يصبح فى عالم الموات!!.

---

(١) شهوة الكرسى بين عبء المسئولية وضلالة الاغراء، الدكتور السيد رزق الطويل، مجلة منبر الاسلام، السنة ٥٤، العدد ٦، جمادى الآخرة ١٤١٦هـ - اكتوبر / نوفمبر سنة ١٩٩٥م، ص٢٠.

ونستمع إلى القرآن الكريم فى قول الله سبحانة وتعالى: ﴿ضرب الله مثلا ... كلمة طيبة كشجرة طيبة ... أصلها ثابت وفرعها فى السماء ... تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ... ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ... ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة ... اجتثت من فوق الأرض ... مالها من قرار﴾[١].

نستمع إلى هذا المثل فى القرآن الكريم الذى يفرق بين الكلمة والكلمة فندرك فيما ندرك أن من الكلام مايفعل من الحياة فعل المعجزات ، فيغير ما بالنفوس ، وينقل الناس من حال إلى حال.

وليس بعجيب أن يكون للكلمة -مسموعة أو مقروءة- هذا الشأن العظيم فيما يقع للناس من خير أو شر ... فالكلمة الطيبة قد تصلح مجتمعا بأسره ، وقد تقيم دولة بكل أسباب مقوماتها.

والكلمة الخبيثة قد تفسد مجتمعا كاملا ، وقد تهوى بأمة إلى مهاوى الضياع والهلاك !!!.

ليس بعجيب أن يكون هذا شأن الكلمة. فالكلمة ليست لفظا ومعنى وحسب، وانما هى مع هذا جيوش زاحفة ، أو مصانع قائمة ، أو مخترع مذهل !!!.

إن وراء كل عمل انسانى كلمة دفعت به إلى هذا الوجود ... فالانقلابات الاجتماعية ، والثورات الاصلاحية ، انما هن ولائد الكلمات الطيبة التى انطلقت من صدور المصلحين ، وحملة المشاعل ، إلى عامة الناس ، فبصرتهم بمواقع الخير ، وانارت لهم معالم الطريق !!.

ولايظن ظان أن «الكلمة» انما تستمد قوتها من حسن صوغها ، وجمال جرسها ، وكرم معناها.

وإنما تستمد الكلمة قوتها من القلب الذى صدرت منه ، وتظهر آثارها فى

(١) سورة ابراهيم الآية: ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦.

القلب الذى يحسن لقاءها ، واستقبالها !!!.

سمع الحسن البصرى واعظا يعظ ، ولما لم يجد لكلمات الواعظ أثرا فى نفسه قال: «ياهذا ... بقلبلك شئ ... أو بقلبى !! ثم انصرف عنه !! والحسن البصرى فى موقفه هذا انما ينطق عن قلب واع ، وعقل يدرك ، وفهم دقيق ، لرسالة الكلمة واثرها فى كيان الفرد. وفى سلوك المجتمع.

وسواء فى هذا ، الكلمة المسموعة ، أو المقروءة ... فكما تحمل الكلمة المسموعة مشاعر صاحبها ، وتنقل معها انفعالاته وأحاسيسه ، كذلك تفعل الكلمة المقروءة ، فتنقل عن كاتبها -اذا صدقها القول مايجرى فى نفسه من مشاعر-، ومايقوم فى خاطره من ايمان بما يجرى به قلمه ، ويصوره بيانه !!!. وعلى سبيل المثال.

ليست الكلمات مهما كرم معدنها ، وشرف معناها ، الا اجساما جامدة أرواحها القلوب التي تعيش فيها والصدور التى تنطلق منها!!.

القرآن الكريم -وهو ماهو- يرتله مرتل فتتفتح به القلوب ، وتنتعش له النفوس ويقرؤه قارئ ، فلا يبلغ به من النفوس شيئا!!.

وليس الشأن فيهما لجمال الصوت ، أو حسن الترتيل وما بين الحالين من خلاف انما هو بقدر مابين القارئين من اختلاف فى اتصالهما بكتاب الله ، وادراكهما لمعانيه ، واحساسهما بما فى آياته من زواجر ومواعظ.

الأول: فقه آيات الكتاب ، فملأت قلبه ايمانا وخشوعا ، فاذا ارسلها من هذا القلب أخذت طريقها إلى كل قلب.

وأما الآخر فانه لايدرك من كلمات الكتاب الا انها عبارات تردد أو كلمات تنضم. لم يتجاوز مدارها ماين اذنيه ولسانه.

إن الكلمات اجسام أرواحها القلوب التى تسكن اليها ، وتطمئن فيها فاذا لم تجد القلب الذى تسكن اليه ، كانت أشباحا ضالة ، تطرق أبواب القلوب فلا ينفتح

لها قلب !!.

إن حسن الاختيار لمن يعمل فى مجال الاعلام فى المنهج الاسلامى مسئولية يتعاظم خطرها بالنسبة لمن يختار ، ولمن يهمهم هذا الاختيار.

أما الاولون فيقول فى شأنهم نبينا محمد -ﷺ-: «من استعمل رجلا من عصابة وفى تلك العصابة من هو أرضى لله منه فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين»(١).

وفى موقف آخر نرى تحذيرا أشد من تسلل الهوى فى عملية الاختيار أو أن تجعل الدنيا وزينتها قاعدة لهذا الأمر المهم ، فذكر النبى -ﷺ-: ثلاثة لايكلمهم الله ولاينظر إليهم ، ولايزكيهم ، ولهم عذاب أليم ، ومن هؤلاء الثلاثة: «رجل بايع إماما ، لايبايعه إلا لدنيا فان اعطاه منها رضى ، وان لم يعطه منها سخط»(٢).

إلى هذا المدى تصل مسئولية من يسئ الاختيار ، أو يحتكم إلى هواه.

أما الآخرون الذين يهمهم حسن الاختيار ، فنلمس فى ظل سوء الاختيار تراجع الأمة ، وتخلفها ، وذهاب ريحها ، وفشلها فى استثمار قيم الحياة وسننها حتى أن النبى -ﷺ- تحدث عن الأمانة وعن مؤشرات ضياعها فبين أن ضياعها فى سوء الاختيار وهذا يعنى أن ساعتها قد حانت.

فقد جاء رجل يسأل النبى -ﷺ- عن الساعة ، فسكت النبى -ﷺ- برهة ، ثم قال: أين السائل عن الساعة؟ قال: ها أنا ذا يا رسول الله ، قال: إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ، قال: وكيف إضاعتها؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة(٣).

انها ساعة الأمة تحين عندما تضيع الأمانة فيها ويشيع سوء الاختيار.

---

(١) المستدرك - للحاكم، جـ٤ ص ١٠٤.
(٢) الجامع الصغير، جـ١ ص ١٤١.
(٣) صحيح البخارى، جـ١ ص ٤٥ ، الجامع الصغير، جـ١ ص ٣٦.

ومن خلال ما سبق تستبين حقيقة هى أن كرسى العمل الاعلامى فى الاسلام عبء ومغرم يشفق منه أهل الايمان والتقوى ، وذو الكفاءة والطعاء ، لأنهم لن يجدوا معه إلا المعاناة والبلاء وقضاء حاجات البلاد والعباد. ويتهافت عليه من يتخذونه سلما لتحقيق غرور النفس ، أو تحصيل الكسب أو شهوة السلطان.

وعموما فالإلتزام بالاسلام عقيدة وسلوكا يمنح النفس السكينة والاتزان.

المطلب الثانى

تعريف الامانة
وبيان اقسامها

الفرع الأول
تعريف الامانة

الأمن ضد الخوف ، والامانة ضد الخيانة(١).

والامانة عند المفسرين ليس لها معنى محدد نظرا لتعددها وتنوعها فالامانة لفظ عام تطلق على كل ما يؤتمن عليه المكلف تجاه الناس وخالقهم ، ولكن الذى يحدد نوعية الأمانة هو سياق الآية الوارد فيها.

وقال الشيخ الغزالى: «الأمانة في نظر الشارع واسعة الدلالة وهى ترمى إلى معان شتى مناطها جميعا شعور المرء بتبعته فى كل أمر يوكل إليه وادراكه الجازم بأنه مسئول عنه امام ربه على النحو الذى فصله الحديث الشريف وأخرجه الإمام البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى -ﷺ- أنه قال: «ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالأمير الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم ، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهى مسئولة عنهم والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»(٢).

---

(١) لسان العرب، مادة أمن، جـ١ ص ١٤٠.

(٢) صحيح البخارى، كتاب الجملة ، باب الجمية فى القربى والمدن حديث رقم ٣٠٤/١٨٥٣ ، طبعة دار الجيل - بيروت ، وصحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب فضيل الامام العادل،(=)

فالامانة هى الحقوق المتعلقة بالمكلفين سواء أكانت لله أم للعباد ، وسواء أكانت فعلية أم قولية ، أم اعتقادية، أم مادية[١].

ومن ذلك ما رواه الإمام مسلم فى صحيحه بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه قال: قلت يا رسول الله: ألا تستعملنى: قال فضرب بيده علي منكبى ثم قال "يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها امانة وأنها يوم القيامة خزى وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها"»[٢].

والامانة كلمة عامة تشمل كل مايؤتمن عليه المرء ويطلب منه المحافظة عليه، والله تعالى قد أمر الانسان بأداء الأمانات علي وجهها الصحيح ، والايفرط فيها مهما كلفه ذلك من متاعب.

لأن فى أدائها رضا الله ، وتطييبا لخواطر الناس وحفظا للمصالح العامة وفوق كل ذلك أنه فى الآخرة من الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون.

وفى تضييع الامانة والتفريط فيها شقاء فى الدنيا والآخرة ، وضياع للمصالح ، ولذلك نهى الله عن خيانتها وتضييعها فقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾[٣].

فالمؤمن المتصف بالامانة لهو جدير بوعد الله فى الحياتين الدنيا والآخرة.

(=) جـ٢ ص ١٦٨، طبعة دار الفكر للنشر والتوزيع ١٤١٧هـ - ١٩٩٥م ، وانظر خلق المسلم للشيخ الغزالى، ص ٤٢ ، الطبعة التاسعة - دار التوفيق النموذجية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٥م.

(١) ومن ذلك قول ابن عباس: إن الامانة: هى الفرائض، وما أخرجه السيوطى فى تفسيره عن عبد الرزاق عن زيد بن أسلم عن رسول الله - ﷺ - ، قال الامانة ثلاث : الصلاة ، الصيام ، والغسل من الجنابة»،الدر المنثور فى التفسير بالمأثور، للحافظ جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطى، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، جـ٢ ص ٥٧١.

(٢) المستدرك، للحاكم، جـ٤ ص ١٠٣ ، صحيح مسلم بشرح النووى، جـ١٢ ص ٢١٠ ، الدار الثقافية العربية - بيروت - لبنان.

(٣) سورة الأنفال الآية: ٢٧.

والقول الجامع لمعاني الامانة:

أنها لفظ عام يشتمل على مابين العبد وربه وعلى الأسرار والعهود ، والودائع وغير ذلك مما يجب أن يصان ويحفظ ، فالمؤمن الذى يؤدى مسئوليته وأمانته ، التى أؤتمن عليها يؤديها من غير مماطلة وفى غير حاجة إلى رقابة عليه تتعقبه ، أو تتبع خطواته فى الأداء ، لأن أدائه للأمانة والوفاء بها يكون بوحى من ذاته ومن إحساسه بالمسئولية والواجب وشعوره بالحرية ويقينه بأن الله سبحانه مطلع عليه(١).

قال الشيخ الغزالى: «ومن الأمانة: أن لايستغل الرجل منصبه الذى عين فيه لجر منفعة إلى شخصه أو قرابته ، فان التشبع من المال العام جريمة(٢).

الفرع الثانى

اقسام الامانة

قال الخازن فى تفسيره لقوله تعالى: ﴿**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها**﴾ تنقسم الأمانة إلى ثلاثة أقسام.

القسم الأول: رعاية الأمانة فى عبادة الله عز وجل ، وهو فعل المأمورات وترك المنهيات ، قال ابن مسعود الامانة لازمة فى كل شئ حتى الوضوء والغسل من الجنابة ، والصلاة والزكاة والصوم وسائر أنواع العبادات.

القسم الثانى: رعاية الامانة على نفسه وهو ما أنعم الله عليه من سائر أعضائه فأمانة اللسان: حفظه من الكذب والغيبة والنميمة ونحو ذلك.

وأمانة العين، غضها عن المحارم ، وأمانة السمع: ألا يشغله بسماع شئ من اللهو والفحش والأكاذيب ونحو ذلك ، ثم سائر الاعضاء على نحو ذلك.

---

(١) الامانة فى ضوء القرآن الكريم، د. فتحى محمد محمد غريب، حولية كلية اصول الدين بالقاهرة،العدد الثالث عشر ١٤١٦ هـ - ١٩٩٣م، ص ١٦.

(٢) خلق المسلم، ص ٤٥.

القسم الثالث: هو رعاية الأمانة مع سائر عباد الله فيجب عليه رد الودائع والعوارى إلى أربابهما الذين أئتمنوا عليها ولايخونهم فيها ، قال رسول الله - ﷺ-: «أد الأمانات إلى من ائتمنك ولاتخن من خانك»(١).

ومن معانى الأمانة: وضع كل شئ فى المكان الجدير به واللائق له ، فلا يسند منصب إلا لصاحبه الحقيقى به ولا تملوظيفة إلا بالرجل الذى ترفعه كفايته إليها(٢).

ومن ثم فان العمل بالاعلام الاسلامى امانة وفريضة جليلة وفضيلة ثقيلة عسيرة لاتقوى على تحملها الا النفوس الكبيرة ، ولايطيقها إلا أصحاب الهمم العالية ، والعزائم القوية والارادة الحازمة ، لأنها عمل فى إخلاص ، وجهاد فى صبر وعبادة فى خشوع ، وإنابة وتجرد فى العمل لوجه الله والحق ، إنها اضطلاع بمهام الحياة ، وتكاليف الدين ومسئوليات المجتمع.

عن على -رضى الله عنه- قال كنا جلوسا مع رسول الله - ﷺ- فطلع علينا رجل من أهل العالية فقال يا رسول الله أخبرنى بأشد شئ فى هذا الدين والينة، فقال «البينة شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأشده يا أها العالية الأمانة ... إنه لادين لمن لا أمانة له ولاصلاة له و لازكاة له»(٣).

فالوظيفة فى يد الموظف أمانة تتطلب أمران:

أولهما: الحفاظ عليها من كل مايعوق حركتها أو يعطل ثمرتها.

والثانى: رعاية الله فى حقوق أصحاب المصلحة فيها وقضائها وإحسان معاملتهم والاهتمام بشأنهم.

على أن الحفاظ على العمل يفرض على العامل فيه مراقبة الله فى اتقانه وإحسانه ، وأن يعلم أنه بمقدار ما يعطى العمل من طاقته سيجده فى ثمرته لنفسه

---

(١) مسند الامام احمد بن حنبل، الطبعة الثانية، دار الفكر سنة ١٩٧٨م، جـ٣ ص ٤١٤. ولباب التأويل فى معانى التنزيل للخازن، دار المعرفة - بيروت ، جـ١ ص ٣٧١.

(٢) خلق المسلم ص ٤٢ ، ٤٣.

(٣) مسند الإمام احمد، جـ٣ ص ٦٢٦ ، كنز العمال، جـ٣ ص ٦١.

لإخلاصه الذى يدخر به عند ربه رصيدا من الخير ينفعه فى دنياه وآخرته ، فهو فى دنياه قد طيب أجره الذى يتاقضاه عليه فطاب بذلك كسبه وعاد كل ذلك عليه وعلي أهله بالرخاء والعافية وعلى مجتمعه بالنماء والوفرة فى عائد هذا العمل ، وإن بقى بعد كفايته شئ عاد به على المحاويج من بنى جنسه فضمن بذلك نماء النعمة وبقاءها. والله يقول: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾(١).

أما رعاية الله فى حقوق جماهير المنتفعين بوظيفة فانما تكون أولا بأن يعلم أن مصالحهم أمانات فى عنقه ، والله وحده سيسأله عن أدائها ، وان فرط فى أدائها ولم يرع الله فى إحسانها واتقانها فويل له من أصحابها أولئك الضعفاء الذين لايملكون من أمر مؤاخذته قليلا ولا كثيرا ، وويل له من انتقام الله لهؤلاء الضعفاء والله تعالى يقول: ﴿ولاتحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾(٢).

وويل لكل اعلامى ان كان يبتغى من وراء عمله الاسلامى هذا الكسب المادى الحرام حتى اذا اخذه طابت نفسه وأدى عمله. ونسى فى سبيل ذلك أن مهمته هى اظهار عظمة ومكانة الدين الإسلامى

والنبى الكريم - ﷺ- يتوعد أولئك حين يقول: «كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به».

وما السحت إلا كسبه من وظيفته التى لم يؤد حقها وعطل مصالح الناس فيها.

أين هؤلاء من قول الله عز وجل: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لانضيع أجر من أحسن عملا﴾(٣).

وقول الرسول الكريم «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه»(٤). كما يقول صلوات الله وسلامه عليه «من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا فما أخذه بعد

---

(١) سورة ابراهيم الآية: ٧.
(٢) سورة ابراهيم الآية ٤٢.
(٣) سورة الكهف الآية: ٣٠.
(٤) الجامع الصغير، جـ١ ص ٧٥.

ذلك فهو غلول»[٤].

إن للأمانة آثار كبيرة فى حياة الافراد والمجتمعات والأمم فهى انها جماع الفضائل ، وأم المكارم ، وعماد كل نهضة ، بل روح الحياة والركيزة الكبرى لكل مجتمع سليم ، وعدة النجاح فى الدنيا والآخرة ومن هنا ندرك عناية الإسلام بها وكيف كان المسلمون يعدونها الفريضة الغالية التى يتحتم عليهم أن يتواصوا بها وأن يطمئنوا إلى وجودها فيما بينهم حتى ان الرجل منهم اذا وقف يودع أخاه فى سفر شد على يديه وهو يقول: «استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم أعمالك».

إنها ام الفضائل حقا. ففى حديث رواه مسلم عن حذيفة بن اليمان أن رسول الله - ﷺ- قال: «إن الامانة نزلت فى جذر قلوب الرجال فعلموا من القرآن وعلموا من السنة»[٢]. والجذر أصل الشئ.

وهذا يفيد بأن الله عز وجل حين خلق الخلق غرس الامانة فى فطرهم فأخذت مكانها فى أعماق قلوبهم فمن خان الامانة فقد تجرد من أفضل ما مازه الله به على سائر خلقه وتنكر للفطرة السليمة التى فطره الله عليها والامانة إنما تنمو والفهم الصحيح للقرآن والسنة والتطبيق العملى لمبادئها القويمة. إذ العلم وحده لايغنى عن العمل وإذا رمى الضمير بالشلل وتوقف فلا جدوى لحركة اللسان بقراءه القرآن ودراسة السنة ولو بات المرء يقرأ ويدرس أناء الليل وأطراف النهار.

فالايمان والأمانة صنوان لايفترقان وقلما كانت خطبة من خطب الرسول -ﷺ- تخلو من الحديث عن الامانة ، فعن أنس رضى الله عنه قال: «ماخطبنا رسول الله - ﷺ- إلا قال لا ايمان لمن لا امانة له ولادين لمن لاعهد له»[٣].

(١) فى سنن ابى داود لفظ «من استعلمناه علي عمل فليأت بقليله وكثيرة فما أوتى منه أخذه ومانهى عنه انتهى» باب هدايا العمال ، كتاب الأقضية باب فى هدايا العمال، جـ٢ ص ٢٩٥ ، طبعة مصطفى الحلبى. الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٣م.

(٢) رواه البخارى فى كتاب الرقاق - باب رفع الامانة- عمدة القارئ شرح صحيح البخارى، للامام العلامة بدر الدر العينى، جـ١٩ ص ٤٣ ، طبعة مصطفى الحلبى طبعة أولى، ١٩٧٢، وسنن الترمذى - دار الحديث، جـ٤ ص ٤٧٤ باب ماجاء فى رفع الامانة.

(٣) الامانة والايمان، للشيخ ابراهيم الدسوقى، مجلة منبر الإسلام، السنة ٥٢و العد ٩، رمضان ١٤١٤هـ، ص ٦٦.

ومن هنا يتضح للجميع أن العمل فى مجال الاعلام الاسلامى امانة كبيرة ومسئولية امام الله سبحانه وتعالى كما أنه يعد امرا بالمعروف ونهيا عن المنكر وهو ما أشيراليه فيما يلى:

المطلب الثالث

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

تمهيد:

إن معرفة فقه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر اليوم من أهم الامورالتى يجب على كل مسلم معرفته لحاجتنا الشديدة إلى تحديد المرتكزات الأساسية التى ينطلق منها الفكر الإسلامى فى مواجهة قضايا المجتمع المعاصر ومشكلاته ، وحدود كل مسلم فى هذه القضية سواء كان محتسبا ومكلفا بهذا الأمر أو متخصصا فى دفع المنكر ، وزرع المعروف وإشاعة الخير بين الناس.

إن قضية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لجلالها كانت من الصفات اللازمة لأنبياء الله ورسله ، ولرسولنا - ﷺ- بصفة خاصة وهى من خصائص الملة الاسلامية الثابتة ، فهذا العمل يمتد من بداية الدعوة إلى نهايتها ، ويواظب الداعى عليه مادام نفسه يتردد بين جنبيه.

ويجب هنا التفرقة بين النقد البناء والتجريح ، فالأول محمود لأن المقصود منه التوجيه والاصلاح ومنه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، أما الثانى فهو مذموم لأن الهدف منه الهدم والتشويه.

ولقد جاء فى نهاية خطبة الرسول - ﷺ- فى حجة الوداع قوله «ألا هل بلغت. اللهم فاشهد. قال السامعون: نعم فقال عليه الصلاة والسلام فليبلغ الشاهد منكم الغائب»(١).

(١) صحيح مسلم، جـ٢ ص ٨٨٩، طبعة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.

فالامر بالمعروف والنهى عن المنكر احدى القسمات الحضارية فى عطاء الاسلام الذى يعتمد «الايجابية» المستمرة فى التعديل الدائم للسلوك اليومى للانسان والحياة للفرد والمجتمع والدولة من الفضائل إلى الأفضل ومن الشر إلى الخير ومن الخطأ إلى الصواب بحيث يعيش المجتمع الإنسانى فى عملية ترشيد يومية ودائمة تحميه من السقوط وتحول دون تأصل الخطأ والافساد فى الحياة وتحوله إلى مايشبه العادة والطبيعة فيصبح فى الاصلاح أشبه بالمستحيل أو على الأقل لايتم الاصلاح إلا بأقيم ثمن يدفعه المجتمع[1].

فالامر بالمعروف والنهى عن المنكر وسيلة عظيمة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى ، تأمر الناس وترشدهم إلى مايجب عمله أو يحسن فعله وتناهم عما ينبغى للمسلم أن يبتعد عنه أو يتجنبه من قول أو عمل.

وقد حاول بعض الغيورين على العقيدة الإسلامية أن يصلحوا من شأن الأمة إلا أنهم لم يستطيعوا التخلص من التعصب لبعض الآراء الذاتية ، وانساقوا وراء من ينظر إلى الدين بنظرة جزئية وسطحية وكنا ننتظر منهم الاصلاح الكلى ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا واذ بهم يجانبهم الصواب ويبتعدون عن طريق الجادة بقصد أو بغير قصد[2]. لذا لزم التوضيح الآتى:

الفـــرع الأول

معنى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وما يشبههما من الفاظ

المعروف: هو كل قول أو فعل ينبغى قوله أو فعله طبقا لنصوص الشريعة الإسلامية ومبادئها العامة وروحها .

وقد ورد لفظ المعروف فى القرآن ثمانية وثلاثين مرة.

(١) الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، دكتور/ نشأت عبد الجواد ضيف، القاهرة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، من مقدمة أ.د. عبد الصبور مرزوق، لهذا الكتيب الصغير.

(٢) الامر بالمعروف والنهى عن المنكر، ص ١.

والمنكر: هو كل معصية حرمتها الشريعة سواء وقعت من مكلف أو من غير مكلف.

وقد ورد لفظ المنكر في القرآن الكريم ستة عشر مرة[1].

وهناك الفاظ تشبه المعروف والمنكر منها.

الحسبة: وهى جزء من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهى وظيفة دينية يقوم صاحبها بأمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

والنصيحة: هي أعم من المعروف وأشمل منه ، وهى أمر بمعروف ونهى عن منكر وزيادة.

ولقد عظم الرسول - ﷺ- أمر النصيحة فقال «الدين النصيحة ، قلنا لمن يا رسول الله؟ قال لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المسلمين وعامتهم»[2].

والمعروف المطلوب الأمر به ، والمنكر المطلوب النهي عنه: على مستوى الأمة ليس كما يتصور البعض قاصرا على موضوع الجلباب واللحية ومسألة التدخين ... الخ. ولكنه تنبيه وتكليف بالواجب الأكبر الملقى على عاتق هذه الأمة التى ناط الحق -تبارك وتعالى- خيريتها بأهليتها للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى قوله تعالى: **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾**[3].

فالمطلوب هنا عمل ضخم على المستوى العالمى حيث تقدم الأمة معروفها العظيم فى مختلف فروع الحضارة فى الاقتصاد والسياسة والاجتماع والحرب والسلام وبهذا يتحقق على أرض الواقع مفهوم عموم الرسالة كما يتحقق به مفهوم اكتمال الدين.

لكن من هم الذين ينهضون بهذا الأمر:

(١) التشريع الجنائى، لعبد القادر عودة، جـ١ ص .

(٢) الجامع الصغير، للسيوطى، جـ٢ ص ١٨.

(٣) سورة آل عمران الآية: ١١٠.

الفــــرع الثانى

حكــم الأمــر بالمعــروف والنهــى عــن المنكــر

واقصد هنا الحكم بالنسبة للمسلمين وغيرالمسلمين المقيمين خارج ديار الاسلام ولاشك أن الذين يقومون بهذا الأمر؟ بعد أن يتأهلوا له هم علماء الأمة ليس فقط فى الدين ، ولكن فى السياسة والاقتصاد والاجتماع والحرب والسلام والعلاقات الأسرية والدولية وغيرها حتى يقف العالم على عطاء الإسلام فتهفوا أفئدتهم اليه.

ولاخــلاف بين جـمـهـور العلمـاء فى أن الأمــر بالمعــروف والنهى عن المنكر فريضتان ولكن الخلاف فى نوعيتهما ، هل هما فرض عين أو فرض كفاية.

وأرى أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يكون واجب عينى[١] فى الحالات الاتية:

١- اذا قامت الدولة بتنصيب احد العلماء المتخصصين للقيام بمهمة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مثلا فى احدى الدولة الغربية غير المسلمة.

فانه يصبح القيام بهذه المهمة فرض عين على هذا العالم بحكم الولاية[٢].

---

(١) **الواجب العينى:** هو ماطلب الشارع فعله من كل فرد من المكلفين ، أو من واحد معين. **والأول** كالصلوات الخمس ، والصوم ، والزكاة ، واجتناب المحرمات. **والثانى** مثل ماطلب من رسول الله - ﷺ - على وجه الخصوص كصلاة الضحى والمشاورة ، وغيرها من خصائص وجبت على ذاته و، عليه السلام ، دون غيره.
وحكم الواجب العينى: لزوم الاتيان به من كل فرد من المخاطبين به ، ولا يسقط بفعل البعض ، فلاتبرأ الذمة إلا بفعل كل فرد من المخاطبين به. الحكم الشرعى التكليفى، الدكتور/ صلاح زيدان، ص ٥٥ ، طبعة دار الصحوة للنشر.

(٢) **الولاية فى اللغة:** تأتى على معان كثيرة. منها من ولاه إذا نصره وولى الشئ «ولى» عليه ولاية بالكسر والفتح وقيل الولاية بالكسر «السلطان» و «الخطة والامارة» والولى هو الذى يلى عليك أمرك.
والراجح من هذه المعانى أن الولاية بمعنى النصرة . أو التى تطلق على مايتولاه الشخص ويقوم به من الأعمال، المصباح المنير، جـ٢ ص ٩٢٧ ، لسان العرب، جـ٢٠ ص ٢٨٧ ، القاموس، جـ٤ باب الباء فصل الواو.
(=)

ثانيا: إذا كان المعروف فى موضع تطمس معالمه الإسلامية والمنكر يقترف فيه، ولايعرف ذلك الا رجل واحد فانه والحال كذلك -يتعين عليه الأمربالمعروف والنهى عن المنكر- كوجود عالم فى بلد أجنبى أو منطقة صحراوية فى بلد أجنبى.

يقول الملأ على القارئ «إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض كفاية إن علم به اكثر من واحد وإلا فهو فرض عين»[1].

ثالثا: إذا احتاج الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلى جدال واحتجاج ومناقشة. كان فرض عين على كل من يصلح للقيام بهذه المهمة.

يقول بعض العلماء. «الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض كفاية وقد يكون فرض عين اذا عرف المرء من نفسه صلاحية النظر والاستقلال بالجدال أو عرف ذلك منه»[2].

رابعا: اذا وجد فى بعض البلدان منكر ينبغى النهى عنه أو معروف ينبغى الأمربه ولكن لايوجد أحد يمكنه القيام بهذه المهمة الا واحد فقط كرئيس الدولة الاسلامية بماله من قوة عن طريق السفراء والرسائل والعلاقات الدولية، فيعتبر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هنا فرض عين عليه[3].

(=) **والولاية فى الاصطلاح:** هى سلطة شرعية على النفس ، أو على المال يترتب عليها نفاذ التصرف فيها شرعا. كشف الاسرار جـ١ ص ٣٢ ، طبع الاستانة. وعرفها بعض الفقهاء بأنها قوة شرعية يملك بها صاحبها التصرف فى شئون غيره ، الولايات وأحكام القضاء فى الاسلام الاستاذ الدكتور/ على البدرى احمد الشرقاوى، ص ٥، دار النهضة العربية.

(١) المبين المعين لفهم الأربعين، ص ١٨٩، أشار إليه أ.د. نشأت عبد الجواد، ضيف فى مؤلفه، الامر بالمعروف والنهى عن المنكر، ص ١٤.

(٢) نفس المرجع السابق، ص ١٤.

(٣) فقد اهدر الرئيس الخومينى رئيس دولة ايران الاسلامية دم الكاتب البريطانى «سلمان رشدى» عندما الف روايته «آيات شيطانية» والتى اساء فيها إلى نبينا محمد - ﷺ- واساء إلى العرب المسلمين ومن ينتمى اليهم وقد جاء فى مجلة منبر الإسلامى السنة ٥٢ العدد ٩ رمضان ١٤١٤هـ مارس ١٩٩٤م «هولندا تتبرأ من سلمان رشدى» صرح وزير خارجية هولندا «كوتاتى» بأن بلاده لاتعتزم القيام بأى دور من أجل ألغاء عقوبة الاعدام على الكاتب البريطانى المرتد سلمان رشدى. وقال فى تصريح له اذاعه راديو هولندا بأن بريطانيا هى المسئولة عن ذلك لأن سلمان رشدى يحمل جنسيتها». (=)

يقول ابن تيمية عن فرض الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر «وهو فرض على الكفاية ، ويصير فرض عين على القادر الذى لم يقم به غيره»[١].

وكان الامام الغزالى يقرر نفس المعنى فقد قال «إن الأمربالمعروف والنهى عن المنكر واجب ، وإن فرضه لايسقط مع القدرة الا بقيام قائم به»[٢].

خامسا: أمر الإنسان المقيم بالبلاد الإسلامية غير الاسلامية لنفسه بالمعروف ، وكف نفسه عن فعل المنكر ، كذلك أمره لزوجته أو ولده ، أو غلامه ، وكل من يعول ، يعد من فروض العين أيضا.

يقول بعض العلماء «قد يتعين كما اذا كان فى موضع لايعلم به إلا هو ، أو لايتمكن من إزالته إلا هو وكمن يرى زوجته أو ولده أو غلامه على منكر أوتقصير فى المعروف»[٣].

فيجب على كل مسلم يقيم فى بلد غير اسلامى أن يستخدم سلطته فى تغيير المنكر باليد فى كل أمر يراه من المنكرات التى حرمها الشرع ، فاذا ترك بعض اولاده الصلاة مثلا -أو الصيام ، أو غير ذلك من الواجبات الشرعية ، فمن حق الأب هنا استعمال القوة فى إجباره أحد أولاده اذا صدر منه شئ من هذا القبيل على أن يوجهه إلى الطريق السوى. وذلك لأن الافراد العاديين يدخل فى حدود ولايتهم

(=) وأيضا فقد اعلنت وزارة الخارجية الفرنسية تأجيل زيارة الرئيس الإيرانى محمد خاتمى لفرنسا بسبب غضب المسئولين الايرانيين من رفض ديوان المراسم بقصر الاليزية منع الضيوف الفرنسيين من شرب الخمر اثناء العشاء الذى كان سيقيمه الرئيس الفرنسى جاك شيراك لنظيره الايرانى وهذا الموقف من الايرانيين يحتز به كل مسلم ويشيد به ، فان أدنى مراتب اكرام الضيف هو مراعاة شعوره واحترام تقاليده. وهناك قدر مشترك من الموائد نلتقى عليه جميعا ، فلماذا الاصرار على تناول الخمور من جانب واحد هو جانب صاحب الدعوة . جندا لو تنبه المسئولين فى كل البلاد الاسلامية إلى ضرورة الاعتزاز بالدين والحرص على القيم وتقديم الصورة المثلى لتعاليم الاسلام فى سلوكهم واخلاقهم، اللواء الإسلامى، السنة التاسعة عشر ، العدد ٩٠٤، الخميس ٤ صفر ١٤٢٠هـ - ٢٠ مايو سنة ١٩٩٩م، ص ٣٦١٢.

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، جـ١٤، ص ٤٧٢.

(٢) احياء علوم الدين، جـ٤ ص ١١٨٧، طبع دار الشعب.

(٣) شرح صحيح مسلم، جـ٢ ص ٢٣.

التغيير باليد ، وهو بهذا الفعل يعد قدورة حسنة ومثل طيب ولكن يجب التنبيه إلى أن الحدود وهى حق الله تعالى وإن كان فيها حق للعباد أيضا ، إلا أن الذى يقيمها ويحرسها ويخاصم فيها هو الإمام أو من يوليه الامام ولايصح أن يقوم بها أفراد الناس لئلا تتحول المصلحة من إقامة الحد إلى مفسدة وفوضى وفتن بين الناس، وهذا موضع اتفاق بين العلماء بالنسبة للاحرار[١].

وفيما عدا الحالات السابق ذكرها يكون الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب كفائى[٢] فالمطلوب تحقيقه ولو من بعض الأفراد فاذا فعله البعض سقطت الفرضية عن الآخرين.

وقد استدل العلماء على أن الأمربالمعروف والنهى عن المنكر فيما عدا الحالات المذكورةمن الواجبات الكفائية بما يلى:

أولا: قال تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾[٣].

وجه الدلالة من الآية الكريمة:

أن الله تبارك وتعالى قال فى الآية الكريمة **﴿ولتكن منكم أمة﴾** وهذا يقتضى أن يكون القائم بهذا الواجب بعض افراد المسلمين وليس كلهم ، فدل ذلك على أنه من الواجبات الكفائية إذا قام به البعض سقط الواجب عن الباقين[٤].

(١) من فقه السنة فى الحدود، أ.د. محمد نبيل غنايم، دار النصر للتوزيع والنشر، ص ٧٢.

(٢) هو ماطلب حصوله من غير نظر إلى من يفعله . وقيل إنه: ما طلب الشارع حصوله من مجموع المكلفين لامن جميعهم وذلك مثل الجهاد ، فالغرض منه إعلاء كلمة الحق وذلك يتحقق بفعل البعض وكذلك ، كل مايتحقق الغرض منه بفعل البعض، كبدء السلام ورده ، وعلم الصناعات اللازمة للمجتمع وصلاة الجنازة وغيرها.
وحكمه: أنه يسقط عن جميع المكلفين بفعل واحد منهم له ، ويأثم الجميع بتركهم جميعا له، فهى أشياء لابد منها للأمة ، ولايتوقف وجودها على معين ولايلزم الكل القيام بها، الحكم الشرعى التكليفى، أ.د. صلاح زيدان، ض ٥٥.

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٠٤.

(٤) القضايا الثلاث، لاستاذنا الدكتور/ محمد رأفت عثمان، ص ٢٤، دار الفضيلة - دبى - دولة الامارات العربية ١٤٠١هـ - ١٩٨٩م.

كالجهاد فى سبيل الله وغسل الموتى وتكفينهم ، والصلاة عليهم ، ودفنهم ، ولولا أنه فرض كفاية لماسقط عن الآخرين بقيام البعض به.

ومن السنة النبوية الشريفة:

ما رواه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله - ﷺ- انه قال: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الأيمان»[١].

وروى حذيفة عن رسول الله - ﷺ- أنه قال: «والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله تعالى أن يبعث عليكم عقابا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم»[٢].

وأما المعقول:

فان امة الاسلام تميزت على سائر الأمم ونالت درجة الخيرية بشهادة رب البرية لاسباب منها:

قيامهم بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قال تعالى: ﴿كنتم خير **أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾[٣].

فتلك هى مرشحات الخيرية ، وبالمحافظة عليها تظل لها المكانة العالية والمنزلة السامية ، وبالتقصير فيها تنحدر المكانة وتلك سنة الله فى خلقه.

فبنوا اسرائيل استحقوا اللعن لإهمالهم واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

---

(١) صحيح مسلم كتاب الايمان باب بيان كون النهى عن المنكر من الايمان، جـ١ ص ٣٩ طبعة عيسى الحلبى ، الجامع الصغير، جـ٢ ص ١٧١.

(٢) الجامع الصغير، جـ٢ ص ١٢٢.

(٣) سورة آل عمران الآية: ١١٠.

قال تعالى: ﴿لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾[١] والعبد من اتعظ بغيره.

وامتنا اليوم قد تكالب عليها الأعداء ، ورموها بسهام الاغلال فأثرت فيها، واشاعوا الفواحش والمنكرات فراجت بينها ... وهى على خطر عظيم ، تحتاج إلى من يوقظها ، ويقدم لها طوق النجاة ، ويأخذ بيدها إلى بر الأمان ولانجاة ولا امان إلا فى الإسلام ، والقيام بفرائض الاسلام وعلى رأسها فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر[٢].

ومن هنا يتحتم على كل من يستطيع أداء هذه المهمة القيام بها حيثما دعت الضرورة إلى ذلك ، واذا حدث تقصير أو تهاون أو تقاعس من الجميع حالة ما إذا كان فرض كفاية يأثم الجميع ، ونخص بالذكر منهم المجموعة المتمكنة ما دامت قد أهملت بلا عذر ولاخوف.

يقول إمام الحرمين الجوينى مبينا أن طريق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من طرق اصلاح الأمة ليس قاصرا على الحكام بل هو لجميع الأمة حكاما ومحكومين: «فلا يتخصص بالأمر بالمعروف الولاة ، بل ذلك ثابت لآحاد المسلمين، والدليل عليه الاجماع ايضا ، فان غير الولاة من المسلمين فى الصدر الأول ، والعصر الذى يليه كانوا يأمرون الولاة بالمعروف ، وينهونهم عن المنكر مع تقرير المسلمين إياهم ، وترك توبيخهم على التشاغل بالأمر بالمعروف من غير تقليد ولاية»[٣].

---

(١) سورة المائدة الآية: ٧٨ ، ٧٩.

(١) حول الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، د. توفيق الواعى، دار التوزيع والنشر الاسلامية، ص٣.

(٢) الارشاد الى قواطع الادلة فى أصول الاعتقاد، لامام الحرمين الجوينى، تحقيق الدكتور/ محمد يوسف مرسى، وعلى عبد المنعم عبد الحميد، ص ٣٦٨، اشار اليه استاذنا الدكتور/ محمد رأفت عثمان فى مؤلفه القضايا الثلاث، ص ٢١.

الفــــرع الثالث

مراتــــب الانكــــار

لقد وضح رسول الله - ﷺ- درجات المنكر وبين مراتب الإنكار فى الحديث الشريف بقوله: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»(١).

ولمعرفة كيفية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر نتبع الخطوات والدرجات الآتية:

الدرجة الأولى: التغيير باليد:

وهذه الدرجة هى أعلى الدرجات ، حيث تكون حاسمة فى دفع المنكر وازالة خطره ، كما لايقدر عليها إلا الاشداء وأولو العزم ، كما يشترط فى هذه الدرجة أن يصاحبها أقصى درجات الحكمة والوعى والتجرد من الهوى.

والذى له سلطة التغيير باليد أى بالقوة ، هو الحاكم ، بل هو واجبه الذى طالبه به الشرع لأنه المسئول الأول عن كل ما يؤدى إلى تحقيق مصالح الأمة ، وإلزامها بالسير على طريق الله ومنهاج شريعته.

قال القرطبى «قال العلماء: الأمر بالمعروف باليد على الأمراء ، وباللسان على العلماء ، وبالقلب على الضعفاء يعنى عوام الناس»(٢).

ولهذا يقول ابن تيمية: «فذووا السلطان أقدرهم من غيرهم ، وعليهم من الوجوب ماليس على غيرهم ، فان مناط الوجوب هو القدرة فيجب على كل انسان بحسب قدرته قال تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾(٣).

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى، جـ٢ ص ٢٢.

(٢) الجامع لاحكام القرآن، لأبى عبد الله محمد بن احمد الانصارى القرطبى المتوفى سنة ٦٧١هـ، مطبعة دار الكتب المصرية ، وطبعة دار الشعب بالقاهرة، جـ٤ ص ٤٩.

(٣) سورة التغابن الآية: ١٦. ويراجع مجموع فتاوى ابن تيمية، جـ١٤ ص ٤٧٢.

مرحلة التغيير باللسان:

اذا لم يستطيع الإنسان العادى أن يغير باليد ما هو فى حدود ولايته انتقل الواجب إلى المرتبة الثانية وهى التغيير باللسان ، أى بالكلام ويدخل فى هذا مايكتبه الكاتب فى الكتب ، والمقالات التى تنشرها الصحف والاحاديث الدينية فى الإذاعة والتلفزيون ، وخطبة الجمعة ، واقامة الندوات والمحاضرات التى تعمل على نشر الوعى باحكام الاسلام ، وكل جهد بالقول يبذل فى سبيل مصلحة المسلمين وعلاج عيوب المجتمع(١).

مرتبة التغيير بالقلب:

اذا لم يستطيع الانسان أن يؤدى هذا الواجب باللسان فهو مطالب أن ينكر ما يراه بقلبه ، فلا يكون راضيا بمايقع من مخالفات للشرع لايستطيع تغييرها لا باليد ولاباللسان وهذه هى المرتبة الثالثة التى تسقط عن المكلفين وقد قال عنها رسول الله - ﷺ- «وذلك أضعف الأيمان» لأن أضعف الايمان أن لاتكون راضيا بما يحدث من معصية لله عز وجل.

فانكار المنكر بالقلب مطلوب من كل المكلفين المقيمين بالبلاد غير الإسلامية، بلا استثناء ، على كل حال.

ولايجوز لهم بتبرير قعودهم عن هذا الواجب ويتنصلون من هذه المسئولية الملقاة على عاتقهم ، استنادا إلى ظاهر قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم انفسكم لايضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون﴾(٢).

ذلك لأن الآية لاحجة لهم فيها ، لأنها شرطت اهتداءهم والمؤمن لايكون مهتديا حتى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فاذا فعل ذلك فقد اهتدى ، ولايضره حينئذ من ضل الطريق وابتعد عن الصواب.

---

(١) القضايا الثلاث، ص ٣٥.

(٢) سورة المائدة الآية: ١٠٥.

والدليل على ذلك:

أن بعض الناس حاول أن يثنى عزائم المسلمين الأوائل عن فكرة الأمربالمعروف والنهى عن المنكر استنادا إلى هذه الآية الكريمة مما دفع أبا بكر الصديق -رضى الله عنه- إلى تفسيرها ونفى الشبهة عنها فجمع الناس فى المسجد وصعد المنبر ووضح لهم مفهومها فقال: «أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها وأنى سمعت رسول الله - ﷺ- يقول "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه"»(١).

وكان عبد الله ابن مسعود -رضى الله عنه- يقول: «إن من أكبر الذنوب عند الله أن يقال للعبد اتق الله فيقول: عليك نفسك»(٢).

فهذا الفهم السقيم يغضب الله ورسوله لأن مقتضاه: تعطيل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وحينئذ تأثم الأمة كلها(٣).

شروط الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر: هو اصلاح وتقويم وتربية حسب تعاليم ووفق رسالة ، يحتاج إلى معرفة ودراية وبحث ونظر وتمييز ، كما يحتاج من الراعى أو الأمر إلى فهم وذكاء وفطنة وصبر وحيلة. ومن ثم وضع الفقهاء شروطا للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

اولا: شروط الآمر والناهى:

اشترط العلماء فى الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر أن يكون مكلفا مسلما بالغا.

---

(١) تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ عماد الدين ابو الفدا اسماعيل بن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ، جـ٢ ص ١٨١ ، المكتبة التوفيقية..

(٢) الامر بالمعروف والنهى عن المنكر، لابى بكر الخلال تحقيق عبد القادر عطا، ص ٤٦.

(٣) تحفة المريد، ص ٢٠٢ - ٢٠٣.

وقد ركز جمهور الفقهاء على اشتراط أن يكون الآمر عالما بالمأمور به والمنهى عنه -خاصة فى القضايا التى تحتاج إلى إعمال الذهن والعقل-، فانه ربما يأمر بمنكر ، وربما ينهى عن معروف ، أما اذا كان فى الواجبات الظاهرة أو المحرمات المشهورة فلا يشترط العلم التفصيلى ويكفى قيام مجموعة من الناس بهذه المهمة فى أى مستوى معين من الثقافة.

وقد قرر العلماء أن الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر اذا غلب على ظنه أنه سيصاب بضرر لايحتمل فى نفسه ، أو ماله ، أو اهله ، فلا يجب عليه حينئذ وان غلب على ظنه أنه سيعرض غيره أيضا للأذى فليس له أن يأمر أو ينهى أو أن يكون انكاره لشئ ما سيؤدى إلى فعل منكر اكبر منه أو أشد ، كأن ينهى عن شرب الخمر مثلاقيؤدى نهيه عنه إلى قتل النفس أو نحوه ، فليس عليه حينئذ إلا الإنكار بالقلب(١).

مايشترط فى المأمور به والمنهى عنه:

يشترط فى المنكر الذى تجب إزالته أو النهى عنه عدة شروط من أهمها:

١- أن يكون الشئ المنكر متفقا على انكاره من الفقهاء جميعا ومن ثم فالقضايا الخلافية بين الفقهاء ليست من المنكرات التى يجب النهى عنها مثل صلاة ركعتين تحية للمسجد لمن يدخله والامام يخطب أومسح كل الرأس فى الوضوء.

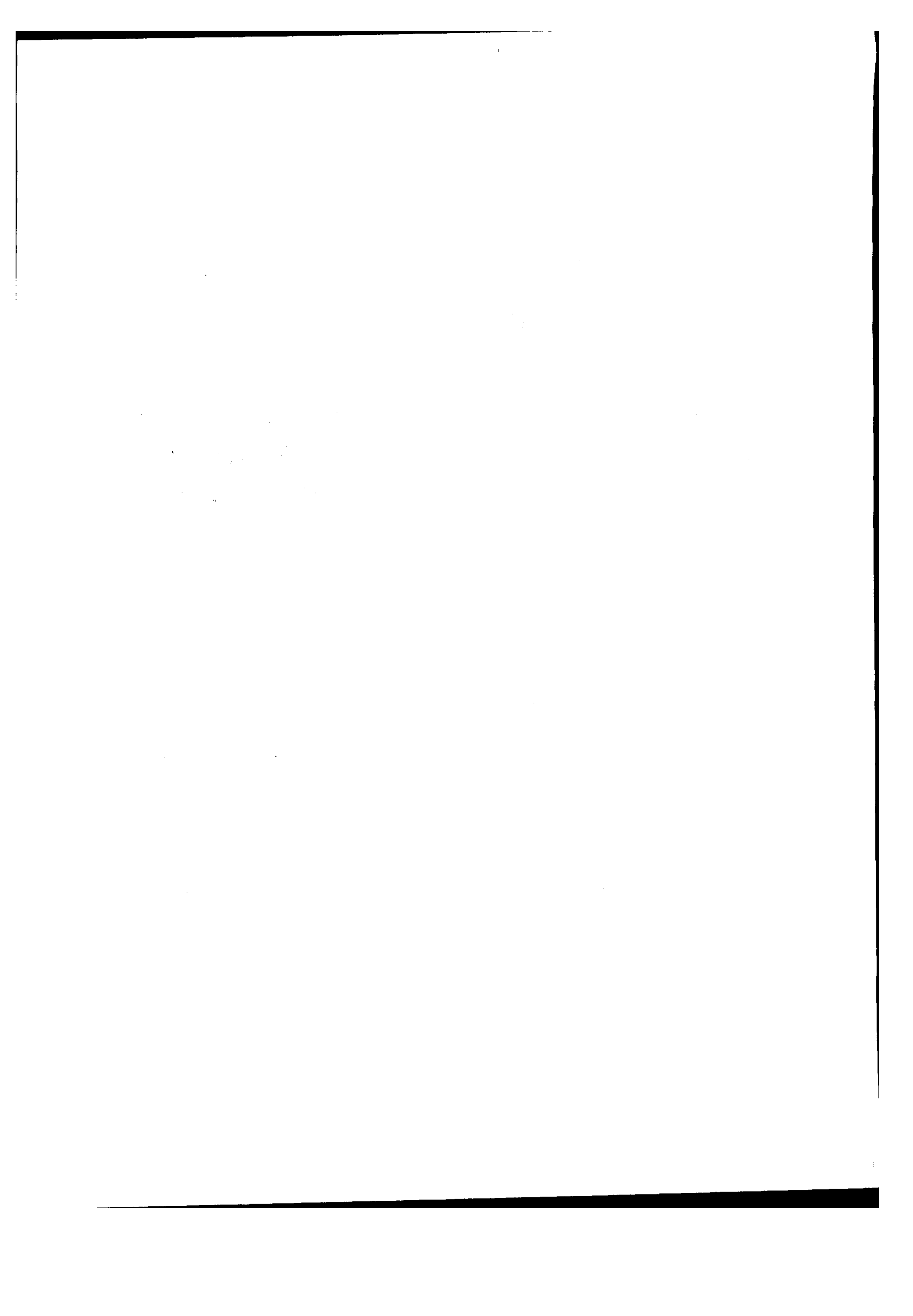
لأنه سواء قلنا مع بعض العلماء أن لكل مجتهد نصيب فى المسائل الاجتهادية ، وهذا هو الرأى المختار عند كثير من المحققين أو اكثرهم ، أو قلنا مع البعض الآخر ان المصيب واحد والمخطئ غير متعين لنا والإثم مرفوع عنه.

فعلى الرأى الأول كل الآراء فى المسائل المحتملة تعد صحيحة ، لاننا لانكلف إلا بما فى وسعنا ما دمنا قد بذلنا الجهد فى التعرف على الحكم الشرعى.

وعلى الرأى الثانى يوجد رأى صحيح ، وبقية الآراء على خطأ لكننا لانعلم

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووى، جـ٢ ص ٢٥٠.



المبحث الثالث

مفهوم النظام العالمي الجديد
«العـــــولمة»
وموقف الفقه الإسلامى منه

تمهيد:

المؤرخ الفرنسى «اليكسيس دى توكفيل» كان قد تنبأ سنة ١٨٣٥م «بأفول معظم القوى العظمى ، وبزوغ نجم كل من امريكا وروسيا» وسخر البعض وضحك الجميع من هذه النبؤة ووصفوها بأنها «نبوة مجنون» لأن الظروف ، والواقع السياسى، وقتذاك لايشجع على تصديق مثل هذه الأحلام البعيدة.

و«اليكسيس» لم يقل ذلك من فراغ ، وهو العارف بتقلبات التاريخ وقوانينه لأنه ربط آرائه بأهمية إدراك «الأثر الجغرافى فى صنع حضارة الأمم» وموقع أمريكا وروسيا الجغرافى يغرى الرجل ، ويغرى غيره ، بأن يقول اكثر من ذلك.

ثم حدث فى أعقاب الحرب العالمية الثانية وماتلاها من ظروف عالمية ودولية، تغيرات قومية وسياسية واقتصادية واجتماعية واسعة المدى ، حتى أصبح الامر يتعلق بما يطلق عليه «النظام العالمى الجديد».

وبالفعل ظهرت الولايات المتحدة كقوة عسكرية وحيدة لزعامة العالم الجديد لأنها تمكنت من:

١- زحزحة الاتحاد السوفيتى السابق عن موقعه المتميز ، منذ ظهوره كقوة اقتصادية بعد مؤتمر بالطا سنة ١٩٤٥ على الرغم من احتفاظه ببعض مصالحه الدولية السابقة.

٢- التخلص من الأسلحة النووية التى تعتبر «كابوس أوربا المرعب» واعداد نظام دفاعى محدود بالقذائف فى الإطار الصارم لمعاهدة القذائف المضادة للقذائف التسيارية ، والتخلى عن نظام «بريليات بيليز».

وهو نظام نشر شبكات دفاعية شاملة تنطلق من الفضاء وأول مادعا إليه الرئيس الامريكى السابق «ريجان».

٣- تبنى معايير جديدة فى التعامل الاقتصادى ، وتأييد اتفاقيات «التجارة الحرة والمتوسطة» ومنها معاهدة التجارة والتعريفات الجمركية الجات ونقل المادة «سوبر ٣٠١» ، «وهى المادة التى تفرض عقوبات على المنافسين وخصوصا الأوربيين». من قانون التجارة إلى القانون الدولى العام كقاعدة عرفية فى التعامل الدولى.

وهذا النظام العالمى الجديد يسمى بالعولمة.

وقد ظهرت «العولمة» كمصطلح جديد منذ أواخر عقد الثمانينات من هذا القرن ، ومنذ ظهور هذا المصطلح وبرز على الساحة الدولية لم يلبث أن تحول من النظرية إلى التطبيق بسرعة مذهلة.

وقد انطلق هذا المصلطح من الغرب مصحوبا بدعاية منظمة لترويجها وخاصة بعد انهيار النظام الشيوعى وظهور المتغيرات العالمة المتسارعة التى أحدثت إنقلابا فى طوائف القوى الدولية وتغييرات هائلة فى الأنظمة السياسية والأوضاع الإقتصادية فى العالم وأفرزت واقعا جديدا فى مختلف المجالات .

وقد ظهرت «العولمة» كمفهوم فى أدبيات العلوم الاجتماعية الجارية كأداة تحليلية لوصف عمليات التغيير فى مجالات مختلفة يتحاشى بعض فلاسفتها ومروجيها إدخال الدين ضمن تلك المحاولات ، فهم يحصرونها فى مجالات السياسة والاقتصاد والثقافة والاتصال وأنها تقوم على أربع عمليات أساسية هى:

١- المنافسة بين القوى العظمى.

٢- الابتكار التكنولوجى.

٣- انتشار عولمة الانتاج والتبادل.

٤- التحديث[1].

والحديث عن مفهوم هذا النظام الجديد وموقف الفقه الإسلامى منه فى هذا المبحث ينقسم إلى مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بالنظام العالمى الجديد.
المطلب الثانى: موقف الفقه الإسلامى من النظام العالمى الجديد.

المطلب الأول

تعريف النظام العالمى الجديد
«العولمة»

دخلت كلمة العولمة حديثا فى لغتنا العربية من خلال ترجمة مصطلح Glabal-ization.

وكأى مصطلح مستورد فان الترجمة الحرفية أو المعنى اللغوى لايفيد كثيرا فى فهم المضمون:

لذلك كان من قبيل السذاجة أن نختلف حول الكلمة المستوردة هل هى عولمة أو كوكبة دون فحص مضمونها.

إن مضمون أى مصطلح جديد لن يتضح إلا من خلال رؤية واضحة للأطر الثقافية والاقتصادية والاجتماعية ... الخ.

التى احاطت بولادته مكانا وزمانا. ولايخفى على الجميع أن هذا المصطلح قد نشأ فى العالم الغربى المتقدم فى الحقبتين الأخيرتين من القرن العشرين من خلال الأطر المختلفة التى تعكس تجربته التاريخية وحضارته الحالية واتجاهاتها المستقبلية.

واذا اردنا أن نضع تعريف دقيق لمصطلح «العولمة» فسنجد أن هناك تعريفات

---

(١) الخطاب الاسلامى فى ظل العولمة الدكتور/ عبد الصبور فاضل، مجلة الوعى الإسلامى، العدد ٣٨٨ ذو الحجة ١٤١٨هـ - ابريل ١٩٩٨م، ص ١٨.

متعددة لهذا المصطلح.

فقد عرفها البعض بأنها «تصف وتعرف مجموعة من العمليات التى تغطى أغلب الكوكب أو التى تشيع على مستوى العالم».

من هنا نرى أن العولمة لها بعد مكانى ، لأن السياسة والانشطة الاجتماعية الأخرى أصبحت تبسط رواقها على كل انهاء المعمورة.

ساعد على ذلك التقدم الهائل فى وسائل الاتصال وقدرتها على اختراق الحدود من خلال الفضائيات التى حولت العالم «الى غرفة عالمية صغيرة» بدلا من «القرية العالمية».

فالعولمة تعد واحدة من أهم الظواهر التى فرضت نفسها مؤخرا على الساحة الدولية وواكبت الظروف الجديدة التى نشأت فى عالم تلعب فيه الاقمار الصناعية والقنوات الفضائية والبث المباشرة دورا محوريا فى تشكيل الاتجاهات وتغيير السلوكيات والتأثير على الرأى العام(١).

وهناك محاولة نظرية فى شأن العولمة قام بها «جيمس روزناو» أحد أبرز علماء السياسة الأمريكيين حيث يرى أن مفهوم العولمة يقيم علاقات بين مستويات متعددة للتحليل ، الاقتصاد ، السياسة ، الثقافة ، الأيديولوچية ، وتشمل إعادة تنظيم الانتاج ، تداخل الصناعات عبر الحدود ، انتشار أسواق التمويل ، تماثل السلع المستهلكة لمختلف الدول ، نتائج الصراع بين المجموعات المهاجرة والمجموعات المقيمة ، ثم يستدرك قائلا: فى ظل ذلك كله فان مهمة ايجاد صيغة مفردة تصف كل هذه الانشطة تبدو عملية صعبة وحتى لو تم تطوير هذا المفهوم فمن المشكوك فيه أن يتم قبوله أو استعماله بشكل أوسع.

والبعض ينظر إلى تعريف العولمة من ناحية البعد الاقتصادى أو

---

(١) الرسالة الاعلامية بين العالمية والعولمة، أ.د. محى الدين عبد الحليم، ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر الاعلام الدولى وقضايا العالم الاسلامى، القاهرة - رابطة الجامعات الاسلامية ٢٨/٢٩ نوفمبر سنة ١٩٩٨م.

ما يطلق عليه العولمة الاقتصادية Ecanomic Globalization:

فيرى أنها «تحرر العلاقات الاقتصادية القائمة بين الدول من السياسات والمؤسسات القومية والاتفاقيات المنظمة لها بخضوعها التلقائي لقوى جديدة، أفردتها التطورات التقنية والاقتصادية، تعيد تشكيلها وتنظيمها وتنشيطها بشكل طبيعي على مستوى العالم بأكمله كوحدة واحدة»[١].

ويقصد بالعولمة الاقتصادية تحرير نظام التجارة العالمية ومن ثم إقامة سوق عالمية كبيرة تضم كل من الدول المتقدمة والدول الساعية للنمو وهى سوق واحدة مفتوحة لكافة القوى الاقتصادية فى العالم وفقا لمبدأ المنافسة الحرة وتحرير التجارة.

لهذا كان من اللازم لقيام هذا النظام العالمى الجديد إنشاء منظمة التجارة العالمية من أجل أن تقوم بالدور الرئيسى فى مفاوضات التجارة العالمية وفقا للقواعد والضوابط المتفق عليها بشأن العلاقات التجارية بين الدول الأعضاء داخل المنظمة، حتى يحدث إنتعاش ونمو للتجارة العالمية وكذا للإقتصاد العالمى.

ولاشك أن هذا الاتجاه العالمى سيساعد على زيادة الانتاج العالمى ورفع الكفاءة الانتاجية وأن الفوز فيه للدول التى تتميز بميزات نسبية فى الانتاج والتقدم التكنولوچى، وهذه هى الدول الصناعية المتقدمة والتى سيعود عليها هذا النظام بالنفع الكبير.

أما الدول المتخلفة أو الساعية للنمو «ومنها الدول العربية والاسلامية» لاشك أنها ستعانى الكثير من المصاعب والمشاكل من جراء هذا النظام، حيث انها لاتستطيع أن تنافس الدول الصناعية والمتقدمة فى الأسواق المفتوحة. ونظرا لأن الدول العربية والإسلامية قد انضمت وبشكل جماعى تقريبا للنظام الجديد تحت مظلة منظمة التجارة العالمية فانه لابد أن تسعى هذه الدول إلى إيجاد مخرج لها نحو قيام تكامل اقتصادى بينها من أجل العمل على النمو الاقتصادى والوحدة

---

(١) نحو سياسة اقتصادية موحدة للعالم الاسلامى فى مواجهة العولمة، أ.د. عبد الرحمن يسرى، ورقة العمل السابق الاشارة اليها، ص ٤.

السياسية.

وليس هناك حل آخر لها سوى ذلك فى ظل الاتجاه العالمى الحالى بقيام الكيانات الاقتصادية الكبيرة بين دول العالم المتقدم ولامكان للدول الصغيرة أو الكيانات الصغيرة فى ظل هذه التكتلات.

ولكن المشاهد حاليا أن هذه الدول العربية والاسلامية تعانى من بعض المشاكل والمعوقات لاقامة هذا التكامل الاقتصادى ولكن فى الوقت نفسه نرى أن هذه الدول لديها الامكانات الاقتصادية اللازمة لنجاح هذا التكامل.

والسؤال هنا هل تستطيع الدول الإسلامية أن تتغلب على المشاكل والمعوقات التى تقف حائلا أمام قيام تكامل اقتصادى بينها ومن ثم تستطيع اقامة كيان إقتصادى كبير أم ماذا؟[1].

ومن ثم فان صياغة تعريف دقيق للعولمة تبدو مسألة شاقة نظرا لتعدد تعريفاتها والتى تتأثر كثيرا بانحيازات الباحثين وفقا لايديولوچياتهم واتجاهاتهم إزاء العولمة رفضا أو قبولا.

وأرى أن العولمة تعنى جعل الشئ على مستوى عالمى ، أى نقله من حيز محدود إلى آفاق اللامحدود واللامحدود هنا يعنى العالم كله فيكون إطار الحركة والتعامل والتبادل والتفاعل على اختلاف صوره السياسية والاقتصادية والثقافية فيجاوز الحدود الجغرافية المعروفة للدول المختلفة.

وهذا المعنى يجعل العولمة تطرح ضمنا مستقبل الدولة القومية وحدود سيادتها ودورها سواء على المستوى الداخلى أو الخارجى ومن ثم فانه كلما اكتسبت العولمة نفوذا وهنت الحواجز بين الدور وضعفت قلاع الثقافات المحلية والقومية

---

(١) امكانيات ومعوقات التكامل الاقتصادى بين الدول الإسلامية، أ.د. اسماعيل شلبى، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولى حول «اقتصاديات الدول الإسلامية فى ظل العولمة» مركز صالح كامل، من ١٧ - ١٩ من المحرم ١٤٢٠هـ، ص ٣.

وسقطت الحصون المنيعة التى كانت تحيط بها[١].

ومن ثم فان العولمة تعنى أن تصير بلدان العالم المختلفة خاضعة لنظام عالمى مسير بقوانين طبيعية حتمية ، فتنصهر فيه اقتصاديات هذه البلدان بلا سياسات قومية وبما يحقق مصالح الجميع.

هذا هو مايفهمونه أو ربما ما يريدونه من «العولمة» فى العالم الغربى الذى يقود قاطرة الحضارة فى عصرنا الحاضر.

المطلب الثاني

موقف الفقه الإسلامى من النظام العالمى الجديد «العولمة»

تمهيد:

لقد أدرك العالم الثالث فى خضم مرحلة الحرب الباردة أنه ضحية لعبة التوازنات الدولية السابقة ، التى استنفذت ثرواته وخبراته.

ولم يجد خيارا أمامه غير خيار العمل المشترك لتعم منطقته وشعوبها الأمن والسلام ، بعيدا عن الانحياز إلى الشرق أو الغرب وصراعات مصالحها.

ومع ظهور النظام العالمى الجديد اصبح من الواجب على سكان العالم الثالث الرجوع إلى الهوية الاسلامية المسلوبة وبعث الحياة فيها من جديد واستقراء التاريخ، وفهم التراث فهما واعيا وموضوعيا.

واظهار موقف الفقه الإسلامى خاصة والشريعة الإسلامية عامة كنظام عالمى من النظام العالمى الجديد يتطلب منى اظهار اوجه الفرق بين النظامين. ثم التعقيب عليها فى الفروع الآتية:

---

(١) الرسالة الاعلامية بين العالمية والعولمة، أ.د. محى الدين عبد الحليم، وقد اشار إلي مقال، أ. هاله مصطفى، مجلة السياسة الدولية، عدد اكتوبر سنة ١٩٩٨م، ص ٢٤٣.

الفرع الأول: التعريف واللغة المستحدثة.
الفرع الثانى: العالمية.
الفرع الثالث: الصلاحية.
الفرع الرابع: الشمول.
الفرع الخامس: الاسس والمبادئ.
الفرع السادس: التعقيب وموقف الفقه الإسلامى.

الفرع الأول

التعريف واللغة المستخدمة

تمهيد:

موقف الفقه الاسلامى من النظام العالمى الجديد يتطلب منا التعريف بكلا النظامين مع بيان اللغة المستخدمة فيهما.

وقد سبق فى المطلب الأول من هذا المبحث التعريف بالنظام العالمى الجديد فلا داعى لتكراره هنا.

وبالتالى اشير إلى التعريف بالاسلام كعقيدة وشريعة ثم اشير إلى اللغة المستخدمة فى النظامين كما يلى:

أولا: التعريف بالدين الإسلامى.
ثانيا: اللغة المستخدمة فى النظامين.

اولا: التعريف بالدين الإسلامى:

الإسلام ديننا[١] الخالد العظيم ورسالة السماء إلى محمد بن عبد الله - ﷺ -.

---

(١) لبيان مفهوم الدين باختصار أقول: «إذا كان الايمان يعد فطرة أصلية فى نفس الإنسان وضرورة حياتية يغذيها الأمل ، فإن معنى ذلك أن الانسان متدين بطبعه ومن هنا فان من عرف الانسان بقوله «الانسان حيوان متدين» لم يكن مجانبا للصواب.(=)

وهناك العديد من التعريفات لمفهوم الدين نكتفى فقط بذكر واحد منها أشار إليه «التهانوى» فى كتابه كشاف اصلاحات الفنون.

حيث يقول: «الدين وضع الهى سائق لذوى العقول باختيارهم إلى الصلاح فى الدنيا والفرح فى الآخرة. ويطلق علي ملة كل نبى ، وقد يختص بالاسلام. والدين يضاف إلى الله لصدوره عنه وإلى النبى لظهوره منه ، وإلى الأمة لتدينهم به وانقيادهم له»[(١)].

(-) العقيدة الدينية وأهميتها فى حياة الانسان للاستاذ الدكتور/ محمود حمدى زقزوق، كتيب صغير، هدية مجلة الأزهر – عدد شهر رجب سنة ١٤١٥هـ، ص ١٦.
فالانسان هو الكائن الوحيد الذى ينزع بطبعه إلى التدين عن وعى وإدراك ، والتدين مرتبط بدين، والدين قد يكون حقا وقد يكون باطلا.
ولهذا رأينا الحق تبارك وتعالى يقول فى القرآن الكريم على لسان سيندا محمد – ﷺ- فى نقاشه مع المكيين الوثنيين : ﴿لكم دينكم ولى دين﴾، سورة الكافرون الآية:٦.
فوصف معتقدهم الباطل بأنه دين.
ولكن القرآن من ناحية اخرى عندما يطلق لفظ الدين معرفا فانه يقصد به الدين الحق وفى ذلك يقول الله تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾، سورة آل عمران الآية: ١٩.
والدين فى اللغة:
لفظ مشترك بين عدة معان. تقول: دان الرجل إذا اطاع ، ودان إذا عصى ، ودان اذا عز ، ودان اذا ذل ، ودان اذا قهر فهو من الفاظ الاضداد ، ويطلق الدين على العادة والشأن.
تفسير القرطبى، الجامع لاحكام القرآن الكريم، جـ١ ص ١٤٤.
وقد يضاف الدين الى الرسل ويطلق عليه أحيانا اسم «ملة» كما قال تعالى حكاية عن سيدنا يوسف: ﴿واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ﴾، سورة يوسف الآية: ٣٨.
وذلك لان الله سبحانه وتعالى منذ خلق الإنسان وأهبطه إلى الأرض ، واعانه على السير فى طريق الحياة ، وهداه إلى مايحفظ حياته من مأكل ومشرب ومسكن وملبس الخ لم يتركه بعد ذلك دون رعاية روحية ، بل تعهده سبحانه وتعالى بارسال الرسل فى فترات مختلفة على مدى التاريخ البشرى يبينون للانسان طريق الهدى والرشاد ، وظلت رسل الله تذكر البشرية اذا نسيت ، وتحذرها اذا انحرفت وتوجهها إلى الخير اذا ضلت الطريق.
وقد انتهى المطاف بارسال سيدنا محمد – ﷺ- فكانت رسالته خاتمة الرسالات ، ومكملة لدين الله الذى جاء به رسل الله من قبل وقد جاءت هذه الرسالات جميعها تخاطب فى الانسان تلك النزعة الدينية الأصلية، العقيدة الدينية، المرجع السابق، ص ١٨.

(١) العقيدة الدينية، المرجع السابق، ص ١٧.

فالمراد بالدين فى الاصطلاح وضعى إلهى شرع لاسعاد الناس فى معاشهم ومعادهم ، أى فى دنياهم وأخراهم التى يعودون فيها إلى الله.

ولقد قال الحق تبارك وتعالى لسيدنا آدم عليه السلام عندما أهبطه إلى الأرض: **﴿اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولايشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فإنه له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾**(١).

وهذا الوضع الالهى الذى جعله الله هدى لآدم وذريته جاءت به الرسل وحيا من الله حتى انتهى إلى خاتمهم سيدنا محمد - ﷺ- قال تعالى: **﴿شرع لكن من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه﴾**(٢).

واذا كان الدين واحدا لايتعدد باعتبار وحدة مصدره وهو الله فانه يمكن أن يتعدد باعتبار رسالات الرسل الذين حملوها والأقوام الذين كلفوا بها وهى كلها تتحد فى الاصول التى جاءت بها وتختلف فى بعض الفروع التى تتناسب مع ظروف الزمان والمكان(٣).

ومع التأكيد على وحدة الدين الإلهى فى اصله ومضمونه فان هناك اختلافا واضحا بين الأديان السماوية فيما يتعلق بالشرائع ، نظرا لأن هذه الشرائع فى الأديان التى سبقت الاسلام كانت محدودة بحدود الزمان والمكان ومتغيره بحسب الظروف والأحوال وفى ذلك يقول القرآن الكريم: **﴿لكل جعلنا منكم شرعه ومنهاجا﴾**(٤).

وقد تدرجت الرسالات السابقة على الاسلام لتكون متمشية مع عقلية

---

(١) سورة طه الآية: ١٢٣ ، ١٢٤.

(٢) سورة الشورى الآية: ١٣.

(٣) قضية الايمان والكفر ، اعداد نخبة من كبار المفكرين وعلماء الاسلام من اصدارات وزارة الاوقاف المصرية، ص ١٠ ، ١١.

(٤) سورة المائدة الآية: ٤٨.

الشعوب أو الأمم التى وجهت اليها وظل الحال على ذلك دهورا طويلة ، يجئ دين فى اثر دين ، ورسول يأتى فى اثر رسول ، وكل دين له زمان موقوت وقوم مخصوصون[١].

والدين بوجه عام يدل على علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له فتكون فى أحدهما طاعة وخضوعا وفى الآخر أمرا وسلطانا ، والرباط الذى يربط الطرفين هو ما يدان به[٢]. وهو الشريعة الإسلامية فى ديننا الإسلامى

والشريعة[٣] التى جاء بها محمد بن عبد الله القرآن

(١) العقيدة الدينية، ص ١٩.

(٢) المدخل فى التعريف بالفقه الاسلامى، ص ١٩.

(٣) ١- الشريعة الإسلامية: نسبة إلى الإسلام ، والإسلام لغة مصدر اسلم وله معان ترجع فى اصلها إلى السلامة من الآفات والعيوب ، وهو يستعمل فى الإصطلاح الشرعى بمعنى الخضوع والانقياد لأمر الله والتسليم لقضائه وأحكامه. والرضى بها ومنه قوله تعالى: ﴿إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين﴾.سورة البقرة الآية: ١٣١، ﴿وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له﴾، سورة الزمر الآية:٥٤ ﴿ربنا وأجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾ سورة البقرة ا الآية: ١٢٨،.
كما إستعمل لفظ الاسلام فى عقيدة التوحيد المشتركة بين الديانات السماوية كلها ولذلك صح وصف الانبياء والرسل السابقين بأنهم مسلمون قال تعالى: ﴿يحكم بها النبيون الذين أسلموا﴾ سورة المائدة الآية: ٤٤، وقوله تعالى: ﴿ما كان إبراهيم يهوديا ولانصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما﴾.سورة آل عمران الآية: ٦٧، وقوله تعالى: ﴿فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون﴾.سورة آل عمران الآية: ٥٢، والإسلام بهذا المعنى ضد الشرك بالله قال تعالى: ﴿قل أنى أمرت أن أكون أول من أسلم ولاتكونن من المشركين﴾.سورة الأنعام الآية: ٥. فكل نبى يبعث بالإسلام غير أن الشرائع تختلف. وانظر المدخل فى التعريف.بالفقه الإسلامى وقواعد الملكية والعقود فيه أ.د. محمد مصطفى شلبى، ط ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص ٢٨.
الإسلام والايمان: قال الغزالى ورد الشرع باستعمالهما على سبيل الترادف وورد على سبيل الاختلاف كما ورد على سبيل التداخل.
١- أما الترادف: فاطلاقهما على معنى واحد ففى قوله تعالى ﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾ ولم يكن بالاتفاق إلا بيت واحد ومنه حديث الأركان «بنى الإسلام على خمس» وقد سئل مرة - ﷺ- عن الايمان فاجاب بهذه الخمس.
(=)

دستورها وناموسها الاكبر.

ثانيا: اللغة المستخدمة فى النظامين:

النظام العالمى الجديد «العولمة» يعتمد فى انتشاره على اللغة الإنجليزية والتى تعد اللغة العالمية الأولى فى العالم.

ولايعتد القائمين على نشر هذا النظام باللغة العربية كثيرا نظرا لعدم مساهمة المتحدثين بها فى التقدم العلمى وكذلك نظرا لتأخر المتحدثين بها فى الصناعات التى يحتاجها اللغير. فكل فرد منا يتعلم اللغة التى يحتاج إلى التعامل مع أهلها.

أما الشريعة الإسلامية فهى قائمة على استخدام اللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم وهى التى حافظت على هيبة ومكانة العرب والقرآن الكريم هو الذى حافظ على اللغة العربية من الضياع.

واللغة العربية بالاستقراء ثبت انها اصل كل اللغات لأنها من عند الله.

ولقد تحدى الحق تبارك وتعالى عباده فى زمن الرسول - ﷺ- وبعده إلى أن تقوم الساعة بأن يأتوا بمثله فيقول: ﴿**أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات**﴾[1].

(=) ٢\- **وأما الإختلاف**: فقد اطلق الاسلام على الاستسلام ظاهرا بالجوارح واللسان ، واطلق الايمان على التصديق القلبى ، قال تعالى: ﴿**قالت الاعراب أمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا**﴾، وفى حديث جبريل لما سأل الرسول - ﷺ- عن الايمان اجاب: «أن تؤمن بالله وملائكته» إلخ، وقال فى الإسلام: «إنه الخصال الخمس».

٣- **وأما التداخل**: فهو ان يختلف المراد من كل منهما مع دخول احدهما فى مسمى الآخر، فقد روى أنه - ﷺ- سئل عن أفضل الأعمال فقيل: أى الإسلام أفضل ، فأجاب - ﷺ- الايمان وذلك لأن الايمان عمل من أعمال الاسلام ، والإسلام تسليم بالقلب أو باللسان أو بالجوارح وأفضلها الذى فى القلب وهو التصديق المسمى بالايمان.

والمعلوم أن التصديق بالقلب والنطق باللسان دليل عليه والأعمال الصالحة بعد ذلك تقوى الايمان وتزيده، احياء علوم الدين للإمام الغزالى، جـ١ ص ٢٠٣ ، الفقه الإسلامى - مراحل ومبادئ ومشروعات- أ.د. محمد أنيس عباده، ط أولى ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م، ص ١٤.

(١) سورة هود الآية: ١٣ ، وفى آية أخرى ﴿**أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله**﴾ سورة يونس الآية: ٣٨.

أنتم أهل اللغة وأصحاب الفصاحة والبلاغة فيها ، ومحمد لم يتعلمها ، وليس له فيها أقوال أو أشعار أو حكم أو أمثال قبل أن ينزل عليه الوحى بالقرآن. وقد جاء على لسانه هذا القول الفصل بعد أن اصطفاه ربه واختاره ، وأنتم فى ضلالكم تكذبونه وتقفون فى طريقه وتحاولون إطفاء نور الله بأفواهكم. فان كنتم رجالا حقا وكانت حجتكم باللغة ، فأتوا بعشر سور تماثل سور القرآن أكبرها أو أصغرها. وإذا كنتم جميعا غير قادرين ، وأنا من بينكم الأمى الفقير اليتيم راعى الغنم فكيف لى أن أفتر به؟ وكيف أقدر على ذلك وجمعكم بحوله وطوله عاجز عنه. وإن كان هذا التحدى أوقف العرب عاجزين أمامه فى عهد الرسول - ﷺ- فان التحدى مازال قائما للعرب ولغير العرب منذ أربعة عشر قرناو إلى الآن ، على الرغم من التقدم العلمي والمعرفى واللغوى والتقنى ، وحتى العقول الالكترونية رفضت التحدى وأذعنت للقرآن تستقبله ولاتمارى فيه ، وتحصيه قولا وأحكاما وعدا بكل الإجلال والتقدير ، وإن لم تستطيع هى الأخرى أن تأتى بمثل أصغر سورة من سوره.

وقد أشار الدكتور عبد الرشيد عبد العزيز سالم فى مؤلفه[١]. إلى مقال للدكتور/ مصطفى محمود عن اللغة التى تكلم بها سيدنا آدم عليه السلام وكانت أصلا لكل لغات بنى الإنسان[٢]: يقول فيه «كانت لى وقفة طويلة منذ زمن أمام أصل اللغات وأنا أتأمل اللفظة العربية «كهف» فأجدها فى الانجليزية Cave وفى الفرنسية Vave وفى الايطالية Vava وفى اللاتينية Cavus. فأسأل وأنا أراها كلها واحدا ... أى لغة أخذتها عن الأخرى؟ وأيها كانت الأصل؟

ثم اشار الاستاذ الفاضل الدكتور/ عبد الرشيد إلى كتاب عنوانه «اللغة العربية أصل اللغات»[٣].

---

(١) الاسلام دين الانسانية، مكتبة التراث الاسلامى، ص ١٠٨.

(٢) هذا المقال نشر فى صحيفة أخبار اليوم القاهرية الصادرة فى ١٩٨٩/١٢/١٦م.

(٣) وقال أن الكتاب بالانجليزية والمؤلفة هى تحية عبد العزيز اسماعيل أستاذة متخصصة فى علم اللغويات تدرس هذه المادة فى الجامعة وقد قضت عشر سنوات تنقب وتبحث الوثائق والمخطوطات والمراجع والقواميس لتصل إلى هذا الحكم القاطع. الاسلام دين الانسانية، ص١٠٩.

وقد عرض المؤلف لجداول تبين الألفاظ المشتركة بين اللغة العربية والانجليزية وبين العربية واللاتينية وبين العربية والهيروغليفية وبين العربية والالمانية وبين العربية والانجلوسكسونية وبين العربية والفرنسية وبين العربية والأوربية القديمة ، وبين العربية واليونانية ، ليشهد هذا الشارع العربى المشترك الذى تتقاطع فيه كل شوارع اللغات المختلفة ، وهذا الكم الهائل المشترك من الكلمات رغم القارات والمحيطات التى تفصل شعوبها بعضها عن بعض. ورغم اختلاف البيئات والظروف والأزمنة كما يلى:

كلمات عربية ومثيلتها فى الانجليزية

الكلمات العربية	ومثيلتها الانجليزية	الكلمات العربية	ومثيلتها الانجليزية
كفن	Coffin	سدر	Cedra
هرع	hurry	بخار	Vapour
كهف	cave	قابل	able
بركان	coicano	بدن	body
يقرض	corrode	جارية	givi
ليث	lion	رسغ	wrist
قط	cat	مطر	water
مرآة	mirror	وسط	waist
حدى	goat	فاضى	void
بركة	brook	قال	call
فسيخ	fish	مسيطر	master
يزغلل	dazzle	بلف	bluff
فلتة	fault	نبيل	moble
هلاوس	hallucinatiors	باطن	bottom
جيد	good	شريف	sharif
عنق	neek	قصر	castle

وهذا نموذج آخر لكلمات عربية ومثيلتها في اللاتينية

الكلمات العربية	ومثيلتها اللاتينية	الكلمات العربية	ومثيلتها اللاتينية
قانون	Cannon	ذكر	dicere
الإله «مناه»	manon	قاضى	vidus
جباية	gulcan	زفير	zeferos
نافلة	nafrla	قارض	corus
نبيل	nobils	عرج	arcus
بقرة	bucula	كنس	cinis
فلته	fallita	طرحة	traho
أذن	auzon	قبض	captus
يدافع	defendo	قدم	pedem
أرجو	rego	عمتى	amita
القنب	cannabis	كسر	quassare

وكلمات عربية ومثيلها فى الهيروغليفية

الكلمات العربية	ومثيلتها الهيروغليفية	الكلمات العربية	ومثيلتها الهيروغليفية
أب	أبو	مع الأخبار	مع خيرو
خاتم	ختم	سبعة	سيفكس
نهر	نهير	أنا	أنوك
قطاع	كاتاع	أنت	أنتك
يم	يما	مية	مو
عين ماء	عينو	حس	هس
حوة	صهوه	حطب	حتب
حقد	حكت	جنب	كنب
أتون	الإله آتون	أمين	آمون

وفى الألمانية أيضا

الكلمات العربية	ومثيلتها الألمانية	الكلمات العربية	ومثيلتها الألمانية
أرض	erd	قصر	kassel
بركان	vilkon	ليث	lowe
قط	katxe	يدافع	defence
أرز	reise	برج	burg
نبيل	noble	بركة	broko

وغير ذلك من الأمثلة التى لاحصر لها فى اللغات القديمة والحديثة.

وتوصلت الباحثة بعد المقارنات المتعددة إلى أن اللغة العربية هى أصل اللغات لأسباب أهمها: سعة اللغة العربية وغناها. وضيق اللغات الأخرى وفقرها النسبى. فاللغة اللاتينية بها سبعمائة جذر لغوى فقط ، والسكسونية ألفا جذر بينما العربية بها ستة عشر ألف جذر لغوى ، يضاف إلى هذه السعة سعة أخرى فى التفصيل والاشتقاق والتركيب. فى الإنجليزية مثلا لفظ TALL بمعنى طويل - والتشابه بين الكلمتين فى النطق واضح - ولكننا نجد أن اللفظة العربية تخرج منها مشتقات وتراكيب بلا عدد مثل «طال يطول وطائل وطائلة وطويل وطويلة وذو الطول ومستطيل ... إلخ» بينما اللفظ الإنجليزى TALL لايخرج منه شئ ونفس الملاحظة فى لفظة أخرى مثل Good بالانجليزية وجيد بالعربية وكلاهما متشابهة فى النطق. ولكنا نجد كلمة جيد يخرج منها الجود والجودة والإجادة ويجيد ويجود وجواد وجياد وغير ذلك ولانجد لفظ Good يخرج منه شئ.

ثم نجد فى اللغة العربية اللفظة الواحدة تعطى أكثر من معنى بمجرد تغيير الوزن. فمثلا قاتل وقتيل ، وفيض وفيضان ، ورحيم ورحمن. ورضى ورضوان، وعنف وعنفوان ، بينهما اختلافات فى المعنى أحيانا تصل إلى العكس كما فى قاتل وقتيل. وهذا التكوين فى الايقاع الوزنى غير معروف فى اللغات الأخرى. وإذا احتاج الأمر لايجد الانجليزى بدا من استخدام كلمتين مثل Very Good للتعبير عن الجيد والأجود.

وميزة أخرى ينفرد بها الحرف العربى ... هى أن الحرف العربى بذاته له رمزية ودلالة ومعنى. فحرف الحاء مثلا تراه يرمز للحدة ويدخل فى كل ما هو حاد. مثل حمى وحرارة وحنظل وحريف وحب وحريق وحقد وحق وحنان وحكة وحر وحد وحميم وحرير وحرام وغير ذلك الكثير. بينما نجد حرفا آخر مثل الخاء يرمز إلى كل ماهو كريه وسيئ ويدخل فى كلمات مثل: خوف وخزى وخذلان وخنزير وخنفس وخرقة وخرق وخيانة وخلاعة وخلع وخنوثة وخواء وخسة وخسيس وخم وخراء وخلط وخيط وخمر ، وترى الطفل إذا لمس النار قال أخ .. وترى الكبير إذا اكتشف أنه نسى

أمرا هاما يقول أخ فالنسيان أمر سيئ.

وهذه الرمزية الخاصة بالحرف والتى تجعله بمفرده ذا معنى هى خاصية ينفرد بها الحرف العربى. ولذا نجد سور القرآن أحيانا تبدأ بحرف واحد مثل ص أو ق أو ن ، وكأنما ذلك الحرف بذاته يعنى شيئا.

ولأن للحروف العربية معناها ومدلولها ... فاننا نستطيع أن نؤلف بالعربية جمل قصيرة جدا مثل: لن أذهب ... ومثل هذه الجملة القصيرة يحتاج الانجليزى إلى جمل طويلة ليترجمها فيقول **I shall not go** ليعنى بذلك نفس الشئ لأنه لا يجد عنده ما يقابل هذه الرمزية فى الحروف التى تسهل عليه الوصول إلى مراده بأقل كلمات.

وإذا ذهبنا نتتبع تاريخ اللغة العربية ونحوها وصرفها وقواعدها وكلماتها وتراكيبها فسوف تكتشف أن نحوها وصرفها وقواعدها وأساليب التركيب والاشتقاق فيها ثابتة لاتتغير على مدى مانعلم من ألوف السنين. وكل ما حدث أن نهرها كان يتسع من حيث المحصول والكلمات والمفردات كلما اتسعت المناسبات ... ولكنها ظلت حافظة لكيانها وهيكلها وقوانينها ولم تجر عليها عوامل الفناء والانحلال أو التشويه والتحريف. وهو لم يحدث فى اللغات الأخرى التى دخلها التحريف والاضافة والحذف والادماج والاختصار وتغيرت أجروميتها مرة بعد مرة ... وفى اللغة الالمانية القديمة نجد لغة فصحى خاصة بالشمال غير اللغة الفصحى الخاصة بالجنوب ... ونجد أجرومية مختلفة فى اللغتين ... ونجد التطور يؤدى إلى التداخل والادماج والاختصار والتحريف والتغيير فى القواعد ... ونفس الشئ فى اللاتينية وأنواعها وفى اليونانية والانجلوسكسونية.

ولهذا اختار الله سبحانه وتعالى اللغة العربية وعاء للقرآن الكريم ، لأنه وعاء محفوظ غير ذى عوج ، وامتدح قرآنه بأنه **﴿قرآنا عربيا غير ذى عوج﴾**[١]، **﴿بلسان عربى مبين﴾**[٢].

---

(١) سورة الزمر الآية: ٢٨.

(٢) سورة الشعراء الآية: ١٩٥.

وحدث ولاحرج عن غنى اللغة العربية بمترادفاتها حيث تجد للأسد العديد من الأسماء فهو الليث والغضنفر والسبع والرئبال والهزبر والضرغام والضيغم والورد والقسورة إلخ ، وتجد كل اسم يعكس صفة مختلفة فى الأسد ، وتجد لكل اسم ظلالا ورنينا وإيقاعا.

ومن الطبيعى أن يأخذ الفقير من الغنى وليس العكس. ومن الطبيعى أن تأخذ اللاتينية والساكسونية والأوروبية واليونانية والهيروغليفية من العربية وأن تكون العربية هى الأصل الأول لجميع اللغات. وأن تكون هى التى أوحيت بقواعدها وتفصيلاتها وكلماتها إلى آدم عليه السلام.كما قال القرآن الكريم **﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾**.

ولاتكتفى المؤلفة بالسند الدينى ، وإنما تقوم بتشريح الكلمات اللاتينية والأوروبية واليونانية والهيروغليفية. وتكشف عن تراكيبها وتردها إلى أصولها العربية شارحة ما جرى على تلك الكلمات من حذف وإدماج واختصار. تفعل هذا فى صبر ودأب وأناة ومثابرة عجيبة!!!.

وهذا البحث الرائع مطبوع بالانجليزية وهو فى أيدى علماء هذه اللغة وغيرها من اللغات الأوروبية. ولأنهم لم يجدوا مفرا من التسليم بالحقائق الواردة فيه. لم يقيموا الدنيا ويقعدوها بالحق أو بالباطل لرد أقوال الباحثة وإفساد منهجها وإبطال أدلتها.

وإن دل هذا على شئ فإنما يدل على أن ظاهرة الإعجاز فى القرآن الكريم باللفظ والمعنى باقية مابقى الانسان ، وأن التحدى الذى عرضه الله على عباده فى أن يأتوا بسورة من مثله أو عشر سور أو حتى يفتروا بعض مايشبهه قائم لاينتهى بانتهاء عصر ولايتغير بتغير حضارة أو قوم. لأن هذا التحدى فى قوته صادر من فاطر هذا الإنسان. العالم بحقيقة طاقاته. المحتوى لابعاد وجوده ، وكنه قدراته فى خلافته على أرضه.

إن هذا الإنسان تيكشف الله له بعض قوانين المادة ، ويسخرها له لتستمر

خلافته على الأرض فى تطور وتحول وانتقال ، ولكنه زوى عنا أشياء كثيرة من أسرار الحياة: كنهها وكيفية وجودها وتصرفها ، وأسرار تكوينه الروحى والعقلى ، وحتى تكوينه الجسمى المتصل بنشاطه الروحى والعقلى لايزال معظمه خافيا على علمه وإدراكه. فكيف له أن يتحدى كتاب الله وهو شامل لسنن الله فى الأنفس والآفاق. شامل لطبيعة هذا الكون ، وطبيعة هذا الانسان ، زاخر بالخصائص الايجابية فى الحياة والاحياء والتفكير ، والنظر والاعتبار ، والتكييف والتأثر والتطبيق فى عالم الضمير وعالم الواقع ، والايجابية فى العمل والتنفيذ على نهجه الواضح[1].

الفرع الثانى

العالميــــــــــــة

تمهيد:

عالمية الإسلام حقيقة أولية دليلها النص القرآنى والممارسات الواقعية.

أما النظام العالمى الجديد فهو نظام وليد نشأ بعد انهيار النظام القديم ، ووصفه بالعالمية جاء من قبل من يريدون له البقاء والاستمرارية تحقيقا لمصالحهم الخاصة. واحاول فى هذا الفرع اظهار هذا الفرق الواضح.

أ- عالمية الاسلام:

إن المتتبع لأوضاع البشرية قبيل بعثة النبى - ﷺ- يجد أن الضرورة المطلقة إقتضت إرسال سيدنا محمد - ﷺ- ليخرج العالم كله مما كان يتخبط فيه من ظلم وضلال وباطل.

فلقد كان العالم فى حاجة ملحة لدين جديد بعد أن خفت صوت الرسل السابقين وضاعت معالم الرسالات الإلهية التى أرسلها الله لعباده لافرق فى ذلك بين بلاد العرب وبلاد الروم وفارس وغير هذه البلاد وتلك من أقطار العالم

---

(١) الاسلام دين الانسانية، ص ١١٥.

المختلفة.

وكانت مهمة الدين الجديد «وهو الإسلام» والرسول الجديد وهو «محمد - ﷺ- » الانقاذ السريع عن طريق اخراج الناس من الظلمات إلى النور ومن ضيق الظلم إلى رحابة العدل. قال تعالى: ﴿**كنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها**﴾[١].

لقد جاءت بعثة النبى محمد - ﷺ- بدين الإسلام نقلة جدية بالعالم كله ، وتحولا فى حركة الوحى الأعلى على ظهر الأرض إذ كانت رسالة ودعوة إلى كل البشر تصحب الزمان فى مسيرته ، فاذا انتهى جيل من الناس فان الجيل الذى يليه مخاطب بها مكلف أن يتبع سناها مستضيئا بنورها وهداها.

قال تعالى: ﴿**قل أى شئ اكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم وأوحى إلى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ**﴾[٢].

ولقد كان الوحى الإلهى قديما يتخير بقاعا من الأرض لينزل بها كما ينزل غيث السماء فى مكان دون مكان ، أى أن رسالات السماء -فيما قبل الاسلام- كانت قومية ، قال تعالى: ﴿**لقد أرسلنا نوحا إلى قومه . فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره**﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿**وإلى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون**﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿**وإلى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره**﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿**وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم**﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿**ولوطا إذ قال**

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٣.
(٢) سورة الانعام الآية: ١٩.
(٣) سورة الاعراف الآية: ٥٩.
(٤) سورة الاعراف الآية: ٦٥.
(٥) سورة الاعراف الآية: ٧٣.
(٦) سورة الانعام الآية: ٨٣.

لقومه أتأتون الفاحشة وانتم تبصرون﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وإذا قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ انجاكم من آل فروعن يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبنائكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وإن الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه الا تتقون﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿واذ قال عيسى بن مريم يابنى اسرائيل إنى رسول الله اليكم﴾[٤].

لاشك فى أن عالمية الاسلام حقيقة أولية دليلها النص القرآنى والممارسات الواقعية.

والنصوص القرآنية الدالة علي هذه العالمية كثيرة ومتعددة منها:

قوله تعالى: ﴿قل يا أيها الناس أنى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا إله الا هو يحى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿وما ارسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لايعلمون﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين﴾[٧]، وقال تعالى: ﴿تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾[٨]، وقال تعالى: ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾[٩]، وقال تعالى: ﴿الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من

---

(١) سورة النمل الآية: ٥٤.
(٢) سورة ابراهيم الآية: ٦.
(٣) سورة الصافات الآية ١٢٣ ، والآية: ١٢٤.
(٤) سورة الصف الآية: ٦.
(٥) سورة الاعراف الآية: ١٥٨.
(٦) سورة سبأ الآية: ٢٨.
(٧) سورة يوسف الآية: ١٠٤.
(٨) سورة الفرقان الآية: ١.
(٩) سورة ص الآية: ٨٧. وسورة التكوير الآية: ٢٧

الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد﴾(١).

ومع أن هذه الآيات نصوصها لاتحتمل التأويل فهى دالة بلغاتها على أن الاسلام هو دين الله للناس كافة فان بعضا من منكرى «الايديولوجيات» يحاول طمس هذه الحقيقة الصريحة ويقول: إن الإسلام دين للعرب وحدهم.

ومن اللافت للنظر أن القرآن الكريم تقررت فيه عالمية رسالة الاسلام منذ بداية الوحى فى مكة المكرمة ، لأن الآيات القرآنية الدالة على ذلك نزلت كلها فيها ، ولم ينزل بالمدينة المنورة بعد الهجرة من ذلك إلا آية واحدة من سورة الاحزاب هى قوله تعالى: ﴿ما كان محمدا ابا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليما﴾(٢).

وختم النبوة تقرير لهذه العالمية فان قارات الدنيا الخمس إلى قيام الساعة لن يطرقها من السماء طارق ولن يجيئها من عند الله رسول بعد محمد -ﷺ- ، وسيبقى القرآن وحده الموحى إليه -عليه الصلاة والسلام- صوت السماء بين الناس إلى أن يحشروا للحساب يوم القيامة.

وفى هذا العرض مايخرص ألسنة القوى المعادية للإسلام فيما تزعمه من أن رسالته -ﷺ- كانت للعرب وحدهم(٣).

وإن الذى يدلنا على أن هذه العالمية كانت مفهومة عند الناس جميعا تلك الممارسات التى وقعت من الذين آمنوا من غير العرب ، بدل إن الذى يدل على عموم رسالة الإسلام أولئكم الرجال الذين سمعوا أهل الكتاب يبشرون ببعثه سيدنا محمد -ﷺ- نبيا خاتما فراحوا يبحثون عن رسالته وتطوروا فى أعمارهم داخل ظروف قاسية أخرجتهم من العز إلى الذل ومن الحرية إلى الرق بحثا عن رسالة

---

(١) سورة ابراهيم الآية: ١.

(٢) سورة الاحزاب الآية: ٤٠.

(٣) الدعوة الاسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر للشيخ محمد الغزالى، طبعة سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص ١٥٠ ، ١٥١.

الإسلام التى سيأتى بها سيدنا محمد - ﷺ- وفى مقدمة هؤلاء العظماء سيدنا سلمان الفارسى رضى الله عنه.

فسلمان شاب فارسى من أهل أصبهان وكان ابوه سيد أهل بلده أحب ولده سلمان حبا شديدا لم يحبه لشئ من ماله ولامن ولده حتى احتدمت عاطفة الحب فجعلته يحبسه فى البيت كالجارية الكاعب خوفا عليه أن يصاب بسوء واجتهد سلمان فى المجوسية حتى صار له فيها شأن كبير.

ثم تقلب سلمان الفارسى فى البلاد والترحال والحرية والعبودية من «الموصل» إلى «نصيبين» إلى «عمورية» إلى «قباء» إلىْ «المدينة المنورة».

رجاء أن يصل إلى ما أوصاه به علماء الدين فى المسيحية الذين عرفوا محمدا - ﷺ- فى كتبهم كما يعرفون أبناءهم وكان منهم فريق يقول الحق ويهدى السبيل.

وأيضا يجب الاشارة إلى المناقشة التى دارت بين هرقل الروم وبين أبى سفيان بن حرب وهو رأس من رؤس قريس المشركة فى ذلك الوقت تبرهن على أن مفهوم الإسلام من حيث عالميته كان واضحا عند ملوك ذلك الزمان.

لقد تثبت هرقل كل التثبت وأقر أنه كان يعلم أن نبيا سيبعث ، وأنه يتمنى أن يخلص إليه ، ولو كان عنده لغسل قدمه وهو الملك المعظم.

ثم ذكر فى استنتاجه من حديث أبى سفيان أن هذا النبى سيملك ماتحت قدمه. فلو كان الاسلام دينا خاصا للعرب لقالها هرقل إلى أبى سفيان ، انه نبى لكم أو دين عربى لاعلاقة لنا به.

ولكنه قال: ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه ، ومفهوم العبارة أن هرقل كان يتمنى أن يكون من أفراد نظام «البرتوكول» الذى يمارس عند بعض الروساء القادمين ضيوفا على بلد آخر وكان النظام يقضى أن يغسل قدم القادم بماء الورد يصبه شاب أنيق جلد.

فهل الذين يقولون إفك الحديث المعاصر أن الإسلام دين للعرب فقط يدركون جلالة هذا الموقف لهرقل عظيم الروم.

ويعلمون وهم يعلمون صدقا: أن الاسلام دين للناس أجمعين ليخرجهم من الظلمات إلى النور[١].

والممارسات الواقعية التى تبرهن على أن الاسلام دين الله للناس كافة كثيرة ومتعددة ومتنوعة فقد فهم هذه الحقيقة القسس الذين أسلموا والاحبار اليهود الذين آمنوا ... ومنهم.

١- ورقة بن نوفل: الذى كان عالما عربيا اتجه إلى المسيحية كدين مؤقت فى مرحلة بحثه عن الدين الحنيف فلما جاء الحق صدق به وآمن.

٢- النجاشى: كان ملكا مثقفا بالمسيحية فلما عرف بظهور النبى الخاتم الذى بشر به عيسى بن مريم آمن وصدق وتمنى أن يحمل نعل النبى -ﷺ-.

٣- عبد الله بن سلام: كبير علماء اليهود وسيدهم وإمامهم من أولئك النفر الذين باتوا يترقبون اللحظة الأولى لأذان الفجر الصادق، حى على الإسلام والايمان.

لقد كتم اسلامه عن اليهود حتى يكون عليهم حجة فلقد فرح فرحا عارما ملك عليه أقطار وجدانه حتى كبر وهو فى أعلى النخلة عندما علم بهجرة الرسول -ﷺ- ووصوله إلى المدينة المنورة.

وهذا يدل على صدق نيته فى أن يدخل فى الإسلام كافة وأنه أثر الاسلام على قوميته وقومه وأمجاده فيهم ولذا فقد حق له أن يقول فيه النبى -ﷺ-: «لا أحد يمشى على الأرض أنه من أهل الجنة إلا عبد الله بن سلام»[٢].

وقد فقه صحابة النبى -ﷺ- من نصوص دينهم أن رسالته -ﷺ- رسالة

---

(١) عالمية الاسلام، حقيقة أولية ، الاستاذ الدكتور/ رؤف شلبى، كتب صغير هدية -مجلة الأزهر المجانية- ربيع أول ١٤٠٩هـ، ص ٢٠.

(٢) فتح البارى، جـ٨ ص ١٢٩.

عامة عالمية لذلك لما قامت الخلافة الراشدة بعد وفاته -ﷺ- ، مبتدئه بالصديق أبى بكر -رضى الله عنه- ابتعثت المسلمين إلى أقطار الأرض يحملون البلاغ السماوى الأخير إلى الناس وتوصيل دعوة الإسلام إلى الأمم والشعوب يزيلون طواغيت الحكم من الملوك والامراء والرؤساء الذين يحجبون دعوة الهداية والخير إلى الناس تحقيقا لقوله تعالى: ﴿ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون﴾[١].

وتدافع التيار إلى مداه أيام خلافة الأمويين والعباسيين والاتراك العثمانيين حتى اذا خلت الأرض من هؤلاء الطغاة عرض الإسلام على الناس دون اكراه فمن قبله صار مسلما وانطوى تحت راية الاسلام ومن أبى تُرك على دينه وملته.

وذلك تطبيقا لقوله تعالى: ﴿لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى﴾[٢].

ولقد انبهرت الأمم والشعوب بالدين الجديد وتجاوبت معه وأحست بأنه هدية الاقدار اليها ، لأنه لما تيسرت للناس المقارنة والمقابلة بدأ التحول العظيم إلى الاسلام لأن مبادئه انسابت إلى قلوبهم من تلقاء نفسها ، لأنه دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها - قال جل وعلا: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾[٣][٤].

وإذا نظرنا إلى العصر الحديث وجدنا مجموعة من مستنيرى المستشرقين يقرون بأن الاسلام دين عالمى وقد دخلوا فى دين الله رغبة ومحبة واقتناعا.

ولقد كانت الحروب الصليبية سببا من الأسباب الأولى التى جعلت الكثير من

---

(١) سورة القصص الآية: ٥١.

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٥٦.

(٣) سورة الروم الآية: ٣٠.

(٤) الدين العالمى، وصف تفردية الاسلام، للمستشار محمد عزت الطهطاوى، مجلة الازهر، جـ٤، السنة السبعون، ربيع الآخر ١٤١٨هـ اغسطس ١٩٩٧م، ص ٥٧١.

الأوربيين يغيرون وجهة نظرهم فيما يتعلق بالشرق على العموم وبالاسلام على الخصوص.

لقد رأى الغربيون صفات الشهامة والنبل والفروسية يتحلى بها أعداؤهم الشرقيون ، ورؤا أن دياناتهم ليست على مايصوره الإستعمار من الإنحطاط والتخريف.

وبدأ الغربيون يدرسون فى شئ من التدبر والروية ، هذا الشرق الذى كان لايثير فى نفوسهم إلا ما رسمه رجال مغرضون من صور تبعث فى النفس النفور ... بل الاشمئزاز.

وهؤلاء الكتاب المفكرون ينقسمون إلى قسمين:

* فريق إعترف بالوحى وأعلن إسلامه فى غير لبس ولا مراءاة ، وجابة الرأى العام فى بيئته بعقيدته ، ثم اخذ يدعو إليها مكررا وقته وجهده لنشرها.

* وفريق إعترف بالوحى وأحب الإسلام ومدحه ، ولاندرى ماذا أسر فى نفسه!.

وسواء أكان هؤلاء الكتاب اعتنقوا الإسلام قلبيا ، أم أحبوه وأعجبوا بما فيه من تعاليم ، كافية فى التدليل على صحة الوحى الاسلامى وعالميته. مثل ، الكونت هنرى دى كاسترى وكار لايليل واللورد هيدلي .

لقد حددت هذه الممارسة أن الإسلام دين للبشرية عامة بأسلوب واقعى لايحتاج إلى تفلسف «الايديولوچيات» ، و «الأممية الحمراء» التى انهزمت فى عقر دارها على يد رجالها أو مهاترات المستشرقين وتلاميذهم الذين غلبوا على الحق فى كثير من وسائل الاعلام التى تبعث على أن يتخذ الشباب المتحمس موقف العناد مع مثيرى القلاقل باسم الفكر والبحث وقد نسوا أن التاريخ شاهد على إفكهم.

وحديث هرقل مع أبى سفيان شاهد عملى على أن الاسلام دين الله للناس اجمعين[١].

وهكذا فالاسلام دين عالمى ، يصلح لكل زمان ومكان ، عمل الرسول -ﷺ- على نشره بين الناس كافة على اختلاف أجناسهم ، وتكفل القرآن الكريم بتبيان هذا كله ... ويؤكد هذا قول الله -سبحانه وتعالى- لرسوله الكريم: **﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾**[٢]، **﴿ماقرطنا فى الكتاب من شئ﴾**[٣]، **﴿وما ارسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ، ولكن اكثر الناس لايعلمون﴾**[٤].

ب- عالمية النظام الجديد:

منذ نحو خمس سنوات تتوالى على الساحة العالمية أحداث ذات أثر بالغ فى تشكيل العلاقات السياسية والاقتصادية بين الدول الكبرى ، وفى الاستراتيجيات البعيدة المدى والواسعة النطاق التى كانت مرسومة لمستقبل العالم فى ظل الصراع أو التنافس أو التعايش بين دولتين عظيمتين تفككت إحداهما لتنفرد الدولة الأخرى بالزعامة الاحادية ولتظهر فى الأفق تكتلات جديدة وارهاصات بنظام عالمى ، لايزال فى شكله وموضوعه هلاميا غير مكتمل التكوين.

وكما تميزت السنوات العشرون الماضية بما كان أتجاها نحو نظام اقتصادى عالمى جديد ، ونظام اعلامى عالمى جديد ، على أساس من العدل والتوازن وازالة الظلم والاختلال اللذين سيطرا على العلاقات بين الشمال والجنوب ، أو بين الدول الصناعية الفنية والدول الفقيرة النامية ظهر الأن اتجاه نحو نظام عالمى جديد.

---

(١) عالمية الاسلام حقيقة أولية، ص ١٢.
(٢) سورة النحل الآية: ٨٩.
(٣) سورة الانعام الآية: ٣٨.
(٤) سورة سبأ الآية: ٢٨.

وهذا النظام العالمي الجديد «العولمة» لم ينشأ من فراغ انما نشأ نتيجة العوامل الآتية :

أولا : التقدم التكنولوجى الذى أخذ صورة الثورة التكنولوجية الشاملة ، سواء فى الصناعة أو الاليكترونيات أو الهندسة الوراثية أو غزو الفضاء.

وقد تم هذا التقدم التكنولوجى بسرعة مدهشة غير متصورة بالمقارنة بالتقدم العلمى الذى حدث فى القرن التاسع عشر أو النصف الأول من القرن العشرين ، وأصبح مقضيا بالفناء على كل شعب لايلحق بركب هذا التقدم.

والحديث عن التكنولوجيا هنا يثير الشجون.

فقد قيل بحق «أن من يمتلك التكنولوجيا هو الذى يحكم وهو الذى ستكون له السيادة».

ولو اشرت إلى مجال واحد من مجالات التكنولوجيا وهو تكنولوجيا الاتصال لعرفنا جميعا. أن تكنولوجيا الاتصال تمكن صاحبها من السيادة فى موضوع هذه التكنولوجيا أو ما يطلق عليه أهل الغرب مصطلح «السوفت وير» "Soft ware" التى هى هنا مادة الفكر ووعاؤه مما جعل كثيرين من ابناء العالم الثالث بوجه خاص، يتخوفون من الغزو الفكرى الوافد مع اصحاب هذه التكنولوجيا التى هبطت فجأة على بعض الدول بلا نقلات مرحلية منطقية تمهد لها وتؤدى إليها.

وتكنولوجيا الاتصال ، أو بأسلوب أدق ، الجانب المادى لهذه التكنولوجيا والذى يطلق عليه مصطلح «الهاردوير» "Hard wire" تتمثل فى الاقمار الصناعية والحاسبات الآلية الشهيرة بالكمبيوتر واجهزة التلفزيون وما شابهها من «منتجات» تنتسب لدول غير اسلامية لديها مفردات انتاجها وبالتالى صيانتها وتطويرها وتطويعها بهدف خدمة أغراضهم على وجه الخصوص وان كان هناك من يرى بأن التكنولوجيا فى عمومها ليست حكرا على مجتمع دون آخر.

وفى الآونة الأخيرة، قفزت تكنولوجيا الاتصال قفزة هائلة فاقت توقعات الخبراء وبخاصة بما يتعلق بالبث التلفزيونى والمعلومات عندما نجح «الانسان» فى

تحقيق التوافق بين الكمبيوتر والوسائل التكنولوچية الأخرى فى مجال الاتصال وتوفير التكامل بينها بصورة أدت إلى حدوث ثورة فى مجال المعلومات وبالتالى أصبحت سعة المعلومات ودقتها من أسباب النجاح وسمة من سمات التطور والتقدم على كافة المستويات وبناء عليه فان قوة الدول فى المستقبل ستكون رهنا بجودة المعلومات المتاحة لها بعد أن تحول محور الاهتمام من الطاقة إلى المعلومات : فكما يقول الكاتب أحمد بهجت: «لم تعد الموارد الطبيعية هى اساس الصناعة والثروة وأصبح الفكر والعلم هما الأساس» وإذا كنا نسلم بأن البترول كان السلاح فى الحرب العالمية الثانية فانه يجب التسليم بأن التليفزيون كان السلاح فى حرب الخليج[١].

ثانيا: التحول فى توازن القوى الدولية، وذلك بعد اندحار الشيوعية فى الاتحاد السوڤيتى القديم ، وتوقف الحرب الباردة بين الشرق والغرب ، وبزوغ نظام القطب الواحد بدلا من نظام القطبين.

لكن يبقى فى مجال الهيمنة الشيوعية اكثر من الف مليون من البشر فى دولة كبيرة واحدة هى الصين.

وهناك أيضا أكثر من الف مليون من المسلمين تجمعهم عقيدة واحدة هى الإسلام وإن كانت لدولهم فى مجال السياسة والاقتصاد نظم شتى ويتفاوت نصيبهم من الفقر والثراء والتقدم والتخلف ، كما تسيطر على العلاقات فيما بين دولهم وعلى علاقات هذه الدول بالقوى والتجمعات الاخرى اعتبارات متعددة.

وإن هناك مايشبه الاتفاق بين معظم من تناولوا العولمة فى العالم الغربى «أو من نقلوا عنهم خارج هذا العالم» أنها ظهرت مع بزوغ قوى جديدة عالية التأثير ، بمعنى انها «فوق القومية» "Supranational" أى ليس لدولة ما أو لمجموعة

(١) الاعلام الاسلامى وتكنولوچيا الاتصال فى مجال التليفزيون، ص ٢٣٧، الدكتورة/ انشراح الشال، ورقة عمل ضمن بحوث ندوة الاعلام الاسلامى بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل والتى عقدت بالقاهرة بمركز صالح كامل - بجامعة الازهر ، فى المدة من ٣٠ شوال إلى ٢ ذى القعدة ١٤١٢هـ ، الموافق ٣ - ٥ مايو سنة ١٩٩٢م.

دول أى تدخل أو تحكم فيها ، وان هذه القوى قد اخضعت جانبا من العلاقات الاقتصادية والمؤسسات القائمة فى العالم لتأثيرها التلقائى وأنها ستؤدى إلى صياغة جديدة لنظام يحكم العالم كوحدة متكاملة الأجزاء بشكل طبيعى ودون حواجز أو حدود.

ثالثا: قيام التكتلات الاقتصادية الضخمة التى تمثلها بوجه خاص الكتلة الأوروبية أى الجماعة الاوروبية ، وكتلة شمال أمريكا للتجارة الحرة ، والكتلة الاقتصادية للمحيط الهادى «التجمع الباسيفيكى» المكون من منظمة دول جنوب شرقى آسيا وكوريا الجنوبية.

فالعالم يمر بتغيرات اقتصادية جوهرية مما جعل البعض يفسر ذلك العصر بأنه عصر التكتلات الاقتصادية والبعض الآخر يرى أنه عصر الاتصالات وعصر العولمة وغيرها من الاوصاف التى توحى باتجاه العالم للاندماج فى شكل مجموعات مع الدول ذات مصالح اقتصادية مشتركة.

وفى اطار ذلك تطور عمل واختصاصات المنظمات الاقتصادية واتسع نطاق ومجال المنظمات الاقتصادية الاقليمية ، وقد تأثرت اقتصاديات العالم وبالذات الدول النامية والعالم الاسلامى بتلك الاتجاهات الحديثة للاقتصاد العالمى.

ويرى البعض أن الظاهرة الاساسية للعولمة هى النواحى الاقتصادية وأن أدواتها الفعالة هى الشركات المتعددة الجنسيات «أو القوميات».

إن العولمة كما يؤكد فلاسفتها والمدافعون عنها تؤدى بالضرورة إلى تقلص دور الدولة وذلك من خلال سيطرة قواها على تدفقات رءوس الأموال والاستثمار وعلى الهياكل الصناعية بما يحقق تكاملها على مستوى العالم بالاضافة إلى حرية المعلومات والمستهلك فى أى مكان -وفى هذا الاطار الذى تنفرد فيه قوى السوق الحرة بتنظيم كل شئ على المستوى العالمى سيصبح أى تدخل من جانب أى دولة لتقييد هذه القوى فى غير صالحها.

وتأكيدا على هذا ينادى أنصار العولمة بتخفيض الاهتمام بالسياسات المالية

فى مجالات توزيع الدخل والثروة إلى أدنى حد ، وضرورة امتناع الدولة إجمالا عن التدخل فى النشاط الاقتصادى عن طريق المشروعات العامة أو عن طريق توجيه المشروعات الخاصة بل ان كل شئ يجب أن يترك حرا حتى تتحقق مصالح الجميع فى كل مكان من العالم بطريق القوى العالمية الخفية التى يزعمون أنها طبيعية ولاتخضع لسيطرة أحد وكل هذا يتنافى مع المفهوم الاسلامى لدور الدولة[1].

رابعا: ظهور مفهوم جديد للامن الدولى ، وذلك بعد انتهاء الحرب الباردة بين القوتين الأعظم ، وفتور سباق التسلح فى العالم بسبب ذلك ، ثم زيادة الاهتمام بالامور الاقتصادية ، وتراجع الاهتمام بالامور الامنية ، وهو الامر الذى ادى إلى عقد اتفاقيات تحرير التجارة العالمية وأسعار العملات والتركيز على ادارة الاقتصاد العالمى.

خامسا: التنامى المطرد للاهتمام بالبيئة بعد أن تعرضت للخطر بسبب التقدم الصناعى الضخم فى العالم وما يترتب عليه من اتلاف لجوانب كثيرة من جوانب البيئة على وجه الارض وفى الفضاء أيضا ، حتى أصبح الخوف ماثلا من احتمال تغير معدلات المطر والحرارة وتأثر طبقة الاوزون مما يعكس خطر جسيما على حياة الكائنات ومنها الانسان على الأرض.

الموازنة بين عالمية الاسلام وعالمية النظام الجديد:

إن ظهور الدين الإسلامى -على فترة من تاريخ الانسانية- كان حادثا من أعظم احداثها ، بل هو أعظم أحداثها ، فقد جاء لاقامة الحق: ما كان منه وما سيكون فكل حق يواجهه البشر فى إئتلافهم واختلافهم وفى معاملاتهم وأقضيتهم وأحكامهم ، وفى تفكيرهم واختلافهم فى بحوثهم ودراساتهم وأنظمتهم ، وفى تعاونهم على مافيه خيرهم ومصالحهم ، فهو من الاسلام وحسب الإسلام مكانة فى تاريخ التشريع أن يسميه الله «دين الحق» ﴿**وهو الذى ارسل رسوله بالهدى**

---

(١) نحو سياسة اقتصادية موحدة للعالم الاسلامى فى مواجهة العولمة ورقة، عمل مقدمة من أ.د. عبد الرحمن يسرى إلى المؤتمر الدولى حول «اقتصاديات الدول الإسلامية فى ظل العولمة» القاهرة ١٧ - ١٩ من المحرم ١٤٢٠هـ المرافق ٣ - ٥ مايو سنة ١٩٩٩م، ص ١٧.

ودين الحق﴾.

وفى الفكر السياسى السائد فى العالم اليوم اتجاه يقول بأن الغرب ، وقد فقد الشيوعية عدوا له ، سيتخذ من الاسلام عدوا ومن المسلمين مرجعا توجه إليه الاتهامات واللعنات ورمزا للتخلف والارهاب.

لكن الموارد المتاحة للمسلمين ، وأعلى مراتبها فى العقيدة التى يؤمنون بها ، من شأنها أن تجعل لهم وزنا مرموقا فى الموازنات والمعادلات التى تشغل واضعى الاستراتيجيات العالمية فى هذه المرحلة التاريخية ، ومن شأنها ايضا أن يتطلع الكثيرون إلى صداقتهم ، وان يوجد كذلك ، كما أسلفنا ، تيار فكرى ينادى بكسر شوكتهم قبل أن يستجمعوا أسباب القوة وتكتمل لديهم عناصر النفوذ على المستوى العالمى.

وقد جعل الاسلام العدل والحق وحسن الخلق أساس صلاح العالم كله والسمة التى يجب أن يتميز بها أهله: فى طيبة القلب ، وصفاء الفطرة ، وطهارة النفس وايثار لما فيه مرضاة الخالق وطمأنينة الخلق.

وحسب الاسلام مكانة فى تاريخ التشريع أن يسميه الله «دين الحق» ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق﴾.

وكل ما وافق العدل والقسط فالإسلام يدعو أهله إلى أن يقوموا به ، وأن يشهد كل واحد منهم بما يعلمه منه. وأن يعملوا جميعا على بسط سلطان العدل ونشر لوائه فى دار الاسلام ، وفى سائر أفاق الأرض ، كاملا وافيا بأقصى ما يستطيعونه، ولو على انفسهم وآبائهم وأبنائهم بالحق والعدل وإقامتهما والشهادة بهما عنصر الاسلام الأول وخلقه المقدم ، والعدل فى نظام الاسلام من التقوى ، والتقوى ميزان التفاضل بين المسلمين ، والله خبير بأهلها وبمن ينحرف عنها ، لاتخفى عليه منهم خافية[1].

---

(١) الاسلام دعوة الحق والخير وكيف شوه المغرضون جماله ، دار الفتح الشارقة ص ٦ السيد محب الدين الخطيب.

الفــــرع الثالث

الصـــــــــلاحية

تمهيد:

لقد جاء التشريع الإسلامى امتدادا لما قبله من الشرائع ، لأن جوهر التشريعات واحد فى المصدر وهو الله تعالى وفى الموضوع وهو توحيده وتقديس ذاته.

ويرشد إلى القضية الأولى قوله تعالى: ﴿**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك**﴾[١].

ويرشد إلى الثانية قوله تعالى: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾[٢].

وقد اختلفت فى التفاصيل والجزئيات بسبب اختلاف الزمان والمكان والبيئة وحول رقى العقل البشرى ، ولهذا توالت الشرائع فى تدرج وصعود إلى الكمال ﴿**لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا**﴾[٣].

ولقد كانت ولاتزال شريعة الإسلام التى ارسل بها محمد - ﷺ- تمثل أقصى ما وصلت إليه البشرية من رقى ، ولهذا كانت عامة للناس كافة قال تعالى: ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾[٤].

وقد بعث ليتمم مكارم الاخلاق فكان - ﷺ- اللبنة الخاتمة التى لزمت لتمام البناء الكامل للحياة الدنيا.

فكان من كمالها أن جاءت بتصديق جميع الرسل والايمان بجميع الكتب

---

(١) سورة الشورى الآية: ١٣ .
(٢) سورة الزاريات الآية: ٥٦.
(٣) سورة المائدة الآية: ٤٨.
(٤) سورة الانبياء الآية: ١٠٧.

المنزلة وكان من خصائصها ومميزاتها اقرارها لكل تشريع سبقها ، مع ماتضمنته من الجديد الذى يناسب كمال الإنسان وخلوها عما لم يعد صالحا للأمة الاسلامية فى رقيها ، وكمال الانسان فى عصرها ، كما خلت عن الأصر والاغلال التى كانت عليها.

واشير فى هذا الفرع عن صلاحية كلا النظامين لكل زمان ومكان.

الحق سبحانه وتعالى لايشرع عبثا ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

والحق تبارك وتعالى لايشرع لمجرد الرغبة فى التشريع وإنما يشرع سبحانه ليحقق لخلقه ما فيه سعادتهم فى الدنيا والآخرة.

فكل التشريعات الإلهية تحيى فى الانسان اكرم معانى العبودية ، حتى يكون فى سلوكه وافعاله محكوما بشرع الله وبذلك يحقق معنى الاستخلاف فى الأرض كما ينبغى أن يكون.

إن المسلمين جميعا يؤمنون بأن دين الإسلام هو الخاتم لرسالات الله بنص القرآن الكريم ولهذا فان شريعته كاملة وشاملة وثابتة وصالحة لكل زمان ومكان.

وهى واضحة فى القرآن الكريم والاحاديث النبوية وتطبيقات وأفعال الرسول - ﷺ- واحكامه كلها ، بل كل مايقع فى الشريعة وماهو ،معروف من الدين بالضرورة من الثوابت الملزمة لجميع المسلمين.

ورسالة سيدنا محمد - ﷺ- رسالة عامة وخالدة. وهذا العموم والخلود يستلزم ان تكون هذه الرسالة بالاستيعاب التام ، والاحاطة بجميع الحوادث والواقعة والممكنة الوقوع وان تستجيب الى جميع الاحتياجات التشريعية فى كل زمان ومكان «وهو مايعبر عنه الفقهاء بصلاحية الشريعة للتطبيق فى كل زمان ومكان».

ولقد اتسمت الشريعة بكل الامور المتقدمة ، لانها بنصوصها وبما دلت على الاخذ به من اداة وبما تضمنته من قواعد كفيلة بالوفاء بكل متطلبات الحياة فى كل بقاع الأرض فى أزهى العصور . ولكى نوضح هذا الاستيعاب التام لاحكام الشريعة

واستجابتها عمليا ونظريا الى جميع الاحتياجات التشريعية فى كل زمان ومكان.

وأبين هنا الدلائل العملية على صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان ثم أبين بعد ذلك المبادئ التى اشتملت عليها الشريعة وجعلتها محلا لهذه الصلاحية حتى لايكون تناولنا لهذا الموضوع مجرد دراسة نظرية لان فى اثبات هذه الصلاحية نظريا وعمليا دحضا للمطاعن الكثيرة التى وجهت للشريعة فى هذه الخصوصية عن طريق المستشرقين وتلاميذهم وبعض المنتسبين للاسلام ممن تأثروا بفلسفتهم وحضارتهم وتقريرا لحقيقة لايصح ان تكون موضع ريب أو جدال[1].

اولا: الدلائل العملية على صلاحية الشريعة الإسلامية للتطبيق في كل زمان ومكان:

ان الدلائل على خلود الشريعة وصلاحيتها للتطبيق فى كل زمان ومكان ليست دلائل نظرية وانما هى دلائل عملية واقعية اثبتت الشريعة من خلالها خلودها وصلاحيتها للتطبيق فى كل زمان ومكان.

وهذه الدلائل تتمثل فى:

١- تحكيم الشريعة منذ بعثة النبى - ﷺ- حتى القرن الثالث عشر.

٢- تطبيق الشريعة الإسلامية فى معظم البلدان العربية والإسلامية وغير العربية «ماليزيا» و «اندونسيا».

٣- سبق الشريعة بأحدث النظريات القانونية.

وسأشير إلي هذه الدلائل على النحو الآتى:

١- تحكيم الشريعة منذ بعثة النبى - ﷺ- حتى القرن الثالث عشر.

(١) من المطاعن التى وجهت للشريعة انها قديمة لاتصلح لهذا العصر ، ولاتقدر على ايجاد حلول لمشكلات الحياة المتجددة ، واوضاعها المتطورة ، لانها شريعة وجدت منذ خمسة عشر قرنا فى عصر غير هذا العصر ، وبيئة غير هذه البيئة ، واقوام غير هؤلاء الاقوام ، فلا يعقل ان تكون شريعة عصر الجمل صالحة لعصر الطائرات والمراكب الفضائية والعصر القمرى ، وهكذا قال المستشرقون ومن حذا حذوهم، يراجع محاضرات فى الشريعة الاسلامية، دكتور احمد توفيق الاحول ص ٨٤.

لقد كانت الشريعة الاسلامية هى المصدر الوحيد لتشريع المسلمين وقضائهم على مدى تاريخهم منذ بعثة النبى محمد - ﷺ- وحتى زحف الاستعمار عليها برغم ماأصاب المجتمع الاسلامى من انحراف سياسى وجمود فقهى بعد القرون الأولى للاسلام ، ففى هذه الفترة وسعت الشريعة الاسلامية العالم الاسلامى كله على تناهى اطرافه وتعدد اجناسه وتنوع بيئاته الحضارية وتجدد مشكلاته الزمنية ، مع أن الدولة الاسلامية وخاصة فى القرون الأولى كانت رقعتها تمتد من بلاد الصين شرقا إلى جبال اسبانيا غربا ، ولم تقف الشريعة يوما من الايام مكتوفة امام وقائع الحياة المتغيرة ، ولاوقفت عقبة فى سبيل مصلحة أو عدالة بل وسعت مصالح الناس جميعا مع انها كانت تضم امما متباينة الاجناس والعادات والاديان والمصالح من عرب وفرس وروم وغيرهم ، وقد نظمت الدولة الاسلامية شئون هذه الامم والشعوب وما حدثنا التاريخ ان المسلمين فى عصر من تلك العصور استمدوا قانونا من تشريع غيرهم بل كلما فتح الله للمسلمين ارضا فتح العلماء للتشريع ابوابا من الاجتهاد والاستنباط ، وما ضاقت الشريعة عن حاجة ، ولا قصرت عن مصلحة ، ولااصطدمت مع مصالح مسلم أو يهودى أو نصرانى بل عاشوا جميعا فى ظل عدالتها وتسامحها عيشة راضية وان امهات الكتب فى الفقه الاسلامى للمذاهب الفقهية التى تكونت فى هذه الفترة والتى لاتزال بين ايدينا إلى اليوم والمرجع لكل مسلم بعد الكتاب والسنة لخير شاهد على ذلك ، فلقد نشأ فى هذه الفترة الفقه التفسيرى والفصيلى والتخريجى والتفريعى حول النصوص الاصلية فى الشريعة باجتهاد الفقهاء الشراح والقضاة الحاكمين ، وكان هذا الفقه الاسلامى اعظم واوسع فقه قانونى عرف الى اليوم فى تاريخ الشرائع ، وقد نشأ فيه مذاهب فقهية قانونية كثيرة اشهرها المذاهب الاربعة الحية إلى اليوم ، وهى المذهب الحنفى ، والمالكى ، والشافعى ، والحنبلى ، وقد بلغ من كمال هذه المذاهب وتعرضها لاحكام جميع المشاكل أن اتخذت منها بعض الحكومات الاسلامية قانونا تسير عليه فى ادارتها وفى احكامها ، وقد وفت هذه المذاهب بحاجاتها ، بل لقد وصل الامر ببعض الخلفاء وهو أبو جعفر المنصور ثانى خلفاء بنى العباس إلى درجة أنه اراد حمل جميع المسلمين على اتباع مذهب واحد من هذه المذاهب وهو مذهب الامام مالك ابن انس،

كما ان كمال هذه المذاهب ووقوع الغناء بها ادى الى اكتفاء المسلمين بها فى العصر التالى واستغنائهم بها عن اللجوء إلى الاجتهاد المطلق واستحداث مذاهب جديدة.

وقد يقع فى وهم من لايدرى ما الإسلام أن شريعته لاتوافق حال العصر الحاضر ، ويبنى توهمه هذا على أن القوانين إنما تقوم على رعاية المصالح ، ومصالح العصور تختلف اختلافا كثيرا ، فالدعوة إلى بقاء احكامها نافذة هى فى نظره دعوة إلى خطة غير صالحة.

واقصد هنا الى تفنيد وتفصيل القول فى دفع شبهته ، حتى يثبت بالدليل المرئى رأى العين أن الشريعة الغراء تساير كل عصر وتحفظ مصالح كل جيل.

إن العلى القدير الذى رضى لنا الاسلام دينا جعل شريعة الاسلام عامة وختم بها سلسلة الشرائع السماوية.

فهى شريعته المرتضاه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها: **﴿ومن يبتغى غير الاسلام دينا فلن يقبل منه﴾**[١].

وأنزل كتابه تبيانا لكل شئ ، وأوصى رسوله أن يبين للناس ما نزل إليهم **﴿وانزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم لعلهم يتفكرون﴾**[٢].

فاجتمع مما أوحاه الله إلى رسوله ومن بيانه صلوات الله وسلامه عليه مجموعة من النصوص تتمثل فيها شريعة كاملة . من تمسك بها بعد عن الضلالة بقول رسول الله - ﷺ- «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ماتمسكتم بهما كتاب الله وسنتى»[٣].

ولكن هذه النصوص على كثرتها لم تبين احكام كل مايحدث فى مستقبل الايام تفصيلا ، فكان لابد من شئ آخر وراء النصوص يفصل ما أجملته ويحدد لكل

---

(١) سورة أل عمران الآية: ٨٥.

(٢) سورة النحل الآية: ٤٤.

(٣) الجامع الصغير، جـ١ ص ١٣٠.

واقعة حكمها الملائم.

ومن هنا تعددت وتنوعت أدلة الأحكام الشرعية[١].

وقد اشترط بعض الأصوليين فى الدليل: أن يكون موصلا إلى حكم شرعى على سبيل القطع فان كان على سبيل الظن فهو أمارة لادليل ، ولكن المشهور عند الأصوليين أن هذا ليس بشرط ، فالدليل عندهم مايستفاد منه حكم شرعى عملى على سبيل القطع أو على سبيل الظن.

والأدلة الشرعية لاتنافى العقول ، لأنها منصوبة فى الشريعة لتعرف بها الاحكام ، وتستنبط منها فلو نافتها لفات المقصود منها ، كما أن الاستقراء دل على جريان الأدلة على مقتضى العقول ، بحيث تقبلها العقول السليمة وتنقاد لمقتضاها[٢].

تقسيمات الأدلة:

تنقسم الأدلة إلى تقسيمات مختلفة بالنظر إلى اعتبارات مختلفة ، أى بالنظر إلى الجهة التى ينظر منها اليها واهم هذه التقسيمات تقسيمين هما:

التقسيم الأول:

من جهة مدى الاتفاق والاختلاف فى هذه الأدلة وهى بهذا الاعتبار الأنواع الآتية:

النوع الأول: وهو محل اتفاق بين أئمة المسلمين ويشمل هذا النوع القرآن الكريم والسنة.

---

(١) المراد بأدلة الأحكام المصادر التشريعية التى تؤخذ وتعرف منها الاحكام الشرعية والدليل فى اللغة، ما فيه دلالة وارشاد إلى أى أمر من الأمور. وفى اصطلاح الاصوليين: مايمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى مطلوب خبرى والمطلوب الخبرى هو الحكم الشرعى.

(٢) اصول الفقه الاسلامى، أ.د. احمد فراج ، دكتور عبد الودود محمد السريتى، طبعة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م مؤسسة الثقافة الجامعية، ص ٢٣.

النوع الثانى: وهو محل اتفاق جمهور المسلمين وهو الاجماع والقياس فقد خالف فى الاجماع النظام من المعتزلة وبعض الخوارج ، وخالف فى القياس الجعفرية والظاهرية.

النوع الثالث: وهو محل اختلاف بين العلماء حتى بين جمهورهم الذين قالوا بالقياس وهذا النوع يشمل ، العرف والاستصحاب والاستحسان والمصالح المرسلة وشرع من قبلنا ومذهب الصحابى فمن العلماء من اعتبر هذا النوع من مصادر التشريع ومنهم من لم يعتبره.

التقسيم الثانى:

الأدلة من حيث رجوعها الى النقل أو الرأى وتنقسم إلى قسمين نقلية وعقلية.

النوع الأول: الأدلة النقلية: وهى التى يكون طريقها النقل ، ولادخل للمجتهد فى تكوينها وايجادها ، وعمله قاصر على فهم الاحكام منها بعد ثبوتها ، وهى الكتاب والسنة والاجماع والعرف ومثلها قول الصحابى وشرع من قبلنا عند من جعلها من الأدلة.

النوع الثانى: الأدلة العقلية: وهى التى يكون للعقل دخل فى تكوينها أو بعبارة أخرى ، هى التى يكون للمجتهد عمل فى تكوينها ، وهى القياس والاستحسان والمصالح المرسلة ، فالقياس يوجد بصنع المجتهد فهو الذى يبحث فى الأصل وعلة الحكم فيه ووجودها فى الفرع ومساواة الفرع للأصل فى تلك العلة ، ثم بعد ذلك يحكم بالمساواة أو التعدية على الخلاف فى التعبير فى تعريفه. والاستحسان والمصالح المرسلة كذلك.

وهذا التقسيم بالنظر إلى اصول الادلة وذاتها ، أما بالنظر إلى الاستدلال بها فكل واحد من النوعين لايستغنى فى دلالته على الحكم عن الآخر[1].

---

(١) يقول الامام الشاطبى: الادلة الشرعية ضربان ، أحدهما مايرجع إلى النقل ، والثانى ما يرجع إلى الرأى ،هذه القسمة بالنسبة لاصول الادلة والا نكل واحد من الضربين مفتقر إلى (=)

وبعد هذا التمهيد: اشير بايجاز إلى تعريف هذه الأدلة التى تثبت أن الشريعة الاسلامية نزلت لتقرير أحكام الوقائع ، فلا واقعة إلا لها حكم مدلول عليه بالنص أو بأصل من الاصول المستمدة من النصوص.

اما الاحكام المستفادة من النصوص ، فهى الاحكام المأخوذة من الكتاب والسنة كتحريم الميسر ، ومنع القاضى من أن يقضى وهو غضبان ، وجواز الشفعة للشريك.

وأما الاحكام المدلول عليها بأصول عامة فيستبين أمرها بالنظر فى هذه الأصول ويتضح لنا منها أن الشريعة الإسلامية لاتدع واقعة من غير حكم وكيف تتحرى بالامة أرشد طرق المدينة وأعدل نظم القضاء ، واحتواء الشريعة على اصول عامة وتناول الاصول لما لايتناهى من الوقائع مما يزيدنا تفقها فى قوله -ﷺ- «بعثت بجوامع الكلم»(١).

ويضع فى أيدينا معجزة مازال كثير من الناس عنها فى غطاء وهى شريعة سمحة حكيمة تتناول كل ما يمكن تصوره من الحوادث على تباعد المواطن واختلاف الاجيال وما جاءت على هذا النحو إلا لأن رسالة المبعوث بها عامة كما قال الله تعالى: ﴿وما ارسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾(٢).

وكما يقول شيخ الاسلام محمد الخضر حسين: «ونحن نعلم أن الالفاظ وضعت للدلالة على مافى النفس فمتى أتى المتكلم بلفظ - شأنه أن يدل على مافى نفسه ويستبين منه المخاطبون قصده ، وقف عنده سواء كانت دلالته بالمنطوق أو المفهوم ، أو بمقتضى المعنى أو بقرينة حال أو عادة مطردة ، ويكفى الخطاب الموجه إلى الناس كافة أن يفهمه القوم المستنيرون منهم ، وهم الذين يبلغون سائر الطبقات

(=) الآخر لان الاستدلال بالمنقول لابد فيه من النظر ، كما أن الرأى لايعتبر شرعا الا اذا استند الى النقل. الموافقات، جـ٣ ص ٤١، اصول الفقه الاسلامى، أ.د. عبد المجيد محمود مطلوب، طبعة ١٤١١هـ - ١٩٩١م، دار النهضة العربية، ص ٤٦.

(١) الجامع الصغير، جـ١ ص ١٢٦ ، تيسير الوصول إلى جامع الاصول من حديث الرسول لعبد الرحمن بن على المعروف بابن الربيع الشيبانى، جـ٣ ص ٣٩٧ ، مؤسسة الحلبى وشركاه.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٢٨.

مافيه من أحكام وحكمه وإذا كان هذا شأن المتكلم بلغة العرب بل شأن المتكلمين بالسنة غيرها فيما يظهر. فمن حكمه الشريعة العامة الخالدة أن تسلكه فى ارشادها وفيما تسنه من أحكام لاتنقضى وقائعها[١].

ترتيب الأدلة:

مما مضى اتضح لى ان هناك ادلة شرعية متفق عليها وادلة شرعية أخرى مختلف فيها وعند النظر نجد أن الادلة الشرعية محصورة فى الكتاب والسنة لأن الادلة الثابتة لم تثبت بالعقل ، وانما ثبتت بالكتاب والسنة إذ بهما قامت ادلة يصح الاعتماد عليها فيكون الكتاب والسنة مرجع الاحكام ومستندها.

وعلى هذا فكتاب الله تعالى[٢]، هو أصل الاصول ومصدر المصادر ومرجع

---

(١) الشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان لشيخ الاسلام محمد الخضرى حسين، تقديم وتحقيق د. محمد عمارة، نهضة مصر للطباعة والنشر، ص ٣٧.

(٢) كتاب الله هو القرآن الكريم. وهو المصدر الاول من مصادر التشريع. والقرآن فى اللغة/ مصدر قرأ بمعنى القراءة ، يقال قرأ قراءة وقرآنا ومنه قوله تعالى: ﴿لاتحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه﴾ سورة القيامة الآية: ١٦ وما بعدها ، يراجع المعجم الوسيط، جـ٢ ص ٧٥٠ ومادة قرأ.

ولقد فسر الكتاب بالقرآن وجعل تعريفا لفظيا له كما يقول الاصوليين وقد سماه الله كتابا وقرآنا فى آيات كثيرة فسمى قرآنا لكونه متلوا ، وكتابا لكونه مدونا بالاقلام حتى قال العلماء: انهما مترادفان عرفا. أى لفظان يدلان على معنى واحد وفى هذا اشارة إلى حفظه فى موضعين الصدور والسطور فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه ، كما لاثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحافظ بالاسناد الصحيح المتواتر.

والقرآن الكريم غنى عن التعريف بهو أشهر من أن يعرف إلا أنه جرت العادة ان يعرفه العلماء وذلك ليتضح مع التعريف أهم خصائصه التى تميزه عن غيره من الكتب السماوية الأخرى أو من كتب البشر.

والقرآن الكريم له تعريفات كثيرة أشهرها واكثرها وضوحا أن القرآن هو «الكلام المعجز المنزل على النبى - ﷺ - المكتوب فى المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته»، الاحكام للآمدى، جـ١ ص ٢٨٨ ، المستصفى للغزالى، جـ١ ص ٦٥ ، التقرير والتحبير، جـ٢ ص ١٣.

ويهمنى هنا الاشارة إلى مايلى:

حجية القرآن:

أجمعت الأمة الإسلامية على أن القرآن حجة الله البالغة وهو المصدر الأول للتشريع ، فاذا نص على حكم وجب العمل به والاخذ بمقتضاه، والقرآن الكريم فضلا عن أنه هو المصدر (=)

الأدلة جميعا.

فمن البديهى أن يكون مقدما عليها فى الرجوع إليه عند ارادة معرفة الحكم الشرعى. وهذا يستلزم بيان اسلوب القرآن فى بيان الاحكام

(-) الأول للتشريع فانه كذلك الاصل الوحيد لكل المصادر الاخرى ، فمن القرآن الكريم علمنا أن السنة مصدر للتشريع حيث يقول الله تعالى: ﴿وما أتاكم الرسول فخذوه ومانهكم عنه فانتهوا﴾، سورة فصلات الآيتان: ٥٣ - ٥٤.

ومن القرآن الكريم علمنا أن الاجماع مصدر للتشريع ، وذلك فى قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله ورسوله﴾، سورة النساء الآية: ٥٩.

فهذه الآية الكريمة تأمر بطاعة الله تعالى بما جاء فى كتابه وتأمر بطاعة رسول الله - ﷺ - بما ورد فى سنته ، وتأمر بطاعة أولى الأمر وهم اهل الحل والعقد إذا أجمعوا على شئ فيجب العمل بما اجمعوا به.

كما أنها تشير إلى القياس ﴿فان تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله ورسوله﴾.
والرد اليهما يكون بالرد إلى الكتاب والسنة وبالقياس عليهما.

دلالة القرآن على الأحكام:

دلالة القرآن على الاحكام إما أن تكون قطعية وذلك إذا كان النص دالا على المعنى ولايحتمل أى معنى آخر ، وأمثلة ذلك كثيرة جدا فى القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ فان النص قطعى الدلالة أى دال قطعا على فرضية الصلاة وفرضية الزكاة ومثل ذلك قوله تعالى ﴿كتب عليكم الصيام﴾، وغير ذلك من الايات التى بها الفاظ خاصة مثل الفاظ العدد مثل قوله تعالى: ﴿ولكم نصيب ما ترك ازواجكم﴾، وقد تكون دلالة النص القرآنى على الحكم دلالة ظنية إذا كان النص يحتمل أكثر من معنى مثل قوله تعالى: ﴿حافظوا على الصلاوات والصلاة والوسطى﴾ فكلمة الوسطى تحتمل أكثر من معنى ومن هنا اختلف الصحابة فى المراد منها.

ومثل كلمة «اللغو» الواردة فى قوله تعالى: ﴿لايؤاخذكم الله باللغو فى إيمانكم﴾، سورة المائدة الآية: ٨٩.

فقد اختلف العلماء فى المعنى المقصود منها فبعضهم حملها على معنى الحلف الذى لايقصد به توكيد الكلام مثل بعض الالفاظ التى تجرى على السنة بعض الناس ، وحملها بعضهم على حلف الانسان على شئ يظنه كما وقع فيتبين خلافه.

وكذلك كلمة «سلطانا» الواردة فى قوله تعالى: ﴿فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل﴾، سورة الاسراء الآية: ٣٣.

فقد يكون المعنى المراد منها هو التسليط فى القتل خاصة ، وقد يكون المعنى هو التسليط فى القتل أو العفو أو أخذ الدية وهكذا، مصادر التشريع الاسلامى، ص ٣٦.

أسلوب القرآن في بيان الأحكام:

القرآن الكريم معجز للبشر جميعا ومن جوانب اعجازه الذى يظهر بوضوح تناوله للاحكام فقد سلك القرآن الكريم فى طلب الفعل أو الترك أو التخيير مسلكا حكيما تلين معه القلوب المتحجرة ، ويبعث الرغبة والرهبة فى النفوس فتقبل على الفعل أو الترك طمعا فى المثوبة وخوفا من العقوبة وابتغاء ما عند الله تعالى ، فان تكرار الأمر والنهى يدعو إلى النفور والمخالفة.

لذلك لم يعبر القرآن فى كل مايقتضى الوجوب بلفظ وجب وما اشتق منه ولانى كل مايقتضى التحريم بلفظ حرم وما اشتق منه بل نراه يعبر عن الوجوب بصيغ منها:

١- **الاخبار بأن الفعل مكتوب أو مفروض**، قال تعالى: ﴿**كتب عليكم القصاص فى القتلى**﴾(١)، وقال تعالى: ﴿**قد علمنا ما فرضنا عليهم فى أزواجهم**﴾(٢).

٢- **صريح الأمر** ، قال تعالى: ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿**إن الله يأمركم ان تؤدوا الامانات إلى أهلها**﴾(٤).

٣- **ترتيب الخير على الفعل فى الدنيا أو الآخرة** ، قال تعالى: ﴿**ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب**﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿**من عمل صالحا من ذكر وأنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب**﴾(٦).

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٧٨.
(٢) سورة الاحزاب الآية: ٥٠.
(٣) سورة التوبة الآية: ١٠٣
(٤) سورة النساء الآية: ٥٨.
(٥) سورة الطلاق الآية: ٢ ، ٣.
(٦) سورة البقرة الآية: ٢٤٣.

٤- الإخبار بأن الفعل على الناس عامة أو على طائفة خاصة ، قال تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف﴾(٢).

٥- الوعيد على ترك الفعل ، مثل قوله تعالى بعد بيان أحكام الميراث: ﴿تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين﴾(٣).

وتراه يعبر عن المحرم أيضا بصيغ كثيرة منها:

١- صريح النهى أو صيغة الأمر بالترك ، قال تعالى: ﴿ولاتقربوا الزنا﴾(٤). وقال تعالى: ﴿وذروا ظاهر الإثم وباطنه﴾(٥).

٢- الاخبار بأن الفعل شر ، قال تعالى: ﴿ولايحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خير لهم هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾(٦).

٣- صريح التحريم ، قال تعالى: ﴿حرمت عليكم الميتة﴾(٧).

٤- ذكر الفعل مقرونا باستحقاق الاثم أو الوعيد ، قال تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جنهم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما﴾(٨).

---

(١) سورة آل عمران الآية: ٩٧.
(٢) سورة البقرة الآية: ٢٣٢.
(٣) سورة النساء الآية: ١٣ ، ١٤.
(٤) سورة الإسراء الآية: ٣٢.
(٥) سورة الانعام الآية: ١٢٠.
(٦) سورة آل عمران الآية: ١٨٠.
(٧) سورة المائدة الآية: ٣.
(٨) سورة النساء الآية: ٩٣.

٥- نفى الفعل أو الحل ، قال تعالى: ﴿لايحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن﴾[١].

كذلك نجد أن للتخيير صيغا منها:

نفى الحرج أو الاثم أو الجناح ، قال تعالى: **﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾**[٢]، وقال تعالى: **﴿ولاجناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء﴾**[٣]، وقال تعالى: **﴿وأذكروا الله فى أيام معدودات فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه﴾**[٤].

فقد أفادت الآية الأولى وهى ليس على الأعمى حرج ، رفع الحرج عن ترك الجهاد وأبيح التخلف بالنسبة لهؤلاء صراحة ، ويبين ذلك ما ذكره المفسرون فى سبب نزول الآية من أن جماعة من الاعراب تخلفوا عن السير مع النبى - ﷺ- عام الحديبية فنعى الله تعالى عليهم ذلك فى عدة آيات ثم نفى الحرج عن هذه الأصناف فى الآية فأباح لهم التخلف عن الغزو لما بهم من العذر والعاهة.

وقد أفادت الاية الثانية **﴿لاجناح عليكم﴾** إباحة التعريض بخطبة المتوفى عنها زوجها أثناء العدة ، والتعريض هو إفهام المعنى بالشئ المحتمل له والغيرة، وقد افادت الآية الثالثة إباحة التعجيل لأنها رفعت الإثم عن الفعل وضده معا وهو التأخير وخيرت بين التعجيل والتأخير برفع العقاب عن كل منهما[٥]. وقد يكون التعبير عنه بالانكار على من حرمه مثل قوله تعالى: **﴿قل من حرم زينة الله التى اخرج لعبادةوالطيبات من الرزق﴾**[٦].

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٨٨.

(٢) سورة الفتح الآية: ٧.

(٣) سورة البقرة الآية: ٣٥.

(٤) سورة البقرة الآية: ٢٠٣.

(٥) ويراجع ، روح المعانى للألوسى، جـ٢٦ ص ٥ وما بعدها ، الجامع لاحكام القرآن للقرطبى، جـ٣ ص ١٨٨

(٦) سورة الاعراف الآية: ٣٢.

فاذا لم يوجد الحكم فى القرآن الكريم وجب الرجوع إلى السنة النبوية[١].

لأن السنة مبينة للكتاب وشارحة لمعانية[٢] فكان من البديهى الرجوع اليها عند عدم وجود الحكم فى الكتاب.

---

(١) **السنة فى اللغة هى الطريقة**، مختار الصحاح، ص ٣١٧ ، وفى الاصطلاح ما صدر عن رسول الله - ﷺ - من قول أو فعل أو تقرير، سبل السلام، جـ٤ ص ٢٧ ، وعلى هذا فالسنة ثلاثة أنواع «سنة قولية ، وسنة فعلية ، وسنة تقريرية».

فالسنة القولية: هى مانطق به - ﷺ - من الاحاديث النبوية كقوله - ﷺ -: «هو الطهور ماؤه الحلال ميتته» مسلم الثبوت، جـ٢ ص ٩٧ ، وقوله: «لاتنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها»، صحيح مسلم، جـ٢ ص ١٠٢٩.

السنة الفعلية: أو هى كل ماصدر عن النبى - ﷺ - من افعال يقصد بها التشريع مثل مانقل عنه من هيئة الصلاة واركانها وعدد ركعاتها وصفة الوضوء وكيفية أعمال الحج وقطع يد السارق اليمنى، سبل السلام، جـ٤ ص ٢٧.

السنة التقريرية: وهى سكوته - ﷺ - عن انكار فعل أو قول وقع فى حضرته أو غيبته وعلم به أو بموافقته واظهار استحسانه، الموافقات للشاطبى، جـ٤ ص ٣٩.

(٢) عند مقارنة الاحكام التى وردت فى السنة بما جاءت فى القرآن الكريم سوف يتضح لى أن الأحكام الواردة فى السنة قد تأتى مبينة وشارحة لما جاء فى القرآن الكريم وقد تأتى مؤكدة له ، أو مستقلة بانشاء حكم شرعى لم يرد فى القرآن.

فأنواعها فى هذا المجال ثلاثة أنواع: «شارحه - مؤكدة - مستقلة»، اصول الفقه للشيخ أبو زهرة ص ٨٧ ، علم اصول الفقه للاستاذ الكبير/ احمد ابراهيم بك، طبعة دار النصار، ص ٢١ وما بعدها.

واشير باختصار إلى هذه الأنواع:

النوع الأول: السنة الشارحة لما جاد فى القرآن:

وهى تلك التى تشرح الأمور المجملة التى وردت فى القرآن الكريم ، حيث ورد به نصوص كثيرة تحتاج إلى ايضاح ومزيد بيان ، فجاءت السنة وتعهدت بالايضاح والشرح والبيان وقد تنوعت بالنسبة لهذا الاعتبار إلى:

أ- السنة المبينة لمجمل الكتاب: كالأحاديث الواردة فى بيان الأموال التى يجب فيها الزكاة ، والأموال التى لاتجب فيها ، والمقدار الواجب إخراجه ، والأحاديث التى بينت مواقيت الصلاة واعزاز ركعاتها.

فهذه الأحاديث تعتبر مبينة للاجمال الموجودة فى قوله تعالى: ﴿**وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة**﴾.

ب- السنة الموضحة لما أشكل فهمه فى القرآن: مثل قوله تعالى: ﴿**حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر**﴾ فقد حمل بعض الصحابة الخيط على ظاهره ، فجاءت السنة ووضحت أن المراد من الخيط الأبيض والخيط الأسود (=)

وكل ما جاء به الرسول واجب علينا الأخذ به لأنه شرع كالذى جاء به القرآن،

(=) إنما هو الليل والنهار فقد روى عدى بن حاتم انه لما ترى ﴿حتى يتبين لكن الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾ قال الرسول -ﷺ- يارسول الله أنى أجعل تحت وسادتى عقالين ، عقالا ابيض وعقالا اسود أعرف الليل من النهار ، فقال الرسول -ﷺ-: «إن وسادتك لعريض ، إنما هم سواد الليل وبياض النها» ، صحيح مسلم، جـ٢ ص ٧٦٦.

جـ السنة المخصصة لعام القرآن: كقوله -ﷺ-: «لاتنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها» ، صحيح مسلم، جـ٢ ص ١٠٢٩ ، فقد خصصت العموم الوارد فى قوله تعالى: ﴿وأحل لكم ما وراء ذلكم﴾، سورة النساء الآية: ٢٤.، فالآية تفيد حل ما وراء من ذكر من المحرمات فى أول الآية والتى قبلها فجاءت السنة وخصصت هذا العموم وقصرته على بعض أفراده.

د- السنة المقيدة لمطلق الكتاب: مثالها السنة المثبتة قطعه -ﷺ- ليد السارق اليمنى ، فقد قيدت الإطلاق الوارد فى لفظ اليد فى قوله تعالى: ﴿السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾،سورة المائدة الآية: ٣٧.

لأن لفظ اليد مطلق فى الآية غير مقيد بكونها اليمين أو الشمال ، فجاءت السنة وقيدت هذا الاطلاق بكون المقطوعة هى اليمين ، كما أن السنة قيدت القطع بكونه من الكوع وهو فى الآية لم يقيد بموضوع خاص.

النوع الثانى: السنة المؤكدة:

وهى التى تتضمن أحكامها مطابقة لاحكام القرآن كالاحاديث الدالة على وجوب الصلاة والصوم والزكاة والحج وهى كثيرة منها قوله -ﷺ-: «بنى الاسلام على خمس ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا» ، صحيح مسلم، جـ١ ص ٤٥ ، فان هذا الحديث موافق ومؤكد لما ورد فى القرآن الكريم من آيات فى هذا الشأن حيث يقول تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ وقوله ﴿ولله على الناس حج البيت﴾ وقوله ﴿كتب عليكم الصيام﴾ وقوله ﴿شهد الله أن لا إله إلا هو﴾ وقوله ﴿محمد رسول الله﴾.

النوع الثالث: السنة المستقلة:

هى التى استقلت باحكام شرعية لم يرد ذكرها فى الكتاب بل أتت بها السنة إبتداء مثل ذلك ثبوت الميراث للجدة ، فقد دل عليه ما روى ان الجدة ذهبت إلى أبى بكر رضى الله عنه تطلب الميراث ، فقال لها مالك فى كتاب الله شئ وما علمه لك فى سنة رسول الله -ﷺ- شيئا «لم يكن قد بلغه الحديث» فارجعى حتى أسأل الناس ، فسأل الناس ، فقال المغيرة بن شعبة حضرت رسول الله -ﷺ- وقد اعطاها السدس فقال هل معك غيرك ، فقام محمد بن مسلمة الانصارى فقال مثل ما قال المغيرة بن شعبة فأنفذه لها أبو بكر، سنن ابن ماحة، جـ٢ ص ٩٠٩ ، فحكم ميراث الجدة لم يرد فى القرآن وإنما ستقلت به السنة، أنظر فيما تقدم الموافقات للشاطبى، جـ٤ ص ٩ وما بعدها.

وان كان فى المرتبة الثانية بالنسبة لكتاب الله وليس هو كالمذكرات الايضاحية لمشروعات القوانين ولا كأحكام المحاكم ولا كأقوال الشراح بل هو جزء متمم لقانون الشرع الاسلامى الاصلى وهو القرآن الكريم فكلاهما شرع يجب اتباعه والعمل به ، قال تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[١]، وقال تعالى: ﴿لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة﴾[٢][٣].

وبالتالي يكون الكتاب والسنة مرجع الأحكام ومستندهما من جهتين:

الأولى: جهة دلالتهما على الاحكام الجزئية الفرعية كأحكام الزكاة والبيوع والعقوبات ونحوها.

الثانية: دلالتهما على القواعد والأصول التى تستند اليها الأحكام الجزئية الفرعية ، كدلالتهما على أن الاجماع حجة وأصل للأحكام ، وكذا القياس وشرع من قبلنا ونحو ذلك ثم أن مرجع السنة إلى الكتاب وذلك من وجهين.

الوجه الأول:

أن العمل بالسنة والاعتماد عليها واستنباط الأحكام منها انما دل على ذلك القرآن الكريم قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾[٤].

وقوله تعالى فى مواضع كثيرة: ﴿واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا﴾[٥].

وتكراره يدل على عموم طاعته ، سواء كان ما أتى به مما فى الكتاب أو مما ليس فيه نصوص اخرى تفيد هذا المعنى مثل قوله تعالى: ﴿وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[٦].

---

(١) سورة الحشر الآية: ٧.
(٢) سورة الاحزاب الآية: ٢١.
(٣) علم اصول الفقه للاستاذ الكبير/ احمد ابراهيم بك، ص ٢٢.
(٤) سورة النساء الآية: ٥٩.
(٥) سورة المائدة الآية: ٩٢ ، سورة التغابن الآية: ١٢.
(٦) سورة الحشر الآية: ٧.

وقوله تعالى: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم﴾(١).

الوجه الثانى:

أن السنة أنما جاءت لبيان الكتاب الكريم وشرح معانيه بدليل قوله تعالى: ﴿وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك﴾(٣).

والتبليغ يشمل تبليغ الكتاب وبيان معانيه فالسنة بيان للكتاب وشارحة لمعانية ومفصلة لمجمله.

وعلى هذا فكتاب الله تعالى ، هو أصل الأصول ومصدر المصادر ومرجع الأدلة جميعا(٤).

فاذا لم يوجد الحكم فى السنة النبوية الشريفة لزم الرجوع إلى الاجماع(٥).

---

(١) سورة النور الآية: ٦٣.

(٢) سورة النحل الآية: ٤٤.

(٣) سورة المائدة الآية: ٦٧.

(٤) اصول الفقه الإسلامى، أ.د. احمد فراج حسين، ص ٢٧.

(٥) عرفه علماءاصول الفقه والاجتماع بانه إتفاق المجتهدين من أمة محمد - ﷺ - فى عصر من العصور على حكم شرعى فى واقعة بعد وفاة الرسول - ﷺ - الاحكام للآمدى، جـ١ ص ١٤٨ ، كشف الاسرار شرح اصول الامام عز الاسلام، جـ٣ ص ٩٤٦.

شرح التعريف وبيان محترزاته:

إتفاق جنس فى التعريف يتناول كل إتفاق سواء كان من الكل أو من البعض ، وسواء كان من المجتهدين وحدهما ومن غيرهم فقط أو منهم ومن غيرهم فيخرج عنه الاختلاف ، كما يخرج عنه قول المجتهد الواحد اذا انفرد فى عصر من العصور وانحصر الاجتهاد فيه فانه لايكون اجماعا على ارجع الأقوال، الاحكام للآمدى، جـ١ ص ١٧٤.

المجتهدين يخرج به اتفاق بعض المجتهدين على الأمر دون البعض الآخر لأن العصمة للجميع فلا يعتبر اتفاق مجتهدى بلد واحد اجماعا إذ ليسوا مجتهدى الامة.

ويرى بعض العلماء مثل الطبرى واحمد بن حنبل فى إحدى الروايتين أن إتفاق اكثر المجتهدين مع ندرة المخالف كواحد أو إثنين يعتبر اجماعا ، لأن الظاهر إصابة السودا الأعظم.(=)

وهو المصدر الثالث من مصادر الشريعة الإسلامية.
لأن مستند الاجماع نص من الكتاب أو السنة[1].

(=) مسلم الثبوت، جـ٢ ص ٣٢١، وقال مالك ينعقد الاجماع باتفاق أهل المدينة وذلك لان المدينة هي الجامعة للعلماء، المستصفى للغزالي، جـ١ ص ١٧٨.
* أمة محمد - ﷺ - يخرج بها اتفاق المجتهدين من الأمم السابقة كامة اليهود والنصارى في عصر من العصور قيد لدفع توهم ان الاجماع لايتحقق إلا باتفاق المجتهدين فى جميع العصور أى من عصر النبى إلى ان يرث الله الأرض ومن عليها، إذ بهذا المعنى لايمكن ان يتحقق اجماعا حتى تنتهى الدنيا وأيضا لابطال ما ذهب إليه أهل الظاهر من عدم الاجماع بمعناه بعد عصر الصحابة، اصول الفقه الاسلامى، أ.د. عبد المجيد محمود مطلوب، طبعة ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ص١٥٦.
* وعلى حكم شرعى أى أن يكون ما اجمعوا عليه حكما شرعيا قابلا للاجتهاد كالحل أو الحرمة أو الصحة أو الفساد ونحوها ، أما اذا كان مجمل الاتفاق ليس بحكم شرعى كاتفاق على بعض الأحكام العقلية ، واتفاق علماء اللغة على بعض الأحكام اللغوية فان كل ذلك لايسمى اجماعا بالمعنى المراد عند علماء الأصول ، لأن الاجماع مصدر من مصادر التشريع ، فلا بد من كون محله حكما شرعيا.
* بعد وفاة الرسول - ﷺ - قيد لاخراج الاجماع فى عصر الرسول إذ لا اعتبار به لأن الرسول - ﷺ - هو المرجع التشريعى وحده لنزول الوحى عليه ، فلو إتفق الفقهاء على حكم فى عهد الرسول ووافقهم عليه ، كان ذلك سنة تقريبية وإن خالفهم فيه فلا عبرة باتفاقهم.

أنواع الأجماع:
يتنوع الاجماع باعتبار كيفية حصوله إلى نوعين: النوع الأول: الاجماع الصريح والنوع الثانى الاجماع السكوتى.
فالاجماع الصريح: أن تتفق آراء المجتهدين جميعا فى زمن ما على الحكم فى مسألة بابداء كل واحد منهم رأيه صراحة ، وذلك كأن يجتمع اهل الاجتهاد فى مجلس واحد وتطرح عليهم المسألة التى يراد معرفة الحكم فيها فتتفق كلمتهم على حكم فى تلك المسألة.
والاجماع السكوتى: أن يبدى بعض المجتهدين رأيه فى مسألة من المسائل ويعلم به باقى المجتهدين فى عصره ، فيسكتون ولايكون منهم اعتراف ولا انكار صراحة ولايعتبر هذا اجماعا سكوتيا الا اذا توافرت الامور الآتية:
١- ان يكون السكوت مجردا عن علاقة تدل على الموافقة أو المخالفة.
٢- ان يكون ذلك السكوت بعد مضى فترة كافية للبحث فى المسألة وتكوين الرأى فيها عادة.
٣- ان تكون المسألة من المسائل التى يجوز الاجتهاد فيها وهى التى يكون الدليل الوارد فيها ظنيا.

(١) حجية الاجماع: معنى كون الاجماع حجة شرعية هو أن الشارع جعله دليلا يستدل به على حكم الشرعى وإننا مطالبون باثبات الاحكام الشرعية به كالكتاب والسنة. (=)

فـان لم يكن فى المسـألة المطلوب بيـان حكمـهـا إجـمـاع وجب الرجـوع إلى القياس(١).

(=) وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن الاجماع حجة شرعية فى أى عصر من العصور ، فاذا اجمع المجتـهـدون من الامة على حكم شرعى تعين على جـمـيع المسلمين الاخـذ بهـذا الحكم، والمستصفى للغزالى، جـ١ ص ١٨٧.

وقد استدل العلماء على حجية الاجماع بالكتاب والسنة:

أما الكتاب: فمنه قوله تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾، سورة النساء الآية: ١٢٥ ، ووجه الاستدلال بهذه الآية الكريمة ان سبيل المؤمنين هو ما يتفقون عليه ويجمعون على الاخذ به فمتى تحقق مثل هذا الاجماع فانه يحرم اتباع سبيل غيره كما صرح بذلك القرآن الكريم، فتاوى ابن تيمية، جـ١٩ ص ١٧٨.

وأما السنة: فمنها ما روى عن النبى - ﷺ - أنه قال: «لاتجتمع أمتى على ضلالة»، سنن بن ماجة، جـ٢ ص ١٣٠٣. وقوله - ﷺ -: «ما رآه المسلمون حسن فهو عند الله حسن»، الفتح الربانى لترتيب الإمام أحمد، جـ٢٢، ص ١٧٠.

مستند الاجماع: ذهب العلماء إلى أن الاجماع لابد أن يكون له مستند من كتاب الله تعالى أو من سنة رسول - ﷺ - سواء أنقل إلينا هذا المستند أو لم ينقل ، ومن الإجماع المستند إلى القرآن ، الاجماع على تحريم الزواج بالجدة استنادا إلى قوله تعالى: ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾ أى اصولكم فان الجدة أم ، ومن الاجماع المستند إلى السنة ، اجماع الصحابة على توريث الجدة السدس ، إستناداد إلى ما رواه المغيرة بن شعبة عن رسول الله - ﷺ - ، وقد اختلف العلماء فى جواز استناد الاجماع إلى القياس ، فرأى بعضهم عدم صلاحيته مستندا للاجماع مطلقا ، ورأى فريق آخر أن القياس يصلح مستندا للاجماع.

(١) القياس فى اللغة هو التقدير وفى الاصطلاح له تعريفات متعددة كلها تدور حول معنى واحد أنه إلحاق فرع باصل فى حكمه للتساوى بينهما في العلة ويتبين من هذا التعريف أن للقياس أربعة أركان هى:

الأول: الأمر المقيس أو المشبه به ، ويسمى الأصل.

الثانى: الأمر المقيس أو المشبه ويسمى الفرع.

الثالث: حكم الاصل الذى يراد بيان مساواة الفرع للأصل فيه.

الرابع: العلة التى إن بنى عليها تشريع الحكم فى الاصل ، ويتساوى معه الفرع فيه ويسمى جامعا، المصباح المنير، أو هو الحاق أمر لم يرد حكمه فى الكتاب أو السنة أو الاجماع بأمر ورد حكمه فى احدها لاشتراكهما فى علة الحكم التى لاتدرك بمجرد فهم اللغة، اصول الفقه الاسلامى، أ.د. عبد المجيد مطلوب، ص ١٧٩.

وتوضيحات لهذه الأركان فاننا نسوق المثال التالى:

حرم الله تبارك وتعالى الخمر بقوله سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه﴾ (=)

وعلى هذا الترتيب اتفق جمهور الفقهاء القائلين بحجية الاجماع والقياس[١].

(=) لعلكم تفلحون﴾، سورة المائدة الآية، ٩٠. والخمر عند الفقهاء هي عصير العنب غير المطبوخ ، اذا ترك حتى غلا واشتد وقذف بزبده أي رغوته ، فنبيذ غير العنب من البلح أو الشعير أو نحوهما ، إذا لم يرد عن الشارع حكم فيه بالحل أو الحرمة ، يحكم بحرمته قياسا على الخمر، لاشتراكهما في العلة التي كانت سببا في تحريم الخمر وهي الاسكار.

فالخمر أصل منصوص على حكمه ، وهو المقيس عليه ، والنبيذ فرع غير منصوص على حكمه ، وهو المقيس.

والحرمة حكم مثبت في الأصل وهو الخمر ويراد تعديته إلى الفرع ، والأسكار علة إن بني عليها تحريم الخمر وموجودة في الفرع وهو النبيذ ، فكانت علة في تحريمه.

(١) حجية القياس:

القياس حجة شرعية عند جمهور الفقهاء ومصدر من مصادر التشريع الإسلامي والأدلة على حجية القياس عديدة ، فمن القرآن قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير أحسن تأويلا﴾.

فهذا أمر من الله سبحانه برد الأمر المتنازع عليه إلى الله ورسوله ، ولاشك أن القياس هذا الأمر على أمر قد جاء حكمه عن الله ورسوله لتساويهما في العلة التي إن بني عليها الحكم يعتبر ردا إلى الله ورسوله.

وقال تعالى: ﴿أفلا لايتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ، وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا﴾، سورة محمد الآية: ٢٤.

فالآية الأولى دليل على وجوب التدبير وعلى ابطال التقليد وعلى اثبات الاجتهاد لأن قوله تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ إنكار على عدم التدبر فهى حث عليه.

أما الاستنباط المنصوص عليه في الآية الثانية فيراد منه استخراج الاحكام الجزئية ، من اصول الشريعة وأدلتها الكلية ، وادلة حجية القياس من السنة ما روى أن الرسول -ﷺ- وسلم قال لمعاذ بن جبل حين أرسله إلى اليمن ، بما تقضى قال بكتاب الله ، قال فبسنة رسول الله ، قال فان لم تجد اجتهد رأيي لا ألو ، فضرب رسول الله -ﷺ- على صدر معاذ بيده الشريفة وقال الحمد لله وفق رسول الله إلى ما يرضى الله ورسوله، سنن الترمذى، جـ٢ ص ٣٩٤ ، هذا وقد اجمع الصحابة على الاحتجاج بالقياس فقد اختاروا أبا بكر خليفة لرسول الله -ﷺ- وقاسوا الامامة الدنيوية على الامامة الدينية في الصلاة الثابتة لأبي بكر بأنابة الرسول له فيها . . . (=)

وقد دل على هذا الترتيب الذى ذهب اليه الجمهور آثار كثيرة منها:

١- أن رسول الله - ﷺ- قال لمعاذ عندما ارسله إلى اليمن كيف تقضى اذا عرض للك قضاء؟ قال: أقضى بكتاب الله قال فان لم تجد ، قال اقضى بسنة رسول الله - ﷺ-. قال فان لم تجد فى سنة رسول الله ولافى كتاب الله؟ قال اجتهد برأى ولا آلو ، فضرب رسول الله - ﷺ- على صدره وقال الحمد لله الذى وفق رسول الله لما يرضى رسول الله[1].

(=) وقالوا «رضى رسول الله لديننا أفلا نرضاه لدنيانا ، وها هو ابو بكر يقول ان يكن صوابا فمن الله وإن يكن خطأ فمنى واستغفر الله ، وهذا عمر يقول كتابه قل هذا ما رأي عمر فان يكون صوابا فمن الله وإن يكن خطأ فمن عمر».

وقاس ابن عباس رضى الله عنهما الجد على ابن الابن فى حجب الاخوة وقال لايتقى الله زيد بن ثابت يجعل ابن الابن ابنا ، ولايجعل ابا الاب ابا ، فكما ان ابن الابن يحجب الاخوة فى الميراث، وهو يتصل بالميت بواسطة الابن، فان الجد يحجبهم ايضا ، لمساواته لابن الابن فى درجة القرب ، حيث يتصل بالميت عن طريق الاب وقاس على حد شارب الخمر على حد القاذف بقوله أنه اذا شرب سكر واذا سكر هذى ، واذا هذى افترى عليه حد المفترى.

فالقياس اصل من اصول الشريعة ، وبه اتسع نطاقها وصارت تتناول من الوقائع ما لايتناهى.

قال الامام احمد بن حنبل: لايستغنى احد عن القياس ، وقال ابراهم النخعى «ماكل شئ نسأل عنه نحفظه ، ولكنا نعرف الشئ بالشئ ونقيس الشئ بالشئ».

وقال الشعبى «إنا نأخذ فى زكاة البقر فيما زاد على الأربعين بالمقاييس».

وقال المزنى «الفقهاء من عصر رسول الله - ﷺ- إلى يومنا استعملوا المقاييس فى الفقه فى جميع الاحكام فى أمر دينهم قال: وأجمعوا أن نظير الحق حق ونظير الباطل باطل. وقال ابن عقيل الحنبلى «قد بلغ التواتر المعنوى عن الصحابة باستعمال القياس وهو قطعى».

وحقق ابو اسحاق الشاطبى أن أصل العادات «ماسوى العبادات» الا التفات إلى المعنى أى أنها معقولة الحكمة واستدل على هذا بأمرين:

أحدهما: الاستقراء ، فقال: إنا وجدنا الشارع قاصدا لمصالح العباد والاحكام العادية تدور معها حيثما دارت ، فترى الشئ الواحد يمنع فى حال لاتكون فيه مصلحة ، فاذا كانت فيه مصلحة جاز.

ثانيهما: أن الشارع توسع فى بيان العلل والحكم فى تشريع باب العادات ، واكثر ما علل بالمناسب الذى اذا عرض على العقول تلقته بالقبول ، ثم قال: ففهمنا من ذلك ان الشارع قصد منها ابتاع المعانى لا الوقوف على النصوص، الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان لشيخ الاسلام/ محمد الخضر حسين، كتيب صغير تقديم وتحقيق د. محمد عمارة، ص ٣٩.

(١) جامع الترمذى، ابى عيسى محمد بن عيسى بن سورة ت ٢٧٩ ، طبعة سنة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠، جـ٢ ص ٣٩٤ ، سنن ابى داود، ابى داود سليمان بن الأشعث السجستانى، ت ٢٧٥هـ. الطبعة الأولى ، مصطفى البابى الحلبى، جـ٢ ص ٢٧٢.

فالنبى - ﷺ - اقر معاذ على الاجتهاد بالرأى اذا لم يجد الحكم فى الكتاب والسنة وماالقياس الاضرب من ضروب الاجتهاد بالرأى.

٢- عن ميمون بن مهران قال: كان ابو بكر الصديق اذا ورد عليه الخصوم نظر فى كتاب الله تعالى. فان وجد فيه مايقضى به قضى به ، وان لم يجد فى كتاب الله. نظر فى سنة رسول الله فان وجد فيها مايقضى به قضى به ، فان اعياه ذلك جمع رؤساء الناس فاستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على شئ قضى به وكان عمر بن الخطاب يفعل ذلك[١].

٣- قال عمر بن الخطاب لشريح قاضيه فى الكوفة اقضى بكات الله فان لم تجد فبقضاء رسول الله - ﷺ - أى سنته فان لم تجد فاقضى بما استبان لك من ائمة المهتدين فان لم تجد فاجتهد رأيك واستشر اهل العلم والصلاح[٢].

ولقد جرى العمل بالقياس لعهد الصحابة رضى الله عنهم ثم التابعين ، وظهر العمل عليه فى العراق لعهد الامام أبى حنيفة وأصحابه اكثر من ظهوره فى الحجاز فاستكثروا منه وبرعوا فيه وما زال الناس يأخذون بالقياس اذا لم يجدوا فى الواقعة نصا حتى جاء ابراهيم بن سيار النظام المتوفى سنة « ٢٢١هـ » فأحدث القول بانكار القياس زاعما الاستغناء عنه بالنظر إلى مايدعونه من وصف الفعل بالحسن أو القبح الذاتين . قال أبو القاسم عبيد ابن عمر فى كتاب القياس: «ما علمت أن أحدا من البصريين ولاغيرهم ممن له نباهه سبق ابراهيم بن سيار النظام إلى القول بنفى القياس والاجتهاد ، ولم يلتفت إليه الجمهور»، وممن خالفه فى ذلك فريق من زعماء المعتزلة كأبى الهزيل وبشر بن المعتمر وبشر المريسى.

وظهر بعد هذا داود بن على الاصبهانى المتوفى سنة « ٢٧٠هـ » ونشأ بظهوره مذهب الظاهرية ، وروى عنه أنه كان ينكر القياس إلا أن يكون جليا وهو مايكون

(١) تاريخ الخلفاء، عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى، ت ٩١١هـ ، الطبعة الرابعة، مطبعة الفجالة الجديدة، ص ٤٢.

(٢) اعلام الموقعين عن رب العالمين، شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية، ت ٧٥١هـ، طبعة طنة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م، جـ١ ص ٥١ ، ٥٢.

المقبس فيه أولى بالحكم من المقيس عليه كتحريم ضرب الوالدين قياسا على التأنيف الثابتة حرمته في قوله تعالى: ﴿فلا تقل لهما أف﴾[١].

وجاء بعد هؤلاء أبو محمد على بن حزم الاندلسى المتوفى سنة «٤٥٦هـ» فوقف في جمود وأنكر أن تكون أحكام الشريعة معللة وبنى على هذا الرأى الجامد إنكار القياس جملة ولم يفرق بين جلى وخفى وبين ماكانت علته منصوصه وماكانت علته مستنبطة.

والناظر فى الشريعة الإسلامية بتدبر ، القائم على سير الائمة المجتهدين بيقظة يدرك أن ابن حزم سار فى غير سبيل واعتمد على غير دليل لأن القياس أصل فى الشريعة أصيل واذا تعرض له نفر بعقول غير راجحة أو بقلوب غير عامرة بالتقوى فاتبعوه وسيلة إلى احكام تتبرأ متها الشريعة[٢].

الأدلة المختلف فيها:

واذا لم يجد الباحث عن الحكم الشرعى للواقعة التى ليس لها حكم ثابت فى الكتاب أو السنة أو الاجماع أو القياس ، فليس معنى ذلك ان الشريعة الاسلامية ليس لديها حكم لهذه الواقعة لأن القول بهذا. يصف شريعتنا بعدم الصلاحية لكل زمان ومكان وهذا قول مردود لأنه يتصل بهذه الأدلة المذكورة اصول اختلفت فيها انظار الائمة كمذهب الصحابى ، وعمل أهل المدينة ، وشرع من قبلنا الذى لم يرد فى شريعتنا ماينسخه ،فان الاخذ بهذه الاصول يرجع إلى التمسك بدليل منقول لايدخل فيه العقل إلا على وجه التفهم كما يدخل فى غيره من نصوص الكتاب والسنة.

واشير باختصار شديد إلى هذه الأدلة بالقدر اللازم لاعطاء فكرة واضحة عن كل مصدر منها دون الدخول فى التفاصيل.

---

(١) سورة الاسراء الآية: ٢٣.

(٢) الشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان، ص ٤٤.

أولا: قول الصحابى:

الصحابى عند أهل الحديث هو من لقى النبى عليه السلام مؤمنا به ومات على الاسلام بشرط أن يكون وقت اللقيا يعقل مايسمع ويعى مايشاهد وان كان صغيرا(١).

وأما الصحابى عند جمهور علماء الأصول(٢)، هو من لقى النبى -ﷺ- وامن به ولازمه مدة كافية لاطلاق وصف الصحبة عرفا ، وقد اشتهر بعض الصحابة بالعلم والاجتهاد وصدر عن هؤلاء الفقهاء والمجتهدين بعد وفاته -ﷺ- فتاوى وحوادث ووقائع استجدت ولم يكن نص عليها ، كما نقل عنهم أحكام فى مسائل فرعية ، فهل تعتبر تلك الفتاوى والاجتهادات والاحكام التى نقلت عنهم ودونت من مصادر التشريع الاسلامى بحيث يتعين على المجتهد أن يرجع إليه قبل أن يلجأ للقياس إذا ما أعوزه النص والاجماع لمعرفة الحكم الشرعى فى مسألة طارئه أولا؟.

ولمعرفة رأى علماء الشريعة اقول:

اتفق العلماء على أن قول الصحابى لايعتبر حجة على صحابى آخر ، لاستوائهما فى المنزلة والصحبة ، ولهذا اختلف الصحابة ، ولم يرا أحدهم أن قوله يكون حجة إلى الآخرين.

واختلفوا فى كونه حجة على التابعين ومن عداهم من المجتهدين فذهب البعض على أنه يكون حجة إذا لم يوجد نص من كتاب ولاسنة ولا إجماع واستدلوا بأدلة منها:

١- قوله تعالى: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار

---

(٢) فتح القدير، فى شرح الهداية للمرغينانى، ت ٥٩٣هـ، الطبعة الأولى، مصطفى البابى الحلبى، ارشاد الفحول للشوكانى، ت ١٢٥٠هـ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ص ٢٤٣ جـ٣ ص ٣٣٠.

(٣) اصول الفقه للامام أبو زهرة، ص ٢٠٥.

والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه﴾[١].

والسابقون هم الصحابة وقد أخبر الله سبحانه أنهقد رضى عنهم وعمن اتبعوهم باحسان بل ومدحهم ، والاخذ باقوالهم والاحتجاج برايهم اتباع لهم ، ومحل للرضى الإلهى.

٢- قوله - ﷺ-: «أنا امان لاصحابى واصحابى أمان لأمتى» ، وقوله: «أصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم» ، وقوله: «خير القرون قرنى ثم الذين يلوهم»[٢].

فهذه الاحاديث وغيرها تدل على رفعة منزلة الصحابة وصحة الاقتضاء بهم لأن النبى آمان لاصحابه يحميهم من الخطأ فى الحكم والصحابة أمان للأمة يهدونها إلى السداد ويحمونها من الزيغ عن هدى الدين ومعنى ذلك انهم موفقون فى اجتهادهم للأمة ورأيهم حجة يطمأن اليه

وذهب البعض إلى أنه ليس بحجة وقد استدلوا بأدلة منها:

١- ان الصحابى ليس معصوما من الخطأ ، فهو مجتهد كغيره من المجتهدين، فيجوز عليه الخطأ ، وامتياز الصحابى بالفضل والعلم والتقوى لايوجب اتباعه على مجتهد آخر.

٢- ان الصحابة كانوا يتهيبون الفتوى ويفترضون الخطأ فيها وهذا ابو بكر حينما سئل عن الكلالة الواردة فى آيات المواريث يقول: «أقول فيها برأيى ، فان يكون صوابا فمن الله ، وان يكن خطأ فمنى ومن الشيطان ، والكلالة ما عدا الوالد والولد».

وهذا عبد الله بن مسعود كان يرى الرأى ويقول إن يكن خطأ فمنى ومن الشيطان وان يكن صوابا فمن الله.

---

(١) سورة التوبة الآية: ١٠٠.

(٢) صحيح مسلم، القاهرة ١٣٨٤هـ جـ٧ ص ١٨٣ ، ١٨٤.

٣- ان الصحابة كانوا يخطئ بعضهم بعضا ، فحين عزم عمر على جلد الزانية الحامل ، قال له معاذ: «إن كان الله قد جعل لك على ظهرها سبيلا ، فما جعل لك على مافى بطنها سبيلا» فقال له عمر «لولا معاذ لهلك عمر»[١]، وحين نهى عن المغالاة فى مهور النساء ردت عليه إمرأة وقالت: ايعطينا الله تعالى بقوله: ﴿وآتيتم إحداهن قنطارا﴾ ويمنعنا عمر ، فقال «اصابت إمرأة وأخطأ عمر»[٢].

٤- ان الصحابة قد اجمعوا على جواز مخالفة كل واحد منهم ، فقد سكت الصحابة على مخالفة التابعين لبعض الصحابة مخالفة ناشئة عن اجتهاد ، وذلك اتفاق من الصحابة على جواز مخالفتهم.

وخلاصة القول:

أن علماء الاصول قسموا قول الصحابة إلى أربعة اقسام هى:

أولا: قول الصحابى الذى ينسب إلى عهد النبى - ﷺ- وذلك بأن يسبق قول الصحابى، كنا نفعل كذا ، أو نقول كذا فى حياة النبى - ﷺ-. ومثل هذا القول حجة بالاتفاق لأنه يلحق بالسنة المروية عن رسول الله ، لان هذا القول لو خالف السنة لانكره سائر الصحابة المتصلين برسول العالمين بسنته وهديه.

ثانيا: قول الصحابى فيما لايدركه العقل ولايعلمه الا بتوقف كقول ام المؤمنين عائشة رضى الله عنها - أن الولد لايمكث فى بطن امه اكثر من سنتين. ولو بدورة مغزل[٣]. فلو لم نقف على هذا الامر من قول أم المؤمنين ماعرفناه بعقولنا ، ومثل هذا القول الذى لامجال للعقل فيه لابد أنه سمع من رسول الله - ﷺ- فيكون فى حكم السنة ، ومانطق عن الهوى ان هو إلا وحى يوحى فهو من

---

(١) الأم، للامام عبد الله محمد ابن ادريس الشافعى، طبعة الشعب، سنة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م، جـ٦ ص ٥٠ ، والمغنى، جـ٨ ص ١٨٢.

(٢) تفسير القرطبى، جـ٥ ص ٩٩ ، طبعة الهيئة المصرية للكتاب.

(٣) وفى رواية لو بظل مغزل كفاية عن البرحة اليسيرة ويروى ولو بفلكة مغزل أى بقدر دوران فلكه مغزل وهى راسه، البحر الرائق، للزيلعى، جـ٣ ص ٤٥

أجل ذلك حجة -وقد اتفق فى ذلك العلماء.

ثالثا: قول الصحابى الذى لم يخالف أحد من الصحابة وهو حجة باتفاق العلماء لأن مثل هذا القول يعد من اجماع الصحابة ، واجماع الصحابة حجة.

رابعا: قول الصحابى الصادر عن اجتهاده ، ولم تتفق عليه كلمة الصحابة حتى يكون اجماعا وهذا محل خلاف بين الفقهاء وقد اشرت إلى هذا الخلاف. وقد اورد الامام الغزالى ان مذهب الصحابى ليس بحجة[١].

المصالح المرسلة[٢]:

من أطمأن قلبه إيمانا بان الشريعة الاسلامية وحى نزل بها الروح الامين على أفضل الخليقة لم يرتب فى انها قائمة على حكمة ، وأن الخير فى الاقتداء بها

(١) المستصفى، لابى حامد محمد بن محمد الغزالى، ت ٥٠٥هـ، الطبعة الأولى، سنة ١٣٢٤هـ بالمطبعة الاميرية ببولاق - مصر، جـ٢ ص ٢٦٠ ، ويراجع، اصل الفقه الاسلامى، أ.د. احمد محمود الشافعى، طبعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، المكتب العربى للطباعة، ص ٢٠٣ ، الشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان، ص ٧٠.

(٢) المصالح جمع مصلحة والمصلحة لغة مأخوذة من المصالح وهى ضد المفاسد ويقال رأى الامام المصلحة فى كذا أى الصلاح ، ونظر فى مصالح الناس وهم من أهل المصالح لا المفاسد. وكلمة مصلحة يراد منها -لغة ما يعود بالخير والنفع ، وكلمة مرسلة بمعنى مطلقة- أو مجردة عن دليل إعتبارها أو الغائها ، تاج العروس، جـ٢ ص ١٨٣.

والمراد بالمصلة المرسلة فى الاصطلاح: هى كل مصلحة لم يقم دليل من الشرع على اعتبارها أو الغائها ، ولكن يحصل من ربط الحكم وبنوه عليه جلب منفعة أو دفع مفسدة ، المستصفى ، جـ١ ص ٢٨٦ ، روضة الناظر لابن قدامة ، ص ٦٨ ، الموافقات للشاطبى، جـ٢ ص ٤.

ومن امثلة المصالح المرسلة المصلحة التى رآها الصحابة فى جمع الصحب المتفرقة التى كتب فيها القرآن فى مصحف واحد.

فحينما عرض عمر على أبو بكر رضى الله عنهما فكرة جمع القرآن قال أبو بكر كيف نفعل أمر لم يفعله رسول الله - ﷺ- فقال عمر هو والله خير.

أى أن هذه الفكرة تحقق مصلحة تتناسب مع مايهدق إليه الشرع الاسلامى من خير العباد ، ومن أعظم هذا الخير المحافظة على الدين ، ومن أمثلتها ايضا المصلحة التى رآها الصحابة فى اتخاذ السجون ، وفى ضرب النقود ونحوها.

والوقوف عند حدودها ، يقطع بهذا كل من صادفت فيه دلائل النبوة فطرة سليمة أو ألمعية ثاقبة ، ويزيد المتفقه فى الشريعة بعد هذا الاعتقاد الذى اقتضاه أصل الايمان أنه يرى حق اليقين كيف قامت اصولها وفصلت أحكامها على رعاية المصالح فى الحياتين العاجلة والآجلة ، ولم يختلف أهل العلم فى أن كل حكم شرعي مربوط بحكمه وأن الحكمة هى التى دعت إلى تقريره ، ومرجع هذا الحكم إلى المصالح والمفاسد ومن هذا الاصل الذى دل على أن الله تعالى قد شرع الاحكام على طريقة جلب المصالح ودرء المفاسد ، نشأت قاعدة المصالح المرسلة.

لانزاع فى بناء الأحكام على المصالح التى قام الدليل الشرعي على رعايتها، ومثال هذا حفظ العقل الذى دل علىّ رعايته تحريم الخمر واقامة الحد على شاربها ، فاذا عرض للمجتهد مطعوم لايسمى خمرا ولكنه يفعل بالعقل ماتفعله الخمر لم يتردد فى تحريمه اخذا بالدليل القائم على اعتداد الشارع بمصلحة حفظ العقل وبنائه بعض الاحكام علي رعايتها ، وهذا هو أصل القياس فى الشريعة ، فانه مبنى على التفقه فى بعض الاحكام المنصوصه ومعرفة قصد الشارع فيها إلى مصلحة بعينها ، حتى اذا وجدت هذه المصلحة فى واقعة اخرى أخذت حكم الواقعة المصرح بها.

ولانزاع فى عدم الاعتداد بالمصالح التى قام الدليل الشرعى على الغائها ، والشارع الحكيم لايلغى مصلحة الا اذا عارضتها مصلحة أرجح منها ، أو استتبعت مفسدة لايستخف بأمرها ومثال هذا الاستسلام للعدو؛ قد يبدو أن فيه مصلحة حفظ النفوس من القتل ، ولكن الشارع رأى أن هذه المصلحة. مغموره بالمفاسد من كل جانب ، فلم يعتد بها وأذن فى دفاع العدو نظرا إلى مصلحة أرجح منها وهى احتفاظ الامة بالعزة والكرامة والتمكن من المسابقة فى مضمار الحياة.

ويبقى النظر فى المصالح التى لم يقم دليل معين على رعايتها أو على الغائها وهذه هى التى تسمى بالمصالح المرسلة.

حجية المصالح المرسلة:

اختلف العلماء في الاعتداد بالمصالح المرسلة أي في تشريع الحكم بناء عليها، فذهب بعضهم إلى الاحتجاج بها ، وتشريع الحكم بناء عليها ، وذهب آخرون إلى عدم الاعتداد بها في تشريع الاحكام.

وقد استدل القائلون بحجية المصالح المرسلة بأدلة منها:

١- ان التشريع الاسلامي يقوم على تحقيق مصالح الناس بجلب الخير لهم ، ودفع الشر والفساد عنهم وقد دلت على هذا الادلة القطعية التي لايختلف فيها أحد ، فأينما وجدت المصلحة فثم شرع الله وأن مصالح الناس تتجدد وتتعدد ولاتقف عند حد ، والوقوف في التشريع عند المصالح المعينة التي اعتبرها الشارع فقط ، يؤدي إلى تعطيل مصالح الناس المتجددة ، وجمود الشريعة وعدم مسايرتها لمصالحهم وتحقيق الخير لهم ، وهو المقصد الأساسي من التشريع الخالد إلى يوم القيامة.

ان الصحابة قد اجمعوا على الاحتجاج بالمصلحة المرسلة التي لم يرد دليل معين بالغائها ولااعتبارها ، فقد استخلف ابو بكر عمر بن الخطاب في إمارة المؤمنين ، لما رآه من مصلحة الأمة في ذلك مع أن الرسول - ﷺ - لم يستخلف أحد بعده صراحة ولم يرد عنه نص في ذلك ، وقد جمع أبو بكر القرآن في مصحف ، كما وضع عمر الخراج ودون الدواوين واتخذ السجون تحقيقا للمصلحة التي تترتب على ذلك.

أدلة المانعين:

إستدل المانعون لحجية المصالح المرسلة بأدلة منها:

١- أن الشريعة قد جاءت بما يحقق جميع مصالح الناس ، إما بنصوصها وإما بالقياس على ماجاء حكمه في نصوصها ، فليس هناك مصلحة مطلقة لم يرد دليل على اعتبارها ، والقول بغير ذلك يتنافى مع كمال الشريعة وتمامها ، فاذا ظهرت مصلحة لم يرد على الشارع دليل باعتبارها كانت مصلحة وهمية لاحقيقية فلا يصح

بناء التشريع عليها.

٢- ان الاعتماد على المصلحة المرسلة فى التشريع يفتح الباب لاصحاب الاهواء والشهوات من الحكام والفقهاء فيدخلون فى الشريعة ماليس منها ، ويشرعون أحكام باسم المصلحة ، وهى مفسدة وفى ذلك ضياع الشريعة وفساد الناس.

٣- ان الاعتداد بالمصالح فى تشريع الاحكام يؤدى إلى اختلاف الاحكام باختلاف الازمنة والامكنة ، فيكون الامر الواحد حلالا فى زمن معين أو بلد معين لما فيه من مصلحة ، وحراما فى زمن آخر أو بلد آخر لما فيه من مفسدة ، وهذا يتنافى مع وحدة الشريعة ووحدة أحكامها وعمومها وخلودها.

والراجع ما ذهب إليه الجمهور من اعتبار المصلحة المرسلة والاحتجاج بها ، لأن ذلك هو الذى يتفق مع عموم الشريعة وخلودها ومسايرتها لمصالح الناس فى كل زمان ومكان ، وهو الامر الذى سار عليه صحابة الرسول الذين خلفوه فى منصب التشريع والافتاء.

وليس فى الاخذ بالمصالح المرسلة فتح طريق يدخل منه العوام إلى التصرف فى أحكام الشريعة على مايلائم آراءهم أو ينافرها. ولتلافى مثل هذا فان هناك شروطا للعمل بالمصلحة المرسلة هى إجمالا.

١- ان تكون المصلحة عامة بمعنى ألا تكون قاصرة على شخص معين.

٢- ان تكون حقيقية تجلب منفعة وتدرأ مفسدة.

٣- ان تكون معقولة بحيث لو عرضت على النفوس قبلتها.

٤- لاتتعارض مع مقاصد الشريعة.

٥- الا يوجد نص أو اجماع على الحكم.

موقف الأئمة الأربعة من المصلحة المرسلة:

المبدأ العام أن المذاهب الاربعة تعتد بالمصلحة المرسلة ، ويبنون الاحكام

عليها، غير ان جمهور الحنفية والشافعية يشترطون فى المصلحة أن تكون داخلة تحت القياس ، بحيث يوجد اصل معين يقاس عليه ، وتوجد فيه علة منضبطة ، أما المالكية والحنابلة فانهم يجعلونها دليلا مستقلا بعنوان المصلحة المرسلة ، ويضعون الشروط للتشريع على أساسها.

هذا ويلاحظ أن القائلين بحجية المصالح المرسلة ذهبوا إلى أنه يقتصر مجال العمل بها علي المعاملات فقط ، لأن المصلحة فيها يمكن ادراكها ومعرفتها ، ولا تتجاوزها إلى العبادات ، لانها تنظيمات لعلاقة الانسان بربه ، ووسائل معينة للتقرب إليه بطاعته فيها ، تقتصر فيها على ما ورد به النصوص ، فلا يصح انشاء عبارة لم يأت بها نص بدعوى أن فيها مصلحة ، لأن العبادة المحضة يقصد بها التقرب إلى الله ونيل رضاه وثوابه ، وهذا أمر لايعرف إلا منه سبحانه وتعالى ، ولأن فتح باب التشريع بالمصلحة فى نطاق العبادات يؤدى إلى تغيير شعائر الدين وتعددها ، والابتداع فيها والتلاعب بها[١].

الاستحسان:

الاستحسان هو أن يعدل المجتهد عن ان يحكم فى المسألة بمثل ما حكم به فى نظائرها إلى خلافه ، لوجه أقوى يقتضى العدول عن الأول[١].

ومعنى ذلك أن تكون هناك قاعدة شرعية عامة وتوجد مسألة تندرج تحتها لكنه يوجد فيها دليل خاص يقضى بحكم معين فى هذه المسألة على خلاف ماتقضى به القاعدة العامة ، فيعدل عن تطبيق القاعدة ويعمل بالدليل الخاص ، أو يوجد نص خاص فى مسألة ما يوجد نظير لهذه المسألة لانص فيه ويقضى القياس باعطائه نفس الحكم ، لكن يوجد فى هذه المسألة الأخرى دليل آخر أقوى من القياس يقتضى حكما آخر يخالف مايقضى به القياس عند الاخذ بالقياس ويعمل بالدليل الذى هو أقوى منه ، فالاستحسان فى حقيقته ليس سوى الاستثناء من

---

(١) انظر اصول الفقه، د. زكريا البرى، ص ١٤٤ ، ومحاضرات فى الشريعة الإسلامية، للدكتور/ احمد توفيق الاحول، ص ٢٧٤.

(١) كشف الاسرار، جـ٤ ص ١١٢٣.

القاعدة الشرعية العامة لدليل خاص أو العدول عن القياس الجلى الظاهر إلى القياس الخفى الذى هو أقوى منه.

مثال النوع الأول:

شرط ضمان الثلاجات وأجهزة الراديو واجهزة التليفزيون ونحوها مما جرى العرف على ضمان البائع له مدة معينة بعد التسليم ، فان القاعدة الشرعية تقضى بان المشترى متى تسلم المبيع صار فى ضمانه ، واذا هلك أو تلف إنما يهلك أو يتلف على ملكه ، وهى تقضى بفساد الضمان على البائع لأية مدة بعد التسليم قصيرة كانت أو طويلة لمخالفته لمقتضى العقد واقتران الشروط الفاسدة بعقود المعاوضات المالية يؤدى على فسادها ، ولكن العرفَ قد جرى على اشتراط هذا الشرط فى بيع هذه السلع بخصوصها ، والعرف دليل شرعي ، وهو فى هذه الحالة أقوى من الدليل العام ، ولهذا فان اشتراط هذا الشرط فى بيع السلع التى جرى العرف على ضمان البائع لها صحيح خلافا للقاعدة العامة على سبيل الاستحسان.

ومثال النوع الثانى:

وهو ما أخذ فيه بالقياس الخفى الأقوى وعدل عن القياس الجلى الاضعف مثل ماقرره العلماء من أن الشخص اذا وقف ارضا زراعية على جهة بر فان حقوقها من الشرب والمرور تدخل فى الوقف ولو لم ينص واقفه على ذلك مع ان مقتيضى القياس عدم دخولها إلا بنص كما فى بيع الارض حيث لاتدخل فى المبيع إلا بنص عليها.

ووجه الاستحسان ان الوقف لايفيد ملك الموقوف عليه للمال الموقوف وانما يثبت له ملك المنفعة فقط ، والارض لايمكن الانتفاع بها بدون حقوق الارتفاق كما فى عقد الاجارة فهنا قياسان ، قياس ظاهر وهو الحاق الوقف بالبيع من جهة ان كلا منهما يفيد اخراج المال من مالكه ، وقياس خفى وهو الحاقه بالاجارة من ناحية أن كلا منهما مقصود به الانتفاع فرجحوا الثانى.

حجية الاستحسان:

جرى لفظ الاستحسان فى عبارات بعض الأئمة على وجه يتوهم منه أن الاستسحان أصل من الاصول التى يرجع اليها فى استنباط الاحكام ، وتعرض له علماء الاصول عند بحث الادلة ونسبوا الاخذ به الى بعض الائمة ، ونقلوا انكاره عن آخرين واختلفوا فى تفسيره.

وقد قال بحجيتة اكثر الحنفية والمالكية والحنابلة[1] واستدلوا على هذه الحجية بأنه:

١- من الثابت أن الشارع الحكيم قد عدل فى بعض الوقائع عن موجب القياس وفى بعضها عن تعميم الحكم تحقيقا لمصلحة أو دفعا لمفسدة وما هذا الاستحسان ومن ذلك اجازة عقد السلم ، فالقياس لايسمح بجوازه لان المعقود عليه معدوم لكن الشارع اجازه تحقيقا لمصالح الناس ودفعا للحرج عنهم.

٢- ان اطراد العمل بالقياس ، أو تعميم الحكم قد يؤدى فى بعض يالوقائع إلى تفويت مصلحة من المصالح فمن الرحمة بالعباد ان يفتح للمجتهد باب العدول الى حكم آخر يحقق مصلحة أو يدرأ مفسدة وما هذا العدول الذى يقصد به تحقيق غاية الشارع من الرحمة بالعباد الا الاستحسان[2].

وانكر قوم وعلى رأسهم الامام الشافعى ان يكون الاستحسان دليلا شرعيا ، وشنعوا على القائلين به ، ظنا منهم أن استحسان هؤلاء الأئمة من قبيل الرجوع إلى

---

(١) روى محمد بن عبد العزيز العتبى فى كتابه المستخرجة عن اصبغ بن الفرة عن ابن القاسم أن مالكا قال «تسعة أعشار العلم الاستحسان» وقال مالك فى بعض فتاويه استحسن فى كذا أن يكون الحكم كذا.
وقال ابن خويز منداد وهو من المالكية فى كتابه الجامع لأصول الفقه «وقد عول مالك على الاستحان وبنى عليه أبوابا ومسائل من مذهبه».
واستند الحنفية إلى الاستحسان فى تقرير كثير من الاحكام ويعارضون به القياس فيقولون فى بعض الأحكام: هذا مايقتضيه الاستحسان وذاك مايقتضيه القياس، يراجع الشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان، ص ٧٩.

(٢) اصول الفقه الاسلامى، أ.د. احمد محمود الشافعى، طبعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص ١٧٠.

الرأى دون رعاية دليل شرعى ثابت.

والرجوع إلى الرأى المحض فى تقرير الاحكام الشرعية لايقول به عامى مسلم فضلا عن امام بلغ رتبة الاجتهاد أو الترجيح.

واستدلوا على هذا الانكار بما يلى:

١- ان الاستحسان لاضابط يضبطه حتى يمكن ان يتعرف به على الصواب والخطأ والحق والباطل فلو أخذ به لاختلفت الاحكام فى الواقعة الواحدة.

٢- لم يرد عن النبى -ﷺ- انه استحسن فى واقعة واحدة بل الثابت أنه -ﷺ- كان اذا استفتاه أحد من المسلمين لايفتى باستحسانه بل كان ينتظر الوحى ، ولو كان الاستحسان سائغا لحدث من البنى -ﷺ-.

والراجــــــح:

أن الامام الشافعى رضى الله عنه عندما انكر الاستحسان كدليل شرعى وقال «من استحسن فقد شرع» كان يقصد الاستحسان بالرأى والهوى دون اعتماد على دليل شرعى وهذا الاستحسان محل اتفاق بين الفقهاء جميعا أنه مردود ومنكر ولانزاع بينهم فى هذا.

أما الاستحسان الذى يستند إلى دليل شرعى من النصوص أو العقول أو المصلحة أو العرف فلا يأباه أحد من الفقهاء.

يؤيد ذلك مانقل عن الامام الشافعى انه اخذ بالاستحسان واعتبره مصدرا فى بعض ماقرر من احكام بعض الحوادث فقال «استحسن ان تكون المتعة ثلاثين ، وقال استحسن ان يؤجل الشفيع ثلاثا»(١).

(١) الام للشافعى، الامام أبى عبد الله محمد بن ادريس الشافعى ت ٢٠٤هـ، طبعة سنة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م، مطبعة دار الشعب.، جـ٧، كتاب ابطال الاستحسان ، التلويح على التوضيح، جـ٢ ص ٨١.

رابعا: سد الذرائع :

الذرائع جمع ذريعة وهى الوسيلة[١]، والمقصود بسد الذرائع فى الاصطلاح غلق الابواب التى تؤدى إلى المفاسد والمحرمات ، فهناك أمور تكون مباحة فى ذاتها ، فيجب تحريمها طبقا لهذه القاعدة ، اذا كانت هذه الامور المباحة ستكون وسيلة إلى الممنوعات بسبب أمور لابستها ، فمثلا اباح الشارع التعامل فى التمر والعنب والبيع والشراء ، ولكن اذا علم البائع أن المشترى سيقوم بتحويلها إلى مشروبات محرمة فحينئذ يكون البيع حراما ، لأنه اصبح وسيلة إلى محرم ، والذى يؤدى إلى محرم يكون محرما مثله.

والدليل عليها قوله سبحانه وتعالى: ﴿**ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم**﴾[٢]، فهذه الآية تبين لنا أن الله تعالى حرم على المؤمنين ان يسبوا المشركين حتى لايكون ذلك ذريعة للمشركين أن يسبوا الله رب العالمين.

وقد بينت السنة النبوية أن الحكم المتقدم الذى نصت عليه الآية حكم عام وليس خاصا بالحالة التى جاءت الآية بشأنها ، حيث قال عليه الصلاة والسلام: «أن من اكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه ، قالوا كيف يسب الرجل والديه يا رسول الله؟ قال - ﷺ- يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه»، قد حذرت السنة النبوية من كل ما يؤدى إلى الوقوع فى المحرمات ، فيقول النبى - ﷺ-: «الحلال بين ، والحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهة ، فمن ترك ما شبه عليه من إثم كان لما استبان اترك ومن اجترء على مايشك فيه من الاثم أو شك ان يواقع ما استبان والمعاصى حمى الله من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه».

وقد نسب القول بهذه القاعدة إلى الامام مالك رحمه الله ، ولكن عند التفكير نجد ان الائمة يطبقون هذه القاعدة فى كثير من فروعهم ، فالخلاف اذن بين

---

(١) لسان العرب مادة «ذرع» ، وتهذيب لسان العرب، جـ١ ص ٤٤٣.
(٢) سورة الانعام الآية: ١٠٨.

الفقهاء ليس فى ذات القاعدة ، وانما فى بعض شروطها أو تطبيقها[١].

وقد أنبنت على هذه القاعدة عدة فروع فقهية منها:

تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية ، لأن ذلك يؤدى إلى المفسدة ، ومنه عدم اقامة الحد فى الغزو لئلا يؤدى ذلك إلى مفسدة الهروب إلى أرض العدو ، ومنها نهى عمال الدولة وموظفيها عن قبول الهدايا ممن لهم مصالح تحت أيديهم لئلا يكون ذلك ذريعة إلى الرشوة ومنها تحريم الاجارة إذا كانت وسيلة لمحرم ، كما لو علم المؤجر أن المستأجر سيصير المسكن مأوي للصوص أو ارتكاب المحرمات.

خامسا: العـــــرف:

العرف فى اللغة هو كل ماتعارفه الناس من الخير واطمأنوا اليه ، وله عند الفقهاء والأصوليين تعريفات متعددة أدقها وأشملها أنه: «ما إعتاده جمهور الناس وألفوه من قول أو فعل تكرر مرة بعد أخرى حتى تمكن من نفوسهم وصارت تتلقاه عقولهم ، بالقبول».

حجية العرف:

لا خلاف بين العلماء فى انه اذا كان متفقا مع نصوص الشريعة غير متعارض مع قواعدها يجب اعتباره والاعتياد عليه فى بناء الاحكام واستنباط الفروع.

وقد استدل العلماء على الاحتجاج بالعرف ، واعتباره مصدرا للاحكام الفقهية بالأدلة الآتية:

أولا: يقول الله تعالى: ﴿خذ العفو وأمر المعروف﴾[٢] ويقول القرافى «فكل ما شهدت به العادة قضى به لظاهر هذه الآية».

ثانيا: يقول الرسول - ﷺ -: «ما رآه المسلمون حسنا ، فهى عند الله

---

(١) الموافقات للشاطبى، جـ٤ ص ٢٠١ ، بتحقيق الدكتور/ عبد الله دراز، إعلام الموقعين، جـ٣ ص ١٧١.

(٢) سورة الأعراف الآية: ١٩٩

حسن»(١)، فانه يدل على أن الأمر الذى يجرى عليه عرف المسلمون ويرون حسنه ، يكون عند الله امرا حسنا ومعمولا به.

ثالثا: يقول الرسول - ﷺ- لهند زوج أبى سفيان حينما اشتكت اليه بخل زوجها عليها بالنفقة «خذى من مال أبى سفيان مايكفيك وولدك بالمعروف»(٢) قال القرطبى «فى هذا الحديث اعتبار العرف فى الشرعيات».

وقد اشتهر الاخذ بالعرف عند المالكية والحنفية ونقل عن الشافعى أنه يبنى بعض الأحكام لمذهبه الجديد على عرف أهل مصر ، وكان مذهبه القديم ما بناه على عرف أهل العراق.

وقد جرى على ألسنة العلماء قولهم «العادة شريعة محكمة الثابت بالعرف كالثابت بالنص» ، المعروف عرفا كالمشروط شرطا والحقيقة تدرك بدلالة الاستعمال والعادة.

سادسا: شرع من قبلنا:

اتفق العلماء على أن الاحكام التى كانت موجودة فى الديانات السابقة على الاسلام ورواها القرآن والسنة وأتى فيها مايدل على نسخ هذه الاحكام فى الشريعة الاسلامية ، ليست شرعا للمسلمين ، لقيام الدليل على نسخها ، ومن ذلك قوله تعالى: **﴿قل لا أجد فيما أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فم اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم ، وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها إلا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم**

---

(١) اخرجه أبو داود ، للحافظ سليمان بن داود بن الجاروز الطيالسى فى مسنده عن عبد الله بن مسعود ، ص ٣٣ طبعة الهند الطبعة الأولى، ١٣٢١هـ.

(٢) اخرجه البخارى فى كتاب النفقات - باب اذا لم ينفق الرجل فللمرأة أن تأخذ بغير علمه ، عمده القارى فى شرح صحيح البخارى، للعينى، جـ١٧ ص ١٢٥ ، طبعة مصطفى الحلبى، طبعة أولى سنة ١٩٧٢م.

وإنا لصادقون﴾[١].

فقد جاءت الآية الأولى ببيان المحرمات فى الشريعة الاسلامية ، وجاءت الآية الثانية ببيان ما حرم الله على اليهود خاصة ، من تناول بعض الطيبات تأديبا لهم وفطما لنفوسهم من الشهوات التى غرقوا فيها إلى أذقانهم وقتلهم الانبياء وصدهم عن سبيل الله وأكلهم الربا وقد نهوا عنه.

يقول الله تعالى: **﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ويصدهم عن سبيل الله كثيرا ، وأخذهم الربا وقد نهوا عنه ، وأكلهم أموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما﴾[٢].**

ومن السنة قوله - ﷺ- بشأن مافضل به على بقية الانبياء قبلة وعد من ذلك: **﴿وجعلت الأرض مسجدا وطهورا ، فايما رجل من أمتى ادركته الصلاة فليصلى ، وأحلت إلى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى﴾[٣]** فان هذا يدل على ان احكام الشرائع السابقة فى عدم حل غنائم الحروب وعدم صحة العبادات فى غير المكان الخاص بها ، قد نسخ فى الشريعة الاسلامية إلى غير ذلك من الأحكام التى رفضها الاسلام.

كذلك اتفق العلماء على أن هذه الأحكام أى التى كانت فى الشرائع السابقة اذا ورد ما يدل على اقرارها ، فانه يجب العمل بها ، لأن الشارع اقرها وطلب العمل بها ، ومن ذلك قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾[٤]**، فان الصيام مفروض على المسلمين ، كما كان مفروضا فى الشرائع السابقة على الأمم من قبلهم.

---

(١) سورة الأنعام الآية: ١٤٥ ، ١٤٦.
(٢) سورة النساء الآية: ١٦٠ ، ١٦١.
(٣) الجامع الصغير، جـ١ ص ١٤٤.
(٤) سورة البقرة الآية: ١٨٣.

وقـول الرسـول - ﷺ -: «وعـدمـا سل عن الأضـامى فـقـال انهـا سنة أبيكم ابراهيم عليه السلام»[١]، فان الاضحية مشروعة بالنسبة للمسلمين ، كما كانت فى شريعة ابراهيم عليه السلام.

أما الاحكام التى كانت فى الشرائع السابقة وأوردها القرآن أو السنة ولم يرد معها مايدل على إقرارها أو انكارها ، فقد ذهب جمهور العلماء إلى وجوب العمل بها لأن نص القرآن عليها معناه التزاما بها وقد أخبر القرآن أن الشرائع السماوية واحدة ، قال تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك﴾[٢]، وقد خاطب الله سبحانه وتعالى نبيه فى القرآن بقوله عن الأنبياء والرسل السابقين ﴿ثم أوحينا إليك أن إتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾[٣] وقال تعالى ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا الربانيون والأحبار بم استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء﴾[٤] وذهب بعض العلماء إلى أن هذا النوع لايكون شرعا للمسلمين ولايجب عليهم العمل به ، ووجهتهم فى ذلك أن الشرائع السابقة كانت مؤقتة بزمن محدد ، وخاصة بأمم معينة ، وأن الشريعة الاسلامية قد جاءت عامة ناسخة لما عداها من الشرائع.

٢- تطبيق الشريعة الإسلامية فى معظم البلدان العربية والاسلامية وغير العربية «ماليزيا» و «اندونيسيا»:

الاسلام ديننا الخالد العظيم ، ورسالة السماء إلى محمد بن عبد الله - ﷺ -، والشريعة التى نزل بها كتاب كريم ، القرآن دستورها وناموسها الأكبر.

وهو الدين الذى نزل هدى ورحمة للعالمين ، وأحدث تطبيقه لأول مرة فى مكة

---

(١) سنن ابن ماجة المتوفى سنة ٢٧٥هـ ، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى، جـ٢ ص ١٠٤٥ ، حديث ٣١٢٧.

(٢) سورة الشورى الآية: ١٣.

(٣) سورة النحل الآية: ١٢٣.

(٤) سورة المائدة الآية: ٤٤.

ثم المدينة ثم فى جزيرة العرب نفسها على يد الرسول الحكيم ثورة لم تشهدها الانسانية من قبل ولا من بعد ، وإصلاحا لم يكن يحلم به بشر ، ولازلنا حتى اليوم لانستطيع أن نصل إلى مداه الكبير ... ثم استمر فى مده العظيم ، فطبقه الخلفاء الراشدون فى البلاد التى دخلت فى ظلال الاسلام ، وانضوى تحت لوائه الملايين فى الشمال والجنوب والشرق والغرب فرحين مهللين مكبرين. مستبشرين بعهد من الحرية والاخاء والتعاون والعدالة والمساواة والرفاهية لبنى البشر جميعا ، وعاملين على تشييد حضارة ومدنية جدية لم تشهدها البشرية من قبل.

إنه دين جارى التطور فى كل زمان ومكان ، وجابه الطغيان وانتصر عليه فى كل بيئة وعصر ، ولم تقف أمامه مشكلة من المشكلات ولم يزعم منصف فى أى جيل أن منطق الاسلام لايجارى العقل والحياة ، ولم يستطيع أصحاب الدعوات الجديدة أن يزعموا أن دعواتهم على ماهى ، لها أحيانا من دعاية ومساندة النفوذ أو الجاه أو المال قد نالت بعض ما ناله الإسلام فى سنوات معدودات من ثقة الجماهير وإيمانها به وإقبالها على اعتناقه والدخول فيه.

دين لازالت أصوله ودعواته حلم البشرية بعد ما وصلت إليه من تطور وتقدم وحضارة ، ولا زالت أسسه الفكرية والروحية تحمل إلى العالم الآمن والسلام والرخاء ، وهو بعد جديد . فى كل وقت ، عظيم فى كل حين ، جليل فى كل عين ، رفيع فى كل عقل.

دين وضع أصولا خالدة لاصلاح جميع مجالات الحياة ، ونواحى النشاط الانسانى ، وسبق «الديكارتيين» إلى تقديم الشك أمام كل بحث وترك التقليد ، وإلى الايمان بما يؤدى إلى الدليل ، كما سبق «بيكون» إلى المذهب العلمى ، وسبق فلاسفة الاجتماع إلى وضع أصوله ولم يجعل للمعرفة الانسانية حدا ، من حيث وضع بعض المفكرين الغربيين حدا لما يمكن ان يصل اليه الانسان من معارف واقام مبادئه ، على سمو الغاية الادبية فحسب ، دون النظر إلى التعليلات الاقتصادية والمادية للأشياء ؛ ووحد بين الاجناس والعناصر والالوان ، ودعا إلى أخوة بشرية عامة لاتفاضل فيها لاحد على أحد الا بالتقوى والعمل الصالح ، وجمع الكثير من

الأمم والشعوب تحت ظلاله ، مما عجز عن تحقيقه كل القواد والدول. هذا مع العدالة فى الحكم ، ومع الايمان بالحرية والشورى والاخاء والمساواة وتطبيقها ... ومع العمل على نشر الامن والرفاهية والوئام والسلام بين بنى البشر جميعا.

لم يقف الاسلام وأصوله ومبادئه الكريمة حائرا أمام أية مشكلة من مشكلات الحياة فى كل عصر وكل بيئة ، بل وجد الحلول العادلة لكل ما جد وما يجد على سطح الأرض من جديد.

كانت رسالته دائما التبشير بقيم انسانية رفيعة ، لم يقل ابدا وفى أحرج الازمات والمحن: إن الغاية تبرر الوسيلة ... لم يزعم الاسلام أنه وصى على البشر وأنه مستعمر فى الأرض ، بل دعا دائما إلى الايمان بأصوله كحل اساسى لجميع مشكلات المضطهدين والمستعبدين والذين وقف بهم التأخر عن متابعة سير الحياة ... نادى بالحرية لكل الناس ولكل الشعوب ، دعا إلى أن تتولى كل أمة أمور نفسها فى ظلال مبادئه ودعواته وأصوله ... قاوم من وقف فى سبيل دعوته لأن من يفعل ذلك فهو يقف فى وجه الحياة نفسها ليؤخر سير الزمن.

حل جميع العصبيات وأبطلها ، وكل المشكلات وأزالها ، وجميع العقد النفسية والروحية عند جميع الناس. ووضع مكانها حب الخير والتعاون والرحمة وحب الوئام والسلام والبر والشفقة ، وهذب العواطف والمشاعر الانسانية وطهرها وسما بها ... وجمل الحياة أمام الناس ، وجعلها تعاونا ومشاركة وتبادلا للمنافع والخيرات ، ومد فى آفاق الأمل فيها بما دعا إليه من السعى فى مناكبها ، ومن الصبر على لاوائها ، ومن الثقة برحمة الله وفضله وفرجه ....

قابل الاسلام آلاف الدعوات والمبادئ والافكار الجديدة ومع ذلك لم تسطع احداها أن تجاريه فى حيويته وبساطته ومثاليته وعظمة مبادئه وأصوله ... وواجه آلاف الطغاة ومع ذلك لم يستطع واحد منهم أن يوقف سيره المحتوم أو يعطل رسالته النيرة ، أو ينتصر على مبادئ الاسلام الجليلة العظيمة.

وحملت شعوب الاسلام دائما إلى العالم وإلي الحياة فى كل العصور

والاجيال، وبفضل دينهم العظيم ، رسالة التقدم والحضارة ، رسالة الحرية والعدالة، ورسالة المحبة والسلام والاخاء والشورى والتعاون بين الناس جميعا.

ودخل الناس فى دين الله أفواجا فى كل عصر وجيل وفى كل زمان ومكان ... ومازالت الشريعة الاسلامية حتى اليوم تطبق تطبيقا كاملا فى بعض الدول العربية الاسلامية وبعض البلدان غير العربية مثل ماليزيا وسط عالم زاخر بالافكار الغربية والصراعات العنيفة ودعاوى الحضارة والتقدم والالحاد وما رأينا ولاسمعنا أن الشريعة فى وسط هذا الخضم المحيط بنا قصرت عن حكم حادثه وجدت ولاوقفت عائقا أمام شئ فيه المصلحة للمسلمين.

وقد يقول قائل ان المسلمين فى العصور الاخيرة قد اخذ منهم الغرب زمام قيادة العالم ، وحاربهم فى دينهم وأموالهم وأعراضهم حربا شديدة ، واعترتهم فترة من النوم والجمود والجهل ... ولكن ذلك كله لم يكن بسبب دينهم ، بل بسبب انصرافهم عن تعاليمه ، ومجاراتهم للغرب وحضارته فى كل شئ ، وخصوماتهم بعضهم لبعض. ولاسباب أخرى لاتخفى على أحد اليوم ... والشئ الوحيد الذى يمكن أن يعيد القوة والسيادة إلى أمم الاسلام هو عودتهم إلى دينهم ، ورجوعهم إلى حضارتهم وتاريخهم وتراثهم: واقبالهم على تربية أبنائهن تربية إسلامية صحيحة.

٣- سبق الشريعة الإسلامية باحدث النظريات القانونية:

من الدلائل على خلود الشريعة وصلاحيتها لكل زمان ومكان سبقها باحدث المبادئ والنظريات القانونية التى لم يتوصل إليها الوضعيون إلا فى هذا القرن.

بينما هى قد اقرتها منذ خمسة عشر قرنا من الزمان وارست قواعدها وقام على ذلك فقهها وتشريعها وقضاؤها وحفل بذلك تاريخها.

وهذه المبادئ والنظريات كثيرة لايحتمل مثل هذا البحث الحديث عنها وانما اذكر بعضا منها مثل نظرية السبب ، نظرية الضرورة نظرية الغلط ، نظرية الاكراه، نظرية البطلان ، نظرية العقد ، نظرية التعسف فى استعمال الحق ، نظرية الشورى، نظرية الظروف الطارئة والقوة القاهرة ، مبدأ الشرعية ، «لاجريمة ولاعقوبة

الابنص» مبدأ عدم رجعية القوانين الجنائية على الماضى ، فقد تناول فقهاء الاسلام جميع الاحكام المتعلقة بهذه النظريات دون جميع تلك الاحكام تحت نظريات عامة بالاصطلاحات المعاصرة ، وانما بحثوها فى نواحى شتى عندما تعرض عليهم مسألة من المسائل المتعلقة بها ، فالجوهر موجود فى مكنون الشريعة الغراء ، اما الاصطلاحات ، وكيفية البحث فلا تعنينا فى شئ اذ ان لكل فقه بحوثه وعلومه وطريقته ، وان كان الفقهاء المحدثين قد تناولوا هذه النظريات وغيرها فى بحوث مستقلة واطلقوا عليها الاصطلاحات المعاصرة مسايرين فى ذلك الطريقة رجال القانون فى البحث والتقصى ، من حيث مضمون كل نظرية وتطبيقها وأنواعها واقسامها ومايلزم لتطبيقها من شروط[1].

ثانيا: المبادئ الدالة على صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان:

امتاز التشريع الإسلامى على غيره من الشرائع الأخرى بأنه اصلح المجتمع البشرى ووضع القواعد للحقوق الانسانية فقد اقرها اقرارا صريحا ونادى بالمساواة بين الناس وأيد الحركات العامة بأنواعها المختلفة وبنصوص واضحة وصريحة.

* وساكتفى هنا بالاشارة الى هذه المبادئ حتى لايطول بنا البحث وتتلخص هذه المبادئ فيما يلى:

أولا: أغلب الادلة فى الشريعة جاءت عامة شاملة لم تتعرض لتفاصيل وجزئيات.

ثانيا: من المسلم به أن الفتوى تتغير بتغير الازمنة والامكنة والاحوال والاعراف.

ثالثا: ملائمة المصالح الشرعية لكل الفطر فى كل زمان ومكان.

اما عن القوانين الوضعية التى تحكم النظام العالمى الجديد فانه مما لاشك فيه انها غير صالحة لكل زمان ومكان للأسباب الآتية:

أولا: انها من صنع المخلوق العاجز الذى لايدرى شيئا عن الغيب ومن ثم

(١) محاضرات فى الشريعة الإسلامية، ص ٨٨ ، الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان، (=)

لابد ان يشوبها مايشوب كل فكر انسانى من نقص وعدم شمول فالقانون ناقص دائما ولايمكن ان يبلغ حد الكمال مادام صانعه لايمكن ان يوصف بالكمال ولايستطيع ان يحيط بما سيكون لأنه عاجز ضعيف ، قدرته محدودة ، وفكره قاصر ، ومهما اتسعت مداركه فلا يستطيع أن يدرك الغيبيات ، ولا أن يحيط بكل شئ حوله ، كما أنه يتأثر بالزمان والبيئة.

فان افترضنا صلاحية هذه القوانين وقت سنها فأنها لاتلبث بعد سنوات قليلة ان تكون هذه النصوص الوضعية فى واد وحاجات. الجماعة فى واد آخر وبالتالى تبقى هذه القوانين عرضة للتغيير والتبديل لان يد المشرع الوضعى لابد ان تمتد الى هذه القوانين بتعديلها كلية أو باضافة مواد جديدة اليها حسب مااستجد من امور لم تكن فى حسبانه عند وضع النص الاصلى الامر الذى يؤدى باستمرار إلى عدم الاستقرار فى المعاملات والمساس بحريات الافراد. والتشريع الإسلامى ليس كذلك لأنه من رب العالمين المتصف بكل كمال ، والمنزة عن كل نقص.

ولقد اهتدى المفكرون الوضعيون اخيرا إلى عدة حلول تزيل هذا الجمود فى القوانين وبالتالى تخفف من كثرة التعديل والتبديل لها فقد اشتراط الفقهاء عند وضع القانون مراعاة امرين.

١- يجب ان يقتصر القانون على القواعد والمبادئ الكلية العامة دون التطرق إلى وضع احكام للمسائل التفصيلية الجزئية.

٢- يجب ان يعطى القانون سلطة كبرى للقاضى وهو بصدد تطبيقه وذلك عن طريق ارشاده الى معايير مرنة تمكنه من وضع الحلول اللازمة لظروف كل قضية[١].

ومما لاشك فيه ان هذه الحلول التى اهتدى اليها المفكرون اخيرا هى خير ماتتميز به الشريعة الاسلامية. فقد جاءت نصوصها عامة ومرنة الى آخر حدود العموم والمرونة ، كما انها وصلت من السمو درجة لايتصور بعدها سمو ولقد مر على الشريعة اكثر من اربعة عشر قرنا تغيرت فى خلالها الاوضاع اكثر من مرة وتطورت الاراء والعلوم تطورا كبيرا واستحدث من الصناعات والمخترعات مالم

(=) لشيخ الإسلام محمد الخضر حسين ص ١٢ ، الناشر نهضة مصر.

وتطورت الاراء والعلوم تطورا كبيرا واستحدث من الصناعات والمخترعات مالم يخطر على فكر الانسان ، وتغيرت قواعد القانون الوضعى ونصوصه اكثر من مرة لتتلائم مع الحالات الجديدة والظروف الجديدة بحيث انقطعت العلاقة بين قواعد القانون الوضعى التى تطبق اليوم وبين قواعده التي كانت تطبق يوم نزلت الشريعة وبالرغم من هذا كله ومن ان الشريعة الاسلامية لاتقبل التغيير والتبديل ظلت مبادئها ونصوصها اسمى من مستوى الجماعات ، واكفل بتنظيم وسد حاجاتهم ، واقرب الى طبائعهم ، واحفظ لأمنهم وطمأنينتهم ، وجاء فيها من المبادئ والنظريات مالم يتهيا للعالم غير الاسلامى معرفته والوصول اليه الا بعد قرون طويلة ومالم يتهيأ للعالم معرفته حتى الان(١).

ثانيا: ان وظيفة القانون الذى يحكم النظام العالمى الجديد تنحصر فى تنظيم الروابط الاجتماعية فقط أى مايتعلق بسلوك الفرد نحو غيره من الاشخاص دون ان يتعرض لتوجيه الجماعة او تنظيم علاقة الانسان بنفسه أو بخالقه ، فلا شأن للقانون بواجب الفرد نحو الله ولا بواجبه نحو نفسه ، ولا بارشاد الجماعة وحثها على الفضائل والتمسك بالمبادئ التى توقظ الضمير الانسانى وتعمل على تكوين مجتمع سليم ، فهذا القانون لايتناول تنظيم ذلك ولايشير اليه من قريب أو بعيد ، ومن ثم فان هذاالقانون غير صالح للتطبيق لافتقاره إلى اهم مقومات تكوين المجتمع الصالح وهذا هو السبب فى تفكك المجتمعات الوضعية وانتشار الجرائم بصورة مذهلة فى تلك المجتمعات على اختلاف انواعها والوانها رأسمالية كانت او اشتراكية شرقية كانت ام غربية وذلك لاقتصار هذه القوانين على مجرد تقرير الجزاء عند وقوع المخالفة دون التوجيه والارشاد الامر الذى ان دل على شئ فانما يدل على عدم صلاحية الانظمة الوضعية لتكوين مجتمعات فاضلة يسودها الحب والاخاء والتماسك لانها لاترصد الجزاء الا على ناحية الشر والمخالفة بالعقاب عليها.

اما الشريعة الاسلامية فانها لاتقتصر على تنظيم علاقات الافراد بعضهم ببعض فقط وانما تتعدى ذلك الى توجيه الافراد وارشادهم وحضهم على الفضائل

---

(٢) وجوب تطبيق الشريعة الاسلامية ، محمد صالح عثمان ، منشور جماعة الامام محمدابن مسعود.

تكون الجرائم محدودة ، بل لانغالى اذا قلنا انها قد تنتفى لان الشريعة لم تكافح الجريمة بمجرد الجزاء وانما تكافحها بالنظام الاجتماعى المتكامل.فى الحض على الفضائل والتمسك بالقيم الدينية والاخلاق اذ من المعلوم ان التمسك بالقيم الدينية يقوى فى الشخص نزعة الايمان بالله وبالتالى يوجد عنده الضمير الحى الذى يجعل الشخص يقلع عن ارتكاب الجريمة ليس بدافع الخوف من العقاب الذى تقره الشريعة جزاء العمل الاجرامى ولكن بدافع الايمان الذى يجعله يخاف الله.

ولايقف الامر عند هذا الحد بل ان هذا الضمير فى كثير من الاحوال يحمل الشخص على الاعتراف بالجرم الذى ارتكبه محاولة للتكفير عن الذنب والتطهير من الجرم. لانه تشريع يتصل بالضمير الانسانى إتصالا وثيقا فشجع على الطاعة وبشر الصالحين أعملا ، ووعدهم بالثواب ورصد جزاء على كل من الخير والشر.

ثالثا: من الاسباب التى توضح عدم صلاحية القوانين الوضعية للتطبيق بالاضافة إلى ماتقدم ان هذه القوانين تنشد غاية نفعية هى بقاء المجتمع واقرار السلام داخله ، فهذا هو كل مايبتغيه المشرع الوضعى ، ولو تعارض تحقيق هذا الهدف مع احكام الدين.

ولذلك ترى فالقوانين التى تحكم النظام العالمى الجديد فى كثير من الاحيان تقر الواقع الذى ارتضاه المجتمع وتتغاضى عن المثل العليا التى تحرص عليها جميع الاديان السماوية. وليس ادل على ذلك ان جميع القوانين الوضعية على خلاف مناحيها واتجاهاتها تحلل مااتفقت جميع الشرائع السماوية على تحريمه ، فهى تبيح الزنا والربا وشرب المسكر كما انها لاتقيم الحدود على اهل المعاصى. مع ان ذلك مخالف لجميع الشرائع السماوية.

ولايفوتنا هنا أن نؤكد أن هذاالنظام العالمى الجديد غير صالح لكل زمان ومكان لأنه قام لخدمة الكيانات الاقتصادية الكبيرة القائمة بين دول العالم ا لمتقدم ومن ثم فهذا النظام لايراعى مصالح الدول الصغيرة التى تعانى من بعض المشاكل والمعوقات لديها والتى لاتمكنها من مسايرة الدول المتقدمة.

الفرع الرابع

الشـــــــمول

الاسلام بمعنى الدين الذى جاء به محمد - ﷺ- له مفهوم عام يشمل كل ما جاء فى الدين من العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق لأن الشريعة الاسلامية[١] تدعو إلى تغليب القيم العليا لتظلل جميع البشر وهى لاشك تدعو

(١) **تعريف الشريعة:**

فى اللغة: الشريعة فى اللغة تطلق على معنيين:

أحدهما: مورد الماء الجارى الذى يقصد للشرب ، يقول العرب شرعت الابل أى وردت مكان الماء ، جاء فى الصحاح «الشريعة مشرعة الماء» وهى مورد الشاربة ، وجاء فى لسان العرب -والشريعة والشرائع والمشروعة- المواضع التى ينحدر الماء منها ، لسان العرب، جـ١٠، ص٤٠.

ثانيهما: الطريقة المستقيمة ، ومن هذا المعنى قوله تعالى: {**ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولاتتبع أهواء الذين لايعلمون**}، صورة الجاثية الآية: ١٨ ، أى جعلناك على منهاج واضح من أمر الدين يشرع بك إلى الحق، تفسير القرطبى، جـ١٦، ص١٦٣.

وفى اصطلاح الفقهاء: هى الاحكام التى سنها الله لعباده على لسان رسله.

واذا نظرنا إلى المعنيين -اللغوى والاصطلاحى- وجدنا المعنى اللغوى محلوظا فى المعنى الاصطلاحى فالشريعة الطريقة المستقيمة التى لااعوجاج فيها ولاخلل والتى تهدى البشر وتوصلهم إلى مافيه صلاح دينهم ودنياهم وما فيه أمانهم فى الدارين.

والشريعة ايضا هى المورد الصافى الذى لاغنى للانسان عنه والتى بها قوام حياة الامم والافراد ، اذ التمسك بها حياة والبعد عنها موات ، فهى غذاء للروح بما اشملت عليه من اصلاح العقائد وتهذيب الانفس وتنظيم العلاقات.

والشريعة بهذا المعنى الاصطلاحى شاملة لكل الشرائع ، فجاء به كل رسول من الرسل. يسمى «شريعة» كشريعة ابراهيم ، وشريعة موسى ، وشريعة عيسى ، وشريعة محمد صلوات الله وسلامه عليه.

ومن الشريعة بهذا المعنى إشتق «شرع» بمعنى انشأ الشريعة ، فيقال شرع الدين يشرعه شرعا، اذ سن القواعد ، واظهر الاحكام منه قوله تعالى: ﴿**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا**﴾، سورة الشورى الآية: ١٣ ، وقوله تعالى: ﴿**أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله**﴾، سورة الشورة الآية: ٢١ ، وأنظر المدخل للفقه الإسلامى، تاريخ التشريع الاسلامى، أ.د. حسن على الشاذلى، دار الاتحاد العربى للطباعة، ص ١٥ ، ١٦.

وبناء على ماتقدم يكون معنى التشريع سن الشريعة وبيان الاحكام وانشاء القوانين. (=)

وتحافظ على أمن الانسان وعرضه وماله فى كل مكان وزمان بل وتجعل هذه الأمور من «المقاصد الضرورية»(١).

وهى تلك الامور التى لابد منها لقيام مصالح الدين والدنيا فلا يستقيم أمر الناس ومصالحهم الا بها ، فاذا فقدت اختل نظام حياتهم وانقلبت شئونهم من صحة إلى فساد وفوت لمصالح الدنيا وفى الآخرة فوت النجاة والنعيم.

الاحكام التى تشملها الشريعة الاسلامية:

الشريعة الاسلامية أو الاسلام هى مجموعة الاحكام التى نزل بها الوحى على محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ولقد تضمنت الشريعة الاسلامية ، الاحكام التى جعلتها منقذا للبشرية وبينت اصول الدين التى تقوم بواحدانية الله وعظمته.

كما تضمنت الشريعة الوسائل التى تجعل لها ذلك الخلود والشمول وتلك الصلاحية حيث جاءت أغلب أدلتها عامة شاملة.

(=) والشريعة الاسلامية: هى مانزل به الوحى على سيدنا محمد - ﷺ - من الاحكام التى تصلح احوال الناس فى دنياهم وآخرتهم سواء فى ذلك أحكام العقيدة أو العبادة أو الاخلاق. وتعريف الشريعة بهذا المعنى الاصطلاحى المتقدم يكون قاصرا على ماورد على لسانه - ﷺ - فى حياته ، لزن الله تبارك وتعالى لم يعط لغيره - ﷺ - سلطة التشريع ، قال تعالى: ﴿ومـاينطق عن الهـوى إن هو إلا وحى يوحى﴾، سورة النجم الآية: ٢-٣.
ويكون ماورد على لسان الصحابة والتابعين من بعده ليس تشريعا بالمعنى المفهوم ، بل هو توسع فى تبسيط القواعد الكلية وتطبيقها على الجزئيات المتجددة واستنباط الاحكام من مصادرها بفهم الآيات والاحاديث والقياس على مافهم منها.

(١) يقول الامام الغزالى «ومقصود الشارع من الخلق خمسة ، أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم ، وعقلهم ، ونسلهم ، ومالهم ، فكل مايتضمن حفظ هذه الاصول الخمسة فهو مصلحة وكل ما يفوت هذه الاصول الخمسة فهو مفسدة ودفعها مصلحة وهذه الاصول حفظها واقع فى مرتبة الضرورة فهى اقوى المراتب فى المصالح». المستصفى من علم الاصول لحجة الاسلام الامام أبى حامد الغزالى المتوفى عام ٥٠٥هـ - الطبعة الأولى بالمطبعة الاميرية - بولاق مصر سنة ١٣٢٢هـ، جـ١ ص ٢٨٦ ، ٢٨٧.

ومصادرها منزلة منزله القواعد الشاملة فأفادت ماتفيده واقترنت الاحكام بالعلل لتدور الاحكام معها وجودا وعدما ومن ثم فان الحكم الوارد فى حادثة هو صالح للحكم على أمثال الحادثة وأشباهها.

وقد دلت على ذلك بأسباب النزول كما أن الاجتهاد موجود فيها «لمن توافرت له اسبابه وفهم مقاصد الشريعة ووقف على أسرارها وهو النظر فى النصوص والتأمل فى المعنى».

والاحكام التى تشملها الشريعة الاسلامية تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- مايتعلق بالعقائد الأساسية:

كالاحكام المتعلقة بذات الله وصفاته والايمان به وبرسله وكتبه واليوم الآخر ومافيه من حساب وجزاء الى غير ذلك من الابحاث التى هى موضوع علم التوحيد.

والعقيدة فى أبسط صورة لها هى الحقيقة التى أعمل الانسان فيها عقله وفكره واستقر عليها رأيه واطمأن لها وجدانه.

وعلى ذلك فان العقيدة الدينية هي حقيقة الدين وجوهره التى تكفل العقل عن حرية اختيار بالوصول اليها بعد أن أعمل الانسان فكره وانتهى بها إلى اليقين.

والعقيد فى جوهرها هى تعريف الانسان بخالقه ، بتوحيد المولى سبحانه ، ومعرفة أنه وحده هو القادر الذى أبدع خلق هذا العالم بنظامه المحكم ، وخالق كل مايعرض عليه من الحركة والسكون ، وربط المسببات بأسبابها الظاهرة ثم معرفة صفاته الكمالية التى تليق بذاته وتنزيهه عن كل نقص وهو عليم ومحيط بكل شئ لايعذب عنه مثقال ذرة فى السموات والأرض.

والانسان افضل المخلوقات بفضل الله كرمه بالعقل وكلفه بأمانة التكليف وقد احترم الدين والعقل فخاطبه ودعاه الى النظر فى ملكوت السموات والارض ، وهداه بالرسل وكلفه بالتصديق برسالاتهم وبالوحى الذى انزله عليهم.

ولعموم الدين الاسلامي كلف الله كل مسلم أن يصدق بجميع الرسل والكتب السماوية وبذلك كان الدين هداية عامة.

ومن أصول الدين وجوهره بعد معرفة الانسان بخالقه وتصديقه الوحى والرسالات. تصديقه بالحياة الآخرة والثواب والعقاب لان الله لم يكلفه بالتكاليف عبثا ولم يترك اعمال الانسان هملا ، بل جعله مسئولا عنها يثاب اذا اطاع الله ويعاقب اذا عصاه وهو غنى عن عبادة لاتنفعه طاعتهم ولاتضره معصيتهم بل هى اعمالهم محصية عليهم وقد وهب الله الانسان القدرة على عمله وخلقه الاسباب وقضاء المولى وتقديره وعمله المحيط لاينافى حرية اختيار العباد لافعالهم.

فالعقيدة والشريعة فى الاسلام معا مجموعة من الموازين والقيم الثابتة التى انزل الله تعالى اصولها على رسله صلوات الله عليهم اجمعين مصداقا لقوله تعالى: **﴿ولقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان بالقسط﴾**[١].

٢- ما يتعلق بتهذيب النفوس واصلاحها:

كالاحكام المبينة للفضائل التى يجب ان يتحلى بها الانسان كالصدق والامانة والوفاء بالعهد والشجاعة والايثار والتواضع والاحسان والعفو والصفح والاحكام المبينة للرذائل التى يحتم على المرء ان يتخلى عنها كالكذب والخيانة وخلف الوعد والجبن والانانية والتكبر والاساءة إلى الغير والانتقام وما الى ذلك مما تكفل ببيانه علم الاخلاق.

٣- مايتعلق ببيان اعمال الناس وتنظيم علاقاتهم بخالقهم كأحكام العبادات والمعاملات:

وهذا القسم يسمى بالفقه الإسلامى[٢] الذى هو من اجتهادات الفقهاء القائم

---

(١) سورة الحديد الآية: ٢٥.

(٢) **الفقه فى اللغة:** يطلق على معنيين:

الأول: مطلق الفهم، يقال فلان يفقه الخير والشر، أى يفهمه، بغض النظر عن مقدار(=)

على دراساتهم الواعية للقرآن والسنة،ومن قم فان عامة المسلمين اذا اخذوا بأيهم فقد

الأول: مطلق الفهم، يقال فلان يفقه الخير والشر، أى يفهمه، بغض النظر عن مقدار(=)

(=) فهمه ، وعن عمقه أو ضحالته ، قال موسى عليه السلام في دعائه لربه عندما كلفه بالرسالة عند طور سيناء «وأحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي» أى يفهموه ، وعندما دعا رسول الله شعيب قومه إلى مابعثه الله به ، قال له قوله «قالوا ياشعيب مانفقه كثيرا مما تقول» أى لانفهمه.

ودعا النبي - ﷺ- لابن عباس فقال «اللهم علمه الدين ، وفقهه فى التأويل» أى فهمه تأويله ومعناه ، فاستجاب الله لدعاءه وكان من أعلم الناس فى زمانه بكتاب الله تعالى.

والثاني: فهم غرض المتكلم من كلامه ، فاذا تكلم امامك شخص فهمت الغرض من كلامه وادركت مقصوده ، وهذا المعنى أخص من المعنى الأول.

الفقه فى الاصطلاح:

هو «العلم بالاحكام الشرعية العملية المستنبطة من أدلتها التفصيلية»، الاحكام فى أصول الاحكام ١/٥.

ويقصد بالعلم مطلق الادراك ، سواء كان على سبيل الجزم واليقين ، أو على سبيل الظن.

والاحكام الشريعة: هى المتلقاه بطريق السمع المأخوذ من الشرع ، أى التى بينها الشرع فى الكتاب والسنة دون المأخوذة من العقل كالعلم بأن العالم حادث ، وأن الواحد نصف الاثنين ، أو الاحكام المأخوذة من الوضع والاصطلاح اللغوى ، كالعلم بأن الفاعل مرفوع ، والمفعول به منصوب.

والحكم الشرعي: هو القاعدة التى نص عليها الشارع فى مسألة من المسائل ، وهذه الاعدة إما أن يكون فيها تكليف معين ، فتسمى الحكم الشرعى التكليفى ، وإما ان لايكون فيها أى تكليف فيقال لها الحكم الشرعى الوضعى.

ومثال الأول: اداء الدين واجب ، والصلاة واجبة ، والقتل محرم ، فالوجوب فى الحالة الأولى ، والتحريم فى الحالة الثانية حكم شرعى تكليفى ، لأن فيه تكليفا بفعل هو اداء الدين أو الصلاة ، أو بالامتناع عن فعل هو القتل.

ومثال الثاني: أن الشرع نص على بطلان عقد المجنون ، فالبطلان هو حكم شرعى وضعى ، لأنه وضع كنتيجة لعقد المجنون بدون أن يكلف فيه بأى تكلف.

العملية:

كلمة عملية تعنى أن الاحكام الفقهية تتصل بعمل الانسان وفعله ، ويقابل الاحكام العملية العقائدية فان تعلقها بالقلوب لابأعمال الاديان.

المستنبطة من أدلتها التفصيلية:

أى أنها مأخذوة من أدلتها المخصوصة بها ، التى تفيد الحل أو الحرمة ، ويقابل الادلة التفصيلية الأدلة الاجمالية ، وهى محل نظر علماء اصول الفقه حيث يبحثون فى اصول الادلة ، الكتاب والسنة ، والاجماع ، والقياس.

المقارنة بين المعنى اللغوى والاصطلاحي للفقه:

اذا نظرنا إلى المعنى اللغوى والاصطلاحى للفقه ، وجدنا أن المعنى اللغوى أعم من المعنى

اصابوا واقتدوا ، كما أن الفقه يعتبر من المرجعيات التى يجب الرجوع اليها عملا بقوله تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون﴾[١].

وقد قسم الفقهاء موضوعات الفقه الإسلامى إلى قسمين كبيرين هما قسم العبادات وقسم المعاملات:

اولا: مباحث قسم العبادات:

اهم الموضوعات التى بحثها الفقهاء فى هذا القسم هى الطهارة ، الصلاة ، الزكاة ، الصيام ، الاعتكاف ، الجنائز ، الحج ، العمرة ، المساجد وفضلها واحكامها ، الايمان والنذور ، الجهاد ، الاطعمة والاشربة ، الصيد والذبائح.

وقد فرض الله العبادات لتجعل قلب الانسان دائم الصلة بربه ، فهى فى مجموعها وشعائرها وكيفياتها روافد تمد الايمان فى القلب بالرى والنماء والزيادة والقوة ، وتجدد ايمان الانسان فى جميع اوقاته. بالمناجاة فى الصلاة وقهر النفس والانطلاق فى مأرب الروح بالصوم ، وبشكر النعمة والاحساس بالعطف والرحمة فى الزكاة ، وبكمال الرق والعبودية فى الحج ، وبذلك تنمو شجرة التوحيد فى قلب المؤمن مادامت حياته الدنيا.

وليس بين العبد وربه واسطة ، فهو دائم الصلة بربه مباشرة والرسل مبلغون فقط والعبادة مع احسان النية وسلامة القصد حاصلة فى كل فعل يفعله الانسان أو يتركه ، اذا كان ذلك طاعة للامر وامتثالا للتكليف حتى فيما يتناوله من طعام

(=) أم على طريقة أخرى وموضوع آخر ولعل السبب فى هذه التسمية أنه قد وردت كلمة «فقه» فى كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - فى مواطن كثيرة منها قوله تعالى: ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ، ليتفقهوا فى الدين﴾.
فجعلوا الفقه فى أول الأمر شاملا لكل أنواع الاحكام الاعتقادية ، والاخلاقية ، والعملية ، ثم اخذ كل علم يتميز عن غيره من العلوم الدينية باسم خاص ، فهذا على التوحيد ، وذلك علم الاخلاق ، واقتصرت كلمة الفقه على الاحكام العملية ، وسمى الباحث فيه والمكتسب له فقيها.

(١) سورة الانبياء الآية: ٧ ، سورة النحل الآية: ٤٣.

وشراب اذا قصد القوة علي الطاعة.

أما العبادة الخاصة فهى الخمس وقد حددها الشارع فليس لأحد أن يزيد فيها أو ينقص منها.

ولكل عبادة كالزكاة والحج والصيام حكمة ظهرت لنا أوخفيت علينا ، فان مافى علم الله لايعلمه إلا هو ومن رحمته بالناس أن كلفهم بما يطيقون وقد اقترن تشريع العبادات بتسهيلات وترخصات جعلتها سهلة ميسرة.

وقد بعث - ﷺ- بالحنيفية السمحة والدين يسر لاعسر[١].

ثانيا: مباحث قسم المعاملات:

واهم الموضوعات التى ادرجها الفقهاء فى هذا القسم هى الزواج ، والطلاق ، العقوبات «الحدود والقصاص والتعزير» البيوع ، القرض ، الرهن ، المساقاة ، والمزارعة ، والاجارة ، الحوالة ، الشفعة ، الوكالة ، العارية ، الوديعة ، الغصب ، اللقيط ، الكفالة ، الجعالة ، الشركات ، الهبة ، الحجر ، الوصية الفرائض.

ومن الفقهاء من قسم الفقه إلى ثلاثة أقسام ، ومن هؤلاء ابن عابدين الحنفى ، فقد قسمه إلى ثلاثة أقسام «عبادات ومعاملات وعقوبات».

وقد قسم العبادات إلى خمسة أقسام «الصلاة ، الزكاة ، الصوم ، والحج ، والجهاد ».

وقسم المعاملات إلى خمسة أقسام وهى المعاوضات المالية ويريد بها «الوديعة ، والعارية ، ونحو ذلك» ، والزواج ومايتعلق به ، والمخاصمات ويريد بها «الدعوى والقضاء ونحو ذلك»، والتركات.

والعقوبات عنده خمسة أيضا القصاص ، وحد السرقة ، وحد الزنا ، وحد

---

(١) الفقه الإسلامى، مراحل ، ومبادئ ، ومشروعات، أ.د. محمد انيس عبادة ، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ - ١٩٩٦٨م، ص ١٦ ، ١٧.

القذف ، وعقوبة الردة عن الاسلام[١].

وأصحاب الامام الشافعي قسموا الفقه إلى اربعة اقسام فقالوا «الاحكام الشرعية إما أن تتعلق بامر الآخرة وهي العبادات ، أو بأمر الدنيا وهذه إما أن تتعلق ببقاء الشخص وهي المعاملات من بيع وشراء وغير ذلك ، أو ببقاء النوع باعتبار المنزل وهي عقود الزواج وما يتعلق بها ثم العقوبات»[٢].

وابن حزم المالكي قسم الفقه في كتابه «قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية»[٣]، إلى قسمين احدهما العبادات والآخر المعاملات ، وضمن كل قسم عشرة كتب على مائة باب ، فانحصر الفقه عنده في عشرين كتابا ومائتي باب ، القسم الأول فيه من الكتب كتاب الطهارة ، كتاب الصلاة ، كتاب الجنائز ، كتاب الزكاة ، كتاب الصيام والاعتكاف ، وكتاب الحج ، كتاب الجهاد ، كتاب الايمان والنذور ، كتاب الاطعمة والاشربة والصيد والذبائح ، كتاب الضحايا والعقيقة والختان.

ووضع في القسم الثاني كتاب النكاح ، كتاب الطلاق ومايتصل به ، كتاب البيوع ، كتاب العقود ، كتاب الاقضية والشهادات ، كتاب الابواب المتعلقة بالاقضية ، كتاب الدماء والحدود ، كتاب الهبات ، كتاب العتق وما يتعلق به ، كتاب الفرائض والوصايا. ثم ختمه بكتاب الجامع ، وهو يحتوي على عشرين بابا.

وإنما انحصرت الكتب والابواب عنده في هذا العدد «لانه ضم كل شكل إلى شكله ، والحق كل فرع باصله ، وربما جمع في ترجمة واحدة من يفرقه الناس في تراجم كثيرة رغبة في الاختصار»[٤].

(١) حاشية ابن عابدين ٥٦/١ الطبعة الثالثة ، الاميرية ، القاهرة.
(٢) كشاف اصطلاحات الفنون ٣٢/١.
(٣) كتابة هذا كتاب جامع في علم الخلاف ومقارنة الشرائع ، طبعته دار العلم للملايين ، بيروت- لبنان.
(٤) قوانين الاحكام الشرعية، ص ١٦.

الفرق بين العبادات والمعاملات:

اكثر الفقهاء قسموا الاحكام الشرعية إلى عبادات ومعاملات ، وقد لاحظوا فروقا عدة جعلتهم يذهبون هذا المذهب.

الأول: اختلاف المقصود الأصلي لكل من العبادات والمعاملات:

فاذا كان الغرض الأول من الاحكام الشرعية التقرب إلى الله وشكره ، وابتغاء الثواب في الآخرة فانهم يجعلون هذا النوع في العبادات كالصلاة والحج والصوم والزكاة ، واذا كان المقصود منه تحقيق مصلحة دنيوية أو تنظيم علاقة بين فردين أو جماعتين فانهم يضعون هذا النوع في قسم المعاملات.

الثاني: لاحظ الفقهاء أن الأصل في العبادات أنها غير معقولة المعنى جاءت بها النصوص آمرة أو ناهية ، لايعلم حقيقتها إلا الله وكل مانعرفه من حكمها وعللها مما ورد به النص ، أو عرف بالاستنباط لا أثر له في قياس ولااباحة ولا إلغاء. ولاأدل على أنها مقصورة على التعبد مما نراه فيها من أمور كثيرة يعجز العقل عن ادراكها ، فانما يكون على وجه الاجمال لا التفصيل[1].

واما المعاملات فالاصل فيها انها غير معقولة المعنى ، يدرك العقل كثيرا من اسرارها ، لذلك نرى العقلاء في أزمان سابقة استعملوا عقولهم في تشريعها فاصابوا في الكثير منها ، وإن كان التوفيق جانبهم في بعضها الآخر ، ولما جاء الاسلام أقر بما يتعاملون به أمورا غير قليلة.

يرشدنا إلى ذلك أسلوب التشريع فيها ، فهو لم يعمد إلى التفاصيل ، بل جاء بالاصول الكلية والقواعد العامة ، ثم أكثر من التعليل ليكون ذلك عونا للفقهاء على التطبيق مهما تتغير أو تختلفت البيئات ، وأما العبادات فهي على العكس من ذلك، القرآن جاء بها إجمالا ، والرسول بينها أكمل بيان.

الثالث: يشترط في التكليف بالعبادات العلم بأنه مأمور بها من الله تعالى؛

(١) المدخل في التعريف بالفقه الإسلامي، أ.د. محمد مصطفى شلبي، دار النهضة، ص٢٩.

اذ لابد للمكلف من نية التقرب بالعبادة إلى الله تعالى ، وهذه النية لاتكون إلا بعد معرفة أن العبادة المتقرب بها إليه أمر منه جل وعلا ، وأما المعاملات فلا يشترط فى صحة فعلها نية التقرب ، ولكن لاأجر له فيها إلابنية التقرب إلى الله تعالى كرد الامانة ، والمغصوب ، وقضاء الديون ، والانفاق على الزوجة ، فمتى فعل شيئا من هذه خوفا من عقوبة السلطان ففعله صحيح دون النية، وتسقط المطالبة به فلا يلزمه الحق فى الآخرة بدعوى أن قضاءه فى الدنيا غير صحيح لعدم نية التقرب بل القضاء صحيح ، والمطالبة ساقطة على كل حال ولكن لا أجر له إلا بنية التقرب.

العلاقة بين الشريعة والفقه:

من خلال تعريفنا للشريعة والفقه مما مضى يتضح لنا:

أن الشريعة عامة شاملة لجميع الاحكام الاعتقادية والاخلاقية والعلمية ، اما الفقه فيتضح أيضا من تعريفنا له انه جزء من الشريعة ويختص بالاحكام العملية أى المتعلقة باعمال المكلفين كالصلاة والحدود والبيع والشراء وسائر تصرفات العباد فهو يبحث فى كل جزئية من اعمال الناس بالحل أو التحريم أو الكراهة أو الوجوب ودليل كل واحد من هذه الأمور.

فالشريعة بذلك اعم من الفقه وأنه جزء منها ومع هذا فقد يطلق لفظ الشريعة ويراد به الفقة كما هو حاصل الآن وهو المراد من اللفظ عند الاطلاق[١].

ومن خلال هذا العرض المبسط الذى يظهر شمول أحكام الشريعة الإسلامية لأنها نظمت كل نواحى الحياة ، سياسية واقتصادية واجتماعية ودينية وغيرها أما النظام العالمى الجديد فهو غير شامل لتنظيم كل هذه النواحى لأن كل تركيزه على الجانب الاقتصادى فقط ومن هنا يظهر لى أوجه الفرق بينهما من ناحية الشمول كما يلى:

---

(١) يراجع: تاريخ التشريع الاسلامى، أ.د. حسن الشاذلى، ص ٢٥ وما بعدها ، وتاريخ التشريع الاسلامى، للدكتور/ عمر الأشقر، ص ٢٠ وما بعدها.

من ناحية تنظيم المجتمع:

ليس غريبا أن يكون الاسلام أول نظام ظهر على الأرض يهدف فى المقام الأول إلى تحقيق المجتمع الانسانى والسمو به.

بل أنه النظام الوحيد الذى صنع ذلك وطبقه بلا حدود تتصل بالجنس أو باللون ، بالقبيلة أو الدولة أو الامة ، بالمكانة السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية.

إنه نظام يرتقى فوق كل هذه الحدود ، ويمزق بين بنى الانسان ما اصطفوه من سدود وقيود ، ويأخذهم برحمته إلى مجتمع الوحدة والتآلف والمحبة[١].

إن القرآن الكريم ذكر النفس الانسانية فى جميع حالاتها ، وخاطب الناس بمختلف عقائدهم وأشكالهم ، ووجه آوامره ونواهية للإنسانية جميعها فالنفس الانسانية المحكومة بالدوافع الغريزية هى الأمارة بالسوء سواء كانت نفس مسلم أو غير مسلم، قال تعالى: ﴿**وما أبرى نفس إن النفس لأمارة بالسوء**﴾[٢].

والنفس الواعية المتدبرة للكون ومافيه ، المدركة لحقيقة وجودها ، المدفوعة

---

(١) الاسلام دين الانسانية، دكتور/ عبد الرشيد عبد العزيز سالم ، مكتبة التراث الاسلامى، ص٥١.

والتاريخ أصدق دليل علي ذلك فقد خرج عمر بن الخطاب يوما فاذا بشيخ يهودى ضرير يسأل على الأبواب فسأله عمر: ما ألجاك إلى ما أرى؟ قال الرجل الجزية والحاجة والسن. وهنا تحركت مشاعر الانسانية العامرة عند عمر ، ذلك الذى ينسبون اليه القسوة والعنف جهلا منهم بطبيعته الخافية وراء الوجه الصارم والحازم والقوى ، فقاده حتى وصل إلى بيته ، وأضفى عليه من رحمته وعطفه ، وأمر له بصدقة من بيت المال تكفيه الحاجة والسؤال ، وقال لخازن بيت المال: انظر هذا وضربا ،، فوالله ما انصفناه إن اكلنا شبيبته ثم نخزه عند الهرم فعمر يعلم عداوة اليهود للمسلمين وحقدهم المرير على دين الاسلام ، وفتنهم السوداء بين الناس ، ومع ذلك لم تمنعه إنسانيته من الاخذ بيد هذا الضرير ومنحه مايصون له إنسانيته ويحفظ عليه آدميته وينأى به عن ذل السؤال ، لم تدفعه لذلك مشاركة فى دين أو جنس أو نسب أو حسب ، وانما دفعته روح الاسلام السامية التى صهرت المجتمع الانسانى كله فى بوتقة واحدة فجعلت كل بنى الانسان سواسية لايتفاضلون إلا بالتقوى والعمل الصالح.

(٢) سورة يوسف الآية: ٥٣.

إلى الخير واكتسابه ، المقاومة للشر وأسبابه ، هى النفس الملهمة دون تحديد لها بجنس أو لون أو لغة أو دين. واذا كان النظام العالمى الجديد يريد فرض هيمنة وقوق الدول الكبيرة على الدول النامية والصغيرة بدافع من شيطانهم الذى يسيطر عليهم.

فان الاسلام فى تنظيمه للمجتمعات البشرية ، يلغى كل الحدود والدعاوى والافكار التى تفصل الانسان عن اخيه الانسان ويبطل كل زيغ فى العقائد التى ابتدعها الناس أو حرفوها فى رسالات الرسل. ويهدم العقائد التى تلغى الخير فى عالم المادة ، لانها عقائد ضاق افقها عن أن تفسح لقوة الضمير المبدعة فى الانسان لتعمل عملها المثمر فى دنيا الناس ، ذلك العمل الذى يبقى أثره شاهدا على قوة الخير فى الانسان.

إن الاسلام لايرى أن المادة كلها شر لاخلاص منه الا بالخلاصة من الجسد كما عند البراهمة.

ويرفض عقيدة مجوس فارس الثنوية التى ترى أن الشر من إله الظلام ، وأن الخير من إله النور ، وأن الغلبة دائما لإله النور بعد صراع يطول مداه.

كما يرفض العقيدة الفرعونية التى كانت ترى أن الإله «ست» يكون شريرا مع اعدائه ومخالفيه خيرا مع اتباعه ومؤيديه.

والعقيدة العبرية التى ترى أن الشر أحيانا يكون من عمل الشيطان وأحيانا من عمل الحية. فهو تارة غير مادى ، وتارة أخرى مادى ولكن ليس مصدره الانسان ، وانما هو من حيوان كريه إلى الناس لما ينفثه من سموم قاتله. وهى عقيدة لاترتقى كثيرا عن العقائد السابقة عليها. لأنهم ينسبون العمل الواحد مرة إلى المعبود «يهودا» ومرة إلى الشيطان. وكذلك العقيدة المسيحية التى ترى أن مملكة الدنيا للشيطان ، ولله ملكوت السماوات وهى أفكار ساذجة تقوم على الغاء الخير من عالم المادة ، وتنقص من قيمة الضمير عند الانسان وعظمة فعله وارادته.

أما فى الاسلام فان قوة الشر النابعة من الشيطان لاسلطان لها على

ضمير الانسان مالم يستسلم لها بهواه وارادته. أو بضعف منه عن مقاومة الإغراء ، فهو حر مختار ، مدرك لابعاد فعله مسئول عنه مسئولية مباشرة ، وهو قادر فى أدنى حالاته الانسانية على قهر هذا الشيطان ، بل والسيطرة عليه. لأن التوازن بين مادته وروحانيته بالاسلام ومبادئه ، جعلت كيد هذا الشيطان وتسلطه عليه ضعيفا.

﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾[1]، ﴿ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا﴾[2].

هذا الشيطان فى الاسلام لاسلطان له ، وقوته محدودة مهزومة بقوة الضمير الإنسانى العامر بالايمان. فمن اطاعه فقد أطاع هواه وظلم نفسه.

فهذا الشيطان أمام المؤمنين الصالحين ضعيف متهالك ، لايستطيع قهرهم وهو بين يدى الله لايملك لنفسه شيئا ، كما لايملك للآخرين والذين أغواهم حجة أو برهانا.

﴿وماكان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة﴾[3]، ﴿وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا انفسكم﴾[4].

وهكذا فالشيطان -كما يحدثنا القرآن الكريم- مقهور ومطرود ، مغلوب على أمره ، ليس له من علم الغيب شئ ، وليس له من ارادة مفردة يسوق بها الانسان قهرا واضطرارا ، انما هو قرين -فقط- يزين الهوى ، ويحسن الغواية. فاذا برز الضمير انتصر عليه ودفعه عن الانسان دفعا ومن هنا كانت عدالة الاسلام كاملة ، وكانت قضية الفعل ورد الفعل ، بالميزان الذى عليه المساءلة والحساب ، وكان تنظيم الاسلام للمجتمعات الانسانية مبنيا على قوة الضمير ، وارادة العمل ، وسلامة المقصد. والتوحد بين بنى الإنسان ، فى هذه الثلاثة لاتشقه الاجناس

(١) سورة النساء الآية: ٧٦.
(٢) سورة الاعراف الآية: ٢٠١.
(٣) سورة سبأ الآية: ٢١.
(٤) سورة ابراهيم الآية: ٢٢.

والاعراق والالوان ولاتذيبه قوى السلاح والمال والسلطان. ونحن نشاهد ذلك الآن فى نهاية القرن العشرين. واقعا ملموسا فى جنبات الأرض ، وعلى المسلمين أن يدركوا ذلك وأن تتوحد كلمتهم وإرادتهم ، حتى يستطيعوا أن يفتحوا قلوب البشر لكلمة القرآن الخالدة التى سوف تكون يوما رضى الناس أم أبوا- مركز التوحد والأمن والسلام لكل بنى الانسان[١].

إن رعاية المجتمع بارزة فى الدين. وعليه واجبات ، يأخذ الفرد من خير الجماعة سعادته ويتكون المجتمع من تعاون الافراد ، يعطى كل فرد ما عنده ليأخذ مالايقدر عليه ، ومقدار قيمته فى المجتمع هو مقدار مايبذل وقيمة مايفعل ، والحاكم العام يقوم فى الجماعة مقام الميزان العادل.

والحكم مسئولية ونيابة عن الأمة ، والحاكم له حقوق وعليه واجبات لكن فى غير قدسية ولاامتياز ، عمله منوط بالمصلحة العامة فى الارواح والاموال والاعراض والأديان. واذا كان النظام العالمى الجديد لايراعى العدل فى ا لعلاقات الدولية ويكيل الامور دائما بمكالين بغرض ايذاء المسلمين والحاق الضرر بهم.

فان جماع الامر فى الإسلام هو الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وفتح السبيل للمعروف وسد النوافذ أمام المنكر والمفاسد. وهذا يظهر خاصة فى:

تنظيم الاسلام لعلاقات الحرب والسلم: .

فلقد نظمت الشريعة الاسلامية علاقات الحرب والسلم على أساس من العدل الانسانى ، وجعل العلاقات بين المسلمين وغيرهم هى السلام ، والحرب طارئ لرد الاعتداء وحفظ الدين وافساح الطريق للحرية فان بغى باغ على الدين وأهله فان الاسلام يفرض على المسلمين الجهاد فرضا لحماية مقدساتهم ومنع الفتنة عنهم ، والله يحب المؤمن القوى فهو عنده خير من المؤمن الضعيف.

والاحكام المتعلقة بالسلم والحرب. والتى وردت فى القانون الدولى قد بناها القرآن الكريم على أسس ومبادئ لتحكم حركتها وتمنع الكيل بمكالين كما يفعل

(١) الاسلام دين الانسانية، ص ٥٧.

القائمين على النظام العالمى الجديد وتتمثل فى الآتى:

١- الدعوة إلى السلام للناس كافة، قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة**﴾[١]، وقال تعالى: ﴿**وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله**﴾[٢].

٢- العدالة فى التعامل، قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط لايجرمنكم شنأن قوم على الا تعدلوا ، اعدلوا هو اقرب للتقوى**﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿**وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا**﴾[٤].

٣- البر بغير المسلمين وتوسيع علاقات التعاون فى شئون الدنيا بما لايخالف شريعة الاسلام وهذا يشير إليه قوله تعالى: ﴿**لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين**﴾[٥].

٤- حسن معاملة الأسرى والعمل على تحرير الرقيق.

٥- الوفاء بالعهود والمواثيق، قال تعالى: ﴿**الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فاتموا اليهم عهدهم إلى مدتهم**﴾[٦].

والوفاء مقيد بوفاء الطرف الآخر.

وكل هذه المبادئ انما تنبع من مبدأ عام هو وحدة الانسانية فى الاصل قال تعالى: ﴿**كان الناس امة واحدة**﴾[٧]، وقال تعالى: ﴿**يا أيها الناس انا**

(١) سورة البقرة الآية: ٢٠٨.
(٢) سورة الانفال الآية: ٦١.
(٣) سورة المائدة الآية: ٨.
(٤) سورة البقرة الآية: ١٩٤.
(٥) سورة البقرة الآية: ١٩٠.
(٦) سورة الممتحنة الآية: ٨.
(٧) سورة براءة الآية: ٤.

خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾[١][٢].

نظام الدولة فى الإسلام:

الاسلام لايرضى السيادة المطلقة الخالية عن القيد والنظام والدولة التى عرفها الاسلام وأقرها الرسول - ﷺ- لاتأخذ بهذا على اطلاقه وانما هى دولة من طراز خاص يسميه بعض علماء المسلمين بالدولة الفكرية لأن الحكام والمحكومين فيها مقيدون بفكرة معينة وبمجموعة من القيم الخلقية والتشريعية التى تكون اطارا قانونيا ملزما للجماعة بأسرها فهى الاطار القانونى يحدها ويقيد اطلاقها القانون الذى لايملك أحد تعديله يخضع الحاكم والمحكوم لحكم هذا القانون.

قال - ﷺ-: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب أو كره مالم يؤمر بمعصية فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولاطاعة»[٣].

وإن سيادة الدولة سيادة مطلقة للقانون الجامد «حدود الله» المبينة فى الكتاب والسنة وسيادة شعبية محدودة لجمهور المسلمين فيما دون هذه الحدود.

وأساس هذا الازدواج أن الاسلام لايترك المرء هملا للاهواء ولايرى فى الفكر دليلا على الصواب. قال تعالى: ﴿وإن تطع اكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾[٤].

فالنص القاطع مسلم والله الذى أنزل النص القاطع أعلم بمصالح الناس ومظان العدل وإن كرهوا : ﴿وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون﴾[٥].

أما عند عدم النص أو عند احتمال النص للتأويل فان الاسلام يجعل الميزان

---

(١) سورة الحجرات الآية: ١٣.
(٢) مصادر التشريع الاسلامى، أ.د. محمد عبد المنعم حبشى، طبعة ١٩٩٨، ص ٣٣.
(٣) رواه مسلم فى الجامع الصحيح، جـ٦ ص ١٥ ، القاهرة ١٣٨٤هـ.
(٤) سورة الأنعام الآية: ١١٦.
(٥) سورة البقرة الآية: ٢١٦.

لرأى الجماعة جاعلا منه دليلا على الخير والحق وشاهدا له عند عدم المعيار الموضوعى الذى يكشف عن الحق فى ذاته المستمد من النص القطعى ، وفى ذلك يقرر مبدأ الجماعة «يد الله مع الجماعة» ، «ما رآه المسلمون حسن فهو عند الله حسن»[١]، لاتجتمع أمتى على ضلالة»[٢].

ومن الايمان برأى الجماعة برز مبدأ الشورى ومبدأ الاجماع الشرعى.

ماتقدم كله هو جوهر الدين من نصوصه . وهو النظام العام الثابت فى كل ناحية من نواحى الحياة التى يعيشها الناس.

ولقد ضع احكم الحاكمين المبادئ الثابتة من العقائد والقواعد الثابتة فى التشريع والاخلاق لشئون الافراد والجماعات وقرر بهذه النصوص جوهر الدين الثابت الدائم الذى علم سبحانه صلاح الناس على أساسه.

مفهوم الاقتصاد الإسلامى:

إذا كان مفهوم الاقتصاد عند القائمين على تطبيق النظام العالمى الجديد هو تحرير التجارة العالمية وهو نظام لايقوم على العدل لوجود تفاوت كبير بين منتجات الدول الغنية والدول الفقيرة. فان مفهوم الاسلام للاقتصاد يقوم على العدالة المطلقة، التى تنشد سلام الانسانية وتؤاذها وتراحمها وتعاونها من غير قهر أو استعباد سواء كان للمال أو للآله.

لذلك فهو يناقض تماما المفهوم السائد فى الغرب حيث لايعنى الاقتصاد سوى الانتاج والاستهلاك كهدفين لذاتهما.

انتاج اكثر لاستهلاك اكثر ، وبأى صورة من الصور ، سواء كان المنتج نافعا أو ضارا ، دون أدنى رعاية للقيم والاخلاقيات والسلامة الانسانية.

---

(١) الفتح الربانى لترتيب مسند الامام احمد، جـ٢٢ ص ١٧٠ ، سنن ابن ماجة، جـ٢ ص ١٣٠٣.

(٢) وتراجع محاضرة حول الفقه الدستورى فى الاسلام، للاستاذ الدكتور/ أحمد كمال ابو المجد، ص ٣٩ ، القيت فى الموسم الثقافى الرابع لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر الشريف.

فمثلا الأسلحة الكيماوية والنووية والهيدروچينية والنترونية ، وغيرها من أسلحة الدمار تكفى لتدمير البشرية عدة مرات ، ولكن مادام التجار والسوق يلعبان بالوهم ، والوهم يباع ويشترى ، فالعجلة دائرة.

هذا بينما الاقتصاد فى ظل النظام الإسلامى لايهدف إلى النمو لذات النمو، وانما يهدف إلى التوازن وسلامة البشرية ورقيها وأمنها ، وتعكس الزكاة التى هى أحد أركان الاسلام الخمسة بمضمونها التشريعى والواقعى ذلك - إنها ليست صدقة تؤخذ كيفما اتفق ، إنما هى اقتطاع من رأس المال فرضه الشارع وحدد قيمته وموعده- تعكس صورة التأمين الاجتماعى الذى ينعم به المجتمع الاسلامى ويتمتع به افراده.

والاقتصاد الاسلامى يرفض الخضوع الاعمى للآلة لأنه يحمل غاية فى ذاته باعتباره تنظيما لأهداف عقائدية وانسانية سامية ، وهو لايترك الحبل على الغارب لقوى الانتاج ، وانما يوجهها من أجل ارضاء الحاجات الحقيقية التى تتجاوب مع أسس الاسلام وقواعده ، ويستشف من خلال ذلك التوازن فى توزيع الدخل والحيلولة دون الاحتكار.

فهو من هذه الناحية يراقب السوق مراقبة صارمة ، ويقوم بهذه الوظيفة المحتسب المكلف بتنظيمه والسهر على الأسعار فيه ، وبعبارة موجزة ليست السوق غاية إنما هى إحدى الوسائط المستخدمة فى توزيع الدخل ونمو المجتمع ، وبهذا لايوجد أقل تشابه بين الرأسمالية والنظام الشيوعى وبين النظام الاقتصادى فى الإسلام.

ولم تستطع أوربا تحقيق صورة من صور التأمين الاجتماعى الا فى القرن العشرين ، وبعد صراع مرير ، فى حين أن مثل هذا التنظيم طبق فى الاسلام منذ اكثر من اربعة عشر قرنا كأحد قواعد العقيدة نفسها.

فالعالم يكتنفه الآن مشكلة اقتصادية نشأت نتيجة لصعوبة حصول المجتمعات البشرية على اشباع حاجاتها المادية لأن ما قد يوجد لديها من موارد يفوق هذه الحاجات وقد يقصر عن الوفاء بها.

ونتيجة لهذا نشأ صراع بين معظم هذه المجتمعات يرتبط بعناصر هذه المشكلة، فهو صراع يقوم على أسباب اقتصادية ودوافع مادية ، مما زعزع أمن البشرية وأشاع فى ربوعها البلبلة والاضطراب.

وقد ارتبط هذا الصراع بتنازع المذهبين الرأسمالى والاشتراكى وما أدى إليه مابينهما من تباعد فى الأهداف وتناقض فى الوسائل.

ففى الرأسمالية الكلاسيكية نجد «آدم سميث» ينتهى فى كتابه «ثروة الأمم» إلى أن كل إنسان يسعى لتحقيق مصلحته ، وهذا الأمر واقع ، ولكنه يرى الا تعارض بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة فكل واحد وهو يسعى لتحقيق مصلحته الخاصة إنما يحقق مصلحة الجماعة دون توجيه أو ارشاد. فهناك يد خفية توجه كل فرد لمصلحة الجماعة وهذا بعيد عن الواقع.

ثم يأتى «ريكاردو» فينتهى إلى عكس ما انتهى اليه «آدم سميث» حيث رأى أن سعادة الناس لم تقم الا على انقاض وأشلاء الاخرين وتعاستهم. وجاء بنظريته فى الريع التى مهدت للقول المشهور بفائض القيمة عند الماركسيين.

والواقعية انما تتحقق بالرقابة المزدوجة التى تحقق التوازن بين المصلحتين.

ثم يأتى «مالتس» بنظرية السكان حيث رأى أن الموارد تزيد بمتواليات عددية «١ ، ٢ ، ٣ ، ٤» وهكذا وأن السكان يزيدون بمتواليات هندسية «١ ، ٢، ٤ ، ٨ ، ١٦» وهكذا.

وهذا يخالف الواقع الذى اخبرنا به خالق السكان وخالق الارض التى **﴿بارك فيها وقدر فيها أقواتها﴾**[١]، وقال تعالى: **﴿وما من دابة على الأرض إلا وعلى الله رزقها﴾**[٢].

ووسط هذا التناقض المؤسف بين العوز والحاجة وبين الثراء والسعة الذى ظهر فى العالم مع ظهور النظام العالمى الجديد تبرز أهمية دراسة الاقتصاد الاسلامى

---

(١) سورة فصلت الآية: ١٠.

(٢) سورة هود الآية: ٦.

كنظام اسلامى ومنهج تقويمى ، يفوق فى عمق فلسفته ، ودقة تنظيمه واحترامه لإنسانية الانسان ، كل نظام آخر عرفته البشرية حتى اليوم[١].

وبالجملة فان الاقتصاد الاسلامى يرتكز على أسس تغاير اسس نظام الاقتصاد فى النظام العالمى الجديد فى الغرب وفى الشرق على السواء ، ولن يخرج العالم من تيه الاستغلال والفقر ، والتخمة والجوع ، والاستيراد والثورة الا اذا عرف طريقه إلى الاقتصاد الاسلامى الذى لم يترك ثغرة من هذه الثغرات الا سدها وقرب بين كل بنى الإنسان بالمودة والرحمة[٢].

الفـــرع الخامس
الأسس العامة للتشريع الاسلامى

بالنظر إلى التشريع الاسلامى كنظام عالمى نجد أنه يقوم على أسس ثلاثة هنا لايعرف عنها النظامالعالمى الجديد شئ ولايضعها السادة القائمين على تطبيقه فى إعتبارهم وهى:

الأساس الأول:
رعاية مصالح الناس ودرء الاضرار والمفاسد عنهم:

المتتبع للشريعة الاسلامية يجد انها وضعت لمصالح الناس جميعا فى كل الاوقات، وفى جميع الاماكن فى الدنيا، وكذلك فى الآخرة، وهذا هو الاصل الكبير الجامع لجميع احكام الشريعة الاسلامية ... وهذا الاساس يتجلى فيما يلى:

١- الحكمة فى إرسال الرسل فى قوله تعالى: ﴿رسلا مبشرين ومنذرين﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[٤]، والحكمة من شرعية الصلاة فى قوله تعالى: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء

---

(١) بحوث فى الاقتصاد الاسلامى للمؤلف، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ص ٥.
(٢) الاسلام دين الانسانية، ص ٢٠٤.
(٣) سورة النساء الآية: ١٦٥.
(٤) سورة الأنبياء الآية: ١٠٧.

والمنكر﴾[١]، والحكمة من شرعية القتال فى قوله تعالى: ﴿**اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير**﴾[٢].

والحكمة من شرعية القصاص فى قوله تعالى: ﴿**ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب**﴾[٣]، والحكمة فى شرعية الصيام فى قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**﴾[٤].

٢- رعاية مصالح الناس جميعا على اختلاف بيئاتهم وازمانهم واحوالهم. وهذا واضح من قوله تعالى لنبيه محمد - ﷺ-: ﴿**وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا**﴾[٥]، ومن قوله تعالى له: ﴿**قل يا أيها الناس أنى رسول الله إليكم جميعا**﴾[٦]، فالتشريع الاسلامى جاء للناس عامة فى جميع الأوقات والأماكن منذ بعثة النبى - ﷺ- وإلى يوم القيامة.

٣- رعاية مصالح الناس فى عصر الرسالة ومابعد عصر الرسالة. فرعاية التشريع لمصالح الناس فى عصر الرسالة إنما يتجلى فى التدرج فى نزول الاحكام ، ففيه رعاية حال المجتمع وأخذه بالحكمة وذلك بأن ينزل المشرع حكما ، ثم بعد مضى وقت من الزمان ينسخ هذا الحكم ويضع آخر ، وقد ينسخ أيضا الحكم الثابت بعد مضى فترة من الزمان ثم يضع حكما جديدا.

وأما رعاية التشريع لمصالح العباد بعد عصر الرسالة فانه يتجلى فيما يلى:

أ- أن أحكام الشريعة لها علل ، وهذه العلل يدور الحكم معها وجودا وعدما، فاذا وجدت العلة وجد الحكم ، واذا انعدمت العلة انعدم المعلول ، فاذا وجدت السرقة وجد الحكم وهو القطع ، واذا انعدمت انعدم الحكم.

---

(١) سورة العنكبوت الآية: ٤٥.
(٢) سورة الحج الآية: ٣٩.
(٣) سورة البقرة الآية: ١٧٩.
(٤) سورة البقرة الآية: ١٨٣.
(٣) سورة سبأ الآية: ٢٨.
(٤) سورة الاعراف الآية: ١٥٨.

وقد نص المشرع على كثير من علل الاحكام وحكمه تشريعها لبيان ان احكام الشرع معللة ، وأنها تدور مع عللها وجودا وعدما ، فاذا استمر وجود العلة استمر وجود الحكم ، واذا انعدمت العلة انعدم الحكم كذلك.

ب- ان اسلوب التشريع يختلف فى الاحكام التى تتغير مصالحها باختلاف الازمنة والامكنة عن الاحكام التى لاتتغير مصالحها ففى الأولى ، فان التشريع يضع القواعد الاساسية ويترك التفصيل للمجتهدين ، حتى يتمشى التشريع مع احوال الناس ، ويساير تطورهم ، كما فى نظام الدولة الدستورى والادارى والعلاقات الدولية والمعاملات وبعض الجنايات.

أما فى الاحكام التى لاتتغير مصالحها بتغير الأزمنة والأمكنة ، فقد بينها التشريع بيانا تفصيليا ، كالصلاة والزكاة والصيام والحج ، وبعض الجنايات التى لاتتغير مفسدتها على مر الأيام، كالقتل والقذف والزنا والسرقة وقطع الطريق(١).

الاساس الثانى: تحقيق العدالة بين الناس جميعا:

التشريع الاسلامى تشريع جاء للناس كافة ليجمعهم على الخير ، وليوحد كلمتهم ، فهو ينظر إلى الانسان باعتباره انه انسان ، فلا عبرة بلونه أو جنسه أو مركزه أو ماله أو جاهه أو سلطانه ، فالغنى والفقير ، والقوى والضعيف ، والأبيض والأسود ، الكل أمام الحق سواء ، ولافضل لإنسان على آخر إلا بالتقوى ، وهذه المساواة بين الناس فى مجالات الحياة المختلفة هى مايسمى بالعدالة ، ولقد أمر بها القرآن الكريم وحذر من تركها ، وحثت عليها سنة رسول الله - ﷺ- فى مواضيع كثيرة.

ففى كتاب الله تعالى آيات كثيرة تتحدث عن العدل منها: قوله تعال: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾(٣).

(١) تاريخ التشريع الاسلامى، أ.د. حسن الشاذلى، ص ٦٠.
(٢) سورة النحل الآية: ٩٠.
(٣) سورة النساء الآية: ٥٨.

فـقـد صـرحت الآيتـان بأمـر الله لنا بالتـزام العـدل بين الناس ولم تقل بين المؤمنين، للدلالة على أن العدل مطلوب بين الجميع ، مسلما كان أو غير مسلم.

وقـوله جل شـأنه في وجـوب إقـرار العـدل، والنهى عن الحـيف والجـور حـتى مايدعو إليـه من بغض وكـراهيـة لبعض الناس: **﴿يا أيهـا الذين آمنوا كـونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولايجرمنكم شنئان قوم على إلا تعدلوا ، إعدلوا هو أقرب للتقوى، وإتقوا الله، إن الله خبير بما تعملون﴾**(١).

أى لايدفعنكم ولايحملنكم بغض بعض الناس وكراهيتهم على ترك العدل ، ثم يأمرهم بالعدل ، ويأمرهم بتقوى الله والخوف منه ، ويبين لهم أنه مراقب عملهم.

وقوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ، شهداء لله ، ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين ، أن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وأن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا﴾**(٢).

فـينهى الله عن اتباع الهوى ، وعن تحريف الشـهادة وعن عدم أدائهـا ، بل يجب أن يكون الانسـان عـادلا حتى ولو كـانت الشـهادة على نفسـه أو والديه أو اقاربه أو على غنى أو فقير.

ومن السنة الشريفة:

قـول النبى - ﷺ-: «لاتفلح أمة لايؤخذ للضـعيف منها حقـه ، ومـا روى عن عـائشة زوج النبى - ﷺ- أن قـريشـا أهمـهم شأن المرأة المخزوميـة التى سرقت فى عهد النبى - ﷺ- فى غزوة الفتح ، فقالوا من يكلم فيها رسول الله - ﷺ-؟ فقالوا ومن يجترئ عليه إلا اسامه بن زيد حب رسول الله - ﷺ- ، فأتى رسول الله - ﷺ-

---

(١) سورة المائدة الآية: ٨.

(٢) سورة النسـاء الآية ١٣٥ ، ومعنى **﴿وإن تلئوا﴾** وإن تحرفوا الشهادة وتأتوا بها على غير وجهها الذى تستحقه ... وتلئوا - مأخوذة من اللى وهو القتل ، ومعنى **﴿أو تعرضوا﴾** أى تعرضوا عن أداء الشهادة بألا تأدوها.

فكلمه فيها أسامة بن زيد فتلون «أي تغير» وجه رسول الله - ﷺ- فقال: اتشفع في حد من حدود الله؟!! فقال اسامه بن زيد استغفر لي يا رسول الله ، فلما كان العشى قام رسول الله - ﷺ- فاختطب «أي خطب في الناس» فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد ... فإنما اهلك الذين من قبلكم انهم كانوا إذا سرق فيه الشريف تركوه ، واذا سرق فيه الضعيف اقاموا عليه الحد[1] وإني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» رواه مسلم ... ثم أمر الرسول - ﷺ- بتلك المرأة فنفذ فيها الحد.

ومن الآثار عن الصحابة التي تتحدث عن العدل:

١- قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته عقب مبايعته لخلافة المسلمين: «والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له ، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى اخذ الحق منه».

٢- وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند مبايعته للخلافة بعد أبي بكر: «أيها الناس: إنه والله مافيكم احد أقوى عندي من الضعيف حتى آخذ الحق له ، ولا اضعف من القوي حتى اخذ الحق منه».

قوله للولاة عندما كان يعينهم: «إجعلوا الناس سواء ، قريبهم كبعيدهم ، وبعيدهم كقريبهم ، وإياكم والرشا[2] والحكم بالهوى وان تأخذوا الناس عن الغضب».

وتنفيذه للقصاص في حادثة المصري الذي شكا له من ضرب أبن عمرو بن العاص له بالسوط ظلما عندما غلبة في السباق ... فأحضره في مجلس المظالم ، ولما اعترف ، أمر المصري بأن يضربه بالسوط قائلا له: «اضرب بن الأكرمين - مشيرا إلى ما قاله ابن عمرو بن العاص للمصري لما هدده بأن يشكو مظلمته إلى

---

(١) الحد هو العقوبة المقدرة شرعا مثل عقوبة الزنا وعقوبة السرقة أما العقوبة غير المقدرة شرعا فتسمى التعزير. والحديث رواه الإمام مسلم في الجامع الصحيح، جـ٥ ص ١١٤ ، القاهرة ١٣٨٤هـ كتاب التحرير.

(٢) الرشا: الرشوة.

عمر - ثم قال عمر: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم احرارا».

٣- وقول على بن أبى طالب رضى الله عنه لواليه الجديد على مصر مالك بن الحارث بن الأشتر: أملك هواك ، واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ، ولاتكون عليهم سبعا ضاريا يغتنم اكلهم ، فانهم صنفان ، اما أخ لك فى الدين ، أو نظير لك فى الخلق ، فاعطهم من عفوك وصفحك مثل الذى يجب ان يعطيك الله من عفوه وصفحه ، وإياك ومساواة الله فى عظمته والتشبه به فى جبروته ، فانه يذل كل جبار ، وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ، ومن لك فيه هوى من رعيتك وليكن أحب الأمور اليك أوسطها فى الحق ، وأعملها فى العدل ، واجمعها لرضى الرعية ... ولايكونن المحسن والمسئ عندك بمنزلة السواء»[١].

الاساس الثالث: رفع الحرج وقلة التكاليف:

الحرج فى اللغة الضيق ، يقال مكان حرج أى ضيق كثير الشجر.

والمقصود برفع الحرج هنا: التيسير على العباد ، برفع كل ما يترتب على شرعيته ايقاع الناس فى عسر ومشقة قد يؤدى إلى أن تضيق بها صدورهم ويتعذر معها الامتثال والتنفيذ لما كلفوا به[٢].

نوعية الحرج المرفوع:

ليس كل حرج وإن كان يسيرا مرفوعا ، فان التكاليف الشرعية لابد وأن يصاحبها بعض المشقة -إذ التكليف هو طلب مافيه كلفه- أى مافيه مشقة - إلا أن المشقة[٣] نوعان:

الأولى: مشقة معتادة لاتعتبر فى عرف الناس مشقة: فمثل هذه المشقة لايقصد الشارع إلى رفعها ، وذلك لان كل عمل فى الحياة لايخلو عن مشقة ، حتى

(١) نهج البلاغة لابى الحسن محمد بن الحسين المعروف بالشريف الرضى، دار ومطابع الشعب، المكتبة الخاصة، ص ٣٣٩ ، ٣٤٠.

(٢) د. حسن الشاذلى، تاريخ التشريع الإسلامى، ص ٦٤.

(٣) راجع فى أنواع المشقة، الاشباه والنظائر لابن نجيم، ص ٨٢.

الضروريات التى لايمكن للإنسان أن يستغنى عنها -كالمأكل والمشرب والملبس، والسعى لطلب الرزق ... فهذه المشقة لامانع من وقوعها فى التكاليف الشرعية ، بل لايتحقق التكليف إلا بها ، لأن التكليف هو طلب مافيه كلفة - حتى يحصل الابتلاء والاختبار ليعرف الطائع من العاصى ، المؤمن من الكافر.

الثانية: مشقة غيرمعتادة ، تضيق بها الصدور ، ويتعسر اقدام الناس عليها ، لانها تزيد عن قدرة الانسان ... وتعلو على إمكاناته ... فيؤثر تنفيذهاعلى جسمه أو ماله ... وتؤدى إلى إنقطاعه عن كثير من الأعمال النافعة ، فهذه المشقة هى التى تفضل الله برفعها عن الأمة تيسيرا عليهم وتسهيلا.

والمتتبع لأحكام الشريعة يجد رفع الحرج مقررا بنصوص صريحة تدل على أن الشارع ما يريده بالعباد إلا التيسير والتخفيف ، ولايريد باحكامه التضييق والتشديد.

فرفع الحرج اصل مقطوع به فى الشريعة ، ومن مظاهره اعتبار المرض والسفر والاكراه والخطأ والنسيان ، اعذار لتخفيف الاحكام وتشريع الرخص والقاعدة الشرعية، أن الضروريات تبيح المحظورات ، يشبت على اصل رفع الحرج دفعا للمشاق والضيق عن اصحاب الاعذار والضرورات.

ففى القرآن الكريم آيات كثيرة فى مناسبات مختلفة تقرر رفع الحرج ، منها قوله تعالى فى وصف الرسول - ﷺ-: ﴿ويضع عنهم إصرهم والاغلال التى كانت عليهم﴾[(١)]، فالرسول - ﷺ- جاء بشريعة خفف عن الناس مايثقل كاهلهم ومايضيق الخناق على تصرفاتهم.

وقوله جل شأنه فيما علمنا أن ندعوه به: ﴿ربنا ولاتحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولاتحملنا مالا طاقة لنا به﴾[(٢)]، وقوله تعالى: ﴿لايكلف الله نفسا إلا وسعها﴾[(٣)].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧ ، والاصر هو القتل ، والاغلال هى: القيود.

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٨٦.

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٨٦ ، وقد ورد بها المعنى فى القرآن فى مواطن مختلفة "ست أيات".

وقوله عقب اباحة الفطر فى رمضان للمريض والمسافر ومن فى حكمهما: ﴿يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر﴾(١).

وقوله تعالى فى الجهاد: ﴿وماجعل عليكم فى الدين من حرج﴾(٢).

وقوله جل شأنه بعد أن بين أنه يجوز لصاحب العذر أن يتيمم بدلا من الوضوء تيسيرا عليه ودفعا للضيق والحرج: ﴿مايريد الله ليجعل عليكم من حرج﴾(٣). وقوله تعالى: ﴿يريد الله أن يخفف عنكم﴾(٤).

وفى السنة النبوية الشريفة الشئ الكثير من النصوص بهذا المعنى منها: ما ورد عن الرسول - ﷺ- أنه قال: بعثت بالحنيفية السمحة ومن خالف سنتى ليس منى(٥).

وما روى عن ابى موسى رضى الله عنه أن النبى - ﷺ- بعثه ومعاذ الى اليمن فقال: «يسرا ولاتعسرا ، وبشرا ولاتنفرا ...» رواه مسلم(٦).

وماصح عنه ﷺ أنه:«ماخير بين أمرين إلا اختار ايسرهما مالم يكن آثما»(٧).

مظاهر رفع الحرج في الشريعة:

إذا تتبعنا احكام الشريعة الاسلامية نجد ان جميع التكاليف فى ابتدائها ودوامها قد روعى فيها التخفيف والتيسير على العباد.

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٨٥.

(٢) سورة الحج الآية: ٧٨.

(٣) واذا تتبعت الايات التى ورد فيها دفع الحرج فى القرآن فى مواطن مختلفة خمس عشرة آية.

(٤) سورة النساء الآية: ٢٨.

(٥) فتح البارى علي صحيح البخارى، جـ١ ص ٨٦ ، ٨٧، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٠هـ ، الجامع الصغير، جـ١ ص ١٢٦.

(٦) مجمع الزوائد، جـ١ ص ٦١.

(٧) جامع الأصول، جـ١ ص ٢١٤ ، الاشباه والنظائر، للسيوطى، ص ٨٥.

١- فقد فرضت الصلاة خمسا فى اليوم والليلة فقط ، وهى مما يسهل اداؤه ، فانها جميعا لاتستنفذ من وقت الانسان إلا ساعة أو ساعتين وكذلك لاتستنفذ من جهده شيئا يذكر ... فالتكليف بالصلاة ليس فيه عسر ومشقة ، ومع سهولة يسر هذا الأداء ، رخص للمكلف فى الحالات التى لايستطيع فيها القيام أن يصليها قاعدا ، فان لم يستطع فعلى الكيفية التى يستطيعها ... .

٢- ومثل ذلك الصيام ، فقد فرض الصوم شهرا فى السنة وفى النهار دون الليل ، وليس فى هذا التكليف مشقة وفوائده الصحية والروحية لاحصر لها ... ولكن اذا وجد عذر من سفر أو مرض أو مافى معناه فقد أبيح للمكلف الافطار والقضاء عند تمكنه ، وإن لم يتمكن -كالشيخ الفانى- اطعم عن كل يوم مسكينا.

٣- وحرم الشرع أكل الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير وشرب الخمر ، ولكنه أباح تناولها عند الضرورة ... «وهذه المحرمات لاتقاس نسبتها بنسبة ما أحل الله من مأكل ومشرب ففى تحريمها روعى اليسر ، وفى حالة الضرورة فتح الباب على مصراعيه إبقاء للإنسان وحفاظا على حياته».

وقد تتبع الفقهاء موارد التخفيف فى الشريعة فوجدوه يأتى على سبعة أنواع:

١- اسقاط العبادة فى حال قيام العذر -كالحج عند عدم الأمن وكالصلاة عند وجود حيض أو نفاس.

٢- نقص المفروض ، كقصر الصلاة الرباعية إلى ركعتين فى حال السفر.

٣- ابدال المفروض ... كابدال التيمم بالوضوء.

٤- التغيير ... كتغيير نظام الصلاة فى وقت الخوف[1].

٥- الترخيص ... كأكل الميتة عند المخمصة وشرب الخمر لازالة الغصة.

٦- التقديم ... كتقديم صلاة العصر عن وقتها إلى وقت صلاة الظهر فى عرفة ، والجمع بينهما فى وقت الظهر.

٧- التأخير ... كتأخير صلاة المغرب إلى وقت صلاة العشاء والجمع بينهما وقت العشاء فى المزدلفة.

---

(١) سورة النساء الآية: ١٠١ ، ١٠٢ ، بينت كيفية صلاة الخوف.

وكذلك تأجيل الصيام للمسافر والمريض فى رمضان إلى أن يصح أو يقيم.

وهذا النوع من التخفيف فى الاحكام يطلق عليه الفقهاء اسم «الرخصة» ويقابله «العزيمة» ، وإليك ايضاحا يسيرا لهذين الاصطلاحين[1].

العزيمة والرخصة:

قسم علماء اصول الفقه الحكم الشرعى من حيث كونه حكما اصليا أو غير اصلى إلى العزيمة والرخصة.

أما العزيمة: فهى فى اللغة قصد الشئ قصدا مؤكدا.

وأما فى اصطلاح الأصوليين فانها تطلق على ما شرعه الله تعالى من الاحكام ابتداء لجميع المكلفين فى جميع الاحوال كالعبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج ، وكالقصاص فى القتل العمد ، العدوان ، والدية فى الخطأ ، وكحرمة القذف والسرقة والزنا وأكل مال الغير بالباطل.

وأما الرخصة: فهى فى اللغة: اليسر والسهولة.

وهى فى اصطلاح الأصوليين «ماشرعه الله تعالى من الأحكام تخفيفا على المكلف فى بعض الاحوال مع بقاء الحكم الأصلى ، كما فى الأمثلة المتقدمة ، بالرخصة حكم استثنائى روعى فيه حالة المكلف خاصة ، واما العزيمة فهى حكم اصلى لوحظ فيه الحالة العامة لجميع المكلفين.

ومما تقدم يتبين لنا أن المشرع قد راعى التخفيف فى الأحكام عند ابتداء التكليف بها ، فلم يكلف الناس مالا يطيقون ، وكذلك راعاه عند عدم التكليف بها فأسقطها أو ابدلها أو غيرها ، فى ظروف معينة.

قلة التكليف:

التشريع الاسلامى فى عصر النبوة لم يأت بتكاليف كثيرة ترهق المكلفين لأن

---

(١) تاريخ التشريع، للدكتور حسن الشاذلى، ص ٦٩.

فى الارهاق حرجا وضيقا.

والحرج مرفوع لما قدمنا ، كما ان المقصود من التكليف ايصال المكلف الى الحياة السعيدة فى الدنيا والآخرة فلا يأتى التشريع إلا بالقدر اللازم الذى تطبقه الطبيعة البشرية.

ومما يدل على أن رغبة الشارع تقليل التكاليف ما امكن التقليل ، ما جاء فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله -ﷺ-.

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء إن تبد لكم تسوءكم ، وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم ، عفا الله عنها، والله غفور حليم ، قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين﴾[١]. فالله تعالى ينهى المسلمين عن السؤال عن اشياء عفا الله عنها وسكن عن تحريمها ، فقد يكون سؤالهم عنها سببا فى تحريمها.

ولذلك وجدنا الرسول -ﷺ- ينهى عن السؤال عما لم ينزل به الوحى ، فقد روى عن ابى هريرة رضى الله عنه أنه قال خطبنا رسول الله -ﷺ-: «أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا» ... فقال رجل: أكل عام يارسول الله؟ فسكت ، حتى قالها ثلاثا ، فقال رسول اله -ﷺ-: «لو قلت: نعم لوجبت ، ولماستطعتم[٢]، ثم قال: ذرونى ما تركتم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم ، واختلافهم على انبياتهم ، فاذا امرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم ، واذا نهيتكم عن شئ فدعوه» رواه مسلم.

ويؤيد هذاأيضا قوله -ﷺ-: «أن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحدا حدودا فلاتعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن اشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها».

(١) سورة المائدة الآية: ١٠١ ، ١٠٢.

(٢) سنن النسائى بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى، طبعة دار القلم - بيروت - لبنان، جـ٥ ص ١١٠ ، نيل الأوطار، للامام محمد بن على بن محمد الشوكانى، جـ٣ ص ٣١٢، الطبعة الأخيرة مصطفى البابى الحلبى.

ومن كل هذا يتضح لك أن المشرع لايرضى عن كثرة التكاليف الشرعية.

مظاهر التكاليف الشرعية :

١- ان العبادات التى شرعها الله لنا قليلة ، فالصلاة محددة ، واداؤها سهل كما بينا آنفا ، وكذا الصيام ، وكذا الحج للقادر ، وكذا الزكاة ، فانها جزء يسير من الأموال ، وهى نسبة قليلة جدا.

٢- كما ان المحرمات محددة ومنصوص عليها ، وأما المباحات فغير محصورة ولامحددة، إقرأ قوله تعالى: ﴿**حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله بعد والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطحية وما أكل السبع إلا ماذكيتم وما ذبح على النصب ، وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق . . .**﴾[١]، تجد أن المحرمات محددة ومعدودة ، ثم اقرأ الآية التالية لها مباشرة: ﴿**يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات . . .**﴾[٢]، وفى الآية التى تليها: ﴿**اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين اتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم**﴾[٣]، فلم يحدد القرآن الكريم ماأحله الله لنا بل جعله عاما شاملا لما عدا ما نص على تحريمه.

ومن الأمثلة الأخرى ما جاء فى مقام تحريم بعض النساء ، وهو قوله تعالى: ﴿**حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم ، وبنات الأخ وبنات الأخت . . .**﴾ فعدد من يحرم الزواج بهن ، ثم يبين بعد ذلك مباشرة من يحل الزواج بهن فيقول جل شأنه: ﴿**وأحل لكم ماوراء ذلكم**﴾[١]، فيطلق الإذن فى عبارة عامة تشمل كل من عدا هؤلاء .

٣- فى المعاملات وفى غيرها وضعت الشريعة الأسس والقواعد العامة التى تقوم عليها العلاقات المختلفة بين الناس ، سواء فيما يتعلق بالمعاملات أو نظام

---

(١) سورة المائدة الآية: ٣.

(٢) سورة المائدة الآية: ٤ ، ٥.

(٣) سورة المائدة الآية: ٦.

(٤) سورة النساء الآية: ٢٣ ، ٢٤.

الدولة ، أو بعلاقاتها مع المواطنين ، أو مع غيرها من الدول ، سلما أو حربا ولم تتعرض للتفاصيل.

ومن هذه القواعد: قاعدة الوفاء بالعقود المقررة بقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾[١]، فكل عقد يجب الوفاء به كان بين الأفراد ، أو بين الجماعات أو بين الدول.

ومنها قاعدة التراضى فى نقل المال من ذمة إلى ذمة ، الذى تقرر بقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض﴾[٢]، وإذا تقرر هذافى شأن التجارات فكذلك تقرر فى شأن التبرعات بقوله تعالى: ﴿فإن طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا﴾[٣]، وقوله - ﷺ -: «لايحل مال أمرئ إلا بطيب نفس منه».

ومنها منع الربا لقوله تعالى: ﴿وحرم الربا﴾[٤]، ومنع الغرر لما روى أنه - ﷺ - «نهى عن بيع الغرر».

الفرع السادس
التعقيب والموازنة

من خلال العرض السابق لخصائص الشريعة الاسلامية بوجه عام والفقه الإسلامى بوجه خاص كنظام إسلامى عالمى ومقارنته بالنظام ا لعالمى الجديد .يتضح لى مايلى:

اولا: موقف الفقه الإسلامي كدين ،عقيدة وشريعة، واضح تمام الوضوح في هذا المجال:

فهو لايتعارض مع النظام العالمى الجديد ، ولكنه ذو خصائص فريده ومتميزة

(١) أول سورة المائدة.
(٢) سورة النساء الآية: ٢٩.
(٣) سورة النساء الآية: ٤.
(٤) سورة البقرة الآية: ٢٧٥.

كانت وستظل تجعل للنظام الاسلامى السبق والاستقرار والتقدم.

فقد سقط نظام عالمى كان قائما وتغيرت خريطة العالم واختفى معسكر بأكمله. وحل محله نظام عالمى جديد يهدف إلى سيطرة الغنى على الفقير والقوى على الضعيف.

ولكن النظام الاسلامى العالمى باق منذ اكثر من الف واربعمائه عام بمميزاته واسسه واهدافه يحقق لمن يأخذ به ويطبقه التقدم والرفاهية.

لأن الاسلام كدين ليس تيارا فكريا أو ظاهرة وقتية حتى يخشى عليها من التيارات الفكرية الوافدة ... ما دام المسلمون قد فهموا هذا الدين فهما صحيحا.

ولكننا الآن -أمام واقع- وواجبنا هو أن نتعامل معه وهذا الواقع ليس كله شرا وليس كله خيرا ومن هنا ينبغى التعامل معه على هذا الأساس.

فالعولمة واقع لايجدى معه اسلوب الرفض.

واعتقد ان الضرورة تحتم أن يكون للمسلمين نظرتهم النقدية التى تتعمق فى دراسة القضايا بكل ابعادها وتحللها من جميع جوانبها وخاصة قضية التعامل مع هذا النظام الجديد ، من وجهة النظر الفقهية الاسلامية.

ومن المعلوم أن الفقه الاسلامى له خط واضح وطريق مستقيم من خصائصه.

أنه لايتجاهل الواقع لأنه ليس بخاف على أحد أننا اذا اغلقنا الأبواب والنوافذ أمام هذا السيل الجارف من العولمة فاننا لن نستطيع أن نمنع وصول ذلك إلى المواطنين عن طريق الاقمار الصناعية والدش ومختلف أجهزة الاعلام المرئية والمسموعة والمقروءة.

ومن ناحية اخرى فهو لايندفع دون وعى نحو دعوة جديدة.

ثانيا: اذا اردت أن اشير سريعا إلى تلخيص لرسالة :الاسلام فى عالم اليوم:

فانني أقول: إن التشريع الاسلامى هو مجموعة الأوامر والنواهى التى شرعها الله لعباده على يد محمد -ص- وهو كغيره من التشريعات السماوية السابقة.

إلا أنه يمتاز بشموله وعمومه وصلاحيته لجميع الناس إلى يوم القيامة لأن الاسلام خاتم الاديان ورسالته عامة لجميع الناس. لذلك تضمن مايناسب هذا العموم.

وتتلخص أصول الاسلام فى العقيدة الاسلامية ، وفى المبادئ الاساسية للمجتمع الإسلامى ، وفى نظام العبادة للمسلم ، وفى الأسس التى ينبنى عليها كيان الأمة الإسلامية ... وفى أفكار الإسلام الأساسية فى خدمة الحياة نفسها:

فمن حيث العقيدة فهى عقيدة إنسانية تؤمن بالله ورسالة محمد وبرسل محمد الله جميعا ولاتفرق بين أحد منهم.

ومن حيث نظام العبادة للفرد المسلم فهو يتلخص فى الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج ... إلى وجوب اعتناقه للفضائل الإنسانية الأخرى من صدق ووفاء ورحمة وشفقة وإيثار وبر وأمانة ... الخ.

ومن حيث مبادئ المجتمع الأساسية فى الإسلام فهى تقوم على:

١- الشعور بالمسئولية.
٢- التعاون التام.
٣- العدالة الكاملة والتزامها.
٤- المساواة بين جميع افراد المجتمع فى الحقوق والواجبات.
٥- الحرية لكل الناس والطبقات.
٦- نشر الرخاء بين جميع الناس.
٧- توفير العمل وجعله حقا لكل فرد.

٨- كفالة الدولة لجميع مرافق الحياة وايصالها لكل الناس بالمجان مادام ذلك ممكنا.

٩- مساعدة الدولة لكل محتاج بقدر مايسد حاجته دون ما تأخير.

١٠- السهر على خدمة المجتمع وخدمة الأمن بكل وسيلة.

١١- محاربة كل ألوان الفساد الاجتماعى والرذائل الاجتماعية والخلقية والقضاء عليها ... إلى غير ذلك من مبادئ ليس هنا مكان شرحها.

ومن حيث الأسس التى ينبنى عليها كيان الأمة الإسلامية فتتلخص فى الشورى -السلام بين طبقات الأمة - العدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعى - القضاء على الامتيازات الفردية والاجتماعية إلا مايرجع إلى العمل وخدمة الأمة - نشر التعلم وجعله حقا لكل فرد - إلى اخره.

أما أفكار الاسلام فى خدمة الحياة فهى ترجع إلى مبادئه فى تحرير الأرقاء والمستعبدين والمستضعفين وفى نشر السلام ، وفى تبادل التجارة بين أمم الأرض ، وفى نشر الثقافة والحضارة ومساعدة الأمم المتخلفة ، وفى الانتصار لكل ضعيف ومظلوم ، وفى العمل على تقدم الحياة وإثرائها بكل جديد نافع ، ومبتكر صالح ...الخ.

ورسالة الاسلام فى عالم اليوم تستمد من جوهره وحقيقة مبادئه العامة ، وفى الإمكان إجمالها فيما يلى:

١- نشر الروحية فى عالم اليوم الذى تغلبت عليه المادية ، وحكمته فلسفاتها الجائزة.

٢- الدعوة إلى الأخوة الإنسانية فى عالم اليوم الملئ بالأحقاد وبالأسباب التى تهدد السلام العالمى فى كل لحظة.

٣- الدعوة إلى تحرير العناصر والشعوب المستبعدة لأن ذلك من جوهر الإسلام وطبيعته.

٤- العمل من أجل ثقافة جديدة مثالية.

٥- نشر أعمال المفكرين المسلمين ، ومبادئ الاسلام وبطولات أبطاله

وقواده، ومواقف زعمائه وقادته ، بكل لغة لتكون نبراسا للناس يستهدون بها ، ويسترشدون بسموها.

٦- الكشف عن أصول الحضارة الإسلامية وأعمالها فى خدمة العالم ونشر ملخصات عنها بكل لغة.

٧- انشاء معاهد ثقافية إسلامية في جميع أنحاء العالم لنشر الثقافة العربية الإسلامية.

٨- كتابة التاريخ الاسلامى فى موسوعة عربية بأسلوب جديد يتفق مع تطور الحياة والفكر العالمى المعاصر.

ثالثا: الآثار المترتبة على ظهور النظام العالمى الجديد:

لقد ترتب على ظهور وتنامى النظام العالمى الجديد آثار كثيرة على المستوى العالمى بوجه عام والمستوى الاسلامى بوجه خاص.

أ- فعلى المستوى العالمى:

لقد تعددت الاتجاهات الفكرية فى تناول العولمة.

فمنها مايقرر بأنها أصبحت حقيقة غير قابلة للجدل وأن العالم قد أصبح بمثابة «قرية صغيرة واحدة».

ومنها مايقرر بأن العالم الآن سيشهد ظواهر معبرة عن بداية تيار «العولمة» وأن هذا التيار سيزداد قوة فى غضون حقبة أو حقبتين قادمتين حتى يصبح مهيمنا على عالمنا.

ومنها مايقرر بأن هناك حقا قوى جديده عالمية التأثير ذات أبعاد اقتصادية واجتماعية وسياسية نتحكم فى بلدان العالم المختلفة دون تمييز(١).

(١) نحو سياسة اقتصادية موحدة للعالم الاسلامى فى مواجهة العولمة، دكتور/ عبد الرحمن يسرى، ورقة مقدمة إلى المؤتمر الدولى حول اقتصاديات الدول الاسلامية فى ظل العولمة - مركز صالح كامل - القاهرة ١٧ - ١٩ من المحرم ١٤٢٠هـ - الموافق ٣ - ٥ مايو سنة ١٩٩٩م، ص ٣.

وهناك اتجاهات فكرية متباينة بالنسبة لحيادية أو عدم حيادية العولمة ، فهل تقف جميع بلدان العالم على قدم المساواة فى الاستفادة منها ؟ أم أن بعض البلدان تستفيد أو ستتمكن من الاستفادة منها بشكل اكبر من البعض الآخر؟

أم أن هناك خسائر من العولمة؟ وماهى؟ ومن يتحملها من بين بلدان العالم.

وليس أدنى شك فى أن للعولمة مخاطرها بما ترمى إليه من تذويب الحضارات وصهر شعوبها فى شعب واحد بهدف السيطرة عليها والاستيلاء على مقدراتها لضمان استمرارية «القوة العظمى الوحيدة» التى تحكم وتتحكم فى العالم مما جعل كثيرا من الشعوب بل الحكومات فى الغرب نفسه تخشى هذا الخطر القادم وترفض الاستجابة لدعواته والانخراط تحت لوائه[١].

فرغم تبشير الرئيس بوش رئيس الولايات المتحدة الأمريكية السابق بهذا النظام ومثالية نظرته المتفائلة وارتفاع نبرة خطابة السياسى المدافع عن المبادئ المتساوية لكافة الشعوب.

فقد صاحب هذه الدعوى ظهور اتجاهات نقدية فى الغرب بصفة عامة وفى اوربا بصفة خاصة ، تحاول فهم القوانين التى تحكم العولمة وكان من نتيجتها أن العولمة ماهى فى الواقع الا اعادة إنتاج نظام الهيمنة القديم الذى اصبح فى التسعينات واقعا يعود بمرجعيته الأمريكية إلى الامريكتين ، كما كان يعود بمرجعيته الأوربية من قبل إلى الأوربين.

فعند عرضه لسياسة الولايات المتحدة الامريكية ، يستدرك «ارثر سليز نفر»[٢] بقوله إن هذا مسار: «صادر عن افتراض مؤداه أننا نحن الأمريكيون رسل الله الذين مسحهم بالزيت المقدس ، وكلفهم أن يكونوا حراسا على قواعد السلوك الدولى وجعل بلدنا الولايات المتحدة الامريكية دولة مشرفة تعطى درجات للدولة الأخرى صعودا أو هبوطا تبعا لما نرى نحن أن تلك الدول تتصف به أو لاتتصف من

(١) الخطاب الاسلامى فى ظل العولمة - المقال السابق الاشارة اليه.
(٢) ارثر سليز نفر كان يشغل ، سابقا ، منصب مستشار الرئيس الامريكى الاسبق جون كيندى.

انتهاج للسلوك القويم دوليا».

ويبدو أن الفكرة التى بني عليها ذلك نبعت من الاعتقاد بأن رسالة الولايات المتحدة فى العالم لم تفرضها الظروف بل أملاها الله ذاته.

ومثل هذا التصريح وبدون تعليق عليه ...

ينم عن شذوذ فكرى ، واختلاجات نفسية مريضة مؤداها عقد كامنة فى عقول صناع القرار السياسى فى واشنطن.

وليس غريبا أن يقول «كلينتون» فى بداية حملته الرئاسية الأولى وبثقة كاملة.

أننا لانستطيع أن نتحمل أربع سنوات أخرى دون أن يكون لدينا خطة لقياد العالم.

ويستطرد: «إن تصورنا للسياسة الخارجية الامريكية يستند إلى منطلق فكرى بسيط أنه فى أوقات التغيير الأساسى ينبغى لأمريكا أن تقود العالم الذى بذلت الكثير من أجل إقامته عن طريق سياسات خارجية تتصدى لتحديات وفرص العقد المقبل»(١).

وتحديات العقد المقبل ترجمها كلينتون سنة ١٩٩٥م ، أى بعد أربعة سنوات من تصريحه الأول بقوله: «أمريكا لاتستطيع أن تدير ظهرها لمصالحها ومسؤوليتها»(٢).

وادارة الظهر لايعنى عند واشنطن الا شئ واحد هو التنازل عن دورها القيادى وهذا مستبعد الآن.

---

(١) مصداقية النظام الدولى الجديد تاليف قاسم خضير عباس، ص٢٢ وقد اشار الى كتاب «رؤية لتغيير امريكا ، الاهتمام بالناس أولا» ص ١٤١، وهو عبارة عن برنامج كلينتون اثناء حملته الانتخابية».

(٢) جريدة التايم الصادرة فى ١٩٩٥/٤/١٦م.

وهذا يقودنا إلى الاعتقاد «بأن النظرة للنظام الدولى الجديد على زنه نظام السلام والعالم المتحرر من قيود التبعية والاستعباد هو ضرب من الخيال لأن الوضع الراهن الذى يتميز باستغلال وتحكم مالايزيد على ١٦٪ من سكان المعمورة بحوالى ٨٠٪ من منابع الثروة والامكانات الاقتصادية فيها لن يتغير بسهولة.

وهذا مادعا الرئيس الفرنسى ميتران إلى الاعلان فى خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة فى اوائل سبتمبر سنة ١٩٩٢م «أن السياسة الدولية تكيل بمكيالين وتزن الأمور بميزانين وشتان مابين حرب الخليج والبوسنة وانعكاس ذلك سلبيا على قرارات ومواقف الأمم المتحدة.

وقد تجلى ظهور هذه الاتجاهات فى الغرب فى الموقف الرافض للحزب الاشتراكى الفرنسى والذى تبلور بشكل خاص فى تقرير الحزب الصادر فى ٣ من ابريل سنة ١٩٩٦م بعنوان «العولمة وأوربا وفرنسا» متضمنا أعنف نقد للعولمة الامريكية.

وكذلك عند توقيع اتفاقية «الجات» امتنعت فرنساوتحفظت كثير من الدول الأوربية فى البداية على البند الخاص بالمجالات الثقافية والانتاج الإعلامى:

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل ظهرت حركات فكرية مضادة للعولمة داخل الولايات المتحدة الامريكية نفسها ، وفى الوقت ذاته تحاول هذه الحركات تقديم البديل للعولمة وقد تمثل ذلك فى الكتاب الذى اصدره كل من «جيرى ماندر وادوارد سميت» سنة ١٩٩٦م وعنوانه «القضية ضد الاتحاد الكونى ونحو تحول إلى المحلية».

ب- تأثير النظام العالمى الجديد على المستوى الاسلامى:

منذ سقوط الشيوعية قادت امريكا النظام العالمى الجديد إلى حرب ضروس ضد الاسلام والمسلين فدمرت العراق تدميرا وحاصرته حصارا سوف يعيده الى القرن التاسع عشر.

وضربت ليبيا وحاصرتها ظلما وبغيا وعدوانا ولاحجة لها فى ذلك سوى حجة السباع من الناب والظفر برهانها.

وضربت أمريكا السودان وافغانستان واسقطت صواريخها خطأ على ايران وباكستان وغدا ستسقط عليهما الصواريخ بغير خطأ وليس ذلك الغد ببعيد.

ومضى سائر بلدان العالم الجديد على درب زعيمتهم فضرب الروس المسلمين الشيشان وانقض الصرب علي مسلمى البوسنة والهرسك وكوسوفا يذبحونهم ويستحيون نساءهم ويخرجونهم من ديارهم ومانقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ، وضربت اوربا عرض الحائط بما تفاخر به من احترام لحقوق الانسان وكفالة لحرية الرأى والتعبير فضيقت الخناق على رعاياها من المسلمين ومنعت بعض دولها الفتايات المسلمات من ارتداء الحجاب فى مدارسها «وتحاكم جارودى على افكاره».

وبينما الدائرة تدور على المسلمين فى كل مكان تفسد اسرائل فى الارض وتعلو علو كبيرا ولاتقيم وزنا لعهد أو اتفاق.

فيغض النظام العالمى الجديد طرفه عنها ، وتسن امريكا من القوانين كقانون الاضطهاد الدينى وحماية الاقليات ماتظن أن من شأنه ارهاب دولة الاسلام وعلى رأسها مصر وتأوى إليها الخوارج والمارقين ليرموا بسهام الباطل مصر وحكومتها ظنا من عند انفسهم المريضة ، انهم طلائع النظام العالمى الجديد فى ضرب الاعلام على ارض مصر.

وبعد فان كل من يقلب عينيه فيما يدور حوله فى العالم اليوم فلن يجد مشقة فى ادراك نيات النظام العالمى الجديد تجاهنا فماذا نحن فاعلون.

وما يحدث هذه الايام من اعتداء صارخ على الإسلام والمسلمون ليس وليد الساعة وانما هو اعتداء قديم بدأ منذ القرن الثامن الميلادى عندما قام الغرب باعتبار الاسلام عدوه الأساسى .

وذلك لكشفه التحريف الذى تم فى العقيدة المسيحية فى القرن الرابع ، ولابطاله الرهبانية ووراثه الملك. وتزايد هذا العداء حتى بلغ ذروته فى الحروب الصليبية التى قامت بزعامة البابا أوربان الثانى ، ولم تكن هذه هى أولى الحروب ضد الاسلام والمسلمين ، لكنها كانت أول حروب أوربية جماعية تنهال على الاسلام غربا.

ويواكبها غزو التتار شرقا ... ولو غاص أحد الباحثين فى ارشيفها السرى لعثر على روابط بينهما.

ويزداد الترابط بين اعداء الاسلام فى العصر الحديث.

حيث تم تفتيت الامبراطورية العثمانية وفرضت العلمانية على تركيا وتم ضرب القوى الاسلامية لمحمد عديد فى الصومال وغرس الكيان الصهيونى فى فلسطين المحتلة وكل مايدو بها وحولها من محاصرة وابادة للمسلمين ، لافى البوسنة وحدها ، وانما على الصعيد العالمى فما من دولة -حاليا الاويضرب فيها الاسلام والمسلمون.

وكل هذه الوقائع والأحداث والتى اصبحت من المسلمات التاريخية ومن مفردات الحياة اليومية ، الا لتوضيح مدى ارتباطها بتلك الاتفاقية القائمة بين المخابرات المركزية الامريكية والبابا يوحنا بولس الثانى والمخابرات الاسرائيلية .

وهو ما اشار اليه كل من جوردون توماس G. Thomas وماكس مورجان ويت M. M. mitt فى كتابهما عن «كواليس الفاتيكان» الذى صدر عام ١٩٨٣م وتتضمن هذه الاتفاقية ثلاث مراحل:

- عقد الثمانيات لضرب الشيوعية.
- عقد التسعينات لضرب الاسلام.
- ومطلع القرن الواحد والعشرين لتوحيد كافة الكنائس تحت لواء كاثوليكية روما(١).

(١) أبجدية الحوار بين الحضارات د. زينب عبد العزيز، بحث مقدم إلى مؤتمر «نحو فلسفة (=)

والحقيقة التى لاتقبل المراء أن دعاة «العولمة» يضعون الاسلام فى مقدمة الأخطار التى قد تواجههم أو تقوض أركان دعوتهم فى جانبها الأيديولوجى.

فقد فوجئ العالم الاسلامى عقب انهيار الشيوعية التى كانت تسمى «امبراطورية الشر» The Evil Empire بضجة فى الغرب ترشح الإسلام لأن يعامل على أنه العدو الجديد والخطر الجديد الذى يواجه الغرب وان كانت هذه الدعاوى سبقت ذلك التاريخ منذ أمد بعيد ، وكان من نتائجها الغارة الصليبية على العالم الإسلامى.

وقد تمثلت هذه الضجة الحديثة فى كتابات وبحوث ومقالات وكتب وتعليقات إعلامية من ذوى الاتجاهات المختلفة هناك كان من نتائجها ظهور مصطلحات ومفاهيم متعصبة ومفرضة ومتطرفه فى الوقت نفسه مثل الخطر الاسلامى The islamic threat وحرب الاسلام ضد المدنية The islamic war afainst mafernits «والانتفاضة العالمية» The glabal intifada تشبيها بالانتفاضة الفلسطينية.

والاسلام الصاعد قد يطفى على الغرب .Rising islamic may over whelm The mest ومازالوا يحاربون الصليبية Still Fighting The Grus ades[١]. وفى المقابل هناك بعض المعتدلين الذين ينصفون الاسلام بمبادئه وقوته الروحية ولايجدون غضاضة فى التعامل معه ومع اتباعه من خلال الحوار ولامانع لديهم من أن تكون الغلبة لمن يصلح للبشرية حتى ولو كان هو الاسلام.

ومن الواضح جليا أن المناخ الدولى العام ، ذلك المناخ السياسى - الاقتصادى التبشيرى لاينم عن أية كرامة فى تعامل كافة الأطراف ، على الرغم من المصلحة المشتركة ، ولاينم عن آية ثقة أو عن أى احترام متبادل ... فالغرب ينظر إلى الشرق نظرة السيد المتغطرس الى العبد الذليل ، والعبد ينظر إلى السيد

(=) اسلامية جديدة» المنعقد بقسم الفلسفة بآداب القاهرة، من ٦/٢٦ إلى ١٩٩٣/٦/٢٨، ص٤.

(١) الخطاب الاسلامى فى ظل العولمة - المقال المشار إليه سابقا.

- وقد انكشفت كل عوراتهما - نظرة بلهاء محبطة. ذلك أن عورة الأول هى القهر والقرصنة ، وعورة الثانى هى التواطؤ والتبعية.

فما يدور فى الواقع من حوار هو استبداد من جانب واحد: استبداد لفرض سياسة النظام العالمى الجديد ، بعيدا عن أى وجود للقانون الدولى وحقوق الانسان.

واستبداد لغرض اقتصادى هو استمرار للاستعمار المباشر والتبعية للغرب ، واستبداد لفرض التعصب الكاثوليكى بايقاع ووسائل لاتمت بصلة إلى مبدأ احترام عقائد الآخرين فما من مرجع اليوم يغفل مابين الاستعمار والتبشير من تضافر على مر الزمان ، ولامابين التبشير والمنظمات غير الحكومية "O N G" من مجال عمل مشترك وهدف واحد.

وتتضافر هذه المجالات الثلاثة فى مخطط رهيب - اذ بات مكشوفا لتغريب العالم الثالث بعامة واقتلاع الإسلام بخاصة.

وقد فقدت الولايات المتحدة فى عهد الرئيس بيل كلينتون حماسها وريادتها دون أى حسم أو تدخل فعال لإنهاء هذا المأساة الملهاة وانكفائها على مشاكلها الاقتصادية الداخلية واشتباك مصالحها التجارية وتعارضها مع اليابان والصين. فضلا عن مساندتها غير المتبصرة للطرف الإسرائيلى مما أضعف مصداقيتها كوسيط أو شريك محايد ونزيه مما آثار الشكوك حول اقامة النظام الدولى الجديد. أضف إلى ذلك تغليب جمهورية المانيا الاتحادية المنحازة هى وروسيا الاتحادية للصرب لمصالحها فى النفوذ الشرق أوربى على حساب حق تقرير المصير للشعب البوسنوى المسلم وارتفاع صيحة التعصب البغيض بعدم قبول اقامة دولة مسلمة فى اوربا المسيحية وطرح بعض الأوساط الغربية لنظرية جعل الاسلام عدوا بديلا عن الشيوعية لتأجيج صراع دينى على المستوى العالمى وبالتالى إعادة النظام الدولى القديم مع استعادة نوعية الصراع الايديولوجى مما يجعلنا نستنتج أن تجار السلاح والحروب مازا لوا أقوياء ، وقادرين على اجهاض النظام العالمى الجديد الذى من أهم اهدافه ضبط التسليح فى العالم وتقليل معدلات الانفاق العسكرى والقضاء على ترسانات أسلحة الدمار الشامل لدى الدول الكبرى وحظر انتاجها وسوف يزيد من قدر المعونات

الاقتصادية والتكنولوجية . المقدمة للعالم الثالث[1] ونحن العرب لن نكون كالايتام فى مأدبة كبار الأسرة الدولية فى مستقبل الأيام. لذا ينبغى وضع نهاية للتبعية الاقتصادية عاجلا أو اجالا بعد أن استطاعت دولنا العربية رغم اخطار الحرب الباردة والضراوة الاستعمارية أن تنهى الاحتلال البغيض الذى بقيت اثاره الاستفزازية للضمير العالمي وللوجدان الوطنى العربى فى الأراضى الفلسطينية وهضبة الجولان وجنوب لبنان وقدس الأقداس الإسلامية فى القدس الشرقية.

لتكون المنظومة العربية الاسلامية كاملة السيادة على كافة جنبات التراب العربى من محيطه إلى خليجه جديرة فعلا وحقا بأن تكون عضوا فاعلا فى ساحة النظام الدولى الجديد.

رابعا: ماذا نحن فاعلون:

ولاشك أن الاسلام دعوة للناس جميعا ومن خصائصه الشمولية والتأكيد على وحدة الأصل البشرى والتعايش السلمى وتحقيق المصالح البشرية وان موقع العالم الاسلامى يمثل نقطة ارتكاز هامة فى حركة التوازن والاستقرار فيه لذا لابد أن يدرك المسلمون اهمية وخطورة مكانتهم ودورهم على الساحة العالمية مع ادراك واجب التكليف الربانى لهم.

لقد اصبح على الأمة الاسلامية الا تتقوقع فى مكانها من العالم ، وان تهب بكل طاقاتها للتعايش مع هذا النظام الجديد ، والا فانها سوف تتخلف عن الركب العالمى وتظل تعيش في مجاهل الماضى دون أن تتقدم خطوة واحدة للامام.

ومن خلال التعرف على مفهوم العولمة يتضح لنا أن هناك اعتراضات من وجهة النظر الاسلامية على مايؤدى إليه هذا المفهوم.

ولكن علينا أن نلاحظ فى نفس الوقت أن هناك قيودا على وجهة نظرنا تواجهنا من الناحية التطبيقية أو الواقعية واننا لن نتمكن من التخلص من هذه

---

(١) النظام الدولى الجديد والموقف الاسلامى المعاصر، د. احمد كامل ، ورقة مقدمها إلى ندوة الاعلام الدولى وقضايا العالم الاسلامى، ص ٦.

القيود إلا بشروط فالعالم الاسلامى فى العصر الحاضر يتحرك ضمن سلسلة عربات مقطورة من ضمن مجموعة البلدان النامية وليس «كعربة قاطرة» كما كان حاله قديما قبل عصر الثورة الصناعية.

وبالتالى فان علينا أن نعرف من موقعنا الخلفى ماذا يريد العالم الغربى المتقدم صاحب العربة القاطرة بالمصطلح الجديد الذى يعبر عن تغيير سرعة القاطرة أو تغير اتجاهها.

أو الذى قد يعنى انفصال العربات المقطورة أو فصلها عن العربة القاطرة مالم يستجب لهذه التغيرات.

علينا من موقعنا اذا أن نعرف ماذا يريدون وكيف يؤثر هذا فينا ثم بعد ذلك ماذا ينبغى علينا أن نفعل اذا اردنا الحفاظ على هويتنا الاسلامية ومصالحنا الاقتصادية من منطلق وجهة نظرنا[1].

إن الحديث عن النظام العالمى الجديد يعتبر من المواضيع الشيقة والمأساوية فى الوقت نفسه.

حيث انقسم المحللون السياسيون بشأن تقييمه إلى أفواج وجماعات ، وفى نهاية المطاف اجتمعوا على كلمة واحدة وصفته بانه: «نظام ظالم فرضته الولايات المتحدة بعد انحلال الاتحاد السوفيتى لكى يمكنها من السيطرة على مقدرات العالم، الذى بذلت الكثير منذ أربعين سنة للسيطرة عليها»[2].

فقد سقط نظام عالمى كان قائما وتغيرت خريطة العالم واختفى معسكر بأكمله ، كنا نحقق مصالحنا عن طريق المساومة بين قطبين أو بالتوقف غير منحازين بين هذا وذاك ونكتسب من وراء هذه المواقف السياسية الواعية أمانا وأمنا وضمانا وشيئا من الرخاء سقط ذلك كله وانفرد بالعالم قطب واحدا وانهار

---

(١) نحو سياسة اقتصادية موحدة للعالم الاسلامى فى مواجهة العولمة. أ.د. عبد الرحمن يسرى، ص ٤، ورقة العمل السابق الاشارة اليها.

(٢) مصداقية النظام الدولى الجديد ، تأليف قاسم خضير عباس ، دار الاضواء، ص ٥.

النظام لابانهيار قوة وانما باختفاء الأسباب التى كانت تكمن وراء الانسان والمنظمات التى تدير هذا النظام.

والذى نراه الآن تحت اسم الأمم المتحدة -ليست الأمم المتحدة- انما هو شبح الأمم المتحدة الذى يدار كما لم يكن يدار ، والذى يوجه من مواقع لم تكن توجهه والذى يعمل بضوابط فعلية غير الضوابط المنصوص عليها فى الميثاق.

الذى يحدث الآن أن القوة الوراثة للقوى التى سقطت تكاد تعمل منفردة لكنها تحمل فى يدها كل مرة لواء الأمم المتحدة التى هى رهن التصفية حتى يقوم نظام جديد.

فمن انهيار المعسكر الاشتراكى انتهت مرحلة «الحرب الباردة» وتبخرت معادلة التوازنات الدولية. وظهرت معالم «وفاق دولى» جديدة أو عصر التهدئة كما يقولون. لايمكن اعتبارها ... بداية لسعادة الانسان وتحرره من أطماع ومصالح خارجية لماذا ...؟ لأن «قوى النظام ا لقديم هى نفسها المتحكمة بالظروف الدولية».

وهذه القوى حتما ... سترتب مواقعها فى النظام الدولى الجديد وستعمل جاهدة على حماية مصالحها على حساب أطراف اخرى(١).

إن العولمة تمثل بالنسبة للمسلمين دعوة غير مباشرة إلى ممارسة النقد الذاتى ليعيدوا النظر فى حساباتهم ويعيدوا ترتيب البيت من الداخل.

وقد يرى البعض أن العولمة تمثل استفزازا للمسلمين وأرى أنه استفزاز مفيد إذا أحسن المسلمون الرد عليه باسلوب عقلانى بعيد عن التشنج والانفعال.

لقد ظلت الامة الاسلامية تقف موقف المتفرج على التغيرات التى شملها النظام العالمى الجديد كأنه لايعنيها فى شئ ، وأكتفت باصدار التوصيات وعقد

---

(١) مصداقية النظام الدولى الجديد ، تأليف قاسم خضير عباس، دار الاضواء - الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ص ١٩.

الاجتماعات والمؤتمرات ، بينما تتعرض مصالحها للخطر ، بسبب تناقص الاقبال على المواد الاولية التى تنتجها ، والسلع الصناعية والزراعية التى تكون مواردها المالية، واليد العاملة التى تستعين بعمالتها فى الخارج ، والضيق الذى أصبح يفرض على تجارتها وصناعتها وغوها الاقتصادى ، وانكماش قدرتها على مواجهة الاعلام الخارجى الضخم الذى يتسلل من كل جانب ، ويعبث ببعض تقاليدها وشئونها القومية ومقدراتها الوطنية.

بل أن الامة الاسلامية واجهت التكتلات التى قامت حولها بانقسامات تزداد عمقا فيها ، وسياسات تتضارب ولاتتوافق ، وأساليب للحياة لاتعبر عن روح العصر وظلت الامية متفشية فيها ، وانخفضت فى معظمها معدلات النمو فى الصناعة ، والصناعة التحويلية ، والتكنولوجيا ، وانخفض فيها مستوى الدخل واجتاح بعضها التصحر والجفاف والاوبئة ، والصراع الدموى الداخلى ، والتخبط القبلى أو المذهبى، ولم تفلح فى علاج شئ من ذلك الاتحادات أو شبه الاتحادات التى قامت بين بعض الدول الإسلامية ، فهى اما اتحادات منهارة من أساسها لم تصمد مع الزمن ، واما اتحادات عقدها الحكام بمحض ارادتهم ، فقامت بقيامهم و[illegible] بزوالهم، واما اتحادات أريد بها مجرد الاعلان أو الاعلام ، اقتصرت فى نشاطها على عقد اللقاءات والمؤتمرات ، وتبارت اجهزة الاذاعة والتليفزيون فى نقل ما يدور فيها لمجرد الفرجة والتسلية وقضاء الوقت.

وأخفقت معظم الدول الاسلامية حتى الآن فى انتهاز الفرص للاندماج فى النشاط الاقتصادى الجديد فى العالم ، ولم تستطع الاستفادة من التكتلات الدولية الجديدة ، بل أنها وقفت احيانا موقف العداء منها.

وهكذا ظلت الدول الاسلامية بصفة عامة على هامش التطورات الهائلة العالمية مثلها كمثل بقية دول العالم الثالث آسيا وأفريقيا ، وتراجع نصيبها فى التجارة والاستثمار ولم يعد يهيمن على اقتصادها إلا الثروة البترولية فى بعض هذه الدول، وهى ثروة طبيعية يعلم الله إلى متى تستمر.

يضاف إلى ذلك محنة الديموقراطية وحقوق الانسان فى معظم الدول

الاسلامية تلك الديمقراطية اللازمة لكل نظام سياسى حتى ينتعش ويكتب له البقاء وتعتمد عليه الشعوب فى الانطلاق والابداع والتقديم.

ولكن صادقين مع انفسنا ونتساءل ، ماهى حقيقة الوضع الدولى الآن؟. ويأتى الجواب سريعا دون مشقة.

فالصورة واضحة المعالم والظروف الدولية هيأت بدقة ، لبروز الولايات المتحدة الامريكية بصفتها قائدة للمعسكر الغربى والعالم.

بمعني آخر، سيكون النظام الجديد «أحادى المرتكز» مع ظهور محاور أخرى ثانوية لكنها مؤثرة فى القرار الدولى. كمحور أوربا الموحدة ، ومحور ألمانيا واليابان اللتان ظهرتا كقوة اقتصادية عظيمة.

وتبقى ملاحظة اخيرة هى أن روسيا سيكون لها دور ، ومصالح ، رتبته مع امريكا لكنه بالتاكيد ليس الدور الذى لعبته سابقا ، عندما كانت قوة اقتصادية مرموقة بعد مؤتمر يالكا سنة ١٩٤٥ وستلعب موسكو فى أوقات ضعفها بأوراق سياسية ، تختارها بدقة للضغط على واشنطن ، التى بدورها ستهدئ اللعب مع الروس لكنها بين الحين والآخر ستجلدهم بسوط:

- انتهاك حقوق الانسان.
- والديمقراطية المضيعة.
- واطهاد الاقليات.
- كما ستمنيهم بملايين الدولارات.
- التكنولوجيا المتطورة. التى لم يصلهم منها حتى الآن الا الشئ القليل والله يعلم حكمة ذلك والراسخون فى العلم[١].

ويجب أن يعلم الجميع وهذا دور الاعلام الموجه:

أن هناك فروقا كثيرة ومنفردة بين العولمة الاسلامية والعولمة الجديدة وأهم

---

(١) مصداقية النظام الدولى الجديد، ص ٢٠.

هذه الفروق:

أن العولمة الجدية «ومايسمى النظام العالمى الجديد» يسعى فى تطوره من أجل الهيمنة التى أصبحت الآن امريكية كما كانت من قبل أوروبية تقوم على الظلم والاستبداد واعتداء القوى على الضعيف والغني على الفقير والكبير على الصغير.

كما تنطوى على الاستغلال والقهر للانسان من حيث هو انسان من جانب المؤسسات والشركات العالمية الكبرى التى لاهدف لها الا الربح على حساب كل القيم والاخلاق والمتعقدات.

وكل ماتهدف اليه العولمة الجديدة مرفوض من جانب الفقه الاسلامى خاصة والشريعة الاسلامية عامة.

لأن العالمية والعولمة التى يعنيها الاسلام تختلف كل الاختلاف عن هذا المعنى وما يؤدى إليه.

فالاسلام لايستهدف الاحتلال أو الهيمنة ولكنه يهدف إلى تعاون الدول مع بالتباين والتنوع والتكامل بين الأمم والشعوب والمجتمعات والافراد مصداقا لما جاء فى القرآن الكريم قال تعالى: ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم**﴾[(١)].

كما أن العولمة الاسلامية هدفها نشر القيم الاسلامية والمبادئ الاخلاقية والحفاظ على الكرامة الانسانية لكل البشر وتاكيد حق كل انسان فى الحرية والمساواة وحماية الانفس والمعتقدات والأموال والاعراض وتحقيق العدل بين الناس وحماية الاسرة واحترام المرأة ومنع الظلم والاستغلال فى كل اشكاله وصوره.

كما يمكننا ان نشارك فى العولمة فى المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية:

فاذا واجهنا القوة الاقتصادية بقوة اقتصادية مقابلة فاننا سنكون مشاركين فى

(١) سورة الحجرات الآية: ١٣.

العولمة ولسنا مجرد تابعين ولسنا فى حاجة إلى تأكيد ان العالم الاسلامى يملك كل اسباب القوة الاقتصادية وكل مايحتاجه هو الارادة الفاعلة لتحقيق ذلك.

أما العولمة فى المجال السياسى فان ابرز مايصادفنا منها هو الديمقراطية وحقوق الانسان والتعددية السياسية.

والاسم بما اشتمل عليه من قيم وتعاليم قد سبق العولمة فى هذا المجال ورسخ قيم الشورى وحقوق الانسان والتعددية.

أما حقوق الانسان فان الاسلام كان أشد حرصا على ترسيخها فى النفوس وتطبيقها فى الواقع فقد كرم الله الانسان وساوى بين الناس جميعا بصرف النظر عن اعرافهم واجناسهم والوانهم ومعتقداتهم وأمر باقامة موازين العدل بين البشر.

أما العولمة فى المجال الثقافى فيعد أهم التحديات التى تواجه الهوية الاسلامية ولكن الامر فى حاجة إلى شئ من التأمل فالاسلام دين متفتح لايرفض ثقافة معينة لمجرد كونها أجنبية وانما ينظر فيها ويفحصها بعناية ويأخذ منها مايفيد فى مسيرته الحضارية.

ويؤكد ذلك قول النبى - ﷺ- «الحكمة ضالة المؤمنين» انى وجدها أخذها والاثر المشهور «اطلبوا العلم ولو فى الصين».

أي لو كان فى يد من لايدينون بدينكم أو بمعنى آخر ولو كان فى أبعد مكان فى الدنيا.

ويقول الفليسوف ابن رشد: «تنظر فى الذى قالوه من ذلك وما اثبتوه فى كتبهم»

يقصد كتب القدماء. فما كان منها موافقا للحق قبلناه منهم وسررنا به وشكرناهم عليه وماكان منها غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه وعذرناهم.

الفصـــــل الثانى

الصورة الذهنية للاسلام والمسلمين عند الغربيين والرد عليها

ويتضمن مبحثين:

المبحــث الأول: الصورة الذهنية للاسلام والمسلمين عند الغربيين.

المبحث الثانى: الرد على مفردات الصورة الذهنيـة للاسلام والمسلمين عند الغربيين.

الفصل الثانى

الصورة الذهنية للإسلام والمسلمين عند الغربيين والرد عليها

تمهيد:

حقا لقد اصبحنا فى زمن تنكب أهله الطريق السوى والبست فيه الحقائق أثوابا غيرت معالمها حسبها البعض وليدة هذا العصر واعجوبة هذا الزمان.

فقد تميزت السنوات الأخيرة من القرن الحالى بحدوث انجازات علمية مذهلة فى مجالى المعلومات والاتصالات لدرجة اصبح معها العالم قرية صغيرة ، ونتج عن ذلك تلاشى المسافات وزوال الحواجز الجغرافية والثقافية والسياسية والاقتصادية بل والاجتماعية.

ولجأ الغرب فى الوقت الحاضر إلى عدة أساليب تستهدف القضاء على الحضارة الاسلامية وتحول دون تقدمها بحيث لايصبح للمسلمين دور فى صياغة مستقبل العالم.

فعمد الى تجنيد عدد من المستشرقين إبان فترة الاستعمار وأقام فى الوقت الحاضر عددا من مركز البحوث تنقب فى بطون الكتب وأحداث التاريخ فى فترات ركود الحضارة الاسلامية لاستخراج مايسئ إلى المسلمين ومايدل على أن حضارتهم قد ذبلت وفى سبيلها للإندثار وأن الخيار الوحيد أمام المسلمين هو تبنى الحضارة الغربية وسخر الغرب لتحقيق هذا الغرض العديد من المنظمات الدولية لنشر الافكار الغربية مثل مؤتمر «المستوطنات فى تركيا عام ١٩٩٦م» «ومؤتمر المرأة فى بكين ١٩٩٥م» «ومؤتمر السكان فى القاهرة عام ١٩٩٤م» كما جند عددا من ابناء الأمة الاسلامية ممن بهرتهم الحضارة الغربية للتبشير بها باسم التنوير ، والقضاء على الحضارة الإسلامية باسم التخلف والجمود.

وتلقفت وسائل الإعلام الغربية -وهى تنفرد ببث المعلومات فى سائر انحاء

العالم- كل مايسئ إلى الحضارة الإسلامية واستغلت مايصدر عن بعض نظم الحكم الاسلامية وبعض التفسيرات المغلوطة -وعلى رأسها فكر الخوارج- لتشويه صورة المسلمين وصورت الصحوة الاسلامية بأنها الخطر الأكبر الذى يتهدد الحضارة الغربية بعد زوال الخطر الاحمر بسقوط الاتحاد السوفيتى.

ولم يسطع المسلمون حتى الآن النفاذ إلى الاعلام الغربى لعرض الصورة الحقيقية للإسلام ودوره الحضارى.

ومن المعلوم للجميع ان من مساوئ مفهوم العولمة ، وكما بلورته الهيمنة الامريكية فى سياق النظام العالمى الجديد أن احد عناصره الاساسية ثقافة معادية للإسلام.

يقول ميخائيل سليمان وهو فى مقدمة أهل الاختصاص فى صورة العرب فى أمريكا: «أن غالبية الامريكيين يتجهون إلى رؤية العرب والمسلمين إما فاحشى الثراء أو فاجرين ، وإما من البدو المتعذر تمييزهم عن الصحارى التى يقطنون فيها ».

وفى استطلاع للرأى خلال حرب الخليج الثانية أبدى كثيرون من المريكيين عداء واسع النطاق لمواطنيهم ذوى الاصل العربى ، حتى من جاءوا من دول متحالفة مع الولايات المتحدة ضد العراق ، الامر الذى دفع «جورج بوش» إلى مناشدة الأمة الامريكية أن تكون متسامحة مع التنوع ، محترمه له.

ويلخص -«فواز جرجس» فى كتابه «إمريكا والاسلام السياسى صراع حضارات أو صراع مصالح؟» والصادر بالانجليزية والعربية سنة ١٩٩٨م- الموقف الراهن فى عبارة موجزة يقول:

«لايزال الاسلام فى نظر كثير من الامريكيين ثقافة عدائية وخطرا على مصالحهم وقيمهم الثقافية ، وتتجذر معظم آراء الامريكيين عن المسلمين ، إلى حد ما فى الأصول الدينية للولايات المتحدة الامريكية ، ولربما تعزى هذه الآراء ايضا إلى نزاع تاريخى بين المسيحيين والمسلمين ، أى إلى مجابهة تنتقل عبر الاجيال

بواسطة الآثار الأوربية وبمأثورات شعبية ووسائل الاعلام الجماهيرية واللغة الاكاديمية المرعية».

وقد نشرت مجلة رزواليوسف فى عددها رقم «٤٦٤١» فى ١٩٧٨/٣/٢٣م وثيقة من داخل السفارة الامريكية فيها إهانة للمصريين. حيث أظهرتهم فى صورة سلبية جدا ، وقد اعتذرت السفارة فى العدد الثانى مباشرة من المجلة.

وهذه الصورة التى رسمها الغرب ليست وليدة الساعة أو المشاهدة وإنما تعد إمتدادا لما اسماه «چورچ واشنطن» العدواة التقليدية للإمريكيين تجاه العرب.

هذه العداوة التى ترسخت فى الغرب شكل عام منذ مئات السنين ، ولم يفلح فى تعديل هذه الصورة ما يملكه الغرب -خاصة امريكا- من تقدم تكنولوچى فى مجال المعلومات بداية من شبكة التليفونات بعيدة المدى حتى الانترنت والذى يوصف بأنه «طريقة المعلومات فائقة السرعة».

وبما تملكه من شركات عابرة القومية ، اذا يعترف الغربيون أنفسهم بأن هذه الشركات الاعلامية «أدوات اضافية لتنفيذ السياسة الخارجية للدولة الأم».

حتى بحوث الاتصال المفروض إنها عملية -تسير فى محاذاة نظام الشركات التى يمول معظمها فضلا عن ارتباطها بالنظام الوطنى بشكل مباشر(١).

وتصل هذه الثقافة العدائية إلى قمتها عندما يدعو «روبرت ساتلوف» مدير معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى -الولايات المتحدة- إلى اتخاذ اجراءات فعالة للانضمام إلى المعركة التى تشنها بعض حكومات الشرق الأوسط ضد الإسلاميين حتى لو أدى ذلك إلى أن نجد أنفسنا مطاوعين لبعض الاعمال القذرة التى يقومون بها ويضف «روبرت ساتلوف» أن المعركة رغما عن كل شئ آخر هى معركتنا نحن وليست هذه رؤية إمريكية خاصة ، بل إنها تكاد تمثل الموقف الغربى كله.

---

(١) الاتجاهات الحديثة فى بحوث الصورة الذهنية للعالم الإسلامى عند الغربيين، د. مرعى مدكور، ورقة عمل من بحوث ندوة الاعلام الدولى وقضايا العالم الاسلامى، ص ٧.

يقول «مكسيم ردونسون»: «إن العالم المسيحى الغربى فهم العالم الاسلامى ضمنا كخطر قبل زمن طويل من البدء برؤيته كمشكلة حقيقية».

وبعد سقوط الماركسية -المذهب والدولة- اعتبر الاسلام هو العدو أو تم التفكير فى ذلك ، وبدأ الربط بين حضور الاسلام وغياب حقوق الانسان وبين الديموقراطية والمعونة الامريكية وفى الوقت الذى ترفع فيه الولايات المتحدة مبدأ عالمية حقوق الانسان وعدم قابليتها للتجزئة ، وهو مبدأ يضعها فى مأزق عند أول اختبار حيث تتحصل إسرائيل صاحبة أسوء سجل لانتهاكات حقوق الانسان على أعلى نسبة من المعونة الامريكية(١).

ولعل مما يساعد على استكمال صورة الواقع المعادى لكل ما هو عربى أو إسلامى أن نوجه الاذهان إلى مدى التغلغل اليهودى الصهيونى فى اجهزة التأثير والسيطرة على صناعة القرار وعند القمة فى الولايات المتحدة. فوزير الدفاع وليام كوهين يهودى ، ووزير الخارجية مادلين أولبرايت يهودية ، ورئيس الاستخبارات الامريكية يهودى وفوق هؤلاء جميعا منظمة «الأيباك» اليهودية بسلطانها الضخم إعلاميا واقتصاديا على صناعة القرار هناك مما يجعل من اليسير إخضاع القرار لكل مايرضى اليهود ولو تم القضاء على العرب والمسلمين.

والقضية فى واقعها ليست مجرد استنتاج فى دراسة التاريخ والمعتقدات والماضى المفعم بالمكر السيئ.

ولكنها اليوم مراجعة للأحداث المتتابعة على الساحة ، ولما يجرى على أرض الواقع من أعمال وتحركات تصطبغ جميعا بالعداء المكشوف والتحرش -دون سبب ، أو بسبب لايذكر- لإعلان عن ضرب هذا البلد أو ذاك من أرض العروبة والاسلام(٢).

---

(١) فعاليات الاعلام الاسلامى، أ.د. محمد كمال إمام ندوة الاعلام الدولى وقضايا العالم الإسلامى، ص ٥.

(٢) مجلة منبر الاسلام العدد ٨ السنة «٥٧» شعبان ١٤١٩هـ ديسمبر ١٩٩٨م، ص ٣ مقال رئيس التحرير.

وهذا الفصل يتضمن مبحثين:

المبحـــث الأول: الصورة الذهنية للاسلام والمسلمين لدى الغربيين.

المبحث الثانى: الرد على مفردات الصورة الذهنية للاسلام والمسلمين لدى الغربيين.

المبحث الأول

الصورة الذهنية للاسلام وللمسلمين لدى الغرب

تمهيد:

* لاشك أن جميع أجهزة الاعلام الغربية وبعض الشرقية تعامل الاسلام معاملة ظالمة.

* فالصرب يفعلون بالمسلمين كل ساعة مالم يقل به أى دين أو شرع أو عرف أو خلق ولم يقُل إعلام واحد أنه ارهابى صربى أو مسيحى.

* وفى كوسوفو ايضا.

* وفى اسرائيل عند قتل رابين لم يقل أحد أنه ارهاب يهودى.

* وعندما وقع حادث أوكولوهاما -قبل ظهور نتيجة التحقيق- قيل إنهم الاصوليين الاسلاميين.

* واذا حدث حادث ولو صغير فى أى مكان فى العالم يقال فى الاعلام الدولى أنه اسلامى.

فنحن اليوم أمام واقع جديد يتعامل مع الاحداث بمعيارين.

أحدهما: للعرب والمسلمين تدفعه الرغبة فى القضاء عليهم وإنهاء دورهم والابادة العرقية لهم.

وثانيهما: هو التدليل والتأييد والمظاهرة لاسرائيل والتمكين لها من القيام بالمزيد من انتهاك الحقوق الفلسطينية المشروعة ، وتقبل كل صنوف العنت الذى يتعامل به حكام إسرائيل مع هذه القضايا.

فالتعامل مع الحقوق العربية والاسلامية يتم بمنتهى الاسترخاء وتمييع المواقف.

ويحدث هذا فى الوقت نفسه الذى تتحرك فيه الطائرات وقوات المشاة الامريكية إلى الخليج العربى بكل سرعة لضرب العراق المسلم وفعلا يتم الضرب بدون تأخير.

إننا فى حاجة إلى مواجهة كل حملة إعلامية على حدة وبنفس القوة. نعم لدينا مئات من الصحف والمجلات والقنوات الفضائية، فقط يلزمنا كيفية وصول أصواتنا.

ولايمكن أن ننكر أن الاعلام الدولى كيان له مكانته.

وايضا لاينكر أحد أن السيطرة الاعلامية الدولية تلحق بنا الضرر نحن المسلمين.

إن بعض الدول لاتكتفى باعلامها وإنما تستأجر إعلاما فى دول أخرى. وذلك لأن الاعلام الدولى له دور كبير، فقد يرفع دولة إلى أعلى ويخفض أخرى.

ولم تقتصر اجهزة الإعلام المختلفة هذه على الاساءة للاسلام كدين وانما اساءت ايضا إلى المسيحية. فقد قامت مستوطنة اسرائيلية بعمل ملصق يتضمن رسومات اساءت فيه للإسلام وللرسول وللمسلمين والمسيحية ورموزها(١).

إن الاسلام ليس فى وضع تصادمى مع المسيحية أو مع الغرب عامة باتجاهاته العقائدية المختلفة بأى شكل من الاشكال لأن الاعلام الاسلامى يعمل على تصحيح أوضاع وأسس ومبادئ عامة يجب أن يحترمها الكل من منطلق قوله تعالى: ﴿لكم دينكم ولى دين﴾(٢).

لقد سقطت الأقنعة وكشفت أجهزة الإعلام الغربية المحكومة بالصهيونية وتوجيهات اللوبى اليهودى عن موقفها من العروبة والاسلام وعن دورها الحقيقى فى تنفيذ ماتقرر فى «التلمود» و«البروتوكولات» وفى مؤتمر «بال» ١٨٩٧م بقيادة هرتزل.

---

(١) الاخبار القاهرية، ص ١٦ يوم ٢/ ١٩٩٨/١٠م محام يطالب شيخ الازهر بمقاضاة اسرائيل.
(٢) سورة الكافرون الآية: ٤.

إن المقصود والمخطط أن يكون القرن القادم - قرن الألفية الثالثة للميلاد- قرن إزاحة الاسلام من خريطة العالم لتأخذ المسيحية مكانة كما اعلن قادة مؤتمر «كلورادو» ١٩٨٧م.

ولأن الالفية الثالثة على الأبواب فقد أخذ التحرك لتنفيذ المخططات صيغة محمومة فيها الكثير من ملامح زمان الغابة وعصر الهنود الحمر.

فاذا لم يكن هناك مبرر للعدوان فالواجب أن تخترع المبررات وأن تتلمس الاسباب واذا لم يكن قد صدر من المسلمين أى عمل يستوجب العقوبة فمن السهل اصطناع أى ذريعة.

أما إذا بدا أن العالم سيرفض مايقوم به الغرب فماذا على الاقوياء من كل ما فى العالم لأن غرور القوة أنسى أقوياء زماننا مصائر الفراعنة السابقين[١].

ورغم هذه الصورة السيئة للعالم الاسلامى فى اجهزة الإعلام الغربية فان هناك صوت عاقل يتردد بين الحين والحين يمدح الاسلام كدين. ففى جريدة الاهرام عدد الجمعة ١٦/ ١٠/١٩٩٨م يقول وزير الخارجية البريطانى السير روبين كوك فى كلمته التى ألقاها فى أحد المراكز الثقافية الشرقية بلندن فى ٨ اكتوبر «تشرين الأول» ١٩٩٨م «الغرب فى حاجة للإسلام كصديق فى ظل التحديات المعاصرة، ومن الظلم أن يلصق الارهاب بالاسلام لأنه دين السلام».

وأضاف يقول «الثقافة الغربية مدينة للاسلام وحضارته وخطتنا الآن وضع تصور جديد لدعم علاقتنا مع العالم الإسلامى وأناشد الغرب بأننا فى حاجة للإسلام كصديق لأنه دين السماحة والحب والوئام وما يحدث من مظاهر تطرف وعنف من البعض لاتمثل الاسلام الذى يدعو إلى الاخاء والتعارف والتعاون والسلام».

وقال وزير الخارجية البريطانى: «إن جذور ثقافتنا الانجليزية ليست رومانية أو يونانية فحسب بل هى أيضا إسلامية. فالفن الاسلامى والعلوم

(١) مجلة الأزهر، السنة ٥٧ العدد ٨ شعبان ١٤١٩هـ - ١٩٩٨، ص ٣.

والفلسفة الاسلامية قد ساعدت على تشكيل تطورنا والأرقام الاسلامية مازلنا تعتمد عليها وهي التى علمتنا طريقة العد الصحيحة».

ثم يضيف: «ثم إن ثقافة الغرب مدينة للاسلام. ونحن نقوم حاليا بتطوير علاقتنا مع العالم الاسلامي بعد ما سمحنا للايام أن تباعد بيننا وأتحنا لشئ غير قليل من سوء التفاهم أن ينمو ويكبر ويفرق بين الغرب والاسلام. ولاينبغى ابدا أن يترك سوء التفاهم ليستمر ويتواصل فليس من المعقول أن تصدر كل من هاتين الحضارتين العظيمتين حكما جائرا على الحضارة الأخرى بهذه الصورة المؤسفة»(١).

ومن الصور الطيبة أيضا أنه قد عارض رواية المارق سلمان رشدى كثير من الرموز الغربية لاهانتها الشديدة والواضحة للاسلام والمسلمين. منهم:

* الكاردينال أوكونو أسقف نيويورك وأبرز شخصية كاثوليكية فى الولايات المتحدة الامريكية.
* الفاتيكان.
* المؤتمر السنوى للاساقفة الكاثوليك فى أمريكا.
* الحقوقى البريطانى الشهير اللورد هارتكى شوكروس الذى اتهم المؤلف بالاساءة إلى الحرية(٢). وغيرهم فى الوقت الذى نجد فيه بعض المنتسبين إلى الإسلام يدافعون عن هذه البذاءات ....!.

وفى هذا المبحث لا احاول حصر كل الوان الصور الذهنية السيئة عن الاسلام والمسلمين لدى الغرب وغير المسلمين وانما اذكر على سبيل المثال بعض هذه الصور.

---

(١) مجلة منبر الاسلام العدد ٨ السنة «٥٧» شعبان ١٤١٩هـ ديسمبر ١٩٩٨م، ص ٥٥.

(٢) الاتجاهات الحديثة فى بحوث الصورة الذهنية للعالم الاسلامى عند الغربيين، المرجع السابق، ص ١٨.

وهذا المبحث يتضمن اربعه مطالب هي :

المطلـب الأول: الصـورة الذهنيـة للاسـلام وللمسلمين على شبكة الانتـرنت والمصطلحات المزيفة التى يستخدمها الاعلام الغربى.

المطلب الثانى: الصورة الذهنية للمسلمين فى مجال الصحافة والمؤتمرات الدولية.

المطلب الثـالث: صـورة الاسـلام فى تصـور علمـاء وفـلاسـفـة الغـرب والمستشرقين.

المطلب الرابع: الابداع الأدبى المعاصر المناهض للاسلام والمسلمين.

المطلـــــب الأول

الصورة الذهنية للإسلام والمسلمين على شبكة الانترنت والمصطلحات المزيفة التى يستخدمها الاعلام الغربى

تمهيد:

لقد استخدم الغرب شبكة المعلومات الدولية «الانترنت» للهجوم على الاسلام والمسلمين ومحاولة تشويه القرآن الكريم والنيل من رسولنا الكريم محمد -ﷺ-.

كما استخدم بعض الالفاظ والمصطلحات الاعلامية الغربية التى تشارك فى تزييف الوعى لدينا بدلا من تنميته نظرا لتلقى اعلامنا للاخبار والمعلومات من الوكلاء والمندوبين الاجانب.

وهذا المطلب يتضمن فرعين:

الفرع الأول: الصورة الذهنية للمسلمين على شبكة «الأنترنت».

الفرع الثانى: المصطلحات المزيفة التى يستخدمها الاعلام الغربى.

الفــرع الأول

الصورة الذهنية للإسلام والمسلمين على شبكة «الانترنت»

لايستطيع احد ان ينكر أن الانترنت سلاح ذو حدين فقد تحوى هذه الشبكة الحق الصحيح من علوم ومعارف ... وقد تحوى الباطل المزيف من اتهامات وتشكيكات وخاصة فى مجال العقيدة الاسلامية.

اذاً فمن الواضح المؤكد أنه ليس كل ماتحويه «الانترنت» صحيحا أو موثوقا به -وبخاصة مايتصل بحقائق الاسلام حين يتعمد اعداؤنا اساءة فهمها وتضليل الآخرين حيالها.

ومن امثلة استخدام هذه الشبكة للاساءة للاسلام كدين وشريعة لتشويه صورة المسلمين لدى العالم.

أولا: فى منتصف عام ١٩٨٨م بث موقع يتبع شركة أمريكا أون لين "A.O.L" أربعة نصوص تتشابه بسور القرآن الكريم تدعى «المسلمون» و «الايمان» و «التجسد» و «الوصايا» وتتهم هذه النصوص المسلمين بأنهم فى ضلال مبين ، وتلفق على لسان المصطفى - ﷺ- أقوالا مكذوبة لتسخر من القرآن الكريم.

وتتشبه هذه النصوص المحرفة بالسور القرآنية من حيث الشكل والمحاكاة اللغوية وتقليد النظم القرآنية وتقسيم كل سورة إلى عدد من الآيات.

وقد نشر الاستاذ محمد يونس فى جريدة الاهرام بتاريخ ١٩٩٨/٧/٢٧ تقرير أبرز فيه تهديد الازهر الشريف باتخاذ الاجراءات القانونية ضد الشركة المسئولة عن هذا الموقع ....

ثم توقف الموقع وقامت شركة أمريكا أون لين ببث اعتذار للمسلمين عن هذه الاساءة.

ولكن بعد فترة عادت هذه السور المزعومة تبث فى أربعة مواقع من خلال شركة أخرى تسمى جيوستيز "GEOSETIES" وقد تم اغلاق ثلاثة منها بعد الاعتراضات التى وجهت للشركة من جانب بعض المؤسسات الاسلامية وعدد كبير من المسلمين الذين هددوا بوقف اشتراكهم فى الشبكة اذا استمرت هذه المواقع.

ثم عادت هذه المحاولات لتشويه القرآن الكريم تبث على موقع جديد يتبع شركة ثالثة بدءا من اكتوبر «١٩٩٨»[(١)].

كما يعتقد الغرب غير المسلم أن المسلمين يتحاملون على المرأة ويفرقون بينها وبين أخيها الرجل.

ومن هنا يحاولون الاساءة إلى الاسلام من هذا الطريق.

---

(١) الاهرام فى ١٩٩٨/١١/١٤م مواجهة محاولة جديدة لتحريف القرآن، أ. محمد يونس.

ومن امثلة ذلك مهاجمة واحد من اعداء الاسلام لحديث رسول الله - ﷺ - الذى خاطب فيه مجموعة من النساء فى معرض المباسطة وامتداحهن بما وهبهن الله تعالى من تأثير على قلوب الرجال وهو قوله «ما رايت من ناقصات عقل ودين أخلب للب الرجل من إحداكن»(١).

ولقد تناول أحد رجال الاعلام الغربى هذا الحديث الشريف من خلال «الانترنت» وطرحه بسخرية وحقد دفين على مجموعة من الناس وآثار لديهم الشكوك والاتهامات والاستهزاء ، عن طريق القول بأنه كيف يقال أن النساء ناقصات عقل ودين وقد بلغن من الرقى والسبق والمناصب ماتفوقن فيه على الرجال(٢).

الفرع الثانى

المصطلحات المزيفة
التي يستخدمها الاعلام الغربى

لاينكر أحد إن هناك ظروف تفرض علينا التبعية واستخدام الاعلام الغربى والاسلامى للمصطلحات الاعلامية الغربية التى تشارك فى تزبيف الوعى لدينا بدلا من تنميته. نظرا لتلقى الاخبار والمعلومات من الوكلاء والمندوبين الأجانب.

وهذه المصطلاحت مثل:

١ - التطهير العرقى فى حرب البوسنة :

فهذا المصطلح خادع لأن القضية لم تكن قضية أعراق ، لأن البسنيون جزء من نفس الشعب وإنما كانت حربا دينية تهدف لابادة المسلمين. ولعل اخطر ما فى ذلك أننا نرى أنفسنا بالشكل الذى يريده الآخر نفي قضية البوسنة التى اعتمدت وسائل الاعلام الاسلامية على وكالات الانباء الغربية بشكل رئيسى فى تغطية

(١) صحيح مسلم ، للامام مسلم بن الحجاج القشيرى، ت ٢٦١هـ، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٨هـ - ١٩٨٧م، حديث رقم ٨٨٩.

(٢) مجلة الوعى الإسلامى العدد ٣٩٩ ، ص ٦٠، مقال الانترنت -المعرفة والخدمات- الخطر الداهم للاستاذ/ محمد عبد الله الغولى.

تطوراتها وكان من نتيجة ذلك انه تم تصوير هذه القضية فى شكل مقابلة غير منطقية وهى أنها صراع بين المسلمين والصرب بغض النظر عن الجانب المسكوت عنه فى تفاعلات هذا الصراع ، وبخاصة من دول أوربا.

فان المحتوى الظاهر الذى تم تقديمه ، يوضح مدى الخبث الذى قدمت به الحقائق البديهية لهذا الصراع وهى أنه بين مسلمين وصرب ، فى حين أن المقابلة هنا غير منطقية إذ أنها إما أن تكون على أساس الدين فيكون الصراع بين مسلمين ومسيحيين واما أن تكون على أساس العرق فتكون المقابلة بين الصرب وجنس آخر لم يخبرنا الغرب عن هويتهم.

فقد فضلت مصادر الاعلام الغربية -التى نقلنا عنها واعتمدنا عليها- ألا تقدم الصراع على أنه بين مسلمين ومسيحيين لأن الذى يمارس القتل ويرتكب المذابح هنا مسيحى.

٢- الأصولية: Integrisme

ولد هذا المصطلح فى الأوساط الكاثوليكية الفرنسية قبل الحرب العالمية الأولى بقليل.

وقد صاغه مؤيدوا انفتاح الكنيسة على العالم الحديث ، وهو يشير إلى تصلب الكاثوليكية بنصوص نسجوها على مر التاريخ. فما من طبعة للانجيل تطابق طبعاته الأخرى ... .

كما أنه تعبير مرتبط برد فعل الكنيسة ضد التغيرات السياسية والثقافية الناجمة عن عصر الثورة الفرنسية وعصر التنوير الذى قام من ضمن ماقام لمناقضة هذه النصوص.

وكان البابا بيوس التاسع قد أدان أخطاء العصر الحديث فى ثمانين بندا عام واعتبر المجتمع الحديث ضد الكنيسة الكاثوليكية ... ثم قامت مجلة «الحضارة الكاثوليكية» **Givilta Gattolica** التى تصدر تحت اشراف الفاتيكان بنشر البيان التالى:

«ان المبادئ الكاثوليكية لاتتعدل ، لابسبب السنوات التى تمر ولابسبب تغيير البلدان ، ولابسبب الاكتشافات الجديدة ولابسبب المنفعة ، انها المبادئ التى بشر بها المسيح ، ونادت بها الكنيسة وحددها البابوات والمجامع ، وتمسك بها القديسون ودافع عنها المختصون ومن الضرورى تقبلها كما هى ، أو تركها كما هى. ومن تقبلها بكاملها وبكل أبعادها فهو كاثوليكى ، ومن يوازن ويعوى ويتلاءم مع الأزمنة ويساوم ، ليطلق على نفسه الاسم الذى يحلو له ، لكنه امام الله وأمام الكنيسة يعد ثائرا ومرتدا وخائنا»[١].

وباختصار فالأصولية فى مفهومها الغربى: حركة جمود تنظر إلى النصوص بحرفية وتعادى العلم والعقل.

بينما الأصوليون فى فكرنا: هم أهل الاجتهاد والتجديد. «علماء اصول الفقه» فهى عندنا شرف نتطلع إليه ، ولكنها أصبحت وكأنها سبة ولعنة يوصف بها التيار الاسلامى.

٣- التغريب:

يقول كورنليوس كاستوديادس: «إن التغريب يعنى تحويل الحضارات والمجتمعات إلى النمط الغربى ويتم فرضه لضمان سهولة السيطرة على هذه المجتمعات وامتصاص مواردها الطبيعية ، اعتمادا على القوى العسكرية والحداثة بنزع الهوية والقتل العرقى واقتلاع الجذور لادراج المجتمع تحت لافتة التخلف وادماجه فى استراتيجية التنمية التى تحول الاستعمار إلى استعمار اقتصادى عن طريق تدخل صندوق النقد الدولى والبنك الدولى.

أما سرج لاتوش فيقول عن هذه العملية المخططة التى تفرض على البلدان لقتل هويتها: «ان عملية تغريب العالم الثالث تعنى أولا قتل الهوية ، أى قتل البنيات الاقتصادية ، الاجتماعية والاخلاقية التقليدية لتحل محلها كمية من الحداثة مصيرها الصدأ ... ومايتم اقتراحه على شعوب البلدان النامية كبديل

(١) ابجدية الحوار بين الحضارات، أ.د. زينب عبد العزيز، ص ٦.

لهويتهم الثقافية الضائعة عبارة عن هوية قومية عبثية وانتماء كاذب للمجتمع الدولى.

٤- التبشير:

فى عام ١٩٦٥م اعلن المجمع المسكونى الفاتيكانى الثانى عن «تناس المنازعات والعدوات الماضية ... والعمل باجتهاد صادق سبيلا للتفاهم».

وعلى الرغم من اجراء بعض لقاءات للتعارف أو التفاهم بين ممثلى العقيدتين، فقد قام الغرب فى الوقت نفسه -وعلى سبيل المثال لا الحصر بانشاء كلية فولر لارسالية تنصير العالم. ومعهد صاموئيل زويمر للابحاث والتدريب على تنصير المسلمين ، ومنظمة التصور ، ومركز الاتصالات والدراسات المتقدمة لارسالات التنصير ، ورابطة تنصير الاطفال ... الخ.

كما اقيم العديد من المؤتمرات لدراسة كيفية التبشير ، ومنها على سبيل المثال:

مؤتمر التنصير العالمى فى لوزان عام ١٩٧٤م. ومؤتمر كلولورادو عام ١٩٧٨م الذى يعد اكبر مؤتمر من نوعه إذ حضره مائة وخمسون باحثا متخصصا فى اصول التبشير ، وتم تقديم أربعين بحثا ، يتعرض كل بحث منها لنقطة من النقاط التى يمكن اختراق الاسلام منها وتنصير المسلمين ، كالثقافة والاعلام والصحة والمرأة والأسرة ، وخاصة البحث رقم «٣٨»، المعنون «دور الكنائس المحلية فى خطة الرب لخلاص المسلمين» وأخيرا وليس أخيرا ، مؤتمر العالم العربى المنعقد فى باريس عام ١٩٨٥م(١).

ولاننسى كتاب توماس كيرنان الذى صدر عام ١٩٧٥م عن «العرب» ووصفه

---

(١) أبجدية الحوار بين الحضارات ، البحث السابق الاشارة اليه والمقدم من الدكتور، زينب عبد العزيز، إلى مؤتمر «نحو فلسفة اسلامية جديدة» المنعقد بقسم الفلسفة بآداب القاهرة من ٢٦ ، ١٩٩٣/٦/٢٨م، ص ٦.

لهم بأنهم «متآمرون على الاقتصاد العالمى» وطالب فيه بحرب لابادتهم ونهبهم لضمان أمن الغرب وازدهاره.

واذا ما ربطنا بين مايدور على الصعيد العالمى بما تم من عمليات تنصير من قبل عمليات الانقاذ التى تقوم بها المنظمات المسيحية فى البوسنة أو فى الصومال ، كما أعلنته شبكة الـ CNN أكثر من مرة ، لادركنا التضافر الحميم بين عناصر هذا المناخ السياسى -الاقتصادى- التبشيرى الذى يحيط بالعالم الاسلامى حاليا.

واذا ما تساءلنا عن سر هذا العداء وهذه القرصنة ، أجاب أحد المشتركين فى مؤتمر كولورادو قائلا «لأن الإسلام هو الدين الوحيد الذى تناقض مصادرة الأصلية أسس النصرانية ... وإن النظام الاسلامى هو اكثر النظم الدينية المتناسقة اجتماعيا وسياسيا .. انه الاسلام – حركة دينية معادية للنصرانية ، مخططة تخطيطا يفوق قدرة البشر.

ويقول القس دون ماكرى ، وهو منصر ويعمل مديرا لمعهد زويمر للتنصير وهو أحد المشاركين فى مؤتمر كولورادو سنة ١٩٧٨م: «إن وحدة العالم الاسلامى على أية حال مضمحلة اكثر من أى وقت مضى ، ليس سياسيا فقط ، كما حدث فى العهد العباسى ، وانما دينيا وثقافيا ، بسبب التآكل الذى أحدثه النمط الغربى فى حياتهم ، بل وسيطرة الانماط الغربية على حياتهم ... لقد كان للتحديث آثاره ليس فقط فى زرع بذور الاضطراب فى عقول من تأثروا به وفقدوا بذلك تأثير الاسلام عليهم ، وانما عمل -أيضا- واكثر من أى وقت مضى على خلق الفرقة بين أجزاء عديدة من العالم الاسلامى[١].

٥- الحداثة:

لقد استخدم هذا المصطلح لأول مرة عام ١٩٠٤م عندما قام بعض الباحثين ورجال الدين بالمطالبة بضرورة تطبيق العلوم التاريخية والنقدية على النصوص الانجيلية ، نتيجة لظهور العديد من الخلافات الناجمة عن تقدم العلوم الطبيعية ،

---

(١) المصدر السابق.

والتى أثبتت عدم مصداقية المعطيات الانجيلية أى أنه مصطلح يشير أساسا إلى الصراع القائم بين الكنيسة والعلم فى الغرب.

فقام البابا بيوس العاشر باصدار مرسوم بعنوان «أشياء محزنه» -Iamenta bli «١٩٠٧/٧/٣» الذى يعتبر أول تدخل عقائدى من الكرسى الرسولى فى أزمة الحداثة، تلك «الازمة التى اوقعت الكنيسة الكاثولوكية فى مأزق لم تخرج منه بعد.

أو كما يقول أ. بولا لو استمرت لتفتت الكاثوليكية وانتهت ثم اتبع هذا المرسوم الذى حرم فيه البابا مناقشة العقيدة ومختلف مراحل صياغتها ، بالخطاب الرسولى المعروف باسم «مراعى» Pascendi الذى أدان فيه الحداثة ووصف كل من يتعامل مع هذا العلم «بالهذيان والجنون والجرأة التدنيسية». وطالب بابعاد الحداثة عن الكنيسة واغراقها فى الحياة الثقافية والعلوم الانسانية والاجتماعية ، بل والعسكرية.

وانسابت وسائل الاعلام لتغرق العالم فى موجة الحداثة لطمس معالمها الدينية الأولى ... وانساق المقلدون والاتباع من المسلمين دونما تفكير فى حقيقة اصلها ، لفرضها على ثقافتهم وتراثهم المطلوب فقدانه ... وماأشبه ماحدث فى كل هذه المجالات بما تم فى لعبة الفن الحديث[١].

فالحداثة -صيغة للحضارة تعارض جميع الثقافات السابقة للعصر.

وهي صورة العالم كما طورها الغرب وأوربا ، يقدم كتابها نموذج الحضارة الغربية «أيديولوجية» للناس ، وتمثل لدى أصحابها القطيعة مع المرجعية الدينية والتراثية وإسقاط النماذج واستبدال التجربة والكشف بذلك تُعنى بتدمير الذاكرة واسقاط العصمة عن المطلقات «الايمان والغيبيات» والتحول من المطلق «الايمان بالغيب» إلى التاريخى المتغير ، وتعطى الانسان صلاحية وضع المعايير وكسر الشرائع وزعزعة النموذج.

(١) لعبة الفن الحديث -بين الصهيونية- الماسونية وأمريكا ، أ.د. زينب عبد العزيز، الزهراء للاعلام العربى، القاهرة ١٩٩٠م، مشار اليه فى بحثها عن «ابجدية الحوار بين الحضارات»، ص ٥.

والحداثة فى مجال الأدب بناء أوربى محض ينبغى هدم كل ما سواه من ثقافات وحضارات ، يقول شاعرها «رامبو» الذى قطع كل صلة مع المبادئ الأخلاقية والدينية: «إن على الشاعر أن يقوم بهدم عقلانى واسع لكل الحواس ويقوم بتحطيم الواقع».

ويتابعه أدونيس فى تعريفه القصيدة أو المسرحية أو القصة الحداثية بانها «هى التى تهدم كل شئ: المورث ، الدين ، السياسة ، العائلة ومؤسساتها ، التراث ومؤسساته ويكمل أبو ديب هذا الطرح بأن الحداثة «انقطاع معرفى ، مصادرها المعرفية هى اللغة البكر والفكر العلمانى وكون الانسان مركز الوجود «لا الله» تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ويصف حركتها بأنها «أعنف شرخ يضرب الثقافة العربية فى تاريخها الطويل، يكاد هذا الشرخ يكون انبتاتا عن الجذر».

إن نزعة هدمية كهذه يعسر على الأدب الاسلامى أن يستخلص منها شيئا ، فقد امتزج فيها هدم الشكل بهدم المضمون بما يجعل من العسير أن تستخلص منها تقنية فنية غير هدمية.

ولكن الادب الاسلامى -مع ذلك- يروم التحديث والتطور حسب منهجه ، ولاينقطع عن التجديد الملائم لطبيعته ، وقد أفاد الأدباء الإسلاميون من الحضارة المعاصرة الكثير من التقنينات وصهروها بطابعهم الأصيل ، من ذلك حسن استخدامهم للرمز الفنى واتخاذ اقنعة من التاريخ الاسلامى ورسم النماذج وسواها بمايؤكد طواعية الأدب الاسلامى للتجديد وحرصه على التحديث[١].

٦- التنوير:

وهو يعنى إقامة قطيعة معرفية مع الثقافة المورونة وخاصة الدينية وهو ماحدث فى الغرب فى القرن السابع عشر بسبب موقف الكنيسة المتعنت ضد العالم، والتنوير يرادف الحداثة فى مفهوم الغرب

(١) مجلة الرعى الاسلامى، العدد ٣٨٨، ص ٦.

٧- الانسانية:

ويقصد به اعتبار الانسان مكتفيا بذاته وليس فى حاجة إلى خالق يوجهه. لأن مرجعه انسانيته وذاته فقط وهو مصطلح يخفى وراءه عزل السماء عن الأرض.

٨- السلفية:

والسلف هو الماضى فكل انسان لابد أن يكون سلفيا يستلهم من ماضيه مايعينه على مستقبله. لكنهم يقصدون بها الرجعية والتخلف وعدم مسايرة التطور.

المطلب الثانى

الصورة الذهنية للمسلمين
فى مجال الصحافة الغربية والمؤتمرات الدولية

تمهيد:

لاشك أن الصحافة هى من أهم انواع الاعلام اليومى والدورى لما له من خاصية البقاء والاستمرارية بعد نشره ، أما الاذاعة المسموعة والمرئية فهى تبث الاخبار ثم تنتهى بمجرد بثها ، ومن هنا يستخدم الغرب الغير مسلم الصحافة المتعددة والمتنوعة لنشر كل مايسئ إلى الاسلام كدين وشريعة وإلى المسلمين كاتباع افضل الاديان.

ولايكتفون بها بل يعقدون المؤتمرات الخاصة بكيفية محاربة الاسلام والمسلمين.

وهذا المطلب يتضمن فرعين:

الفرع الأول: صورة الاسلام والمسلمين فى مجال الصحافة الغربية.

الفرع الثانى: صورة الاسلام والمسلمين فى المؤتمرات الغربية.

الفـــرع الأول

صورة الاسلام والمسلمين
فى مجال الصحافة الغربية

لا تكف الصحافة الغربية عن نشر كل مايسئ إلى الاسلام والمسلمين وتتعمد الحديث عن التصورات السلبية من وجهة النظر غير الإسلامية مثل:

١- الوحشية الموجودة داخل الثياب الطويلة المتدلية.

٢- شيوخ النفط الاغنياء السمان المسرفين.

٣- ان العرب غير أكفاء.

٤- النظر إلى العرب على أنهم «ارهابيون» يمارسون العنف ، كما يعترف تاونسنيد فيقول:

«أن صورة المسلمين قد تشوهت فى السنوات الاخيرة -أيضا- اكثر من العرب اذ ظهر مصطلح جديد فى المملكة المتحدة هو **Islam ophabia** «الخوف من الاسلام» أصبح له تأثيره على التغطية الاعلامية لوسائل الاعلام ومنها حادث «انفجار أوكلاهوما».

وفى ألمانيا: لايختلف الحال عنه فى بريطانيا ، فصورة الاسلام والعالم الاسلامى أو السيادة الاسلامية سلبية تماما كما يقرر البروفسير ايدوشتاينباخ **Udo steinbach** أن الصورة السلبية تسيطر فى المانيا داخل وخارج وسائل الاعلام لدرجة أن هذه الصورة ، قد حلت محل الصور السلبية للشيوعية ، إذ يشار عند ذكر الاسلام والمسلمين إلى «الثيوقراطية»(١).

«وتعدد الزوجات» «والتعصب» و «الاستبدادية».

وقد ظهر هذا التعصب واضحا حتى ضد الألمانين أنفسهم المهتمين بالاسلام ،

---

(١) النظريات الثيوقراطية: تتصل هذه النظريات بأساس السلطة فى الدولة. وترجع هذه النظريات ، بصورها الثلاث السلطة إلى الله ، أى أنها تجعل السلطة السياسية فى الدولة تقوم على أساس ألهى. والنظريات الثيوقراطية هى: «نظرية تألية الحكاكم - نظرية الاختيار الإلهى المباشر - نظرية الاختيار الإلهى غير المباشر» ، النظم السياسية، د. عصمت عبد الله الشيخ، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م - ١٩٩٩م .

إذ وجهت مؤسسة Pen canter إلى الرئيس الألمانى رومان هيرتسرج Roman Herzg تعترض فيه على حصول المستشرقة المتخصصة فى الدراسات الشرقية «ومنها الإسلام» أنى مارى شميل Anne marie scimmel على جائزة السلام فى عام ١٩٩٥م !!! على أساس أنها تهتم بقيم غير انسانية على الاطلاق[١].

وإشير فيما يلى على سبيل المثال إلى مزاعم صحيفتين من اكبر الصحف الغربية:

مزاعم جريدة الصنداى تلجراف:

يتجه الاعلام الغربى دائما إلى تشويه كل ماهو جميل عند المسلمين والدليل على ذلك ان مصرنا الحبيبة لاتعرف الفتنة الطائفية لأن القائمين على شرح اصول الدين الإسلامى وبيان أحكامه للناس يفهمون جيدا قول الحق تبارك وتعالى: ﴿لاإكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿لكم دينكم ولى دين﴾[٣] ورغم هذه الصورة الجميلة التى ننعم بها هنا فوجئنا بجريدة الصنداى تلجراف تنشر مقالا لصحفية لاتعرف معنى المسئولية تدعى فيها أن هناك اضطهاد للمسيحين فى مصر.وأستدلت على ماتدعيه بما حدث فى قرية «الكشح».

وما حدث فى هذه القرية بعيد كل البعد عما نشر فى هذه الجريدة. لأن الذى حدث أنه قد وقعت حادثة قتل لأثنين من الأقباط بقرية «الكشح» مركز دار السلام - محافظة سوهاج يوم ١٩٩٨/٨/١٥م، ونتيجة لهذه الحادثة قام مركز شرطة دار السلام بالقبض على عدد من أبناء القرية للتحقيق معهم لمعرفة الجانى ، ووقع أثناء الضبط بعض التجاوزات من أبناء الشرطة. مما جعل المنظمة المصرية لحقوق الإنسان تصدر تقريرا بخصوص هذه الواقعة جاء فيه إن عدد المقبوض عليهم قد تجاوز الألف رجال ونساء وأطفال كما جاء بالتقرير شهادات ممن وقع عليه تعذيب بدنى: «مع

(١) الاتجاهات الحديثة فى بحوث الصورة الذهنية للعالم الإسلامى عند الغربيين، دكتور مرعى مدكور، ورقة مقدمة إلى ندوة الإعلام الدولى وقضايا العالم الإسلامى، رابطة الجامعات الإسلامية، القاهرة ٢٩/٢٨ نوفمبر سنة ١٩٩٨م، ص ١٥.

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٥٦.

(٣) سورة الكافرون الآية: ٦.

العلم أن الأمن قد صرح بأن المقبوض عليهم ٢٥ شخصا ١٧ مسيحى و٨ مسليمن».
وكأى قضية أخرى فقد قام الأمن بالقبض على مرتكبى الجريمة وهو مسيحى من نفس القرية «ابن عم أحد القتلى» لخلافة مع المجنى عليه بسبب لعب الميسر ، كما تم التوصل لشهود الحادث «مسيحيين» والذين اعترفوا بارتكاب المتهم للواقعة ، وقررت النيابة حبس المتهم على ذمة التحقيق فى القضية رقم « ١٨٨٢ » إدارى مركز دار السلام لسنة ٩٨[1].

فالقضية عادية جدا مثل أى حادثة تقع في أى مكان فى مصر. ولكن الإعلام الغربى لاينقل الحقيقة لأنه لايتصف بالصدق ويحاول دائما الإساءة إلى التسامح الدينى الذى تنعم به مصر.

مزاعم صحيفة لوفيجارو الفرنسية:

لقد أنهك أصحاب هذه الصحيفة انفسهم للبحث عن أى كلام يصلح للمزيد من الشتائم ويصلح أيضا لإعادة قراءة التاريخ حسب مزاج وأهواء أعداء الإسلام.

فقد نشر أصحاب هذه الصحيفة مقالا من أحدث مقالاتها نشر فى اوائل عام ١٩٩٩م ضمن حملات موسمية تقوم بها الصحافة الغربية وهذا المقال عبارة عن دراسة فيها محاولة رخيصة لقراءة القرآن الكريم وتقديم تفسير «جديد تماماً» لآياته والوصول إلى عدة أحكام أهمها أن الإسلام دين «لم يعرف التسامح».

وأن رسول الله - ﷺ- يحمل صفات سيئة وأن كل من يدافعون عن الاسلام ويؤمنون أنه دين التسامح يغالطون ويحتالون لأنهم يستندون فى دعواهم إلى آية «لااكراه فى الدين ، لقد تبين الحق وانتصر الباطل.

فهم فى هذا يقصدون الآية الكريمة ﴿لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾[2].

(١) جريدة الأخبار القاهرية.
(٢) سورة البقرة الآية: ٢٥٦.

تدعى الدراسة أنه لاينبغى فهم القرآن انطلاقا من نفس مفاهيم الانچيل فمثل هذا الفهم غير صحيح.

لأن القرآن فيه آيات كثيرة فى سور متعددة تم الغاؤها «منسوخة» وآيات اخرى لم تلغ «ناسخة» وان اكثرية الآيات من النوع الثانى.

حيث تزعم الدراسة أن هناك «٤٣» سورة فقط لاتشتمل على الغاء أو نسخ من أصل «١١٤» سورة اشتمل عليها القرآن.

وهذا الموضوع موضوع تاريخى يتبين لنا منه أن الآية الأخيرة تلغى كل ما يسبقها من آيات والتى تعد مخالفة لها.

وبناء على ذلك: يقولون إن الآية التى تنفى الاكراه فى الدين ضمن جملة الآيات الملغاة ومن ثم فلا يعول عليها فى تقرير حرية العقيدة.

وتشير هذه الدراسة إلى أن آية النهى عن الإكراه وردت فى سورة البقرة وانها احدى اقدم السور وهى مكية نزلت فى وقت كان المسلمون فيه أقلية وكان رسولنا محمد - ﷺ- مهددا بالقتل.

ويزعمون أن التسامح كان يتم تقديمه فى هذه الفترة «فترة بداية الاسلام» بسبب ماكان عليه الإسلام من ضعف.

ولكن عندما قوى الإسلام واصبح قادرا اختلفت اللهجة واستدلت الدراسة على ذلك بما اسمته آية السيف وهى قوله تعالى: ﴿قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولايحرمون ماحرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون﴾[١].

وتصف هذه الدراسة هذا النص بأنه الأكثر عنفا ضد أهل الكتاب. وهذا النص يعد تحريض للمسلمين على استخدام العنف مع أهل الكتاب.

---

(١) سورة التوبة الآية: ٢٩.

خاصة وأن هذه الدراسة تضيف أن اسلوب العنف المسلح من أجل نشر الإسلام يحظى بالاجماع بين كل المشرعين والأساتذة المسلمين.

وتبرز الدراسة فى نهايتها ادعاءات عن جوانب الاحتيال فى الخطاب الاسلامى بأن الاسلام معتدل ولايستخدم العنف كطريق لنشر الدين الاسلامى فى ثلاث نقاط. هى:

* اخفاء الآيات التى تدعو إلى التسامح.

* اخفاء أن محمد - ﷺ- هو الذى نشر الإسلام بالسيف واعتمد على القتل المبرمج لكل الذين رفضوا اعتناق الإسلام وكانوا يعارضون افكاره.

* أن فى الإسلام مصادر داعية إلى انتهاج العنف المسلح ضد أهل الكتاب ثم اخفاؤها واعلان الحرب المقدسة ضد كل من ليس بمسلم

الفرع الثانى

صورة الإسلام والمسلمين فى مجال المؤتمرات

١- فى مجال المؤتمرات:

اقيم العديد من المؤتمرات لدراسة كيفية مواصلة التبشير ومنها على سبيل المثال.

مؤتمر التنصير العالمى فى لوزان عام ١٩٧٤ ، وخاصة مؤتمر كولورادو عام ١٩٧٨ ، الذى يعد أكبر مؤتمر من نوعه ، اذ حضره مائة وخمسون باحثا متخصصا فى أصول التبشير ، وتم تقديم أربعين بحثا ، يتعرض كل بحث منهما لنقطة من النقاط التى يمكن اختراق الاسلام منها وتنصير المسلمين ، كالثقافة والاعلام والصحة والمرأة والأسرة ، وخاصة وهو مايعنينا هنا ، البحث رقم ٣٨ ، المعنون: «دور الكنائس المحلية فى خطة الرب لخلاص المسلمين». وأخيرا وليس آخرا ، مؤتمر مسيحى العالم العربى المنعقد فى باريس عام ١٩٨٥م.

وكان الغرض من اقامة مؤتمر كولورادو هو «الايمان بعدم فاعلية الطريقة التقليدية» المتبعة فى التنصير. وقد حضره ممثلون من قادة الكنائس الوطنية فى الشرق الأوسط وافريقيا كخبراء للاشتراك فى الدراسة والتخطيط. ذلك أن الاعتماد على الكنائس المحلية إلى جانب العمالة الأجنبية من الركائز الأساسية فى هذا المؤتمر ، على حد قول والدرون سكوت اذ يقول: «يجب علينا أن ندرك الاحتمال القوى وامكانية أن يقوم ربنا المسيح ، خلال العقود القادمة ، باستخدام كنائس العالم الثالث ووكالاته التنصيرية لتحل محل -أو على الأقل- لتكمل سعى ارساليات أمريكا الشمالية».

ويقول آرثر كلاسر فى تقرير مؤتمر كلولورادو: «علينا أن نسعى إلى تركيز اهتمامنا على كافة الكنائس المحلية القائمة من أجل تدريب وتهيئة القساوسة والأتباع من أجل أدراك جديد بالإسلام ، نحاول معا أن نطور ونشذب طرقا تقصيرية أكثر ملاءمة».

أما ستانلى مونيهام فيقول فى تصدير المؤتمر نفسه: «لقد وطنا العزم على العمل بالاعتماد المتبادل مع كل النصارى والكنائس الموجودة فى العالم الإسلامى»، ويجب أن تخرج الكنائس القومية من عزلتها وتقتحم بعزم جديد ثقافات ومجتمعات المسلمين الذين نسعى إلى تنصريهم[١].

(١) أبجدية الحوار بين الحضارات، د. زينب عبد العزيز ، بحث مقدم إلى مؤتمر «نحو فلسفة اسلامية جديدة» المنعقد بقسم الفلسفة بآداب القاهرة من ٦/٢٦ إلى ١٩٩٣/٦/٢٨م، ص٨.

المطلب الثالث

صورة الإسلام فى تصور علماء وفلاسفة الغرب والمستشرقين

الفـــرع الأول

الإسلام فى تصور علماء وفلاسفة الغرب

إذا أردنا تصحيح المعلومات الخاطئة عن الاسلام لدى الغرب يجب علينا أن نبحث عن الجذور الفكرية التاريخية للمواقف المعادية للإسلام حتى تكون مواجهتنا لذلك كله مواجهة سليمة مبنية على دراسة عميقة تكشف عن الأسباب الحقيقية للمواقف الغربية إزاء الاسلام ولاتكتفى بدراسة الظاهرة من سطحها.

ويبرز هنا مجال من أهم المجالات الجديدة بالدراسة والبحث وهو موضوع الاسلام فى تصور علماء وفلاسفة الغرب.

وسوف اقتصر على بعض النماذج التى توجه إلى الإسلام نقدا يتصل بمجال دراستنا الفقهية.

١- ريموند لول[١] : Roman lull

الف كتاب اسمه «الوثنى والحكماء الثلاثة» وهو كتاب يدور فيه حوار بين وثنى وثلاثة من علماء المسيحية والإسلام واليهودية وقد وصف لول فى هذا الكتاب كلا من الوثنى وواليهودى والمسيحى -الذين شاركوا فى الحوار- بأنهم وان لم تكن الحقيقة فى جانبهم كما يزعم ، إلا انه لايشك فى صدق نواياهم.

---

(١) عاش فى الفترة « ١٢٣٥ - ١٣١٦م» ولد فى جزيرة ميورقة «مايوركا» الاسبانية بعد اجلاء المسلمين عنها وقد تعلم العربية على يد عبد عربى وله مؤلفات باللاتينية والعربية والكاتلانية «لغة محلية» وكان هدفه الذى ناضل من أجله طول حياته هو توحيد شعوب العالم تحت راية المسيحية، حولية كلية اصول الدين، العدد الرابع، ص ١٧ هامش. الاسلام فى تصور ادباء وفلاسفة الغرب. أ.د. محمود حمدى زقزوق.

وفى كتابه هذا يدير حوار بين ثلاثة من علماء الديانات السماوية اليهودية والمسيحية والإسلام ، فقد التقى الثلاثة -كما يصور الكتاب- فى أحد الغابات الوارفة الظلال الغنية بالأشجار مع وثنى كان قد وصل إلى درجة اليأس فى بحثه عن قضية الحياة بعد الموت. ويدأ كل من الحكماء الثلاثة بشرح تعاليم دينه للفيلسوف الوثنى وفى الحوار يذكر لول أن المسلم قبل ان يقوم بعرض تعاليم دينه قام وتوضأ وهنا يزعم لول أن الوضوء علامة على الخطيئة المورثة وعلى تطهير القلب ويقول ايضا أن المسلم بعد أن صلى قبل الأرض.

٢- بسكال : Pascal

واحد من فلاسفة القرن السابع عشر للإسلام «١٦٢٣ - ١٦٦٢» وهو فيلسوف فرنسى شهير.

ويعتبر بسكال سيدنا محمد -ﷺ- فى كتاب له بعنوان «خواطر حول الدين» العدو اللدود للكنيسة ، ومن هنا كان بسكال حريصا كل الحرص على محاربته.

وفى كتابه المشار إليه يتناول محمد -ﷺ- فى تسع شذرات من بين الشذرات التى يضمها هذا الكتاب.

ويعقد بسكال فى احدى هذه الشذرات مقارنة بين محمد والمسيح تطلعنا بوضوح على موقف بسكال من نبى الإسلام حيث يقول بسكال فى هذه المقارنة مايأتى:

أ- لقد دأب محمد على اقتراف القتل فى حين أن المسيح لم يقترف القتل قط ، بل كان يدع اتباعه يقتلون[(١)].

٣- هيجل : Hegel

فيلسوف المانى عاش فى الفترة « ١٧٧٠ - ١٨٣١ » عقد هيجل الذى طبقت شهرته الافاق فصلا عن الاسلام فى كتابه الشهير «فلسفة التاريخ» ويسمى الاسلام

---

(١) حولية كلية اصول الدين، العدد الرابع، ص ٢٢.

بالمذهب المحمدى.

ويهمنا هنا أن نلقى نظرة على فهم هيجل للإسلام من واقع ما عرضه علينا فى كتابه السالف الذكر وخاصة الجانب الفقهى فى نظرته هذه حيث يقول عن انتشار الاسلام بسرعة فائقة: «إن الدخول فى الإسلام يعنى حصول الفرد على كل الحقوق التى يتمتع بها المسلمون» أما من كان يرفض الدخول فى الإسلام من أهل تلك البلاد المفتوحة فقد كان نصيبه القتل فى العصر الأول ، ولكن العرب عاملوا المهزومين فيما بعد معاملة اكثر ليونة فمن اراد منهم عدم الدخول فى الإسلام وجب عليه أداء الجزية ، وتحتم على المدن التى استسلمت دون حرب أن تؤدى للمنتصر عشر كل أملاكها أما المدن التى فتحت عنوة فكان عليها أن تؤدى الخمس.

الفـــــرع الثانى

الاسلام فى تصور المستشرقين

إن الآثار السلبية للاستشراق يمتد تأثيرها إلى العديد من التصورات الغربية إزاء الاسلام.

ولنأخذ مثالا لذلك فى مجال التربية: فالطفل الأوربى يغذى ابتداء من المدرسة الابتدائية حتى المرحلة الجامعية بمعلومات خاطئة عن الإسلام تظل راسخة فى أعماقه طول حياته وهذه المعلومات مبنية على تراث استشراقى -بالدرجة الأولى- له جذور تمتد فى أعماق الفكر الغربى.

وقد أجريت فى هذا المجال تجربة لدراسة هذا الجانب ، فقد قامت الأكاديمية العلمية الإسلامية فى مدينة كولونيا "Koln" بالمانيا الغربية بالتعاون مع مجموعة من العلماء والباحثين باجراء دراسة عن المعلومات الإسلامية الواردة فى الكتب المدرسية الألمانية.

وقد انصب المشروع على تحليل المعلومات الواردة عن الإسلام فى الكتب المدرسية التى تدرس فى كل الولايات الالمانية «يلاحظ ان كل ولاية لها كتبها الخاصة» فى الفترة من عام ١٩٧٩ حتى عام ١٩٨٥م.

وقد اهتمت الدراسة بابراز موقف الإسلام من بعض القضايا التى تحظى باهتمام خاص فى الغرب مثل قضية المرأة فى الإسلام وقضية الجهاد.

والهدف من وراء ذلك كله وضع تصور إسلامى سليم أمام المعنين بوضع المؤلفات المدرسية التى تشتمل على معلومات عن الإسلام.

وقد تكفل معهد جورج اكرت للبحوث الدولية للكتب المدرسية فى مدينة براونشنيج بنشر حصيلة هذه الدراسة فى اربعة اجزاء.

وقد اثبتت هذه الدراسة أن موقف اوربا بوجه عام تجاه الإسلام موقف سلبى وغير عادل[1].

المطلب الرابع

الابداع الادبى الغربى المعاصر المناهض للاسلام فى مجال الروايات والقصص

واكتفى هنا بمثالين فقط:

أولهما: رواية آيات شيطانية ، للبريطانى سلمان رشدى.
والثانية: الكرميديا الألهية لدانتى

اولا: رواية آيات شيطانية :

من الروايات التى شوهت صورة الإسلام لدى العالم كله رواية «آيات شيطانية» لمؤلفها المسلم هندى الأصل وبريطانى الجنسية سلمان رشدى . التى نشرها بالانجليزية فى المملكة المتحدة عام ١٩٨٨م.

إذ انتشرت الرواية بسرعة رهيبة وزاد الكلام عنها بشكل ملفت بعد اصدار فتوى ايرانية باهدار دم مؤلفها ، اذ ان مثل هذه الأخبار تستأثر على اهتمام وتفكير

(١) الاسلام فى تصور أدباء وفلاسفة الغرب، أ.د. محمود حمدى زقزوق، حولية كلية اصول الدين بالقاهرة، العدد الرابع، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص ٢.

الناس في الغرب وتصنع العناوين الرئيسية للصحف ، خاصة وأن الرواية «عالجت الإسلام باللغة الانجليزية من اجل جمهور يعتقد انه فى الغالب غربى».

تبدأ الرواية بسقوط الطائرة اثناء رحلتها من الهند إلى بريطانيا حيث انفجرت وتناثرت فوق القنال الانجليزية وينجو منها رجلان من ركابها: «جبريل» فارشينا ممثل السينما الهندية المشهور وصلاح الدين شمنا الممثل البريطانى من أصل هندى «والمقصود به المؤلف».

ويدخل المؤلف الإسرائيليات فى العمل الذى يشخص به حياة الرسول -ﷺ-، منها تلاوته الآية الكريمة: ﴿افرايتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى﴾[1] ثم يضيف من عنده مازعتمه الاسرائيليات من أن النبى اراد ارضاء الكفار «فأكمل تلك الغرانيق العلى ، وأن شفاعتهم لترتضى».

ويتعرض سلمان رشدى للعهد الإسلامى الأول ، فالنبى اسمه «ماهاوند» ومكة هى «مدينة الجاهلية» وأبو سفيان «عظيم الجاهلية» و «فى ليلة الاحتفال بعيد ابراهيم تعلق القصائد السبع على جدار بيت الحجر الأسود ، وتحل العاهرات محل الشعراء ليبدأ غناؤهن لاجتلاب الزبائن» ويستمر فى القص على طريقته المغرضة.

موضحا كيف «أن اتباع دين الخنوع الاسلام عندما وجدوا انفسهم فى واحة يثرب فقراء منقسمين فقد راحوا يهاجمون قوافل الاغنياء من مدينة الجاهلية ، ويسلبون بضائعهم ، ولم يعترض ما هاوند على ذلك لأن الغاية عنده تبرر الوسيلة ، ثم بعد ذلك وجد نفسه مضطرا لسن القوانين والتشريعات بحيث بالغ فى ذلك كثيرا ووضع القيود والقوانين التى تحدد المسائل ، مثل: ماذا يفعل الانسان اذا ضرط؟.

وأى يد يستخدم فى تنظيف مؤخرته؟ ولم تسلم الملائكة من هذه الخرافات ، حتى نساء النبى صورهن على أنهن داعرات يعملن بأسمائهن فى ماخورلجلب

---

(١) سورة النجم الآية: ١٩ ، ٢٠.

الزبائن(١).

ثانيا: الكوميديا الإلهية لدانتي:

ودانتى Dante أديب ايطالى عاش فى الفترة «١٢٦٥ - ١٣٢١م» صاحب الكوميديا الإلهية الشهيرة التى أثبت البحث أنها متأثرة برسالة الغفران لأبى العلاء المعرى وبقصة الإسراء والمعراج.

والأمر الذى يهمنا هنا هو أن «الكوميديا الإلهية» لدانتى قد تعرضت لنبى الإسلام ، ولكن مترجم الكوميديا الإلهية إلى العربية قد حذف الجزء الخاص بمحمد - ﷺ- حتى لايجرح الشعور الدينى لدى المسلمين.

ولكن هل يجدى فى شئ عدم ترجمة هذا الجزء؟ اللهم إلا أن تكون مثل النعامة التى تخفى رأسها فى الرمال ظنا منها أنها ستكون بمنجاه من الصياد(٢).

يصور دانتى - ﷺ- فى «الكوميديا الإلهية» بوصفه واحدا من أولئك الذين أثاروا النزاع والشقاق فى العالم وجلبوا عليه الخراب والدمار ، ومن أجل ذلك يجعل دانتى مكانة مع هؤلاء فى قاع جنهم يعانون ويتمزقون.

ويرسم دانتى لمحمد - ﷺ- صورة دموية يرى فيها وقد شج جسده من أعلى إلى أسفل ويقوم بتمزيق صدره قائلا: انظروا كيف أمزق نفسى وأمثل بها.

ولاينس دانتى أن يصور عليا رضى الله عنه أيضا باكيا مشجوجا من رأسه إلى أسفل ذقنه -ويتكفل أحد الشياطين بتمزيق هؤلاء جميعا باستمرار مرة بعد أخرى فى الجحيم.

---

(١) الاتجاهات الحديثة فى بحوث الصورة الذهنية لعالم الإسلامى عند الغربيين، د. مرعى مدكور، من بحوث ندوة الاعلام الدولى وقضايا العالم الإسلامى، ص ١٨.

(٢) الاسلام فى تصور أدباء وفلاسفة الغرب، أ.د. محمود حمدى زقزوق، حولية كلية اصول الدين، العدد الرابع، ص ٢٠.

المبحـــث الثانى

الرد علـى مفـردات الصـورة الذهنـية السيئة للإســلام والمسـلمين لدى الغربيين

تمهيد:

يجب أن نفرق جيدا بين أمرين هامين هما:

١- رسم الغرب لصورة الاسلام كدين وتشريع وأحكام.

٢- رسم الغرب لصورة المسلمين كاتباع دين الاسلام والمؤمنين به.

والمعتـقـد والراجع أن الغرب ينقل هذه الصـورة عن المسلمين الذين هم أتبـاع الاسلام وفى هذه الحالة يجب علينا أن نعترف ان فى هذه الصورة شئ غيـر قليل من الحقيقة.

أما الإسـلام كدين وتشـريع فـهو ناصع وواضـح وضـوح الشـمس ومـاضـر ضـوء الشمي وهى ساطعة أن لايراه كل ذو سقم.

فأحكامه ظاهرة وكلها تدعو إلى القيم العظيمة والمبادئ السامية التى تكفل تحقيق التقدم والنجاح لكل متبع له.

ورغم هذا الوضـوح فـإن احكامه لاتـخلو من التـعـرض لهـا بالنقد من قـبل من لايؤمنون بها.

ومن ثم فـان الفقـه الإسلامى يرفض هذه الصـورة الغيـر واقعـيـة والتى تـصـور الدين الإسـلامى على غـيـر حقـيـقـتـه. والمسلمين فى صـورة تغـاير فى كـثـيـر منـهـا حقيقتهم.

لأن الدين الاسـلامى أقـام العـلاقـة بين الأفـراد والجـمـاعـات وبين الدول على مـبـادئ تقـوم على السـلام والأمـان والإخـاء والحب وتقـضـى على روح الاسـتـعـلاء بالعنصـر أو العـدم أو الاقليـة أو القـوم ويضع الطريقـة المثلى لاسلوب جـديد من

التعامل يقوم على أساس وحدة الخلق لأن الناس كلهم اخوة واصلهم واحد.

إن حقيقة الاسلام تعرف من مصادره الاصلية لا من فهم الناس عنه ولامن تعبيرهم عما فهموه منه وهذه المصادر ، تعتبر كلمة الله وحده تجلت فى نصوص متعددة كان آخرها القرآن الكريم ، ومنها التوراة والانجيل ، وما لانعرفه من كتب الانبياء والمرسلين السابقين وخوطب بكلام الله رسله كلهم. صلوات الله عليهم. وهم يعبرون بسلوكهم عن القدوة التى يتأس بها المؤمنون بكل دين سماوى. ويقتدى المسلمون بهم جميعا ، فبذلك أمرهم القرآن الكريم بقوله: ﴿**أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده**﴾[1].

إن الشريعة الاسلامية ليست قالبا جامدا لنصوص ثابتة ، ولكنها نظام قانونى مرن طبق قرونا عديدة ولايزال يطبق بصورة أو أخرى فى العالم الإسلامى بدرجات تتفاوت من دولة إلى اخرى ولايمكن فهم هذا النظام القانونى دون ادراك التوجهات الاجتماعية والثقافية والاخلاقية التى يتضمنها ودون ادراك الكيفية التى عمل بها هذا النظام فى كل بيئة من البيئات التى اصبح الإسلام دين الغالبية العظمى من أهلها وروح النظام القانونى الإسلامى يحتاج إلى ادراك خاص يتأتى لمن يتابع كيف نمت مذاهب الفقه الإسلامى وتطورت وكيف تعددت اجتهادات المجتهدين الأفراد فى كل العصور وكيف تأثرت بالعادات والأعراف المحلية فتاوى المفتين وأحكام القضاة الذين طبقوا هذه المذاهب على مر العصور[2].

إن الإسلام يهدف إلى اقامة الحياة الانسانية على بناء من تحقيق المصالح وابعاد المفاسد ، حتى اجمع العلماء على أن من أهم قواعده «أن دفع المفسدة مقدم على جلب المصلحة».

فكل ماتفسد به حياة الناس ، أو تهدر حقوقهم ، أو تنتهك حرماتهم فليس من الاسلام فى شئ واثمه على فاعله أو قائله وهذا هو أحد المعانى الأساسية لاعتبار الاسلام فى عقيدة المؤمنين نظاما كاملا للحياة الفردية والجماعية معا.

(١) سورة الانعام الآية: ٩٠.

(٢) حوارات روما ، دكتور محمد سليم العوا ، الاهرام الدولى ، قضايا واراء.

وهذا المبحث يتضمن المطالب الآتية:

المطلب الأول: الرد علي الصورة الذهنية السلبية للإسلام والمسلمين على شبكة الانترنت والمصطلحات المزيفة التى يستخدمها الاعلام الغربى.

المطلب الثانى: الرد على الصورة الذهنية للإسلام للمسلمين فى مجال الصحافة والمؤتمرات الدولية.

المطلب الثالث: الرد على صورة الاسلام والمسلمين السيئة فى تصور علماء وفلاسفة الغرب والمستشرقين.

المطلب الرابع: الرد على صورة الاسلام والمسلمين فى الابداع الأدبى الغربى المعاصر.

المطلب الأول

الرد على الصورة الذهنية للإسلام والمسلمين على شبكة الانترنت والمصلحات المزيفة التى يستخدمها الاعلام الغربى

تمهيد:

بالاستقراء يمكن القول أن بعض اسباب اساءة الغرب غير المسلم إلى الإسلام والمسلمين هى:

أولا: هناك جدل كبير يدور بين المسلمين حول ما اذا كانت الشريعة الاسلامية تتيح للمسلمين الانخراط فى منظمات وهيئات غير المسلمين أم لا.

ثانيا: تأثر عقول غير المسلمين فى الخارج بكتب التاريخ التى تعكس ١٤٠٠ عام من الكتابات المسيحية التى تعبر عن الجهل بحقيقة الاسلام.

كما أنها فى كثير من الأحيان تمثل تحيزا ضد الإسلام وتحاملا عليه فتتهمه بأنه دين ضد العلم والثقافة والعقل والانفتاح والتنوير ويرفض القيم الديمراطية.

ثالثا: هناك مفهوم خاطئ عند غير المسلمين مضمونة ومحتواه أن المسلمين كافة مسؤولون فى نظر وسائل الاعلام فى أى مكان فى العالم عن أى عمل مخالف لتعاليم الإسلام يقع من بعض المسلمين ويعتبرونه يمثل وجهة نظر جميع المسلمين فى العالم كله.

وهذا بطبيعة الحال مفهوم خاطئ فلا يمكن أن تكون أمة بكاملها مسؤلة عن سلوك أو تصرفات قلة من الناس تنتمى اليها.

ولذا اصبح من الصعب جدا اقناع غير المسلمين بأن الاسلام دين سلام ولاسيما بعد حرب الخليج.

رابعا: يعتقد غير المسلمين أن تراث المسلمين يتحامل على المرأة ويفرق بينها وبين اخيها الرجل.

والغريب أن الكثيرين من الذين يرددون تلك الأقاويل يرفضون أى حوار فى هذا الشأن.

وخلاصة القول هو أن:

صلاح الفرد هو الطريق الأكيد لصلاح المجتمع كله وسبب ازدهاره واستقراره.

وفى عالم اليوم حيث تضيق فيه المسافات وتتواصل الحضارات ، تبحث الانسانية عن علاج لمشكلات مستعصية من التوتر والعنصرية والتعصب وفساد البيئة والأمراض الاجتماعية ، ولا يستطيع عاقل أن ينكر ان لدى المسلمين مايسهمون به اسهاما فعالا فى انهاء هذه المشكلات اذا استطاع المسلمون مخاطبة العالم وتبيان مايشتمل عليه القرآن وسنة نبيهم وتراث اسلافهم من المبادئ السامية والقيم الكريمة وكل هذه الميادين تبين اهمية الدعوة وأهمية وجود الدعاة الذين يدعون إلى الله على هدى وبصيرة وضرورة ان تتكاتف القوى لتنظيم جهودهم وتسديد مسيرتهم وازاحة العقبات التى تعترض طريقهم وتوفير الدعم المالى والمعنوى للهيئات الرسمية والشعبية العاملة فى حقل الدعوة.

واحوال هنا الرد على بعض الشبهات التى يثيرها اعداء الإسلام فى كل زمان ومكان.

وهذا المطلب يتضمن فرعين:

الفرع الأول: الرد على الصورة الذهنية السلبية للإسلام والمسلمين على شبكة الانترنت.

الفرع الثاني: الرد علي المصطلحات المزيفة التى يستخدمها الاعلام الغربى.

الفـــــرع الأول

الرد على الصورة الذهنية السلبية
للإسلام والمسلمين علـى شبكة الانترنـت

اولا: موقف الإسلام من العلم والاكتشافات الحديثة:

تمر البشرية الآن بثورة هامة فى مجال العلوم والتكنولوجيا بمختلف أنواعها ، واتسعت بذلك دائرة المعرفة والعلم وازدادت ازديادا كبيرا ومازالت تنمو بمعدل سريع ومذهل كل شهر ، بل يمكن القول أن الزيادة تحدث يوما بيوم وساعة بساعة.

وهذا التقدم العلمى الذى يمر به عصرنا الآن انما يعد دليلا واضحا على ثروة المعلومات التى يقتنيها الانسان فى هذه الأيام.

ونتيجة لزيادة الحاجة إلى المعلومات والتى تشمل جميع مجالات العلوم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ... الخ.

والتى بدأت تضيق بها وسائل الحفظ والتخزين التقليدية والمختلفة والتي جعلت المعلومات مهددة بالتراكم والضياع اذا لم تعالج بالأساليب العلمية المناسبة.

فقد حدث نتيجة لذلك مايسمى الآن بثورة المعلومات ، مما خلق ضرورة ملحة لوضع نظم متكاملة للمعلومات ذات كفاءة عالية ومرونة كبيرة لاستيعاب هذا القدر الهائل من المعلومات وحفظها وتخزينها حتى يمكن استرجاعها اذا لزم الأمر بالأسلوب المناسب وفى الوقت المناسب. فظهر هذا الجهاز العجيب «الكمبيوتر» الذى يمكن صاحبه من الاتصال بشبكة الانترنت.

وقضية تفوق «الانترنت» وخطورتها وهيمنتها أصبحت مؤكدة وبسببها لم يعد العالم قرية صغيرة فحسب بل صار نتيجة لقدراتها الهائلة فى المعلومات والاتصال أصغر من ذلك «غرفة صغيرة».

فهى تستطيع أن تزود أى شخص فى العالم متصل بكمبيوتره بهذه الشبكة

بأى معلومات يريد الحصول عليها وأى أخبار يود الوصول إليها أو أى صفقات أو حجوزات فى شركات طيران أو سياحة أو فنادق يرغب فى تحقيقها بسرعة الكمبيوتر الحالية أو بالسرعة المستقبلية العجيبة التى سيصل اليها.

وهذه الحقيقة ملموسة مسلم بها لايختلف عليها عاقلان وأن انتفاع الافراد أو الهيئات من ذلك كبير.

أما القضية التى يجب أن يتنبه لها المسلمون ويحذروها جدا غيرمنبهرين أو مذهولين من غنى «الانترنت» بالمعلومات وماتنجزه من اتصالات.

القضية الخطيرة هى أن «شبكة الانترنت» يستغلها بعض أعداء الاسلام لينفثوا من خلالها سمومهم ضد ديننا العظيم الكريم بهدف النيل منه أو السخرية أو الطعن فى احكامه وخصوصا بطرح بعض القضايا التى تستقطب شرائح كبيرة من المجتمعات بهدف التضليل والتشويه والاساءة.

ولاريب أن العلم هو مفتاح كل خير ، وهو الوسيلة إلى أداء ما أوجب الله وترك ماحرم الله ، فان العمل نتيجة العلم لمن وفقه الله ، وهو مما يؤكد العزم على كل خير ، فلا إيمان ولا عمل ولاكفاح ولاجهاد إلا بالعلم ، فالأقوال والأعمال التى بغير علم لاقيمة لها ولانفع فيها بل تكون لها عواقب وخيمة ، وقد تجر إلى فساد كبير.

وانما يعبد الله ويؤدى حقه وينشر دينه وتحارب الأفكار الهدامة والدعوات المضللة والأنشطة المتحرفة -بالعلم النافع ، المتلقى عن كتاب الله عز وجل وسنة رسوله -ﷺ-.

وهكذا انما تؤدى الفرائض بالعلم ، ويتقى الله بالعلم ، وبه تكشف الحقائق الموجودة فى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله -ﷺ-.

قال جل وعلا فى كتابه العزيز: ﴿ولايأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا﴾[1].

---

(١) سورة الفرقان الآية: ٣٣.

فجميع مايقدمه أهل الباطل ومايلبسون به فى دعواتهم المضللة وفى توجيهاتهم لغيرهم بأنواع الباطل وفى تشكيك غيرهم فيما جاء عن الله عز وجل وعن رسول - ﷺ- كله يندحض ويكشف بما جاء عن الله ورسوله بعبارة أوضح ، وبيان اكمل وبحجة قيمة تملأ القلوب وتؤيد الحق ، وماذاك الا لأن العلم المأخوذ من الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، علم صدر عن حكيم عليم ، يعلم أحوال العباد ويعلم مشكلاتهم ويعلم مافى نفوسهم من أفكار خبيثة أو سليمة ، ويعلم بما يأتى به أهل الباطل فيما يأتى من الزمان ، كل ذلك يعلمه سبحانه.

وقد انزل كتابه لايضاح الحق وكشف الباطل ، واقامة الحجج على مادعت اليه رسله عليهم الصلاة والسلام ، وقد ارسل رسوله محمدا - ﷺ- بالهدى ودين الحق ، وانزل كتابه تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين.

وانما يعمل أهل الباطل وينشطون عند اختفاء العلم وظهور الجهل ، وخلو الميدان ممن يقول قال الله وقال الرسول ، فعند ذلك يستأسدون ضد غيرهم وينشطون فى باطلهم ، لعدم وجود من يخشونهم من أهل الحق والإيمان وأهل البصيرة.

ومن هذا يعلم أن فى كتاب الله العزيز وسنة رسوله الأمين حلا لجميع المشكلات وبيانا لكل مايحتاجه الناس فى دينهم ، وفى القضاء على خصوماتهم ، كما أن فى ذلك النصر للداعى الى الحق والقضاء علي خصمه بالحجة الواضحة ولهذا يقول سبحانه: ﴿ولايأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا﴾[1].

والمثل يعم كل مايقدمون من شبهة يزعمونها حجة ، ومن مذهب يدعونه صحيحا ، ومن دعوة يزعمون أنها مفيدة كل ذلك يكشفه هذا الكتاب وماجاءت به سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام.

فجميع مايقدمونه من مشكلات وشبهات ودعوات مضللة ومذاهب هدامة كل ذلك يكشفه العلم بهذا الكتاب وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومعلوم أن

---

(١) سورة الفرقان الآية: ٣٣.

الأفكار الهدامة والمبادئ الضالة والمذاهب المنحرفة كثيرة ، والملبسون للحق بالباطل لايحصون وكذلك دعاة الباطل والمؤلفون فى الصد عن سبيل الله لايحصيهم إلاالله ، وهم يلبسون على الناس باطلهم بما يحرفون من الكلام.

وخلاصة القول:

لاتوجد فى الاسلام مشكلة بين الدين والعلم ، فالقرآن يفرضه علينا ويحثنا عليه بل ان العلماء فى الاسلام لاعلى مرتبة من الشهداء ... ومحاولة البحث عن «جديد» بمفردات أوضحنا حقيقة مضامينها واهدافها يعد تخريبا وكفر بمبادئ الاسلام وثقافته فعلينا ان نصونه بكل ما أوتينا من علم وايمان ، لا لأنه خاتم الديانات التوحيدية الثلاث فحسب وانما على حد قول مجلة شئون دولية بريطانية - لأنه الثقافة الوحيدة القادرة على توجيه تحد فعلى وحقيقى للمجتمعات الغربية[١]. .

ومن ثم يجب على المؤمنين الغيارى على دين الله والمتناثرون فى الغرب بشطريه الأوربى والأمريكى جمع شملهم وتوحيد صفهم وليجعلوا لهم صوتا موحدا على منبر «الانترنت» لتعريف العالم -المتصل بهذه الشبكة- بالاسلام - وبالتالى للرد على افتراءات اعدائه.

وهذا ان تحقق وصار لنا فيها صوت واحد فان هذا بطوله حقيقة وذلك بالدفاع عن الحق وهدم الباطل بالمنطق والحجة.

ولايجادل أحد فى أن «الانترنت» لغة عصرنا الحالى العالمية ، لذلك ينبغى أن نتعلمها وأن يتقنها أبناؤنا لنكون على اتصال بما يجرى فى عصرنا ، ولكن هذا لايعنى بحال من الأحوال أن نأخذ من «الانترنت» أحكام ديننا ومفاهيمة أو شرائع قرآننا وهدى رسولنا - ﷺ- ولايعنى أيضا أن نستقى من «الانترنت» اخلاقنا وقيمنا ومثلنا.

يجب علينا أن نأخذ فيه ماينفعنا من علوم ومعارف ومهارات وخدمات

---

(١) استراتيجية التنصير فى العالم الإسلامى، د. محمد عمارة، مركز دراسات العالم الاسلامى سنة ١٩٩٢م، وقد اشار إلى عدد يناير من المجلة المذكورة سنة ١٩٩١م

واتصالات ... لنستعين بذلك على بناء نهضتنا ومستقبل أبنائنا.

ولقد اصبح من الضرورى بذل مزيد من الجهد من أجل فهم مصادر وطبيعة ومضمون الاتصال لدى كل من الشعوب المتقدمة والنامية ودراسة مسارات وأشكال تدفق هذا الاتصال داخل الدول وبين بعضها والبعض الآخر ، وأنماط التدفق الرأسى والأفقى فالمعروف أن الاتصال يحدد الحقيقة الاجتماعية التى تترك طابعها على نظام العمل ونوع التكنولوجيا ومفردات النظام التعليمى الرسمى وغير الرسمى وكيفية استخدام وقت الفراغ.

كذلك لابد من تقصى ودراسة جذور التبعية الثقافية والاعلامية واستجلاء ابعادها. ومظاهرها والكشف عن الوانها وأدواتها وتتبع آثارها على المستويين المحلى والعالمى[١].

ومن هنا يجب أن ينمو الاعلام الاسلامى ويتميز باستقلاليته والا سنكون مضطرين أن نظل على تبيعتنا نتلقى المفاهيم والمضامين الخادعة والمزيفة وهذه المصطلحات والمسميات التى ينعتنا بها ويطلقها علينا بخبث ودهاء الاعلام الغربى الذى يسيطر عليه الاعلام اليهودى أو بمعنى أصح الدعاية اليهودية ... ويهدف إلى تكوين قوالب سابقة من الرفض والنفور من الرأى العام العالمى تجاه المسلمين.

ويستثمر ذلك العلمانيون فيستخدمونها لإرهاب المسلمين الملتزمين وخداع عامة الناس.

والطريف والمؤسف فى نفس الوقت أننا أصبحنا نتبنى الفهم الخاطئ لهذه المسميات والمصطلحات مثل الأصولية أو السلفية أو اعداء التنوير ونتصور انها مرادفة للارهاب رغم إنها شرف لنا وليس سبة. ومما يبعث السرور فى النفس أن بعض الدول العربية قد بدأت فى الاشتراك وحجز مواقع على شبكة الإنترنت للتعريف بالإسلام واحكامه والرد على مايثيره اعداء ديننا من شبهات.

(١) قضايا التبعية الاعلامية والثقافية فى العالم الثالث، د. عواطف عبد الرحمن، ص ٧.

فمثلا حجزت لجنة توزيع المطبوعات الدينية على الحجاج والمعتمرين التابعة لوزارة الشئون الإسلامية الأوقاف والدعوة والإرشاد موقعا على الشبكة -العنكبوتية «انترنت» باسم دليل الحاج ... وأوضح رئيس اللجنة الشيخ طلال بن أحمد العقيل أنه تم ادخال كتاب دليل الحاج والمعتمر فى هذا الموقع باللغتين العربية والانجليزية وسوف يتم ادخاله بعدة لغات أخرى وسيتم عرضه فى شاشات العرض فى مدينة الحجاج والطائرات والسفن وسيارات نقل الحجاج.

وقد تجاوز عدد الزائرين لمواقع مؤسسة الحرمين الخيرية على الشبكة العالمية الإنترنت اكثر من ٦٠٠ الف زائر خلال السنة الماضية ١٤١٨هـ.

وكانت مؤسسة الحرمين قد بادرت للاستفادة من الشبكة فى مجال الدعوة بعمل للمؤسسة أطلق عليه صفحة الحرمين برمز **WWW alhatamain otg**.

وتحتوى على نوافذ وروابط من أبرزها التعريف بأهداف المؤسسة الصحيحة وتعاليمها من خلال أبواب ثابتة فى العقيدة والقرآن والسنة وباب الفتاوى والمصطلحات الإسلامية ونافذة لدعوة غير المسلمين تحت باب «الباحث عن الحق» وهى فكرة جديدة لعرض الإسلام على شكل عدة روابط متتالية تصل فى النهاية بالزائر إلى التعرف على الاسلام ، ونافذة لوضع عروض خاصة لشراء الكتب مثل ترجمة معانى القرآن الكريم والمكتبة الاسلامية وغيرها من الكتب المترجمة الموجودة بالمؤسسة ونافذة لتوزيع نسخ مجانية لترجمة معانى القرآن الكريم بالاضافة إلى بعض الكتيبات المترجمة للمسلمين ولغير المسلمين والتى تطلب عن طريق الشبكة إلى جانب وضع روابط بالمواقع الاسلامية ذات المنهج الصحيح من خلال الحرمين لتكون دليلا للزائرين للتعرف على مواقف أهل السنة والجماعة على الشبكة.

وقامت المؤسسة بعمل موقع آخر باسم «هذا هو الحق» برمز **WWW. it is truth org**.

وتتلخص فكرة الصفحة فى عرض جميع ماورد فى القرآن والسنة من حقائق

علمية ثابتة «الاعجاز العلمى» مع تعريف موجز بالقرآن والسنة[١].

ثانيا: نظرة الإسلام للمرأة:

يعتقد الغرب غير المسلم أن المسلمين يتحاملون على المرأة ويفرقون بينها وبين أخيها الرجل.

ومن هنا يحاولون الاساءة إلى الاسلام من هذا الطريق فمن ذلك مهاجمة واحد من أعداء الاسلام حديث رسول الله - ﷺ- الذى خاطب فيه مجموعة من النساء فى معرض المباسطة وامتداحهن بما وهبهن الله تعالى من تأثير على قلوب الرجال وقوله لهن: «مارأيت من ناقصات عقل ودين أخلب للب الرجل من إحداكن»[٢].

وهذه الاتهامات مجرد تفاهات يتشدق بها أولئك المسيئون وهى أباطيل لاتستند إلى واقع ولاترتكز على حقيقة.

وهذا الكلام ليس بمستغرب من عدد مجاهر بعداوته للاسلام. لما يلى:

١- أن النبى - ﷺ- قال هذا فى سياق مباسطة وامتداح للنساء وخاصة إذا ماقارنا بين أول الحديث «مارأيت من ناقصات عقل ودين» وآخره «أخلب للب الرجل من إحداكن».

٢- أن الرجل أقل عاطفة من المرأة ، وهل كان للتكامل الذى قضاه الله بين الرجل والمرأة أن يتحقق لو لم يقابل نقص المرأة هذا الكمال فى الرجل ولو لم يقابل نقص الرجل هذا الكمال فى المرأة ، ومن هنا كان كل منهما السكن للآخر تماما كما عبر عن ذلك البيان القرآنى فى قوله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك

(١) مجلة نصف الدنيا العدد ٤٧٥ الاحد ٤ ذى الحجة سنة ١٤١٩هـ.

(٢) وفى رواية «مارأيت من ناقصات عقل ودين أخلب لذى لب منكن» صحيح البخارى، جـ٢ ص ٢٧٤ ، صحيح مسلم، حديث رقم ٨٨٩ ، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٨هـ.

لآيات لقوم يتفكرون﴾[١].

٣- ثبت من حقيقة سيكولوچية فى المرأة أنها لايسعدها من الرجل إلا أن يكون أكثر عقلانية منها ، ومن حقيقة سيكولوچية فى الرجل أنه لايسعده من المرأة إلا أن تكون اكثر عاطفة منه.

ويؤكد هذا بقول عالمات وباحثات غربيات يؤيدون هذه الحقيقة ومنهن الكاتبة الألمانية «استر شيلر» التى شرحت فى كتابها شرحا علميا باسهب العبارات واكدت أن المرأة لاتسعد بالرجل إلا اذا شعرت انها تعيش فى كنف من عقلانيته وقوته المتغلبة.

٤- اذا فان نقصان عقلانية المرأة بالاضافة إلى زيادة عاطفتها مظهر لكمالها، ونقصان عاطفة الرجل بالاضافة إلى زخم عقلانيته مظهر لكماله ، وهذان الكمالان لايتراءيان إلا عندما يقترن الرجل بالمرأة[٢].

٥- إن الآية الكريمة: ﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداها فتذكر احداهما الأخرى﴾.

يعلمنا الله سبحانه فيها بحقيقة يجب الا تغيب عنا وهى أن المرأة أقل تذكرا من الرجل للأمور وأن قوة عاطفتها تنسيها الأشياء.

ومن المعلوم أن هذه الآية نزلت لتوثيق عملية التداين ، وأن الله تعالى يأمرنا بأن يكتب هذا الدين كاتب بالعدل ، ويشهد على هذه الكتابة والتوثيق شاهدان رجلان ، فان لم يتيسر فرجل وامرأتان ، أى ان شهادة الرجل بشهادة امرأتين وأوضح الله لنا السبب وهو أنه اذا نسيت المرأة الأولى ذكرتها الثانية وان نسيت الثانية ذكرتها الأولى والمفسرون قالوا لما يلحقها من ضعف النساء بخلاف الرجال.

---

(١) سورة الروم الآية: ٢١.
(٢) مجلة الوعى الإسلامى، العدد ٣٩٩، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى، ص ٦٠.

٦- الحق تبارك وتعالى يعفى المرأة المسلمة من اداء الصلاة خلال فترة دورتها الشهرية واثناء حيضها ونفاسها ، كما يبيح لها الافطار فى رمضان. لما يحدث لها اثناء تلقيها دورتها الشهرية ، وكيف تكون حالها العصبية والمزاجية وبالتالى العقلية من ضبط وتذكر ومحاكمة واستنتاج علما أن هذه الحال الانفعالية اثناء الدورة الشهرية تتفاوت فى مدتها وآثارها ونتائجها بين امرأة واخرى.

فاذا اضفنا إلى ذلك طبيعة تكوين المرأة السيكولوچى لاقتنعنا تماما بالحقيقة التى اشار إليها الحديث الشريف.

ومن هنا كان نقص دينها أى نقص عبادتها عن عبادة الرجل.

اذا صار واضحا لدينا الآن أن معنى ناقصات عقل هو نقص فى الضبط والتعقل بسبب غلبة العاطفة على العقل ومايتبع ذلك من ضعف ونسيان.

ومعنى ناقصات دين أى نقص بسبب اعفائها من الصلاة فلا تؤديها أثناء دورتها الشهرية ونفاسها ولاتقضيها بعد ذلك . أما صيامها فيؤجل خلال ذلك ، ثم تقضيه فيما بعد.

ولتوضيح هذا اكثر. عندما يقال عن فلان من الرجال إن دينه ناقص فانه يراد بذلك أحد معنيين:

المعنى الأول: أن التكاليف الإلهية لم تتجه إليه كما اتجهت إلى غيره ، ومن ثم يوصف بنقصان الدين وليس معنى ذلك أنه يتحمل من ذلك أى مسئولية تقصيرية وهذا مايقال للطفل غير البالغ إنه ناقص فى الدين لأن الله لم يخاطبه ولم يحمله التكاليف.

والمعنى الثانى: لكلمة ناقص الدين: أى يعرض عن كثير من أوامر الله سبحانه وتعالى ، فلا يلقى بالا إليها ، فأى المعنيين قصده رسول الله -ﷺ- والجواب بالاتفاق والتأكيد أن المعنى الأول هو المقصود[1].

وحين يقول الرسول -ﷺ-: «ناقصات عقل ودين ، أى أن الله عز وجل كلف

(١) د. محمد سعيد رمضان البوطى، مجلة الوعى الإسلامى، ص ٦٠، العدد ٣٩٩.

الرجل بتكاليف اكثر مما يكلف المرأة وهي لاتتحمل بسبب هذا النقص فى التكاليف أي وزر.

بل يقول الفقهاء: إن الله لاينقص من أجرها شيئا مما يناله الرجل بصلاته التى لاتستطيع هى أن تؤديها أو بقراءة القرآن التى يتلوها ولاتستطيع هي أن تتلوه اثناء دورتها الشهرية ونفاسها.

فقعودها عن الصلاة وعن قراءة القرآن عبادة لأنها امتثلت حكم الله فى أخذها الرخصة الممنوحة ، فأين نقصان الدين هنا بالمفهوم الخاطئ الذى يفهمه بعض الناس الجهلة.

من كرم المرأة بحق:

لم تلق المرأة تكريما واحتراما كما لقيت فى شريعة الإسلام وحسبها أن سورة من اكبر وأعظم سور القرآن الكريم سميت باسمها ، ألا وهى «سورة النساء» التى تناولت احوال حياتها وحددت مالها من حقوق وماعليها من واجبات.

وليس تكريمها فى سورة النساء فحسب ، بل فى سورة المائدة أيضا وفى سورة الأحزاب وفى سورة الممتحنة وفى صورة المجادلة وفى سورة الطلاق وفى سورة التحريم.

وما وصى أحد بالعناية بالمرأة ورعايتها وتقديرها أبدا كما وصى الله تعالى فى قرآنه الكريم ، ومما قاله عز شأنه فى ذلك: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير﴾[1].

ونلمح هذه المكرمة للأم ، حيث ذكر معاناتها فى حمل جنينها وألامها فى وضعه ولهفتها وجهدها فى إرضاعه وفى فطامه وفى تربيته دون التعرض للرجل.

وماحض أحد على الإحسان للمرأة والرفق بها والعطف عليها كما حض رسول

(١) سورة لقمان الآية: ١٤.

الله - ﷺ- فى كثير من أحاديثه الشريفة وافعاله العظيمة ، فمن ذلك قوله مخاطبا جميع المسلمين على مر السنين: «خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائى» وقوله «ما اكرمهن إلا كريم» وحسب المرأة منزلة وكرامة واعزازا أن النبى -ﷺ- كان يحتضر ويلفظ أنفاسه الشريفة وهو يوصى بها قائلا «استوصوا بالنساء خيرا».

لأن عالمية الاسلام جعلت منه دينا يخاطب البشرية كلها لافرق بين انسان وآخر ولافرق بين رجل أو امرأة فقد سوى القرآن الكريم والنصوص الاسلامية بين المرأة والرجل فى كافة المجالات الدينية والمعنوية والادبية والعملية.

إن هذه النظرة المتساوية بين المرأة والرجل قد بدأت في رحاب الاسلام منذ ظهور الدعوة الإسلامية ، فأقر الرسول مبايعة المرأة فجعلها بذلك فى منزلة الرجل تماماً فى نظرة الاسلام اليها على أنها جزء من المجتمع البشرى.

وقد حث الاسلام المرأة والرجل على طلب العلم وقال عليه السلام العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة كما ساوى الاسلام بين الرجل والمرأة فى الحياة العملية.

الفرع الثانى

الرد على المصطلحات المزيفة التى يستخدمها الاعلام الغربى

إن المصطلحات التى كرسها الإعلام الغربى لمحاربة الصحوة الإسلامية ومنها الأصولية ، والخطر الأخضر ، ودين السيف والصحراء والقنبلة الاسلامية ... الخ.

إن الغرب عامة والدول الاستعمارية خاصة تجد فى الإسلام والقرآن الكريم الخطرالأكبر والمحبط لمخططاته التى تهدف إلى استبعاد العرب والمسلمين خوفا من اثارة الشعوب المسلمة وطرد الاستعمار أو حتى التغلغل داخل المجتمعات الأوربية واثبات مكانة متقدمة فيها.

لقد اعتقد البعض أن موجة الاستقلال التى اجتاحت معظم دول آسيا وافريقيا بعد الحرب العالمية الثانية سوف تؤدى بالضرورة إلى تحقيق استقلالها الاقتصادى

والثقافى والإعلامى. ولكن حتى منتصف السبعينات لم يبد أن أية دولة من دول العالم الثالث قد استطاعت أن تحقق سيادتها الاعلامية كاملة.

ورغم أن مظاهر التبعية الاقتصادية فى العالم الثالث قد اصبحت واضحة للجميع. فان التبعية الثقافية والاعلامية لم يتم الكشف عنهما إلا بشكل محدود وفى سياق الاهتمام بدراسة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية.

والآن قد مرت ثلاثة عقود حفلت بالممارسات والمحاولات العديدة من أجل الخروج من دائرة التبعية ولم يقدر النجاح الا لحالات قليلة بينما لاتزال الغالبية العظمى فى شعوب العالم الثالث تسعى للخلاص الشامل(١).

واتناول هنا بيان معنى المفردات التى يستخدمها الاعلام الغربى لبيان أن مفهومها يختلف فى الغرب عنه فى الشرق.

اولا: الأصــــولية:

الأصولية فى الغرب تعني التمسك أو التعصب لنصوص ثبت نسخها على مر التاريخ ، فى حين أنها فى الاسلام تعنى التمسك بنص القرآن والسنة الصحيحة - الا أن الغرب قد ضرب علينا بمفاهيمه من باب الخلط والمغالطة.

ويقول روجيه جارودى:

إن الأصولية تمثل اكبر خطر فى العصر الحالى ، اذ انه لايمكن حل أية مشكلة بدءا من جماعة جزئية ومن متعقداتها.

ولاشك فى أنها مشكلة تمتد جذورها فى الاقتصاد والسياسة ... وقد دأب الاعلام العالمى -حاليا- على الجمع بين الاصولية والاسلام، فى حين أن الاصولية فى العالم الثالث بكل اشكالها قد ولدت من الادعاء الغربى منذ عصر النهضة لفرض نمطه فى التطور وفى الثقافة أى أن الأصولية الغربية هى السبب الأول الذى نجمت عنه باقى الأصوليات»(٢).

(١) قضايا التبعية الاعلامية والثقافية فى العالم الثالث، د. عواطف عبد الرحمن، طبعة دار الفكر العربى، ١٩٨٧م.

(٢) ابجدية الحوار بين الحضارات، ص ٦.

فالأصولية فى مفهومها الغربى: حركة جمود تنظر إلى النصوص بحرفية وتعادى العلم والعقل.

وهذا محض افتراء وبشير مردود من ناحية تفسيره الغربى لأن الأصولية فى الاسلام تعنى التمسك بالنص القرآنى المنزل وبالسنة الصحيحة والعودة إلى الأصول الصافية بعيدا عن أى تحريف وانقسامات أو تغريب.

والأصوليون فى فكرنا هم أهل الاجتهاد والتجديد «علماء اصول الفقه»(١) فالاصولية عندنا شرف نتطلع إليه ، ولكنها أصبحت وكأنها سبة ولعنة

---

(١) اصول الفقه له معينان أحدهما على أنه مركب اضافى مكون من كلمتين اصول وفقه وثانيها أنه علم ولقب لهذا الفن المخصوص.

أ- معنى اصول الفقه على أنه مركب اضافى:

معرفة علم اصول الفقه على أنه مركب اضافى يتوقف على معرفة جزأى هذا المركب الذى اضيفت احدى كلمتيه إلى الأخرى وهما كلمة اصول وكلمة فقه ، لأن معرفة كل مركب تتوقف على معرفة اجزائه التى تركب منها ، المحصول للرازى، جـ١ ص ٩١.

تعريف كلمة اصول:

الأصول جمع أصل ، والأصل فى اللغة مايبنى عليه غيره قال فى القاموس، جـ٣ ص ٣٢٨: الاصل اسفل الشئ، وفى المعجم الوسيط، جـ١ ص ٢٠، أصل الشئ : اساسه الذى يقوم عليه.

والأصول فى الاصطلاح يطلق على عدة معان.

المعنى الأول: الدليل فيقال الأصل فى ذلك كتاب الله تعالى بمعنى أن الدليل الذى يستند اليه فى ذلك هو الكتاب ، واستعمال الأصل بهذا المعنى نجده كثيرا ف يالكتب الفقهية فقالوا مثلا الاصل فى هذا الحكم كتاب الله وسنة رسوله والاجماع يريدون بذلك أن مستند هذا الحكم القرآن والسنة والاجماع.

المعنى الثانى: الأصل بمعنى الراجح ، فيقال الأصل فى الكلام الحقيقة لا المجاز ، بمعنى أنه إذا دار اللفظ بين حمله على حقيقته وحمله على مجازه ، كان الحمل على الحقيقة هو الراجح.

المعنى الثالث: القاعدة الكلية المستمرة ، فيقولون: أكل الميتة على خلاف الأصل ، إذ القاعدة المستمرة تحريم لقوله تعالى: ﴿حرمت علكيم الميتة والدم . . .﴾ وجاءت اباحة الميتة حالة الاضطرار استثناء من هذه القاعدة بقوله تعالى فى ختام الآية السابقة ﴿فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم﴾ سورة المائدة الآية:٣.

المعنى الرابع: الأصل بمعنى المستصحب: فيقال الأصل فى الأشياء الاباحة على معنى(=)

يوصف بها التيار الاسلامى.

(=) أنه يحكم بإباحة الاشياء ، حتى تثبت الحرمة بدليل ، كما يقال وعدم تهمته حتى يثبت أنه مدان بدليل.

المعنى الخامس: المقيس عليه فى باب القياس كما لو قسنا النبيذ على الخمر فى الإسكار، فيكون النبيذ أصلا والنبيذ فرعا فى هذا القياس.

تعريف كلمة الفقه:

الفقه لغة، الفهم، ومنه قوله تعالى: ﴿فمالهذا القوم لايكادون يفقهون حديثا﴾ وقوله تعالى على لسان سيدنا شعيب: ﴿مانفقه كثيرا مما تقول﴾ القاموس جـ٤ ص ٢٨٩.

وفى الاصطلاح: عرفه الزركشى بأنه العلم بالاحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية، البحر المحيط، جـ١ ص ٦.

وقيل هو الإصابة والوقوف على المعنى الخفى الذى يتعلق به الحكم وهو علم مستنبط بالرأى والاجتهاد ويحتاج إلى النظر والتأمل ، ولهذا لايجوز أن يسمى الله تعالى فقيها لأنه لايخفى عليه شئ ، ويفهم من ذلك ان العلم بالحكم وحده لايكفى ، لأن العلم بالحكم وحده ليس فيه وقوف على المعنى الخفى الذى يتعلق به الحكم وعلم الله تعالى لايعد فقها لان الله تعالى لايخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء ، بل لابد من بذل الجهد فى سبيل الوصول إلى دليل الحكم، التعريفات للجرجانى.

وأما الاضافة:

وهى الجزء الثالث فهى وإن كانت جزءا صوريا لكن لابد من تعريفه حتى نصل إلى تعريف المركب.

والإضافة لغة: الاسناد.

وفى اصطلاح النحويين: نسبة تقييديه بين اسمين توجب لثانيهما الجر أبدا ، حاشية الصبان، جـ٢ ص ٢٣٧.

والمردا بها هنا اختصاص المضاف بالمضاف إليه باعتبار المضاف اليه، إرشاد الفحول، جـ٣.

وهنا نصل إلى المعنى الاضافى لاصول الفقه.

فاصول الفقه بالمعنى الاضافى: هو أدلة الفقه من حيث كون الفقه مبنيا عليها ومستندا اليها.

تعريف اصول الفقه بمعناه اللقبى: «هو القواعد التى يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية وكيفية استفادة هذه الاحكام من أدلتها وحال مستفيدها».

ومما سبق نعرف: أن الأصولى يبحث عن القواعد الكلية باستقراء الأدلة الجزئية التفصيلية ، ليستعين بها على استنباط الأحكام الفرعية من أدلتها التفصيلية كالأمر المطلق يفيد الوجوب، وكالنهى المطلق يفيد التحريم. وذلك بتطبيق الحكم على كل الأدلة التفصيلية ليستنبط الاحكام.

أما الفقيه فانه ينتفع بالقواعد الكلية التى هدى اليها الأصوليون ويجتهد بمعونتها (=)

ثانيا: الحـــــداثة :

إن المطالبة بتطبيق الحداثة على القرآن الكريم والسنة النبوية رغم ما بها من مغـالطة فـادحة -هو الهدف الأساسى للغرب ليفتح لنفسه باب التخريب على مصراعيه فيما بقى للمسلمين من رباط.

أما الحداثة بمعنى تجديد الفقه الإسلامى فهذه جائزة بمعنى.

إنه لايجوز أن نعتبر كل الموروث الفقهى احكاما دائمة لازمة لكل المسلمين إلى قيام الساعة واصحاب النبى انفسهم لم يقولوا ان هذا هو الواجب على الناس بل قالوا بعبارات متعددة إن أراءهم تحتمل الصواب وتحتمل الخطأ وانهم مستعدون للعدول عنها اذا لم تكن فى أى وقت محققه للمصلحة التى ارادوا الوصول إليها.

واذا كان البعض قد حاول اشاعه أن الفقه الإسلامى لايتسع صدره للتجديد وذلك تأسيسا على أن أساسه يتمثل فى الوحى المعصوم فكيف يتسنى قبول الفقه للتجديد البشرى غير المعصوم؟.

فان السنة النبوية الشريفة تنفى هذا المفهوم بل وتصرح بشرعية التجديد للدين بين كل قرن وآخر ، حيث يقول الرسول - ﷺ-: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها »[١].

ولئن كان تجديد الدين مشروعا بصفة عامة فان الفقه أولى جوانب الدين بالتجديد بحسب أنه يمثل الجانب العملى المرن المتحرك الذى يطلب منه مواجهة كل

(=) للوصل إلى الاحكام الجزئية كحرمة الزنى بصل اليها من طبيق قاعدة «النهى المطلق يفيد التحريم» وتطبيقها على قوله تعالى: ﴿ولاتقربوا الزنى﴾.
يراجع: مقدمات اصولية، أ.د. حسن احمد مرعى، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص ٥ وما بعدها ، دار الهدى للطباعة ، اصول الفقه الاسلامى، أ.د. احمد محمود الشافعى، طبعة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، المكتب العربى للطباعة ، اصول الفقه الاسلامى، أ.د. عبد المجيد مطلوب، طبعة ١٤١١هـ - ١٩٩١م، دار النهضة العربية.

(١) رواه ابو هريرة وأخرجه أبو داود والبيهقى فى المعرفة، جـ١ ص ٢٠٨، حديث رقم ٤٢٢، والحاكم فى المستدرك، جـ٤ ص ٥٢٢.

جديد بالحكم والفتوى والبيان.

بيد أن ذلك محوط بعدة ضوابط من أهمها مايلى:

الضابط الأول:

أن التجديد لايصح -كما قال العلامة المناوى- الا اذا كان المجدد مجتهدا قائما بالحجة ناصرا للسنة له ملكة رد المتشابهات إلى المحكمات ، وقوة استنباط الحقائق والدقائق من نصوص الفرقان واشارته ودلالاته واقتضاءاته من قلب حاضر وفؤاد يقظان(١).

الضابط الثانى:

أن التجديد لايلحق القطعى من شرائع الإسلام كما هى الحال فى كثير من شئون الزواج والطلاق والميراث والحدود والقصاص بحسب أن هذه الأحكام ثابتة بنصوص قطعية فى ثبوتها وكذا قطعية فى دلالتها فى الأعم الاغلب.

ومن ثم فان نطاق التجديد المقبول يقتصر على مايتعلق بجزئيات الأحكام وفروعها العملية وبخاصة فى مجال السياسة الشرعية والمعاملات والتعزيرات.

وفى ذلك يقول الامام ابن القيم فى كتابه اغاثة اللهفان مانصه: «الاحكام نوعان: نوع لايتغير عن حالة واحدة مر عليها لا بحسب الأزمنة ولابحسب الامكنة ولا اجتهاد الأئمة كوجوب الواجبات وتحريم المحرمات والحدود المقدرة بالشرع على الجرائم ونحو ذلك فهذا لايتطرق اليه تغيير ولااجتهاد ، يخالف ما وضع عليه.

والنوع الثانى: مايتميز بحسب اقتضاء المصلحة له زماناً ومكانا وحالا كمقادير التعزيرات وأجناسها وصفاتها فان الشارع ينوع فيها بحسب المصلحة ... وهذا باب واسع «شبه فيه على كثير من الناس - الأحكام الثابتة اللازمة التي لاتتغير بالتعزيرات التابعة للمصالح وجودا وعدما »(٢).

---

(١) فيض القدير، جـ١ ص ١٠.

(٢) اغاثة اللهفان، جـ١ ص ٣٤٦ ، ٣٤٩.

الضابط الثالث:

أن التجديد لايعنى تطويع الفقه الاسلامى حتى يساير القوانين الوضعية ، إنما التجديد الحق هو تنمية الفقه الإسلامى من داخله وياساليبه هو مع الاحتفاظ بخصائصه الأصلية وبطابعه المتميز.

ويرحم الله علاقة القانونيين العرب الاستاذ الدكتور السنهورى حينماقال فى مقدمة مصنفه العظيم «مصادر الحق فى الفقه الإسلامى - دارسة مقارنة بالفقه الغربى» قال : «لن يكون همنا فى هذا البحث إخفاء مابين الفقه الإسلامى والفقه الغربى من فروق فى الصفة والأسلوب والتصوير ، بل على النقيض من ذلك ، سنسعى بابراز هذه الفروق حتى يحتفظ الفقه الإسلامى بطابعه الخاص ولن نحاول أن نصطنع التعريب مابين الفقه الإسلامى والفقه الغربى على أسس موهومة أو خاطئة ، فان الفقه الإسلامى نظام قانونى عظيم ، له صفة يستقل بها ، ويتميز عن سائر النظم القانونية فى صياغتة وتقصى الدقة والامانة العلمية فعلينا أن نحتفظ لهذا الفقه الجليل بمقوماته وطابعه ، ونحن فى هذا أشد حرصا من بعض الفقهاء المحدثين فيما يؤنس فيهم من ميل إلى تقريب الفقه الإسلامى من الفقه الغربى ، فان هذا لايكسب الفقه الإسلامى قوة بل لعله يبتعد به عن جانب الجدة والإبداع ، وهو جانب للفقه الإسلامى منه حظ عظيم(١).

ومن ثم فان الموقف الذى يلزمنا إتخاذه والذى يوجبه علينا فقه رسالتنا وحضارتنا أن نعرف ماتحتمه علينا الأصالة ومايقتضيه التجديد والتطوير شريطة أن تكون لدينا القدرة على التمييز بين ماهو ثابت وماهو متطور من فقهنا الإسلامى.

ولاريب أن التجديد لايعنى أبداً التخلص من القديم أو محاولة هدمه ، ولكنه يعنى الاحتفاظ بجوهره والابقاء على طابعه وخصائصه والا فقدنا ذاتيتنا وذابت شخصيتنا ونكون بذلك قد رضينا لأنفسنا بموقف التبعية والخضوع لغيرنا(٢).

---

(١) مصادر الحق فى الفقه الإسلامى، جـ١ ص ٢ ، ٣ ، طبعة معهد الدراسات العربية.

(٢) فقهنا الاسلامى بين الاصالة والتجديد، لاستاذنا الدكتور/ على احمد مرعى، مجلة كلية الشريعة والقانون بالقاهرة، العدد العاشر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م. ص ١٠.

ولايفوتنا هنا ان نعرف ان اهتمام الفقه الإسلامى بالاجتهاد الذى يمكنه وحده أن يوائم بين الثوابت من أحكام الاسلام الواردة فى القرآن الكريم والسنة النبوية وبين متغيرات كل عصر ومكان اهتماما جادا وعميقا.

كذلك يجب علينا أن نتأمل تاريخ الأزمات التى حاصرت المسلمين واضطروا لغلق باب الاجتهاد حفاظا على الاسلام من غزوات الغرب ... وأن نتأمل خطوات أسلافنا الذين حاولوا فتحه بمحاربة الضعف الفكرى والدينى والاجتماعى والسياسى.

فقد قام النقد عندهم على أساس المحافظة على ألوهية الله وحده لاشريك له ، وعلى تحقيق انسانية الانسان ، وعلى فصل التعاليم الاسلامية التى تدور حول هذين المبدأين عن العناصر الثقافية والدينية الدخيلة متمسكين بالقرآن والسنة الصحيحة ، أى انهم أرادوا إسلاما مصدره القرآن والسنة وأرادوا جماعة تتبع القرآن والسنة[١].

فالاجتهاد هو اعتصار الوعى والطاقة فى الوصول إلى حكم شرعى اجتهادى. وهو ما أقره سيدنا محمد - ﷺ- حينما أرسل معاذا الى اليمن.

---

(١) الفكر الإسلامى، د. محمد البهى، دار الزينى للطبع والنشر، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٦٢م.

المطلـــب الثانى

الرد على الصورة الذهنية السلبية للاسـلام والمسـلمين فـى مجـال الصـحافة الغربيـة والمؤتمـرات الدولـية

تمهيد:

لاشك فى أن الصحافة الغربية لاتدخر جهدا فى نشر صور سلبية للاسلام والمسلمين.

وهذا الموقف السلبى من الاسلام والمسلمين يعود إلى عقلية الهيمنة والمركزية الغربية التى تتعامل مع الآخر باعتباره تابعا لها وتعمل على تخويف الغرب من الحركات الاسلامية التى قد تهدد مصالحه.

إننا كمسلمين نطالب الباحثين الغربيين بدراسة الاسلام بمنهجية علمية لاباعتبار الدارس متفوقا والمدروس تابعا.

وهذا المطلب يتضمن فرعين:

الفـــرع الأول: الرد على الصورة الذهنية السلبية للإسلام والمسلمين فى مجال الصحافة الغربية.

الفرع الثانى: الرد على الصورة الذهنية السلبية للاسلام والمسلمين فى المؤتمرات الدولية.

الفـــرع الأول

الرد على الصورة الذهنية السـلبية للإسـلام والمسـلمين فى مجال الصحافة الغربية

فى البداية يجب الاشارة إلى ماجاء فى الورقة التى تقدم بها البريطانى سيرسيريل تاونسند SIr cyrit tomnsend إلى المؤتمر الدولى السادس حول الإعلام العربى والأوربى والذى استضافته البحرين فى الفترة من ٢٢ ، ٢٥ من فبراير سنة ١٩٩٨م.

حيث جاء فيها: «أن الصحافة الغربية بمثابة مشروعات تجارية تجرى وراء الأخبار السيئة طبقا للقاعدة الذهبية لدى أغلبها bad news is good news.

كما تجرى وراء المآسى والفضائح والقصص الرخيصة وغير الأخلاقية اكثر من اهتمامها بقضايا التدهور البيئى والنمو السكانى والآثار النفسية لأى صراع.

ومن هنا فقد اصبحت الآراء المقولية Stereatyping عن العرب والمسلمين ظاهرة فى الاعلام الغربى على الدوام ولاتزال كما هى فى الوقت الحالى على الرغم من تقلص شيوع بعض التصورات السلبية.

ويرى الشيخ محفوظ نحناح رئيس حركة مجتمع المسلمين بالجزائر أن الإعلام الغربى الموجه لأغراض السياسة قد شوه المشترك وخلق اسطوره الارهاب وظل يغذيها وينسج خيوطها عبر حملات من الظواهر ، منها ظاهرة العنف ووصف الموروث الدينى على أنه تخلف ويدعو إلى سفك الدماء وفى هذا ظلم كبير للاسلام والمسلمين وللعرب(١).

وهذا مايدعو إليه الفرنسى أوليفيه دالاج Iliver Ds lage الصحفى فى

(١) دور الاعلام العربى الاوربى فى مواجهة العنف والارهاب والنمطية، محفوظ نحناح، ورقة مقدمة إلى المؤتمر الدولى السادس حول الاعلام العربى والاوربى فى الفترة من ٢٢ ، ٢٥ من فبراير سنة ١٩٩٨م، في البحرين، ص ٣ ، ٤.

ازاعة فرنسا الدولية ، فيحذر من التعميم سواء على المسلمين أو غيرهم ، ولاينتقد ماقدمه صمويل ها نتنجون فى اطروحته «صدام الحضارات» على أساس أن الصدام ليس حتما بين الشرق والغرب فى إطار الفضاء الإعلامى الواسع الذى يعطى المراقب الخارجى فرصة مضاعفة جهوده لتقديم صورة عن العالم العربى تغلب من النمطيات والتبسيطات أو الطابع الكاريكاتورى(١).

بالنظر إلى مااعتمد عليه الاعلام الغربى فى مجال الصحافة لتشويه صورة الاسلام لدى الغربيين.

نجد أنها نظرة استعلائية ومنطق انتقائى فى الحكم على الأمور ، وعنصرية كريهة وجهل متعمد وتشويه للحقائق وقلب للموازين الخاصة بالامور الاسلامية الثابتة والصحيحة.

وهذه التشكيلة من الافتراءات والأكاذيب موجودة بشكل دائم فى المجتمع الغربى ، من أجلنا نحن فقط.

لأنهم يطلقون علينا ، الارهابيين ، العنصريين ، المتطرفين ، المعتنقين للدين انتشر بحد السيف واعتمد على اضطهاد غير المسلمين.

ويمكن الرد على هذه المزاعم باختصار فى النقاط الآتية:

أولا: الرد على زعم الصحافة الغربية بأن فى مصر حملة اضطهاد ضد الاقلية المسيحية.

ثانيا: الرد على زعم الصحافة الغربية بأن الإسلام لايعرف التسامح.

ثالثا: الرد على زعم الصحافة الغربية الغرب بأن الاسلام دين دموى ودين ارهابى.

---

(١) الاعلان الاوربى وقضايا الهوية الثقافية، أوليفيه دالاج، ورقة مقدمة إلى مؤتمر البحرين السابق الاشارة اليه، ص ١، مشار اليه فى ورقة الدكتور/ مرعى مدكور المقدمة الى ندوة الاعلام الدولى وقضايا العالم الاسلامى، السابق الاشارة إليها.

اولا: الرد على زعم الصحافة الغربية بأن فى مصر حملة اضطهاد ضد الأقلية المسيحية:

هذه الحملة ظالمة ويجب على أجهزة الاعلام الإسلامى شرحها علميا موضحين أن فى الغرب والشرق أقليات. تدور بينها الصراعات

ففى امريكا نزاعات مستمرة بين الاقليات التى جاءت أصلا من كوبا وهايتى وهناك صراعا بين الامريكيين من أصل افريقى والامريكيين من أصل اسبانى ، وترى منازعات بين اليهود الذين ولدوا فى امريكا واليهود المهاجرين من ايران والمنازعات بين الاتراك والالمان فى المانيا وبين الكوبيين والفلبين فى اليابان وفى اسرائيل المنازعات مستمرة بين رابطة الدفاع الصهيونية بمساندة الامريكيين ، والجاليات المهاجرة من البلاد الاخرى.

أما المسيحيون فى مصر فهم والمسلمون نسيج لشعب واحد تربطهم الجنسية الواحدة فالكل مصرى لاأقلية ولا أغلبية واللغة واحدة والعادات والتقاليد واحدة فالقاعدة المشتركة بين الاديان هى الاخلاق والعقيدة والشريعة.

وكانت جريدة الصنداى تلجراف قد نشرت مقالا لصحفية لاتعرف المسئولية تدعى فيه ان هناك اضطهادا للمسيحيين فى مصر واستدلت على ماتدعيه بما حدث فى قرية -الكشح- مركز دار السلام - محافظة سوهاج يوم ١٩٩٨/٨/١٥م. وهذا محض افتراء ومحاولة من محاولات الغرب فى هذا المجال لتشويه صورة الإسلام.

ومحاولات الغرب هذه لابد من مواجهتها بالاعلام الواعى الذى يستمد مادته العلمية من القرآن الكريم واحكام رسالة محمد - ﷺ- الصالحة لكل زمان ومكان ولكل الشعوب والتي لاتفرق بين عربى أو أعجمى الا بالتقوى ، ولا اكراه فى الدين والاحترام الكامل لكل دين.

وموقف الاسلام من المسيحية كعقيدة واضح تمام ا لوضوح:

لأن النص القرآنى صريح: قال تعالى: ﴿ولاتجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم﴾[١].

وهذه مسألة عامة وقال تعالى: ﴿وقولوا أمنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهاكم واحد ونحن له مسلمون﴾[٢].

وبالفعل هناك قضايا الجدل حولها مرفوض فالله سبحانه وتعالى قال: ﴿ولاتجادلوا أهل الكتاب﴾[٣].

ولم يقل جادلوهم.

اذن أى جدال بغير التى هى أحسن مع أهل الكتاب مرفوض تماما.

وفى قوله تعالى: ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾.

فهذه مسألة خاصة حكمها فى كل حوار معلوم أن الذى ظلم له حكم آخر وأى خروج على هذه القاعدة لايحسب على الإسلام.

ويمكن الرد على مدعى الفتنة الطائفية:

إن العلاقة الانسانية بين المسلمين وغيرهم فى مصر قد استمرت منذ دخولها الإسلام الى اليوم على أحسن حال

وأن الفترة الوحيدة التى وقع فيها اضطهاد «حكومى» لأقباط مصر كانت فى العصر المملوكى «سنة ٧٠٠هـ» فى عهد السلطان الناصر بن قلاوون حيث وفد إلى مصر وزير من بلاد المغرب اقنع السلطان ورجاله بوجوب تغيير أوضاعهم الاجتماعية وتنحيتهم عن المناصب التى يشغلونها[٤].

---

(١) سورة العنكبوت الآية: ٤٦.
(٢) سورة العنكبوت الآية: ٤٦.
(٣) سورة العنكبوت الآية: ٤٦.
(٤) نهاية الأرب للنويرى، جـ٣١ ص ٤١٦.

ثم لم يلبث الأمر أن عاد إلى ماكان عليه قبل هذه الفتنة ولايزال المسلمون والاقباط يرون أنفسهم شعبا واحدا يجمعه الوطن الذى يفدونه بأرواحهم ولايفرق بين ابنائه الذين يتعبدون به لربهم وهم يواجهون مشكلات العيش المشترك بالصدق والصراحة اللذين يمكنان كل ذى حق من الحصول عليه وان الكلمات الحمقاء التى تصدر من أى جانب يجدر ردها من الجانب نفسه علما وحكمة وحلما وموعظة حسنة ولايتصور أحد أن يخلو مجتمع مهما يكن شأنه من منازعات وخلافات ، ولكن احدا فى مصر لايقبل أن نهدم حياتنا المشتركة لنتجنب قولا جارحا من هناأو فعلا قبيحا من هناك[١].

إن الإسلام وضع أول وثيقة عالمية فى حق المواطنة دون تفريق بين أصحاب الأديان أو العقائد أو الاختلاف فى اللون أو الجنسية.

فالاسلام سبق العالم فى الاعلان عن أول وثيقة لحقوق الانسان فى بداية بناء أول دولة اسلامية فى المدينة المنورة ، قدمها الاسلام كأول دستور من دساتير الارض وأروع نموذج للوحدة الوطنية والاخاء الانسانى فأعلن أن أهل المدينة جميعا اخوة تجمعهم رابطة الوطنية.

المسلمون واليهود والمسيحيون يشكلون أمة واحدة تجمعهم الروابط الأخوية والروح الوطنية ، فكل له دينه فى إطار الوحدة الوطنية. وهم جميعا مسئولون عن الدفاع عن وطنهم فى إطار من الوحدة.

إن مصر من بين بلاد العالم على وجه الخصوص تتميز بالسماحة الدينية ونبذ التعصب[٢].

إن مصر على مدى تاريخها لم تصنف ابناءها تصنيفا دينيا أو عقائديا. بل تركت لهم حرية العقيدة ، رحماء فيما بينهم فى إطار من الآخاء الدينى ، والمواطنة الصادقة التى سجلها التاريخ وقدمها نموذجا للإنسانية كلها.

---

(١) حوارات روما ، د. محمد سليم العوا ، الاهرام الدولى ، ١٩٩٩/٣/٢٨م.

(٢) العلاقات الدولية فى الإسلام – للإمام محمد أبو زهرة – دار الفكر ، ص ٢٥.

إن القلة التى لم تتفهم معنى الوطنية ولا سماحة الأديان تحاول أن تضرب الوطنية باسم الدين دون دراية بمعانى الإسلام السامية التى قدست الوطنية ونادت بالدفاع عن الوطن.

إن شعب مصر متدين بالفطرة منذ عهد الفراعنة فقد كان دائما يبحث عن الآلهة حتى جاءت المسيحية إلى مصر ثم الإسلام واعتنقه معظم شعبها وارتضوه دينا لهم، فلايتصور أن تتخلى الشعوب عن الدين وإلا اصبحت قبائل همجية.

ولكن؟ هل السلوك العام للمسلمين اليوم يرقى إلى المستوى الذى يأمرهم به دينهم أقول بكل الصدق إن الأغلبية الكاسحة من المسلمين يرقى سلوكهم العام مع غيرهم من أهل الكتاب إلى المستوى الذى يأمرهم به دينهم تنفيذا لأقوال وافعال رسولنا محمد - ﷺ- واقوال وافعال صحبه الكرام فعمر بن الخطاب كان يسأل الولاة كل عام عن أحوال أهل الذمة ويظل يشدد عليهم فى هذا ، حتى اذا اقروا بأنهم يعاملون بالعدل والبر والفضل يقول الحمد لله لأنه سمع من الرسول - ﷺ- قوله «من أذى ذميا فقد أذانى» «من أذى ذميا فانا خصمه يوم القيامه ومن خاصمته خصمته»[1] أى قطعت حجته. إنها الروح السمحة الفاهمة لوحدة الانسانية.

والمتأمل فى قوله تعالى: ﴿وقولوا آمنا بالذى انزل الينا وأنزل اليكم﴾[2].

يجد أن هناك اشارة إلى وحدة الحق ... فالأنبياء كلهم مرسلون من قبل اله واحد وكلمة الله إلى الناس لاخلاف حولها ففى مرحلة يغلب فيها الأمر العقيدى وفى مرحلة يغلب فيها الأمر الاخلاقى وفى مرحلة يغلب الأمر التشريعى ولما جاء نبينا فيما نزلوا به صدق بذلك كله لأن رسالته شاملة لكل النواحى فى حياتنا.

وعند قراءة قوله تعالى أيضا: ﴿لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلونكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا

(١) الجامع الصغير، جـ٢ ص ٤٧٣ ، والمصنف لعبد الرزاق، جـ٥ ص ٢٢٢ ، وكنز العمال، جـ٤ ص ٤٨٤.

(١) سورة العنكبوت الآية: ٤٦.

اليهم ان الله يحب المقسطين﴾(١).

والقسط هو العدل وهو أضعف الايمان أما البر فهو فيض عطاء.

يمكن أن نعرف أن غير المسلمين بالنسبة للمسلمين ينقسمون ثلاثة أقسام

القسم الأول: يعيش فى بلاده ولايعيش معنا ، ولكنه يسالمنا ويتبادل معنا المنافع ، ولايعلن علينا حربا أو أذى وهذا القسم نحن أيضا نسالمه ونتعاون معه ونعمل بالنسبة له بقول الله تعالى: ﴿فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم، ان الله يحب المتقين﴾(٢).

القسم الثانى: لايعيش معنا ، ولكنه يعلن الحرب والأذى والعدوان علينا وهذا القسم تأمرنا شريعة الإسلام بأن نرد عدوانه عن أنفسنا وعن أموالنا وعن أعراضنا وعن أوطاننا. قال تعالى: ﴿وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا ان الله لايحب المعتدين﴾(٣) وقوله تعالى: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾(٤).

القسم الثالث: يعيش معنا ونعيش معه ، اخواننا المسيحيون الذين نعيش معهم ويعيشون معنا منذ مايقرب من أربعة عشر قرنا تظلنا سماء واحدة وعلى أرض واحدة نستنشق من هواء واحد ، مساكننا متجاورة ، مزارعنا متجاورة ، مصالحنا مشتركة.

هؤلاء الذين يعيشون معنا ونعيش معهم ، تضمنا القاعدة الإسلامية الذهبية «لهم مالنا وعليهم ما علينا» فنحن هنا فى مصر نعيش مع اخواننا المسيحيين متحابين تجمعنا المصالح المشتركة. لأن الشريعة الإسلامية من أسسها الوضوح وليس الاسلام الفاز ، فهو يمتاز بالوضوح والصراحة وفى الوقت نفسه يحارب النفاق والعدوان والظلم ويسعى للتعاون بين الناس جميعا بالبر والتقوى لا على الاثم والعدوان.

(١) سورة الممتحنة الآية: ٨.

(٢) سورة التوة الآية: ٧.

(٣) سورة البقرة الآية: ١٩٠.

(٣) سورة الحج الآية: ٣٩.

وضع غير المسلمين فى المجتمع الاسلامى المعاصر:

ان النظرة الاسلامية إلى غير المسلمين نظرة لها اصول لأنها مستمدة من القرآن الكريم ومن السنة الصحيحة ومن دروس التاريخ المستمر خمسة عشر قرنا حتى الآن.

فأما القرآن الكريم فان دستور العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين فيه هو مابينته الآيتان الثامنة والتاسعة من سورة الممتحنة: **﴿لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلونكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ، إن الله يحب المقسطين ، انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على أخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾**.

والبر هو الفضل والخير ، والقسط هو العدل ، فهما بنص القرآن نفسه واجبان على المسلم للناس كافة ، والاستثناء الخاص بالذين يقاتلون المسلمين ويخرجونهم من ديارهم ويعينون على إخراجهم ، استثناء توجبه الفطرة الانسانية فانه لايقبل الظلم ولا يسكت على الضيم إلا من فسدت فطرته فانحرفت به عن سنن الاستقامة النفسية والعقلية معا.

وهذا الدستور القرآنى يحكم العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين أيا كان دينهم أما الكتابيون من غير المسلمين فلهم فى القرآن أحكام اكثر تفصيلا لما ينبغى فى التعامل معهم من رعاية لجانب الايمان بالكتاب المنزل على نبى مرسل قبل محمد عليه الصلاة والسلام.

فطعامهم مباح للمسلمين وطعام المسلمين مباح لهم قال تعالى: **﴿وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم﴾**[١]. ففى هذه الآية الكريمة دعوة عملية لتبادل العطاء ، وتبادل الهدايا فانها سفير المودة بيننا وبينهم. والزواج من نسائهم جائز بعقد شرعى تتوافر فيه شروط الزواج التى يفرضها الاسلام

---

(١) سورة المائدة الآية: ٥.

ومنع غير المسلم من زواج المسلمة يرجع إلى طبيعة عقد الزواج وما يقيمه بين الطرفين من علاقة خاصة للاسلام فى بعضها أحكام قطعية ثابتة بنصوص القرآن التى لايطلب ... شرعا ولاعقلا ... من غير المسلم التزامها. ولو اجيز ذلك لفسدت العلاقة الزوجية نفسها وانهدمت الاسرة كلها وهذا ينافى مقصد الزواج نفسه وينقض عروته.

وحياة المشتركين من المسلين والكتابيين فى الوطن الواحد. أو البيت الواحد. لاتخلو من مسائل لاتثير الجدل وتستدعى المناقشة. وعندئذ يجد المسلم نفسه مأمورا بأن يكون الجدال بأحسن الأساليب وأرقها . وبالتقديم لذلك -أو التعقيب عليه بالتذكر بأصل الايمان بالله الواحد.

﴿ولاتجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا أمنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون﴾(١).

أما السنة الصحيحة:

فيكفى أن نشير منها إلى أن الوثيقة التى نظم بها الرسول - ﷺ- الحياة السياسية فى دولة المدينة «دستور المدينة».

نصت على حقوق المسلمين وغير المسلمين معا بل تذكر هذه الوثيقة اسماء عشرة بطون من قبائل اليهود الذين كانوا يقيمون بالمدينة انئذ مقررة أنهم «امة مع المؤمنون لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم ، الا من ظلم وأثم».

وتقرر الوثيقة واجبات متبادلة على المسلمين وغير المسلمين فى المدينة مثل النصيحة والنصر على من حارب أهل الوثيقة ، والبر دون الإثم ، فهم مواطنون لهم فى دولة المدينة «النبوية» مثل ما للمسلمين من حقوق وعليهم مثل ما على المسلمين من واجبات.

---

(١) سورة العنكبوت الآية: ٤٦ ، ويراجع، السيرة النبوية لابن هشام، جـ٢ ص ١٠٨ ، والبداية والنهاية لابن كثير، جـ٣ ص ٢٢٤.

العهود النبوية وعهود الصحابة:

وأشهرها عهد عمر بن الخطاب إلى أهل القدس كلها تمضى على سنة هذه الوثيقة النبوية وهى اصول يقاس عليها ويؤخذ منها ما يصوغه الفكر الإسلامى المعاصر من تصورات للعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين فى المجتمع الاسلامى المعاصر من تصورات للعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين فى المجتمع الاسلامى ، وما وافق هذه الأصول ، فالعمل به صحيح ونسبة إلى الاسلام ثابت. وما خالفها فهو مردود على صاحبه ينسب اليه وحده ويسأل هو عن خطئه ولايحمل الفقه الاسلامى وزره.

وأما درس التاريخ:

فان اهميته تبدو فى أنه من المسلمات عند دارس النظم القانونية والسياسية ان فهم أى نظام منها لايكون صحيحا إلا اذا تأمل الدارس مع النصوص الجامدة الآثار العملية لها التى تبدو ماثلة فى العلاقات الحية بين الذين يتعاملون بمقتضى تلك النصوص ويعيشون فى ظلالها وصورة الحياة المشتركة بين المسلمين وغيرالمسلمين، قبل عصر الاستعمار الأوربى وبعده. صورة مشرقة مشرفة ، قيل فى وصفها -بصدق- انه «لولا الاستمساك المحمود للمسلمين وغير المسلمين بشعائر دينهم الظاهرة مع عرف منهم مسلم باسلامه ولاكتابى بكتابه».

وروح الاخوة الانسانية التى سيطرت طول التاريخ على العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين والامثلة -من حياتنا نحن- لايمكن احصاؤها[١].

وليست الشريعة الاسلامية «القانون» إلا جزءا من هذا النظام الكامل الذى يظل الحياة الانسانية فى مختلف مجالاتها.

وقد عبرت عن هذه الحقيقة نزولا على اختيار الاغلبية معظم دساتير البلاد العربية ومنها الدستور المصرى الدائم الصادر عام ١٩٧١ والذى نصت مادته الثانية على اعتبار مبادئ الشريعة الاسلامية المصدر الرئيسى للتشريع ومصدر هذه المبادئ

(١) حوارات روما، جريدة الاهرام الدولى ١٩٩٩/٣/٢٨م ، د. محمد سليم العوا.

هو القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة والعرف السائد فى بلد من البلاد والاجماع اذا ثبت وجوده على أمر من الأمور.

وخارج هذا النطاق يتسع مجال الاجتهاد ليهدف إلى تحقيق المصالح ودرء المفاسد بل ان ذلك يجرى ايضا فى فهم النصوص النفعية وتحديد المراد من معانيها حيثما احتمل أى نص منها معانى متعددة.

وما يحرمه الإسلام على الناس من الأموال والأعراض والأقوال والافعال حرام أينما كان المسلم مقيما لافرق بين من أقام فى بلادنا التى غالبية اهلها مسلمون أو فى غيرها من بلاد الدنيا والمقيم فى أى بلد عليه أن يفى بعهده الذى دخله به ومن هذا العهد ألا يخالف قوانينه ونظمه مالم يكن فيها مايؤدى به إلى الحرام فى دينه فعليه اجتنابه.

وقد أصبح العالم الآن دارا واحدة وهى دار عهد وموادعة لايستثنى من ذلك إلا الديار المغتصبه المستعمرة التى قاوم أهلها الغاصب الأجنبى ، فهذه واولئك الغاصبون لهم أحكام خاصة فى القانون الاسلامى والقانون المعاصر تنطبق عليهم وحدهم.

ويجب التأكيد على أن الاقباط لهم كل الحقوق التى للمسلمين وعليهم كل الواجبات التى على المسلمين وهذه كلمة جامعة لكل شئ .

إن الاقباط يدفعون الضرائب التى يدفعها المسلمون ، ويدخلون الجيش مثلما يدخل المسلمون.

ولايصح فرض جزية على الاقباط فى ظل القوانين الحديثة لان المسلمين والاقباط فى القانون الحالى مشتركون فى كل الحقوق والواجبات وسواسية أمام القضاء.

ولو فرضنا على الاقباط الجزية سيكون ذلك ظلما لأن الدولة تكلفهم بنفس الأشياء التى يفعلها المسلمون ولايجوز أن نطالبهم بما ليس له مقابل لأن الاسلام أساسه العدل والمساواة بين طوائف الشعب.

والجزية كانت تفرض على الاقباط فى ظروف اجتماعية ووضعية ودولية مختلفة حيث كان الاقباط فى تلك الظروف لايشاركون فى الحروب أو الدفاع عن أنفسهم واموالهم وكان المسلمون يقومون بذلك وفى المقابل يدفع الاقباط جزءا من مالهم فى صورة الجزية وهى تشبه الضرائب التى تدفع الآن للدولة. أما الآن وقد تغيرت الظروف فلا أساس من المشروعية للجزية.

ثانيا: الرد على مزاعم الغرب بأن الاسلام لايعرف التسامح:

بالنسبة لمزاعم صحيفة لوفيجارو الفرنسية:

نجد أن اغلب الغربين ، والذين لم يقرأوا القرآن لايستطيعون فهم مدى المغالطة والاحتيال الذى يتضمنه هذا الادعاء.

فكاتب هذه الدراسة قد زيف الحقيقة فى ادعائه هذا «بأن الاسلام لايعرف التسامح» سواء فيما يتعلق بوضعية الآية التى استشهد بها المدافعون عن الإسلام أو بشأن مسألة الالغاء أو النسخ التى اطلقها بدون تمحيص ولاتدقيق ، وانما ساقها للتدليل على رأيه دون سند ولابرهان.

أما عن التسامح فى الإسلام:

فيدعى الكاتب انطلاقا من عدائه للإسلام وكتابه المقدس «القرآن» ان الاسلام قدم التسامح فى بداية نشأته ... بسبب ماكان عليه من ضعف ولكن عندما قوى الاسلام وأصبح قادرا اختلفت اللهجة واستدل على ذلك بما اسماه بآية السيف.

وأما بالنسبة لآية النهى عن الاكراه فى الدين ونزولها فى وقت كان المسلمون أقلية وكان الرسول مهددا بالقتل فان هذا القول عار تماما عن الصحة.

لأن سورة البقرة مدنية وهذه الآية نزلت فى المدينة وليس فى مكة وكان الاسلام وقت نزولها يغزو القلوب والعقول بمبادئه وحجته الدافعة وخطابه الإنسانى المتوازن للروح والمادة والعقل والوجدان ، بل دولة لها دستورها ولديهاصياغة كاملة لاسلوب الحياة والتعامل مع المخالفين فى العقيدة.

ودولة الإسلام آنذاك كانت محل اعتراف من الآخرين.

فالاسلام كان قويا ولم يكن ضعيفا بحاجة إلى أن يتودد إلى المخالفين أو يخضع لهم. بل كان يقرر مصيرة بنفسه دون خوف سطوة الأعداء.

فالثابت أن هذه الآية نزلت فى غزوة بنى النضير التى كانت فى السنة الرابعة للهجرة بعد غزوة بدر الكبرى التى انتصر فيها المسلمون على قريش ، فى الوقت الذى نقض فيه بنو النضير المعاهدة التى أبرموها مع النبى -ﷺ- بعد أن كادوا له وخططوا لاغتياله مرتين وهم الساكنون بجواره فى المدية فلم يكن له بد إلا إجلائهم عن المدينة فلما أجليت بنو النضير كان فيهما بعض ابناء الانصار يعتنقون اليهودية فأراد هؤلاء الانصار اكراه هؤلاء الاولاد على الاسلام فنزلت آية ﴿لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى﴾.

وروى أيضا أن رجلا من الانصار يقال له الحصين كان له ابنان نصرانيان وكان هو مسلما، فقال للنبى، الا استكرههما فانهماقد أبيا إلا النصرانية فأنزل الله الآية.

ولم يكن محمد -ﷺ- مهددا بالقتل وانما كان هو الذى يصنع الأحداث ويوطد أركان الدولة ويدعو للاسلام على بصيرة وهدى والمطلع على آيات سورة البقرة ، يجد أنها تحتوى على العديد من التشريعات الخاصة بالأحوال الشخصية والمعاملات المدنية والجنائية والعلاقت الدولية فهى تنظم أحوال المجتمع المدنى لأنها اطول سورة فى القرآن[١].

وبخصوص الآيات التي تحض علي الجهاد ضد الكافرين:

فقد رسم الإسلام منهج الدعوة إلى الإسلام بقوله تعالى: ﴿أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن﴾[٢].

فقد تقرر الجهاد لحماية حرية العقيدة ضد المعتدين عليها وضد الفتنة فى الدين تجاه ضعاف الإيمان ورد العدوان على الوطن الاسلامى وحروب الرسول من

(١) العلاقات الدولية فى الإسلام، ص ١٩.
(٢) سورة النخل الآية: ١٢٥.

واقع استقراء التاريخ تدل على أنه لم يقاتل المخالفين فى الدين إلا لأمرين ، اعتداء سابق وقع من المشركين ، واما بسبب منع الحكام الرسول والمسلمين من الدعوة للإسلام وسعيهم نحو فتنة المسلمين وردهم عن دنيه.

ومفاد ذلك:

أن القرآن الكريم يقرر حرية الاعتقاد ويحظر الاجبار على اعتناق الدين ، غاية الأمر أنه يجعل واجب المسلمين أن يدعوا لدينهم ، وان يعرضوا مبادئه للناس وكل إنسان صاحب حق فى أن يختار الاسلام أو غيره من الأديان بوازع من اختياره، ودون فرض أى دين عليه يستوى فى ذلك الإسلام أو المسيحية أو اليهودية أو أى دين آخر.

ولنا أن نتساءل هل اكره الرسول - ﷺ- مشركى قريش على اعتناق الاسلام عند فتح مكة؟ بعد أن دانت له بأرضها ورجالها ، وكان الاسلام آنذاك فى قمة العزة والنصر وقال - ﷺ- قولته المشهورة: «لاتثريب عليكم» ، أذهبوا فأنتم الطلقاء.

وهو مايؤكد على أن العلة فى الجهاد ليست المخالفة فى الدين ، وانما لأمر عدوانى يهدد الاسلام ووطنه وأهله.

لقد انتشر الاسلام بقوة سلطانه على النفوس ، والقيم الايمانية والانسانية التى يحملها ووصل إلى آراضى بعيدة سلما كما هو الشأن فى الهند وجزر الملايو وأندونسيا وغيرها بانتهاج الحكمة والمعاملة الحسنة مع غير المسلمين ، عن طريق العلاقات التجارية التى كانت تعبيرا حضاريا عن نموذج الاسلام فى العلاقات الانسانية والدولية ، والراصد لمدى انتشار الاسلام فى هذه البلاد والاصقاع عن طريق السلم يجد ان نسبة المسلمين فيها أعلى من البلدان الاخرى التى وصلها الاسلام كنتيجة للفتوحات الاسلامية بسبب مقاومة حكومات هذه البلدان للإسلام ، وعدم اتاحة الفرصة للتعريف بالاسلام والاطلاع على مبادئه الايمانية والحياتية وهو مايبدد وهم أن الاسلام قد انتشر بحد السيف ويكشف عن الاغاليط الكثيرة التى اوردها هذا الكاتب وغيره من الذين يعمدون إلى تشويه الاسلام ووأد حقائقه.

أما عن مسألة الغاء الآيات والسور «النسخ»[١] :

فمع التسليم بوجوده فى كل التشريعات والقوانين ، إلا أن رؤية الاسلام له ذو طبيعة خاصة فى المنظومة التشريعية الاسلامية.

(١) يذكر اللغويون لمادة النسخ عدة معان تدور بين النقل والازالة فمن الأول: نسخت الكتب - أى نقلته ، وقوله تعالى: ﴿انا كنا نستنسخ ... ماكنتم تعملون﴾.
ومن الثانى: نسخت الشمس الظل اذا أزالته وقوله تعالى: ﴿مانسخ ... من آية أو نفسها نأت بخير منها أو مثلها﴾ سورة البقرة الآية: ١٠٦. وقيل هو فى المعنى الأول حقيقة وفى الثانى مجاز وقيل بالعكس وقيل هو مشترك بينهما.
أما الفسخ فى اصطلاح الأصوليين:
فله تعريفات عديدة نختار أقربها إلى الدقة وعدم ورود الاعتراضات عليه وهو أن الفسخ عبارة عن «رفع حكم شرعى بمثله مع تراضيه عنه».
وقد ذكر الآمدى أن المختار فى تعريفه أن يقال «النسخ عبارة عن خطاب الشارع المانع من استمرار ماثبت من حكم خطاب شرعى سابق» الاحكام للآمدى، جـ٣ ص ١٠٢.
وأما الناسخ فقد يطلق على الله تعالى؟ ومنه قوله تعالى ﴿مانسخ من آية﴾ ، وقد يطلق على الآية أنها ناسخة ، أو على خبر الرسول - ﷺ- وفعله وتقريره واجماع الأمة ، وقد يطلق الناسخ على الحكم فيقال: وجوب صوم رمضان نسخ وجوب صوم عاشوراء فهو ناسخ ، وعلى المعتقد لنسخ الحكم فيقال فلان ينسخ القرآن بالسنة أى يعتقد ذلك فهو ناسخ.
وأما المنسوخ فهو الحكم المرتفع ، كالمرتفع من وجوب تقديم الصدقة بين يدى مفاجاة النبى - ﷺ- ، وحكم الوصية للوالدين والأقربين وحكم التربص حولا كاملا عن المتوفى عنها زوجا إلى غير ذلك، الاحكام للآمدى، جـ٣ ص ١٠٨ ، أصول الفقه، أ.د. محمد محمد فرحات، طبعة ١٩٩٨م، دار النهضة العربية، ص ١٦٢.
حكم النسخ:
النسخ بالمعنى السابق واقع وجائز عقلا ، لأنه لايترتب عليه محال عقلى ولم يخالف فى اثبات النسخ ووقوعه من أرباب الشرائع السابقة سوى اليهود ، ومن المسلمين سوى «أبو مسلم الاصفهانى» فقد حكى عنه أنه ينكر وقوع النسخ فى القرآن.
وقد احتج أبو مسلم على عدم وقوع النسخ فى القرآن بقوله تعالى: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ فلو نسخ بعد القرآن لتطرق اليه البطلان وذلك محال، اصول الفقه الإسلامى، أ.د. احمد محمود الشافعى، ص ٤٥٠.
والمخالف فى جواز النسخ ، لايخلو حاله إما أن يكون ممن يوافق على أن الله تعالى يفعل مايشاء ويحكم مايريد ، من غير نظر إلى حكمه وغرض وحينئذ فلاخفاء فى جواز النسخ بناء على هذا الأصل. مث لرمى الجمرات فمقصود الشرع فيه الابتلاء بالعمل ليظهر العبد رقه وعبوديته بفعل مالايعقل له معنى.
وان كان المخالف ممن يعتبر الحكمة والغرض فى أفعاله تعالى كان من اللازم عليه أن (=)

ولكى يفهم الجميع حقيقة النسخ ولكى تظهر الصورة برمتها اشير إلى الحقائق الآتية باختصار شديد:

(=) يقول بجواز النسخ أيضا ، لأن الشارع الحكيم إنما يشرع الأحكام لمصالح العباد بناء على هذا الأصل أيضا<؟

لأن الشرائع سياسات يدبر الله بها عباده ، والنسا مختلفون فى ذلك باختلاف الازمنة ، فلكل زمان نوع من التدبر وحظ من المصلحة يختص به ، ولكل امة مايصلحها وقد يكون ذلك مفسدة ف يحق غيرها.

ولهذا يجوز فى العقل أن تنسخ شريعة وتنشر شريعة اخرى ، كما أن الطبيب ينقل المريض من نوع من التدبير إلى ضده ومن خرب من الدواء الى خلافه وقد يكون الشئ مصلحة فى وقت ومفسدة فى وقت آخر ، كالرفق بالصبى قد يكون مصلحة فى وقت ومفسدة فى وقت آخر على حسب مايترا ءى للمربى من صملحة والحق بتارك وتعالى يأمرنا بالصيام فى نهار رمضان ، وينهى عنه فى يوم العيد. ولولا اختلاف المصالح باختلاف الازمنة لما كان ذلك، الاحكام للآمدى، جـ٣ ص ١١٦ ، اصول الفقه، أ.د. محمد محمد فرحات، ص ١٦٥.

وبهذا يبطل قول المانعين: إن ماطلبه الشارع الحكيم طلبه لحسنه ، فلو نهى عنه لأدى إلى أن ينقلب الحسن قبيحا وهو محال ، لأن الاحالة انما تكون فيما لو اجتمع الامر والنهى على فعل واحد فى زمنواحد والنسخ ليس كذلك ، اصول الفقه الاسلامى، أ.د. محمود مصطفى شلبى، مكتبة النصر، الطبعة الخامسة، ص ٥٥٠.

فالنسخ مشروع مرعاة لمصالح الناس فى وقت الرسالة ، لأنهم كانوا فى جاهلية تعمها الفوضى التى لاحدود لها ، فاقتضت حكمة الشارع الحكيم الا ينقلهم دفعة واحدة إلى مايستقر عليه التشريع آخر الأمر ، بل سلك بهم طريق التدرج فى التشريع بأن ينقلهم من حالة إلى حالة إلى أن تهيأ نفوسهم إلى تقبل حكمه النهائى فيأتى ذلك الحكم.

وفى هذا التدرج قد لاتكون الاحكام المتدرجة متعارضة ، بل تكون أحكاما يسلم فيها الحكم السابق إلى مابعده ، أو يكون خطوة تتبعها أخرى إلى أن يصل الى الغاية فتكون الاحكام السابقة تمهيدا للحكم الأخير ، كما فى تشريع الصلاة وتحريم الخمر وقد تكون الاحكام المتدرجة متعارضة كما فى النسخ ، فيشرع الحكم الملائم لحالهم أول الأمر ، فاذا الفوا الخروج على ماتعودوه جاء حكم آخر ولذلك نجد النسخ قد يكون من الأخف إلى الاشد كما فى عقوبة الزنى وزيارة القبور.

وقد يكون الحكم الأول لاستمالة القلوب إلى هذا الدين الجديد كما فى مسألة القبلة.

وقد احتج على اليهود بحجج كثيرة منا: ماورد فى التوراة: ان الله تعالى أمر آدم عليه السلام أن يزوج بناته من بنيه ، ثم حرم ذلك فى شريعة من بعده وما ورد فيها من ان الله تعالى أمر ابراهيم بذبح ابنه ثم قال لاتذبح.

وأما مايدل على جواز النسخ شرعا فقوله تعالى: ﴿مانسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ، الا تعلم ان الله على كل شئ قدير﴾ سورة البقرة الآية: ١٠٦. فهذه الآية تدل على جواز النسخ على الله تعالى شرعا ، لانها كلام الله تعالى وكلام صدق وبذلك يندفع اعتراض اى مسلم ونحوه ممن خالفهن فى جواز النسخ من المسلمين.

ولانه ثبت أن محمدا رسول الله- ﷺ- ايده ربه بالمعجزات الباهرة الدالة على صدقه ومنها(=)

أ- أن النسخ يقع فى الفروع والجزئيات لافى الاصول والكليات وعليه فلا يجوز الإلغاء لمبدأ كلى جوهرى فى الدين مثل التوحيد ووحدانية الله ، والايمان بكل الاديان السماوية والرسل جميعا ، وحرية العقيدة ، وحماية الدين والنفس والعقل والمال والعرض.

ب- أن الالغاء «النسخ» استثناء فى الاسلام ، وليس أصلا فى الفروع والجزئيات لسبب بسيط وهوأنه لو كان أصلا يعمل به لأدى ذلك إلى هدم الدين ، وتعطيل الشرائع ، وتقويض النصوص ، والتشكيك فى المنظوقة التشريعية كلها ، كما يقصد كاتب الدراسة بزعمه أن اكثرية الآيات والسور فى القرآن ملغية.

جـ- أن الآيات الملغية فى القرآن هى آيات قليلة تعد على أصابع اليد الواحدة مثل نسخ الصلاة تجاه بيت المقدس[1].

(=) معجزة القرآن الباقى والخالدة ، وثبت صدقه فيما يدعيه ويبلغه من الوحى ، فقد ادعى محمد - ﷺ- أنهذه الآية من كلام الله تعالى ، وهو صادق فيما يدعيه فتكون الآية حجة على جواز النسخ شرعاويندفع بذلك اعتراض اليهود من كان على شاكلتهم من ارباب الشرائع الذين لايقولون بجواز النسخ.

هذا وقد اجمع الصحابة والسلف على أن شريعة محمد - ﷺ- ناسخة لجميع الشرائع السابقة.

اصول الفقه، أ.د. محمد محمد فرحات، ص ١٦٥.

(١) لما هاجر ارسول - ﷺ- إلى المدينة لم يشأ الله أن يفجأ أهل الكتاب من اليهود بخلاف ماعهدوه عن انبيائهم من الصلاة إلى بيت المقدس فأمر رسوله بالصلاة إلى بيت المقدس ليستميل قلوبهم ، وليبين لهم أن وجهة الرسل كلها واحدة ، وأنه ليس مخالفا لهم حتى تتهيأ نفوسهم لقبول ماجاء به إذا ماتحولت القبلة إلى الكعبة التى هى أول بيت وضع للناس ، وليظهر ما فى علم الله مما تكنه نفوسهم ، وفى هذا يقول جل شأنه ﴿وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لتعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم إن الله بالناس لرؤف رحيم. قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾، سورة البقرة الآيع ١٤٣ ، ١٤٤.

فالمعنى أن أصل أمرك ان تستقبل الكعبة وأن استقبالك بيت المقدس كان أمرا عارضا لغرض لاستعماله قلوب اليهود.

ولكنهم كانوا يقولون انه يخالفنا ثم يتبع قبلتنا ولولا نحن لم يدر ان تستقبل فعند ذلك كره رسولنا الكريم ان يتوجه إلى قبلتهم فجعل رسول الله - ﷺ- يديم النظر إلى السماء. (=)

وحبس الزانية فى البيت[١] وتقديم صدقة عند مناجاة الرسول[٢].

وقد تم استبدالها بأحكام أخرى فى القرآن بالصلاة تجاه الكعبة ، وعقوبة الجلد على الزانية والاعفاء من تقديم صدقة عند مناجاة الرسول.

وهذه هى المواضع التى اتفق العلماء على وقوع النسخ فيها.

فأين هذا من اطلاق كاتب هذه الدراسة لدعوى النسخ.

لقد كان حريا به أن يراجع أقوال العلماء فى الإلغاء «النسخ» قبل أن يعمم القول ، ويدعى بغير سند ، ويتجنى على أصول المنهج العلمى الذى يؤسس القضية على البرهان.

د- أن الإلغاء أو النسخ فى الاسلام يكون بقصد التخفيف على المخاطبين[١] بالأحكام الشرعية أو تحقيقا لمصلحة دينية أو اجتماعية عامة مع الأخذ فى الاعتبار كل الأحوال والازمنة والأشخاص ، فهو منضبط بالضوابط الشرعية وبمقاصد الاسلام وأهدافه العليا فى الحياة[٣].

(=) رجاء مجئ جبريل بما يسأل فانزل الله تعالى هذه الآية التى نسخت حكم الاتجاه إلى بيت المقدس ، وحل محله حكم الاتجاه إلى المسجد الحرام، اصول الفقه الاسلامى، أ.د. محمد مصطفى شلبى، ص ٥٥٢.

(١) وهذا نسخ من الأضعف إلى الأشد ، فقد كانت عقوبة الزنى أولا الإيذاء بالقول للرجال ، والحبس فى البيوت للنساء ، ثم نسخ ذلك إلى الجلد لغير المحض والرجم للمحض.

(٢) فقد أوجب الله الصدقة بقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة ذلك خير لكم واطهر﴾.
ونسخ هذا الوجوب بما جاء بعد ذلك من قوله تعالى: ﴿فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم ، اشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فاذا لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون﴾، سورة المجادلة الآية: ١٢ ، ١٣، أصول الفقه الإسلامى، أ.د. احمد محمود الشافعى، ص ٤٥١.

(٣) من يتتبع أحكام الشريعة الإسلامية والنصوص التى استنبطت منها فسوف نجد لامحالة أن هذه الأحكام قد روعى فيها التخفيف والتيسير على العباد ، وأن مظاهر رفع الحرج واضحة جلية فى ابتدائها ودوامها. وأنه فى كثير من الحالات يتضمن النص حكمين. أحدهما: للحالة العادية وثانيهما: لظرف طارئ يقتضى التخفيف من الحكم الأول لما يترتب على تطبيقه(=)

هـ- أن مفهوم الالغاء «النسخ» الواقع فى المنظومة الاسلامية القرآن والسنة والاجماع يشتمل على ابدال حكم مكان حكم[١] ابتغاء تحقيق مقصد دينى أو اجتماعى أو تخصيص حكم جاء عاما[٢] أو تقييد حكم ورد مطلقا[٣]، أو تفصيل ماذكر مجملا[٤] إلى غير ذلك. من الاغراض التشريعية فى البيان والتفسير ، التى تجعل النصوص التشريعية جلية فى مبناها ومعناها ليسهل على المخاطبين الالتزام بها والعمل بمقتضاها.

(=) من حرج شديد أو مشقة بالغة قد تصل إلى الهلاك ، ولايعقل أن يشرع الحكيم سبحانه أحكاما جاء أول الأمر للمحافظة على أمور ضرورية منا: النفس ، ثم يهدد هذه النفوس من غير جناية من أصحابها.
فقد أوجب الله الصلاة على المكلف في اليوم خمس مرات وأوجب عليه أن يؤديها من قيام ، وهذا تكليف يسير لاحرج فيه. ومع ذلك فقد رخص له أن يؤديها من قعود ، أو كما قدر اذا لم يستطع القيام ، وكذلك الصيام فرضه اللهشهرا فى السنة ، فالمشقة فيه لاتصل إلى درجة العسر والحرج ومع هذا فقد أباح له الفطر فى حالات تعظم فيها المشقة ، فأباح الفطر للمسافر والمريض والحامل والمرضع ، وقد حرم الله الميتة ولكن أباحها عند المخمصة.
وشرع التيمم عند فقد الماء والقصر فى السفر وشرع الكفارات لتمحو آثار الذنوب ،إلى غير ذلك مما يدل على أن مبدأ اليسر ودفع الحرج والمشقة فى الأحكام الشرعية أصل من اصول التشريع الاسلامى سواء أكان الحكم منصوصا عليه صراحة فى الشريعة ام مستنبطا بواسطة الفقهاء والمجتهدين ونطاق السماحة والتيسير فى شريعة الاسلام «لايقتصر على شؤون العبادات ، وانما يتسع لكل أحكام الشريعة من معاملات مدنية وتصرفات شخصية وعقوبات جزائية وتشريعات قضائية ونحوها.
مظاهر التيسير فى التشريع الاسلامى، قسم العبادات، لاستاذنا الدكتور/ عبد العزيز محمد عزام، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص ٢١ ، ١٣ ، وقد اشار سيادته إلى نظرية الضرورة الشرعية للدكتور/ وهبة الزحيلى، ص ٣٥، مكتبة الفارابى - دمشق - سوريا.

(١) كنسخ استقبال بيت المقدس باستقبال الكعبة المشرفة.

(٢) مثل قوله - ﷺ- «لاتنكح المرأة على عمتها ولاعلى خالتها» صحيح مسلم، جـ٢ ص ١٠٢٩، فقد خصص العموم الوارد فى قوله تعالى ﴿وأحل لكم ما وراء ذلكم﴾ سورة النساء الآية: ٢٤.

(٣) مثل السنة المثبتة قطعه - ﷺ- ليد السارق اليمنى فقد قيدت الاطلاق الوارد فى لفظ اليد فى قوله تعالى: ﴿السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما﴾ سورة المائدة الآية ٢٨.

(٤) كالاحاديث الواردة فى بيان الأموال التى لاتجب فيها الزكاة والمقدار الواجب اخراجه والاحاديث التى بينت مواقيت الصلاة واعداد ركعاتها فهذه الاحاديث تعتبر مفصلة للاجمال الموجود فى قوله تعالى: ﴿اقيموا الصلاة واتوا الزكاة﴾.

وعلى الرغم من كل ذلك لم يفطن كاتب الدراسة إلى المفهوم الحقيقى للإلغاء «النسخ» ولم يحرر مصطلحة ، وهوأمر فى غاية الأهمية لدى المشتغلين بالدراسات الشرعية والقانونية ، فان الواجب الاساسى لمن يتصدى لمثل هذه القضايا أن يقوم بتحديد المفاهيم على وجه دقيق.

وبناء عليه فان ما ساقته الصحيفة من مزاعم صكت بها مسامع القارئ الغربى من أن جزء هاما من آيات القرآن قد الغيت بآيات أخرى وأن المعاصرين لمحمد - ﷺ- كانوا أيضا مدهوشين بهذه الهندسة المتغيرة .. وهو تحريف للالغاء «النسخ» شكلا ومضمونا وافتيات على الحقيقة القرآنية والواقع التاريخى ، لأن القرآن كتاب مقدس أحكمت آياته ، وجاء خلو من التعارض والتناقض ومتكامل فى هندسته من حيث النظم والمعنى ، ويتجلى ذلك فى تحدى القرآن للكافرين فى أن يأتوا بآية مثل آياته وعجزهم الذريع والمتكرر فى محاكاته.

وتسليمهم بهذا الاخفاق والعجز ، واشادة اقطابهم - الوليد بن المغيرة - بايات القرآن وهم أرباب الفصاحة وأساطين البلاغة.

ثم نتساءل مع الكاتب هلى تفرز الهندسة المتغيرة ، كل هذه الحقائق الايمانية والاجتماعية والعلمية التى عضدتها وشهدت بها المعارف الحديثة ، وهل تقارن كم المعارف الصحيحة فى شتى المجالات التى جاء بها القرآن مع ماورد من معارف فى التوراة والانجيل وماحصيلة هذه المقارنة؟ نرجو أن يدلنا الكاتب على نتيجة هذه المقارنة.

وبخصوص ماورد فى هذه الصحيفة بشأن آية قتال أهل الكتاب فان هذه الآية وهى قوله تعالى: ﴿قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولايحرمون ماحرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾[1].

فانها تتحدث عن نوع معين من أهل الكتاب هم الذين تورطوا فى صفات

(١) سورة التوبة الآية: ٢٩.

تتناقض مع الإسلام وغيره من الأديان وهى عدم الايمان بالله واليوم الآخر وعدم تحريم ماحرم الله ولايدينون دين الحق لأن حقائق الاديان الثلاثة تنبع من مصدر واحد وتهدف إلى غاية واحدة هى عبادة الله الواحد وارساء العدالة.

فالمقصود هو ذلك النوع من أهل الكتاب وليس كل أهل الكتاب بدليل أن الآية تقول ﴿من الذين أتوا الكتاب﴾ فهى تدل على البعض لا الكل ، يعيشون داخل دولة الاسلام ويعايشون المسلمين ، وتبين مدى الضرر والخلل الذى يمكن ان يلحق بالمسلمين ، مع تقويض بنيان الاسلام والأديان فى دولة تتأسس هويتها على الايمان بالله الواحد والاديان السماوية جميعا والرسل بلا تفرقة بينهم والملائكة واليوم الآخر ، وتحل الحلال وتحرم الحرام وهو الأمر الذى من شأنه أن يقوض الاساس العقائدى فى اليهودية والمسيحية والاسلام ولو التزم هؤلاء بتعاليم اليهودية والمسيحية بحقائقها الدينية الحقة لالتزموا بالاسلام ولم يخرجوا على شعائره ونظامه.

اذا علم ذلك ، صح القول بأن العلة فى قتال هؤلاء النفر من أهل الكتاب ، هو وقوعهم فى هذه المعاصى وانتهاكهم لمقررات الاديان وليس لعلة كونهم من أهل الكتاب ، واعتناقهم دينا آخر غير الاسلام.

هذا بالاضافة إلى أن الدراسة وقعت فى خطأ جسيم ذلك أنها اعتمدت الخطاب الغربى الشائع عن الجهاد أو الحرب المقدسة حسب زعمها -فى الإسلام والموروث التقليدى المعادى للإسلام فى الغرب وحاولت أن تلبس هذه الأخطاء مسوح الحقيقة فاختلقت فكرة الإلغاء «النسخ».

وفى هذا السياق فان الغاء الآيات الداعية إلى التسامح ليس له أساس من القرآن فآيات القرآن جميعا الداعية إلى الجهاد أو التسامح هى آيات محكمات يجب العمل بها فى موضوعها.

فالجهاد انما يكون ضد اعداء الاسلام الراغبين فى استئصاله والآيات الداعية إلى التسامح هى نصوص محكمة يجب العمل بها.

فكيف تختزل الدراسة الاسلام فى العنف وقتال المخالفين فى الدين وكيف تدعى أن الرسول - ﷺ- اعتمد على القتل المبرح لدعوته ، لقد كانت حروبه

دفاعاً عن دين الله فى مواجهة هؤلاء الذين طردوه من وطنه وحاربوه بكل الأسلحة العسكرية والاقتصادية والاجتماعية.

واذا انتقلنا من ذلك إلى تحرى علل فرض الجزية ، فان الجزية[١] انما تجب بديلا عن الحماية حيث إن الدولة الاسلامية ملزمة بالدفاع عنهم ضد أى اعتداء يقابل ذلك التزام المسلمين بدفع الزكاة فكل منهما واجب اجتماعى دينى لكى ينتظم كيان الدولة وتتوازن الواجبات بين رعاياها.

هذا التوضيح للنص الذى وصفته الدراسة بأنه الاكثر عنفا ضد أهل الكتاب يكشف عن أن هذا الإدعاء بعيد تماماً عن التفسير الصحيح للنصوص وعزل للنص عن سياقه والوحدة العضوية له.

وقد ذهب بعض الفقهاء إلى أن علة وجوب الجزية على أهل الكتاب ، هى حماية المسلمين لهم ودفاعهم عنهم ، وليس الخلاف فى العقيدة هو مايوجب على المسلمين أن يسقطوا عنهم الجزية اذا لم يقوموا بالدفاع عنهم ، وهو ماحدث بالفعل من أبى عبيدة بن الجراح عندما أمر قواد جيشه بأن يردوا لأهل الكتاب ما أخذ منهم من جزية عندما لم يستطع المسلمون أن يدافعوا عنهم ضد هجمة الروم بسبب الجموع الحاشدة التى عبئوها ضد الدولة الاسلامية بما فيها من المسلمين واهل الكتاب. وقد أدى هذا الموقف إلى القول بأن اهل الكتاب اذا اشتركوا مع الجيش المسلم فى قتال العدو سقطت عنهم الجزية ، بناء على القاعدة الفقهية «الاحكام تبنى على العلة وجودا وعدما ، فاذا وجدت العلة وجد الحكم ، واذا انتفت العلة انتفى الحكم»[٢].

إما ماقيل عن اجماع المشرعين على العنف فالاجماع اتفاق وليس توافق المجتهدين فى الأمة على حكم شرعى بعد عصر الرسول -ﷺ-.

---

(١) الجزية مشتقة من الجزاء ومعناها خراج الارض ، ومايؤخذ من اهل الذمة والجمع جزى وجزى، أو المال الذى يوضع على من دخل فى ذمة المسلمين وعهدهم من أهل الكتاب، ولاتجب إلا على الرجال الاصحاء الاقوياء، المعجم الوسيط، جـ١ ص ١٢٢ ، الاحكام السلطانية، للماوردى، ص ٣٦.

(٢) اصول الفقه الاسلامى، أ.د. محمد مصطفى شلبى - الطبعة الخامسة، ١٤١١هـ - ١٩٩١م ، مكتبة النصر ص ٢٤٣.

ومعلوم فى اصول الفقه أن الاجماع يجب أن يكون مؤسسا على نص القرآن أو السنة فلا يوجد اجماع بالمرة حول العنف المسلح بل هناك احترام للمواثيق والمعاهدات والاعتصام بالسلم ما وجد إلى ذلك سبيلا.

ان نصوص القرآن الكريم متضافرة تدعو للسلم وسلوك طرقه مثل قوله تعالى: ﴿ادخلوا فى السلم كافة﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم﴾[٣].

فمن اين استقى الكاتب هذا الاجماع وما هو مصدره[٤].

ثانيا: الرد على زعم الغرب بأن الاسلام دين دموى ودين ارهابى:

هناك حقيقة يلزم الجميع الاعتراف بها وهى أن تشويه صورة الاسلام فى اوربا ولدى العالم يرجع لسلوك بعض المسلمين وإلى الاعمال الارهابية التى ترتكب من بعضهم باسم الاسلام الذى هو برئ منها. لأن الدين الإسلامى دين التسامح والحب وهذه الأمور لابد من تغيير المفاهيم الخاطئة عنها فى اذهان الغرب وقتها سيتم تصحيح مسار المجتمعات الاسلامية والرجوع إلى الاسلام الذى يعصم الانسان المسلم مما يحدث فى الغرب من حوادث انتحار واكتئاب نتيجة الغياب الروحى وسيطرة المادة.

فالمسلم كما وصفه - ﷺ- «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم»[٥].

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٠٨.

(٢) سورة الانفال الآية: ٦١.

(٣) سورة التوبة الآية: ٧.

(٤) يراجع بالتفصيل
حرية الاعلام بين الالتزام والانفلات ، رؤية اسلامية لاستاذنا الدكتور/ محمد الشحات الجندى، بحث مقدم إلى المؤتمر الثانى لكلية الحقوق - جامعة حلوان ، ١٤ ، ١٩٩٩/٣/١٥من «الاعلام والقانون» المحور الثالث.

(٥) رواه الترمذى فى الجامع الصحيح، جـ٥ ث ١٧ - كتاب الايمان - باب ماجاء فى أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده حديث رقم ٢٦٢٧ دار الحديث.

فكيف إذن يسمون أنفسهم مسلمين ولم يسلم المسلمون لامن السنتهم ولا من أيديهم فقد أساءوا إلى سمعة هذا الدين فى الخارج حتى إن بعض المجتمعات الأوروبية والأجنبية اليوم تصف ديننا الحنيف الرحيم الذى تركزت رسالته فى الرحمة، بأنه «دين متشدد» «دين دموى» «دين إرهابى». دين لايصح أن يسود فى العالم ، وأصبحوا يصفون المسلمين وكأنهم قطاع طرق وكأنهم قتلة وكأنهم سفاحون ، ويقول بعضهم إنه بعد سقوط الشيوعية لم يعد أمامنا عدوا إلا الإسلام.

وهذا الكلام له مستنداته وله وقائعه، وقد حدث بالفعل، والسبب فى ذلك؟.

هو ممارسات بعض الذين اخطأوا وبعض الذين غسلت عقولهم بأفكار ملوثة وخاطئة وصور لهم الاسلام على غير صورته الحقيقية.

كلنا غيرى على هذا الدين ، وكلنا حب فى أن تسود تعاليمه البشرية جميعا ، لكن بأى صورة تسود هذه التعاليم، هل تسود بالعنف ، هل تسود بالاكراه ﴿لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى﴾[1] هل تسور بالعصبية ﴿لكم دينكم ولى دين﴾[2] هل تسود بالجبروت ﴿وما انت عليهم بجبار﴾[3].

انه لمن الجدل غير المنطقى ان يثار النقاش حول ثوابت الاسلام بعد أن استقرت احكامه «عقيدة وعبادات وسلوكا» فى واقع الامة الاسلامية وفكرها ووجدانها على مدى خمسة عشر قرنا وستظل كذلك طالما بقى هذا الدين الخالد بقرآنه الكريم.

وهو أعلى الثوابت وقد تحققت قراءته الواعية منذ اللحظة الأولى لنزوله على الرسول الهادى صلوات الله وسلامه عليه ، ولم يكن ذلك مجرد تلاوة لمقطوعات أدبية بل أصبح تطبيقا فى كل جوانب الحياة حتى صارنبينا عليه الصلاة والسلام «قرآنا يمشى على الأرض».

وتمثلت تلك القرأة الواعية فى الشريعة الاسلامية فى التزام الصحابة بها

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٥٦.

(٢) سورة الكافرون الآية: ٦.

(٣) سورة ق الآية: ٤٥.

امتثالا لقول وفعل خاتم الرسل سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، وسار كذلك التابعون ومن جاء بعدهم من أئمة المسلمين وعلى ذلك اجمعت الأمة.

إن تعاليم الاسلام ونصوص القرآن الكريم تقول إن المنهج الربانى الذى خاطب الله تعالى به أفضل من مشى على الأرض أمره أن يدعو إلى ربه وإلى سبيل ربه بالكلمة والحكمة التى يفطن لها أولو الالباب ، وأن يدعو عامة الناس بالموعظة الحسنة لا المتشددة وأن يعارض الذين يخالفونه بالتى هى أحسن. ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن﴾(١).

إننا يلزمنا الدعوة بالحسنى إلى استكمال تطبيق شرع الله فى شتى مناحى الحياة بالكلمة الطيبة والفكرة المتكاملة والعبارة الهادئة المهذبة ولاسبيل إلى ذلك الا من خلال دور هام للأزهر لإعلام الناس بحقائق الأشياء حتى لايفتى الا العالم ، ولايتكلم إلا الفاهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في فتاوه: «إن كثير من نزاع الناس سببه الفاظ مجملة ومعان متشابهة. حتى نجد الرجلين يتخاصمان ويتعاديان على اطلاق الفاظ ونفيها ولو سئل كل منهما عن معنى ماقاله لم يتصوره فضلاعن أن يعرف دليله»(٢).

ومن هنا كانت دعوة الإسلام إلى الاستقامة ونهيه عن الغلط وتحذيره من تعدى الحدود.

إن وسطية الاسلام ليست بدعة أحد وانما هى جعل الله قال تعالى: ﴿جعلناكم أمة وسطا﴾(٣).

وتتمثل روعة وسطية الإسلام فى حض الإسلام على عدم التشدد قال -ﷺ-: «لاتشددوا على انفسكم فيشدد الله عليكم».

---

(١) سورة النحل الآية: ١٢٥.

(٢) فتاوى ابن تيمية، جـ١٢، ص ١١٤.

(٣) سورة البقرة الآية: ١٤٣.

لم يكن السلف فى يوم من الأيام متطرفين أو مغالين ، كما لم يكونوا متشددين.

لقد أوصى عمر بن عبد العزيز عاملا من عماله فقال له بعد أن اوصاه بلزوم طريق من سلف: «مادونهم من مقصر ، ومافوقهم من محسر ، لقد قصر دونهم أقوام فجفوا وطمع عنهم قوم آخرون فغلوا وانهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم»(١).

إن مصطلح «الارهاب الاسلامى» سيدخل الولايات المتحدة فى حرب باردة ضد العالم الإسلامى خاصة اذا استمرت فى سياستها الحالية تجاه قضايا الشرق الأوسط.

إن الغرب يستغل أية حادثة إرهابية فردية لوصف الاسلام بالارهاب ، وهذا يعود إلى تحكم اليهود فى الاعلام الغربى واعتبر أن العالم الإسلامى ينظر بالمقابل إلى الغرب باعتباره الشيطان الأكبر.

الاسلام يدعو إلى الرحمة:

الدين الاسلامى يتلخص فى كلمة واحدة هى «الرحمة» قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾.

معنى هذا أن كل ماتنزل به الوحى على قلب الرسول - ﷺ- وما احتوته الرسالة الخاتمة كله يتركز فى الرحمة ، لأن الرحمة جوهر هذه الرسالة.

فاذا نظرت مثلا إلى العدل ، إلى العبادة ، إلى الاخلاق ، إلى المعاملات حتى الجهاد الذى هو حرب وقتال واستشهاد وقتل ، حتى الحدود والعقوبات نراها كلها تستهدف الرحمة فكيف يتسنى لدين جوهر رسالته الرحمة أن يتبنى فكرة بعض تيارات تحمل نزعة العدوانية ، أو إهدار لدم الإنسان أو ازهاقا للروح.

حتى الجهاد شرع فى الإسلام من أجل الرحمة بالضعفاء والنساء والأرض والعرض ، والحدود شرعت من أجل درء الخطر عن حق الانسان فى حياته فكان

(١) رواة ابو داود تحت رقم ٤٦١٢.

القصاص ، وعن حق الانسان فى ماله فكان قطع يد السارق ، وعن حق الانسان فى عرضه ، فكان حد القذف.

دين يدعو إلى الرحمة ويصون اتباعه على هذا النحو لايمكن بحال من الأحوال أن تقلب الحقائق فيه ، وأن يقال بدعوى زائفة -إن جماعة أو تيارا يريد أن يحقق شرع الله أو يغار على دين الله أن يلبس مسوح الدعوة إلى الاسلام ، هذا خطأ وقلب للحقائق ، اذ لو كان أصحاب هذا التيار جادين ومخلصين لطبقوا جوهر هذه الرسالة التى بعض بها خاتم المرسلين - ﷺ- وهى أن يتراحموا ».

«مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى»(١).

أما أن تنقسم الأمة إلى فئات أو آن يتفرق الجمع إلى شيع وأحزاب وجماعات كل يعادى الآخر ، فهذا مايتنافى مبدئيا مع الإسلام.

إن الإسلام سلام مع الله ، وسلام مع النفس ، وسلام مع المجتمع.

أماالسلام مع الله: فهو عبادته ، والاخلاص له ، والخضوع لأوامره ، واجتناب نواهيه ، وذلك منتهى التقرب إلى الله.

والاديان فى جملتها تتوافق فى الدعوة إلى ذلك ولكل دين عبادته.

أما السلام مع النفس: فتلك مشكلة الانسان لأن الانسان مادة وروح.

أما الروح فهى الدين ، والدين الذى جعله الله قوام النفس والروح حتى تستقيم على أمر الله وتصطلح مع الله ، وتصطلح مع النفس.

هذا السلام مع النفس من أسسه اصلاح الحال. أصلاح الحال لذات الفرد الانسانى والمجتمع فى مجمله ، واسلام العبد أن يكون مسالما مع نفسه أمر مهم جدا وصلاحه لذاته ، ولصالح المجتمع أيضا. فان المجتمع مبنى من أسر والأسرة هى النواة . فالنوع الانسانى يعود إلى نشأته هذا النوع الانسانى الذى هو جنس عام وجنس خاص ، لكن الله قد اختصه بذات وأضاف اليه العقل الذى يسوس به نفسه

---

(١) الجامع الصغير، جـ٢ ص ١٥٥ ، صحيح مسلم، كتاب البر/- باب تراحم المؤمنين.

ويسوس به الناس.

كل ذلك يساس بحكمة العقل ، الحكمة التى تقود الفرد الإنسانى إلى السلام ، فيكون الإنسان مسالما مع نفسه ومع الانسان على حد سواء.

أما السلام مع المجتمع فقد شرحته الأديان الأولى ، وافاض فيه الإسلام فى آياته العديدة من البر بالوالدين وهما أساس الأسرة والأقارب والجيران والفقراء والمساكين إلى آخره لقوله تعالى: **﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا﴾**.

كل هذا السلام مع الله ، والسلام مع النفس والسلام مع الناس اذا تكاملت وتتابعت وتوافقت عم السلام الانسانية كلها ، الإنسانية التي عرفها الله: أنها بدأت بآدم وحواء حين تتابعت الأسر ، وامتلأت الأرض ، وتزاحم الناس منه على الانسانية وعلي الشعوب ، لأنه لوتوافقت كشعوب انسانية فمن المسئول. أن يكون السلام علي هذا الوتر[١]؟.

إن المجتمع المصرى ليس مجتمعا كافرا يجب اعتزاله وعدم تطبيق جانب من شرع الله لايعنى نفى اسلامه.

إن الاسلام فى جوهره لايقر العنف فى أى مظهر من مظاهره ولم يكن التشدد والغلو يوما طابعا أو طبعا من طباعه أو طباع أصحابه.

يقول ابن القيم: «ما أمر الله بأمر الا وللشيطان فيه نزعتان ، إما إلى تفريط وإضاعة وإما إلى إفراد وغلو ودين الله وسط بين الجافى عنه والغالى فيه كالوادى بين جبلين ، والهدى بين ضلالتين والوسط بين طرفين ذميمتين ، فكما أن الجافى عن الأمر مضيع له فالغالى فيه مضيع له هذا بتقصيره عن الحد وهذا بتجاوزه عن الحد»[٢].

---

(١) من حديث لفضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق فى مجلة منبر الإسلام، العدد ٦ جمادى الآخرة ١٤١٦هـ، ص ٣٨.

(١) مدارج السالكين، جـ٢ ص ٤٩٦.

إن العنف والتطرف يتنافى مع وسطية الاسلام ويحتاج الأمر إلى ضرورة بيان مافى التطرف من جهل بالكتاب وجهل بالسنة وجهل بمقاصد الشريعة وجهل بالسنة الكونية وجهل بالواقع وظروفه وملابساته وجهل بمراتب الناس وبمراتب الأعمال فضلا عن الجهل بحقائق المنهج ومصلحة الاسلام ذاته.

لقد تعدى الرافضة الحدود ، فقالوا بتكفير العصاة أصحاب الكبائر(١).

وقالوا بالانفصال الكامل عن المجتمع. وقالوا بتكفير المقيم غير المهاجر ، وقالوا إن ديار المسلمين ديار كفر تستباح فيها الدماء وقالوا بالانفصال عن المجتمع أو مايعرف بالمفاصلة الشعورية.

إن فكر الخوارج كان ولايزال أحد الينابيع التى يستمد منها كثير من اراء هؤلاء المتطرفين الجدد من الشباب(٢).

إن الكارثة الكبرى التى تواجه المسلمين الآن تتمثل فيما يحيط بنا ويشغلنا أحيانا من فكر متعصب متطرف أو سلوك منحرف منعطف عن الجادة لايقتصر على مايذكر من تلك الآثار المدمرة التى قد تصيب الأمن ، أو تصيب الاقتصاد القومى فى صميمه.

وتكمن الكارثة الحقيقية فى أن ذلك كله يشغل الأمة ، ويصرف الامة كلها عن مواجهة التحديات الحقيقية التى تواجهها.

فليس الإثم والضرر فيما يؤدى إليه ولكن الضرر الأكبر فيما يشغلنا عن التوجه إليه.

---

(١) الملل والنحل، جـ١ ص ١١٥.

(٢) حوار لا مواجهة، أ.د. احمد كمال ابو الخير، ص ٦٧.

وقد حاول الاستاذ الدكتور/ حامد طاهر رصد مخاطر ظاهرة التطرف الديني علي الأمن القومى فقال:

بناء على ماتشتمل عليه ظاهرة التطرف الدينى من التعصب الأعمى لمعتقداتها الخاصة ، وماتستتبعه من أحداث تتصف بالعنف والإرهاب ، وماتهدف إليه من قلب لأنظمة الحكم الحالية لإقامة نظامها الخاص بها ، فان مخاطرها لاتقتصر فقط على منطقة محلية محصورة ولاعلى فترة زمنية محددة ، وإنما تمتد آثارها إلى خارج حدود مصر ، ومن الممكن أن تستمر لعشرات من السنين القادمة.

وفيما يلى محاولة لرصد أهم المخاطر ، التى تنذر بها ظاهرة التطرف:

١- إيقاف مشروعات الحداثة التى بدأتها مصر ودول المنطقة العربية المحيطة بها ، منذ قرنين ، فى مجالات الإدارة ، والتصنيع ، والتعليم ، والصحة ، والدفاع ... الخ.

٢- تعميق محيط الفجوة بين الغرب والدول العربية «والإسلامية» بما يؤدى إلى قطع معوناتها المادية والفنية اللازمة لعمليات البناء والصيانة الضرورية لهذه الدول ، وذلك بسبب طرح مقولات متعصبة تعيدإحياء جذور العداء التقليدى الذى كان موجودا لفترة طويلة بين الغرب والمسلمين.

٣- تحريض الشباب وإقناعه بعدم المشاركة الفعالة فى عمليات البناء والتنمية والدفاع باعتبارها تابعة كلها لنظام يصفونه بالكفر ، وبالتالى من الواجب عدم التعاون معه ، بل العمل على الإطاحة به.

٤- القضاء على دور المرأة الايجابى فى نهضة المجتمع الحديث ، وهو الدور الذى حاربت ، وحارب المجتمع معها ، لكى تقوم به ، وتحصل على ثمراته وذلك بعد عهد طويل جدا من إهمالها ، وقصر نشاطها على مجال ضيق للغاية.

٥- انتهاج سبيل العمل الإرهابى الخاطف والمفاجئ الذى يستهدف كبار المسئولين فى الدولة ، ويتعرض له العديد من أبناء الشعب الأبرياء ، ويحدث الكثير من ضروب التدمير والفوضى فى سير النظام العام.

٦- استقطاب العمل السرى الذى تمارسه الجماعات المتطرفة لقطاع مهم من المجتمع ، وحرمان النشاط العام من جهودهم وعطائهم الذى يتبدد فى محاولة تحقيق أهداف متعارضة تماما مع أهداف وتطلعات المجتمع المعاصر.

٧- احتمال تسرب الفكر الدينى المتطرف إلى القوات المسلحة والشرطة: أمر وارد ، وهو فى ظل الظروف الاجتماعية والادارية والاقتصادية القائمة حاليا ليس مستحيلا.

٨- فى مصر بالذات ، توجد أقلية مسيحية «كبيرة» تسوؤها كل مظاهر التطرف الدينى لدى الجماعات الاسلامية ، وتشعرها بعدم الأمان على حياتها ومستقبلها ، مما يؤدى إلى إرعاب جزء هام من أجزاء الأمة ، وعزله بالتالى عن المشاركة الحقيقية فى تحقيق الآمال القومية.

٩- زيادة حدة التطرف الدينى لدى المسلمين يحدث رد فعل مضادا لدى جماعات التطرف الدينى لدى المسيحيين «وقد سبق أن شاهدنا حرب الملصقات والمجسمات فى السيارات بين المسلمين والاقباط ، التى لم تتوقف إلا بقرار حاسم من الحكومة».

١٠- يتطلب العصر الحديث اجتهادات عقلية واسعة المدى من العقل البشرى لمواجهة مايعترضه من مشكلات مفاجئة ، وأزمات طارئة. والمتطرفون الدينيون يتمسكون بنصوص قديمة لعلماء سابقين ، كما أنهم يفهمون من القرآن والسنة فهما ضيقا وخاصا بهم وحدهم ، وهم فى ذلك أقرب إلى الاتباع والتقليد اللذين يتعارضان أساسا مع الاجتهاد والابداع.

١١- يتطلب التعامل مع ظاهرة التطرف الدينى ومانشأ عنه من إرهاب جهدا كبيرا جدا من الحكومة. ولاشك أن هذا الجهد يؤثر سلبيا على باقى مجهوداتها الأخرى فى مجالات التنمية والاصلاح.

١٢- تعرقل ظاهرة التطرف الدينى ومانشأ عنها من أعمال عنف وارهاب مسيرة الاصلاح الاقتصادى ، بل إنها تعمل على تقويض أعمدة الاقتصاد الأساسية

فى المجتمع «وصف البنوك بأنها ربوية وبالتالى عدم التعامل معها إبداعا وقرضا».

١٣- زعزعة استقرار النظامين: التعليمى والتربوى فى البلاد ، وذلك بتوجيه الاتباع لتعلم أشياء معينة ، تدور كلها حول تقويض نظام الحكم الحالى وإقامة المجتمع المنشود لديهم ، مع جعل أمير الجماعة هو مصدر التعليم والتربية بدلا من المدرس فى المدرسة ، والأستاذ فى الجامعة.

١٤- تنشئة أفراد الجماعات المتطرفة على الطاعة المطلقة ، والتعصب المغلق يجعل منهم قنابل موقوتة يمكن توجيهها لأى هدف وفى أى وقت دون حساب للخسائر المادية والأرواح ، مما يجعل المجتمع يعيش فترة خوف وقلق دائمين ، ولاشك فى أن هذا يؤثر على الاستقرار ، ومشروعات التنمية.

١٥- تزويد اتباع الجماعات الدينية بالاشاعات التى تحدث البلبلة بين طبقات الشعب وخاصة فى لحظات الأزمات «كما حدث أثناء الزالزال عندما أشيع أن سببه الحقيقى زيادة الفساد فى الطبقة الحاكمة» وتحريض التلاميذ والطلاب على رفض بعض مسلمات نظام التعليم «رفض تحية العلم باعتباره توجيها لغير الله ، وعدم القيام للمدرس احتراما على أساس إن الصحابة لم يكونوا يقومون للرسول - ﷺ- ومع أن تحية العلم المقصود بها تنشيط همم الطلاب فى الصباح ، والقيام للمدرس ليس إلا نوعا من تركيز الاهتمام أستعدادا لتلقى الدروس[1].

(١) ظاهرة التطرف الدينى التشخيص والحل، أ.د. حامد طاهر ص ٧.

الفـــرع الثانى

الرد على الصورة الذهنية السلبية
للإسلام والمسلمين فى المؤتمرات الغربية

إننا اليوم أمام هجمة لاسابقة لها فى التاريخ تتمثل فى عقد مؤتمرات غربية لمهاجمة احكام الاسلام والمسلمين وأن المصيبة الكبرى للعالم الإسلامى -حاليا- هى تفتنه واستنزاف طاقاته فى عداوات مختلفة ، وأن القضية الحقيقية ليست مجرد البترول أو مايسمى بمصادر الطاقة ، بغض الطرف عن «قرب نفاذ مخزونها أو موارده خلال عقد أو أثنين وبغض الطرف عن أنه يشكل شريان الحياة الصناعية بالنسبة للغرب ، إلى جانب بقية الموارد الطبيعية التي ينهبها من العالم الإسلامى وانما القضية المطروحة -حاليا- هى إبادة أمة الإسلام.

فبما أنه قد تمت السيطرة علي منابع البترول باقامة القواعد العسكرية بدءا بغرس الكيان الصهيونى فى فلسطين المحتلة ، وضرب القوى العسكرية الإسلامية فى المنطقة وجارى ضرب بقيتها تباعا ، وبما أنه يتم تغريب معظم البلدان الإسلامية لاقتلاع هويتها بمحاولات فرض العلمانية والحداثة والعصرية على مجتمعاتها وكل هذا يتم واعلامنا الاسلامى غير يقظ لما يحدث ولم يبق امام الغرب بعد أن اجهز على أخلاقيات العالم الإسلامى وكرامته إلا أن يضرب عموده الفقرى ، أو دعامته الأخيرة الباقية وهى القرآن الكريم». وهوالمطلب الذى حام حوله العديد من خبراء التنصير فى مؤتمر كولورادو عام ١٩٨٧م الذى يعد اكبر مؤتمر من نوعه أذ حضره مائة وخمسون باحثا متخصصا فى اصول التبشير ، وقد تم تقديم اربعين بحثا يتعرض كل بحث منها لنقطة من النقاط التى يمكن اختراق الاسلام منها وتبصير المسلمين كالثقافة والاعلام والصحة والمرأة.

وهنا لابد من وقفة ، فمسيحيوا العالم العربى يمثلون جزءا لايتجزأ من نسيجه ، غير أن مجريات الأحداث السياسية ومايتم -حاليا- من محاصرة وابادة للمسليمن ، وما يواكبها من مخططات ، يكاد يجرف بمسيحى الشرق ، بعامة ، وبأقباط مصر بخاصة إلى التواطؤ مع الغرب وخيانة الوطن ... فهل ذلك هو

مانريده؟!.

ان ما قام به بعض الاخوة من مسيحى المهجر -من دعوة صريحة للاستعمار- بادعاء الشكاوى ومناشدة الغرب التدخل لانقاذهم ، مازال يتكرر على الرغم من استنكار قداسة البابا شنودة. فها هو الأب ديوسكورس يعلن تأكيده على «اقتراب عودة المسيح». إلاأن مانشرته مجلة «فيجارو مجازين» على ست صفحات فى١٥ مايو سنة ١٩٩٣ بعنوان «محنة الأقباط فى مصر» ، ومنها صفحة بأكملها لوجه البابا شنودة رافعا بيده اليسرى الصليب والصولجان معا ، يضفى على الموضوع معانى مختلفة تماما.

وسواء تتم هذه الموضوعات بمبادرة فعلية من الأخوة المسيحيين -استجابة لدعوة الغرب- أو أنها إحراج لهم للزج بهم فى حلبة الصراع ، فانه يتعين عليهم اتخاذ موقف شديد الوضوح- بين التواطؤ من الغرب ، أو الدفاع عن الوطن ووحدته ... فاذا ماربطنا كل ما يدور بالأصولية المسيحية الصهيونية ، المؤمنة بمذهب الألفية ومشروع عودة المسيح ، باتفاقية البابا يوحنا بولس الثانى مع المخابرات الامريكية واليهودية ، بأول خطاب رسولى له ، بعنوان «تقويم البشر» **Redemptor Hominis** فى ١٩٧٩/٣/٤ الذى خالف فيه قرارات المجمع الفاتيكانى الثانى ، وجولاته فى البلدان التى يتم فيها التبشير بضغوط سياسية -اقتصادية ، بكتاب «التعليم الدينى الجديد» **Catéchisme** الذى صدر فى باريس فى نوفمبر سنة ١٩٩٢ ، بكتاب توماس كيرنان الذى صدر عام ١٩٧٥ عن «العرب» ووصفه لهم بأنهم «متآمرون على الاقتصاد العالمى» وطالب فيه بحرب لابادتهم ونهبهم لضمان أمن الغرب وازدهاره ... واذا ما ربطنا بين مايدور على الصعيد العالمى ما تم من عمليات تنصير قبل عمليات الانقاذ التى تقوم بها المنظمات المسيحية فى البوسنة أو فى الصومال ، كما أعلنته شبكة الـ CNN أكثر من مرة ، لأدركنا التضافر الحميم بين عناصر هذا المناخ السياسى -الاقتصادى- التبشيرى الذى يحيط بالعالم الإسلامى حاليا[١].

---

(١) ابجدية الحوار بين الحضارات، ص ٩.

واذا ما تساءلنا عن سر هذا العداء وهذه القرصنة ، أجاب أحد المشتركين في مؤتمر كولورادو قائلا: «لأن الاسلام هو الدين الوحيد الذى تناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية ... وأن النظام الاسلامى هو أكثر النظم الدينية المتناسقة اجتماعيا وسياسيا ... انه -الاسلام- حركة دينية معادية للنصرانية ، مخططة تخطيطا يفوق قدرة البشر».

ولاتعليق على استمرار غرس روح العداء والمغالطة ، وتكفى الإشارة إلى يقينهم بأن القرآن منزل ويفوق قدرة البشر.

أما فيما يتعلق بالطرف الآخر فى هذا الحوار الحضارى ... أى الشرق الاسلامى، فلا يسع المجال هنا لتناول امجاد المسلمين ولاسرد اسهاماتهم فى الحضارة الغربية ، فقد باتت من الأمور المعترف بها بفضل العديد من الأمناء من الباحثين الغربيين أو الشرقيين ، رغم جهود المستشرقين لطمس معالمها أو لتشويهها[١].

---

(١) ابجدية الحوار بين الحضارات، د. زينب عبد العزيز، البحث السابق الاشارة اليه، ص ٩.

المطلــــب الثالث

الرد على تصور علماء وفلاسفة الغرب والمستشـــرقين للاســــلام

تمهيد:

يجب علينا ونحن نبحث موضوع موقف الفقه الإسلامى من تصور علماء وفلاسفة الغرب والمستشرقين للاسلام أن نضع نصب أعييننا ثلاثة امور هامة هى:

اولا: موقف الإسلام من الجدل والحوار والوصف:

عندما نقرأ فى كتاب الله نجد قوله تعالى: ﴿قل لاتسألون عما أجرمنا ولانسأل عما تعملون﴾[1].

إنه تعبير عن أدب الجدل الذى لايجعل الحوار حبا فى الاستعلاء وانما يجعل للجدل حدودا بالغة الأدب والتعفف. وعندما يقف المذيع ليقول للناس الزعيم المهيب وبطل الأمة العربية ... القائد المعلم كل ذلك ... الا ينطبق عليه ماقاله الازهرى اقدم على النبى - ﷺ- رهط بنى عامر فقالوا: «أنت والدنا ، وانت سيدنا ، وأنت الجنة الفراء» فقالوا قولوا بقولكم الحديث «... أى تكلموا بما يحضركم» ولاتتنطعوا ولاتنطقوا كأنما تنطقون عن لسان الشيطان[2].

ثانيا: أنه عندما ينطلق الانسان فى هذه الحياة ، تاركا لنفسه العنان فى طلب العلم والبحث عن الحقيقة ، فان هناك مبدءا هاما وأساسيا يجب ألا ينساه أو يتناساه.

وهذا المبدأ هو أن طلب العلم والمعرفة ، والبحث عن الحقيقة والصواب لايفرق فيهما بين عالم وآخر ، و باحث وثان بسبب لون أو جنس أو ديانة بل ينطلق الباحث فى طريقه ، باحثا عن بغيته ، وكل هدفه هو الوصول إلى الحق والصواب بعيدا ما

---

(١) سورة سبأ الآية: ٢٥

(٢) المسئولية الاعلامية فى الاسلام، دكتور محمد سيد محمد، ط ١ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م الناشر مكتبة الخانجى بالقاهرة، دار الرفاعى بالرياض.

امكنه كل البعد عن الأهواء الشخصية والنزاعات الفردية.

وذلك لأن العلم كل لايتجزأ من ناحية ، والعلماء فى كل زمان ومكان على اختلاف أوطانهم وأجناسهم ، هدفهم واحد وهو الوصول إلى الحق والتنافس الشريف من أجل كشف الحقيقة العلمية أو حل القضايا الفكرية واظهارها للعالم بأسره من ناحية أخرى.

هذا ناهيك عما يجب أن يتصف به الباحث من بعده كل البعد عن اضاعة وقته فى الجدل السفسطائى ، والمناظرات العقيمة ، فهو اكثر الناس احساسا بقيمة الوقت ، وأول من يعرف كم هو غال وثمين ، واكثرهم معرفة ودارية بمعنى قول القائل الحكيم: «إن الوقت هو الحياة ، فلاتضيع وقتك فتضيع حياتك».

إن المسلم عندما ينحو هذا المنحى فى طلب العلم ، والبحث عن الحقيقة لم يأت بجديد ، أو لم يضع أسلوبا مبتدعا ، أو مستغربا على الاذهان والافهام ، بل هو يسير على هذا المنوال مهتديا بتوجيهات نبى الإسلام -ﷺ- عندما يقول: «الحكمة ضالة المؤمن ، أنى وجودها ، فهو أحق الناس بها»(١).

ومسترشدا بقول الحق تبارك وتعالى فى كتابه الكريم: ﴿ومن يوت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾(٢).

وملبيا لدعوة رسول الله -ﷺ- حينما يقول: «اطلبوا العلم ولو بالصين»(٣).

من هذا نفهم أن الاسلام كان واضحا وصريحا أشد ماتكون الصراحة وعالميا أيضا فى تأصيل هذا المبدأ فى طلب العلم ، ونشدان المعرفة وفى سبيل البحث عن الحقيقة ، بغية الوصول إليها فى أى علم من العلوم إذ جعل من الحكمة والمعرفة كنوزا ضائعة من العقل ، أو تائهة عن الوجدان ، يهفو اليها الباحث ببحثه وسهره، ولايهمه أين يجدها ، وعلي يد من يتعلمها وإن علمها الباحث وتعرف على أسرارها

---

(١) رواه الترمذى وابن ماجة.

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٩٦.

(٣) رواه البيهقى فى الشعب.

كان المسلم أولى الناس وأحقهم بذلك ، لأنه أقدرهم علي استغلالها فيما يفيد ويعود بالنفع على البشرية وخير الإنسانية جميعا.

نعم ... كيف لايكون هذا هو شأن المسلم فى طلب العلم ، البحث عن الحقيقة، ومناقشة القضايا الفكرية المختلفة ، فهو لم يجد فى تعاليم الإسلام واصوله مايمكن أن يقف حائلا دون نشاطه العلمى ، بل وجد فى القرآن الكريم وفى أحاديث الرسول - ﷺ- ومايدفعه إلى ذلك دفعا.

إن المسلم ليعلم تمام العلم أن طلب العلم فريضة مثل الصوم والصلاة والزكاة تماما وذلك من منطلق فهمه لقول الرسول الكريم - ﷺ-: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»[١].

نعم ... فهو يدرك أن قضية الإهتمام بالناحية العلمية هى قضية تعبدية بالدرجة الأولى وليست مجرد الحصول على شئ من القوة أو الغلبة أو التسلط فى هذه الدنيا.

كيف لايكون هذا هو حال المسلم ، أو سبيله مع البحث والمعرفة وهو يرى كيف أن الإسلام -قد رفع من شأن العلم وكرم العلماء أيما تكريما ، فهو يعى تماما قول الرسول - ﷺ-: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما ، سهل الله له طريقا إلى الجنة وأن الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم ، رضا بما يصنع»[٢].

ويقرأ أيضا قوله تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير﴾[٣].

ثالثا: يجب على الباحث أن يتحلى بحميد الصفات وكريم الخصال ، وهو يسير فى طريقه -طريق العلم والبحث والمعرفة فما نفع علم جاء عن طريق الكذب

(١) جامع بيان العلم وفضله لابى عمر يوسف بن عبد البر، جـ١ ص ٢٣ ، تحقيق إبى الاشتباك الزهيرى طبعة دار ابن الجوزى.

(٢) الجامع الصحيح، جـ٥ ص ٢٨ حديث رقم ٢٦٤٦ ، اخرجه مسلم فى كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار مسلم بشرح النووى، جـ١٧ ص ٢١ ورواه الترمذى.

(٣) سورة المجادلة الآية: ١١.

والاحتيال أو تخلى صاحبه عن الأغراض السامية ، والمبادئ النبيلة التى من أجلها وبها يطلب العلم وينشد المعرفة ، وما نحن عن قنابل نجازاكى وهيروشيما ببعيد فكلنا قد قرأ أو سمع عن الأثر المدمر والمروع الذى خلفته تلك الحماقة البشرية على الشعب اليابانى ، وعن الأضرار البالغة التى قد لحقت به من كافة النواحى ، فقد حدث هذا دون وازع من دين أو خلق ، ولعل خير دليل على ذلك تلك العبارة الشهيرة التى قالها العالم «أتوهان» حينما علم أن تلاميذه قد استغلوا معارفهم وعلومهم فى الفيزياء والطاقة فى صناعة القنبلة الذرية التى القيت على هيروشيما ونجازاكى حيث قال: «انها غلطة ، لقد علمتهمْ العلم ، ولم أعلمهم الأخلاق».

وصدق الشاعر الكريم:

لاتحسبن العلم ينفع وحده　　　　مالم يتوج ربه بخلاق

فالغاية الأساسية من طلب العلم ونشدان المعرفة هو تحقيق السعادة للبشرية وخدمة الإنسانية جميعا وإلا فما الفائدة إذن من أى علم أو أية دراسة فى أى مجال كان اذا لم تساهم ولو بالقدر القليل فى إسعاد العالم ، وإدخال السرور على قلب طفل برئ أو امرأة ضعيفة ، أو شيخ هرم.

وكما قال الأولون: «علم لاينفع كدواء لاينجع».

فالعلوم كلها على اختلاف انواعها وتعدد مجالاتها إنما هى موظفة لخدمة الإنسان -سيد هذا الكون- الذى سخر الله تعالى له الكون بما فيه وكرمه أيما تكريم، فمنحه العقل وسيلة للتدبر ، وليعمل فكره فى كل ماخلق الله فيه من مخلوقات ، وسواه فى أحسن صورة ، وأكرم هيئة[1].

ولذا يقول تعالى فى كتابه الكريم: ﴿ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾[2].

---

(١) نظريات الغرب وحضارته فى ميزان الاسلام، الاستاذ/ ماهر خليل، سلسلة البحوث الاسلامية، مجمع البحوث الاسلامية، ص ٢٣.

(٢) سورة الإسراء الآية: ٧٠.

وهذا المطلب يتضمن فرعين:

الفرع الأول: الرد علي تصور علماء وفلاسفة الغرب للإسلام.

الفرع الثانى: الرد على تصور المستشرقين للإسلام.

الفــرع الأول

الرد علـى تصــورات علماء
وفلاسفة الغرب للإسلام والمسلمين

اولا: الرد علي ماقال به ريموندلول:

وهو عبارة عن رد ماورد فى كتابه عن: ١- الحكمة من تشريع الوضوء. ٢- المسئولية الفردية».

اولا: الحكمة من تشريع الوضوء:

يزعم لول أن الوضوء علامة على الخطيئة الموروثة وعلي تطهير القلب.

وهذا فهم خاطئ لبعض تعاليم الاسلام لأن.

الوضوء لغة: بضم الواو من الوضاءة وهى الحسن والنظافة والنقاوة بفتح الواو الماء الذى يتوضأ به والوضوء الفعل نفسه أى فعل ماتكون فيه النظافة والوضاءة والميضاءة الموضع(١).

وشرعا: استعمال الماء فى اعضاء مخصوصة مفتتحا بنية. أو الغسل والمسح فى اعضاء مخصوصة(٢).

واذا نظرنا إلى الحكمة من الوضوء في الإسلام. نجد انها واضحة فى عدة نقاط هى.

(١) القاموس المحيط، جـ١ ص ٣٣ طبعة الحلبى.

(٢) انيس الفقهاء فى تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء للشيخ قاسم القونوى، ص ٤٩ ، طبعة دار الوفاء - المملكلة العربية السعودية.

١- الوضوء طهارة[١]:

وقد أمر الله تعالى بالطهارة فى بعض آيات الكتاب الكريم من ذلك قوله تعالى: ﴿فثيابك فطهر﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾[٣].

كما اشار النبى - ﷺ- إلى اهمية الطهارة ومن ذلك قوله - ﷺ-: «الطهور شطر الإيمان»[٤]. وقال: «لاتقبل صلاوة احدكم إذا احدث حتى يتوضأ»[٥].

٢- أن الحكمة من الوضوء بوجه عام، هى أن الإنسان المتوضئ يستعد به للوقوف بين يدى الله عز وجل فى الصلاة فينبغى ان يكون نظيفا متطهرا.

٣- الحكمة في اختصاص هذه الاعضاء بالذات «الرأس واليدين والوجه والرجلين» أنها محل اكتساب الخطايا ، التي يكفرها الوضوء.

٢- المسئولية الفردية فى الإسلام:

لاشك أن نظرة ريموندلول للمسئولية فى الاسلام نظرة خاطئة أيضا لأن المسئولية فى الاسلام فردية والخطيئة لاتورث والخطيئة التى يعنيها هنا هى خطيئة أبو البشر آدم عليه السلام وسيدنا آدم قد تاب منها وتاب الله عليه كما يقول القرآن الكريم:

---

(٢) الطهارة لغة النظافة ، تقول طهرت ثوبى أى نظفته ، فالطهارة من الطهر وهو نقيض النجاسة، والجمع اطهار. وقد طهر يطهر طهرا وطهارة وطهرته أنا تطهيرا وتطهرت بالماء. لسان العرب، طبعة دار المعارف، ص ٢٧١ ، القاموس المحيطو طبعة الحلبى، جـ٢ ص ٨٢.
وشرها رفع الحدث الأصغر «ما أوجب الوضوء» والحدث الأكبر «ما أوجب الغسل» وازالة النجاسة التى هى الخبث المستقذر ، سواء اكانت هذه النجاسة عينية. «لها جرم وترى بالعين» أو حكمته ، أى أن الشرع هو الذى حكم عليها بذلك والطهارة تكون بازالة هذه الأحداث والانجاس حقيقة كما فى الوضوء والغسل وغسل الثياب أو حكما كالتيمم بالتراب، العبادات فى الاسلام، احكامها - وحكمها. د. احمد يوسف ، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(٢) سورة المدثر الآية: ٤.

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٢٢.

(٤) رواه مسلم فى كتاب الطهارة ، جـ١ ص ١٤٠ - كتاب التحرير.

(٥) رواه مسلم فى الطهارة، جـ١ ص ١٤١.

﴿وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾[١].

ثانيا: الرد على بسكال:

لايخفى على القارئ ماتنطوى عليه مزاعم هذا الفيلسوف الفرنسى من زيف وبطلان.

فنبينا محمد - ﷺ- على العكس تماما من الصورة المجهولة التى يحاول بسكال هذا رسمها له. حيث يدعى ان نبينا عليه السلام عدو للكنيسة وأنه دأب على اقتراف القتل.

وقد كنا ننتظر من بسكال الفيلسوف أن يكون منصفاً فى نظرته للإسلام ، فالفلسفة تعنى البحث عن الحقيقة ، وتعنى التجرد والنزاهة والموضوعية ، وترفض التقليد وقبول الأحكام المسبقة والانسياق وراء الأوهام والخرافات.

ولكن بسكال كان فى موقفه من الإسلام يفتقد كل هذه الصفات وبرهن بذلك على جهل فاضح ، بسبب تبنيه للآراء الكاذبة السائدة حينذاك حول الإسلام ونبيه شأنه فى ذلك شأن رجل الشارع فأساء بسكال بذلك لنفسه وللفلسفة وللحقيقة بصفة عامة.

واتهامه هذا لنبينا الكريم مردود من عدة أمور:

١- أن الرحمة الانسانية العامة التى دعا إليها النبيون -وخصوصا نبينا محمد - ﷺ- لتوجب ألا تترك الرذيلة تعتدى على الفضيلة ولا الشر يطغى على الخير ، بل إن الرحمة توجب نصر الحق والفضيلة وردالشر.

فالحرب التى تؤدى إلى قتل الانسان فى الاسلام ضرورة أوجبها قانون الرحمة العادل وقانون الاخلاق والسلوك الانسانى المستقيم.

والذى نراه من سيرة النبى - ﷺ- ومن سيرة الراشدين الذين خلفوه فى حمل مصابيح هذ الدين إلى البلاد يثبت لنا أن النبى - ﷺ- مكث ثلاث عشرة سنة

(١) سورة طه الآية: ١٢١ ، ٢٢

يدعو إلى عقيدة الوحدانية بألا يعبدوا الا الله تعالى وحده لايشركون به شخصا مهما سمت منزلته ولا وثنا مهما توارثوا تقديسه ، ويدعو إلى مكارم الاخلاق ، فتبعه ضعفاء مكة وعبيدها وبعض كبرائها ، كأبى بكر وعثمان وعمر ، فانزل المشركون الأذى الشديد بالمؤمنين وخصوصا بالضعفاء ولم يسلم أحدا منهم من الأذى حتى النبى - ﷺ- الا من كان ذا بطش شديد كعمر بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب ، فأمثالهما سلمو انسبيا من الأذى لانهم بقوة ابدانهم وفروسيتهم يستطيعون أن يثأروا لأنفسهم.

والنبى - ﷺ- يصبر ويصابر ويداوى النفوس المكلومة بالموعظة الحسنة والتسرية المواسية ، ولكن أذى المشركين موصول غير مقطوع حتى بلغ بهم الطغيان واللجاجة فى الباطل أن هموا بقتل النبى - ﷺ- ودبروا الأمر ولم يترددوا فى تنفيذ ما دبروا ، وأحاطوا ببيته يريدون الهجوم برجال جمعوهم من القبائل ليضربوه ضربة رجل واحد فيذهب دمه الكريم هدرا ، ولكنهم يدبرون والله تعالى يدبر لنبيه فأنجاه منهم(١).

٣- لقد كان النبى - ﷺ- قبل دخول أى معركة حريصا على منع القتال حتى عند أخذ الأهبة ، فهو يقول لمعاذ بن جبل -وقد أرسله قائدا مع طائفة من المؤمنين لفتح اليمن. «لاتقاتلوهم حتى تدعوهم ، فان أبو فلا تقاتلوهم حتى يبدءوكم فان بدءوكم فلا تقاتلوهم حتى يقتلوا منكم قتيلا ، ثم أروهم ذلك وقولا لهم "هل إلى خير من هذا سبيل فلأن يهدى الله على يديك رجلا واحدا خيرا مما طلعت عليه الشمس وغربت"».

وهنا نجد أن نية السلم قائمة حتى عندما يتلاقى الجيشان ، فهو لا يقاتلهم إلا بعد أن يدعوهم إلى العهد الذى يكون فيه تأمين حرية الدعوة ، ثم مع ذلك لايبدأ بالقتال بل يتركهم يبدءون بالقتال وحتى بعد هذا البدء لايقاتلهم حتى يقتلوا فعلا ، ثم يبين لهم العبرة فى ذلك الدم الذى أراقوه ظلما وعدوانا ، فان لم يتخذوا منه عبرة لم يبق إلا السيف ليحكم بأمر الله بينه وبينهم. والله خير الفاصلين.

---

(١) العلاقات الدولية فى الإسلام، للامام محمد ابو زهرة، ص ٩٠ ، دار الفكر العربى.

٤- حتى اثناء المعركة كان الرفق من سيدنا رسول الله -ﷺ- هو السائد ولذلك يقول لجنده وقد ارسلهم «تألفوا الناس وتأنوا بهم ، ولاتغيروا عليهم حتى تدعوهم ، فما على الأرض من أهل مدر ووبر الا أن تأتونى بهم مسلمين أحب إلى من أن تأتونى بأبنائهم ونسائهم وتقتلوا رجالهم».

وفى وصيته -ﷺ- لجنده يقول «انطلقوا باسم الله وبالله وعلى بركه رسول الله -ﷺ- ، لاتقتلوا شيخا فانيا ولاطفلا ولا امرأة ولاتغلوا وضموا اغنامكم، واصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين.

يقول عليه الصلاة والسلام لخالد بن الوليد «لاتقتل ذرية ولاعسيفا "أى عاملا" ».

٥- جعلت الشريعة الاسلامية حفظ النفس مطلقا من الضروريات وهي الامور التى لايستقيم امر الناس ومصالحهم الا بها فاذا فقدت اختل نظام حياتهم وانقلبت شئونهم من صحة إلى فساد.

يقول الامام الغزالى «ومقصود الشارع من الخلق خمسة ، أن يحفظ عليهم دينهم وأنفسهم ، وعقلهم ، ونسلهم ، ومالهم ، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة ، وكل مايفوت هذه الأصول الخمسة فهو مفسدة ، ودفعها مصلحة وهذه الاصول حفظها واقع فى مرتبة الضرورة فهى اقوى المراتب فى المصالح»(٢).

فشريعة محمد -ﷺ- اهتمت بحقن الدماء فأقرت القصاص فى النفس تشريع عادل من أجل الحفاظ على النفوس والأرواح والأبدان والاعضاء فهو عقوبة تقع على الجانى تساوى ما أوقعه على المجنى عليه فهو قد قتل عدونا فيقتل ، هذه هي العدالة فاذا اعتدى شخص على مال شخص آخر فان العدل يقرر أن المعتدى عليه يستوفى حقه كاملا من المعتدى.

---

(١) المستصفى من علم الاصول، لحجة الإسلام الامام، ابى حامد الغزالى، المتوفى عام ٥٠٥هـ، الطبعة الأولى، المطبعة الاميرية ببولاق مصر، سنة ١٣٢٢هـ، جـ١ ص ٢٨٦ ، ٢٨٧.

فاذا كان هذا فى المال فهو أولى أن يكون فى النفس ، لأنه دونها فهى أغلى لأنها هى الحياة.

والقاتل حينما يعتدى على المجنى عليه فهو يعتدى علي المجتمع بما يحدثه من ترويع وإفزاع بين الناس ، ولذلك كان الاعتداء على النفس اعتداء على الناس جميعا ، قال الله عز وجل: **﴿من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا﴾**[1]، وما أجمل قول الله تعالى: **﴿ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون﴾**[2]، أى لكم فى مشروعية القصاص حياة لأن الشخص إذا علم أنه يقتص منه إنكف عن القتل.

وقال العرب «القتل أنفى للقتل» ، فالقصاص شرع لأجل الحياة ، فالشخص الذى يريد أن يسلب حياة شخص آخر إذا أيقن أنه يدفع حياته ثمنا لحياة من قتله تروى كثيرا وفكر طويلا فكف نفسه عن قتل صاحبه ، فتحفظ لهما حياتهما هذا من القتل وهذا من القصاص.

كما أن ايقاع القصاص على القاتل يردع غيره من الاقدام على ماقدم عليه ذلك الجانى لئلا يلحق به ذلك المصير فيحجم عن الانقياد إلى مابيت فى قلبه من شر[3].

فحماية النفس فيها حفظ حق الحياة الكريمة ويدخل فيها الأمور المعنوية كالمحافظة على الكرامة والحرية ومنع الاعتداء على أى أمر من الأمور التى تتعلق بها بما يعد من مقومات حياتها من حرية العمل وحرية الفكر وحرية الإقامة وغير ذلك من عدم إثارة الفتن أو السعى بالفساد بين الناس الذى ينتج عنه تفكك الروابط الاجتماعية والعمل على ايجاد التعاون بين أفراد المجتمع.

---

(١) سورة المائدة الآية: ٣٢.

(٢) سورة البقرة الآية: ١٧٩.

(٣) القصاص فى النفس فى الفقه الإسلامى، دراسة مقارنة، أ.د. على حسين كرار طبعة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، دار الاتحاد العربى للطباعة، ص ١٢.

وكما يعمل الدين على المحافظة على النفس البشرية بمنع الاعتداء عليها من الغير ، كذلك يحرم إعتداء الشخص على نفسه بالانتحار أو القتل لقوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما﴾[١].

كما نهت الشريعة الاسلامية عن تعريض النفس للمهالك والأخطار ، فقال جل شأنه: ﴿ولاتلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾[٢].

وما هذه المحافظة التى شرعها الله وأمر بها إلا لأن الله خلق الانسان لكي يستخلفه فى الأرض ويستعمره فيها ، يقول سبحانه وتعالى: ﴿إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾[٣]، والنفوس جبلت على أنها لايردعها إلا الوعيد المخيف والزجر الشديد ، ولذا يقول سبحانه: ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها﴾[٤][٥].

ولم يتوقف الدين الإسلامى الحنيف عند تشريع العقوبة بل بينت أحكامه عظم ذنب جريمة قتل النفس ، قال -ﷺ-: «أول مايقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء»[٦]، وقال -ﷺ-: «من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وأن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما»[٧]، وقال أيضا: «من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة لقى الله عز وجل مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله»[٨].

---

(١) سورة النساء الآية: ٢٩.
(٢) سورة البقرة الآية: ١٩٥.
(٣) سورة البقرة الآية: ٣٠.
(٤) سورة النساء الآية رقم ٩٣.
(٥) الفقه الإسلامى، الحدود والقصاص والتعزيرات ، تأليف لجنة من كلية الشريعة والقانون، ص٧.
(٦) نيل الأوطار للامام محمد بن على الشوكانى المتوفى سنة ١٢٥٠هـ على منتقى الاخبار من احاديث سيد الاخيار للامام مجد الدين عبد السلام المعروف بابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ ، طبعة مصطفى البابى الحلبى، جـ٧ ص ٤٧.
(٧) المرجع السابق، جـ٧ ص ٤.
(٨) المرجع السابق ، الجامع لاحكام القرآن للقرطبى أبى عبد الله محمد ابن أحمد بن بكر الانصارى الخزرجى القرطبى الأندلسى المتوفى سنة ٦٧١ هـ، جـ٤ ص ٢٥٧.

وهذا كله وغيره لأن المحافظة على النفس هى المحافظة على حق الحياة الكريمة ويدخل فى عمومها المحافظة على كل أجزاء الجسم ، كما يدخل فيها الأمور المعنوية كالمحافظة على الكرامة ومنع الاعتداء على أى أمر يتعلق بها ، ومن ذلك حرية العمل ، وحرية الفكر ، وحرية الإقامة وغير ذلك مما تعد الحرية فيه من مقومات الحياة الانسانية الحرة التي تزاول نشاطها فى دائرة المجتمع الفاضل من غير إعتداء على أحد[١].

ثالثا: الرد على هيجل:

ويتضمن أمرين: أولهما: قول هيجل بأن من كان يرفض الدخول فى الإسلام من أهل تلك البلاد المفتوحة كان نصيبه القتل فى العصر الأول محض افتراء وغير صحيح لأن الاسلام.

- نشأ فى شبه جزيرة العرب بين طوائف مختلفة المنازع متباينة الاهواء والمشارب ، لادين يجمعهم ولارابطة تضم شملهم.
- نشأ بين قوم مشركين يعبدون الأوثان ويعظمون الأنصاب ويقتسمون بالأزلام.
- كما نشأ بين اليهود الذين أنتسبوا إلى الشريعة الموسوية ، وتعصبوا لها وصموا اذانهم عن الدعوة الإسلامية ، ووقفوا ضد أهلها وأخذوا يكيدون للمسلمين رجاء القضاء على الدعوة الجديدة وهى فى بدء ظهورها.
- وكذلك نشأ الاسلام بين طائفة أخرى هم النصارى الذين ينتسبون إلى المسيح عليه السلام وكان هؤلاء مسالمين للدعوة الاسلامية كما يشهد بذلك قوله تعالى:

﴿ولتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لايستكبرون﴾[٢].

---

(١) التشريع الجنائى الإسلامى مقارنا بالقانون الوضعى، عبد القادر عودة، الطبعة الثانية، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م، جـ١ ص ٢٠٩.

(٢) سورة المائدة الآية: ٨٣.

حقا إن هذه الطائفة لم تدبر لافساد الدعوة الاسلامية المكايد وان كانوا لم يدخلوا فيها عنادا منهم واستكبار وجحودا وانكارا[١].

وهؤلاء الطوائف الثلاث حينما عرض الاسلام لهم فى تشريعه ، أدرجهم تحت طائفتين سماهم مشركين وأهل كتاب.

ولقد كان التشريع للطائفتين مختلفا لكون الأولين أنكروا الصانع وعبدوا غير الله فكانوا من تلك الجهة فى بعد عن الدعوة الإسلامية التي تقوم على فكرة التوحيد وافراد الله بالعبادة.

أما اليهود والنصارى فلما كانوا أقرب إلى فكرة التوحيد ، اذ هم يعبدون الله ويقرون بالأنبياء ولكنهم أنكروا نبوة محمد - ﷺ-، لذا كان التشريع الإسلامى لهم خلاف الأولين.

وبالنسبة لليهود خاصة فلقد حاولو اطفاء نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره فرد كيدهم فى نحورهم فباؤا خاسرين ، ولكنهم حين لم ينالوا من الاسلام ما أرادوا ولم يصلوا منه إلى ماطلبوا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، فدخل منهم فى الإسلام من دخل ، وجمد آخرون مستمسكين بمبدئهم ، فلم يؤمنوا طالبين مسالمة المسلمين لهم عن طريق تقديم يد الصلح اليهم وهؤلاء هم المعاهدين، كما يسميهم الفقهاء.

والمعاهدون هم الذين وادعوا المسلمين وعاهدوهم بمقتضى اتفاق ومعاهدة على ألا يثيروا معهم حربا ولايظاهروا عليهم عدوا ، وتقوم العلاقة بين الطرفين على أساس من الامان والسلام واحترام كل منهما لدم الآخر وماله ، وبلاد المعاهدين فى الغالب ليست من دار الحرب ولا من دار الاسلام ويدخلون دار الاسلام بالأمان المتفق عليه.

ولما قويت شوكه الإسلام والمسلمين بالهجرة النبوية من مكة إلى المدينة

---

(١) العلاقات الخاصة بين المسلمين وغير المسلمين، أ.د. بدران أبو العينين بدران، ص ١٠.

واعقبها نزول آيات القتال بدأ الرسول عليه الصلاة والسلام مع أصحابه الكرام فى حروبهم الدفاعية ضد المعتدين.

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يعطى الأمان لمن يحتج إلى السلم استمر هذا الوضع لحين نزول آية الجزية وهي قوله تعالى: **﴿قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولايحرمون ما حرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون﴾**[1].

فأحدثت نزول هذه الآية اضافة مبدأ جديد إلى نظام الحرب الدفاعية فى الاسلام ، ويتمثل هذا المبدأ بوصايا الرسول -ﷺ- إى امراء الجيش الذين يرسلهم لرد الاعتداء وكان يوصهم بتقوى الله ومن تحتهم من الجند ، ثم يقول اغزوا على الله وفى سبيل الله غزوا ولاتقتلوا وليدا ولا امراة ولاتغدروا ولاتمثلوا ، واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاثة خصال فأيتهن أجابوك اليها فأقبل منهم وكف عنهم ، أدعهم إلى الاسلام فان اجابوك فأقبل منهم وان ابو وأرادوا البقاء على دينهم فاسئلهم الجزية فان اجابوك فاقبل منهم فان أبو فاستعن بالله وقاتلهم[2].

ويتضح لنا من هذا العرض لحديث سيدنا رسول الله أن موافقة غير المسلمين على اداء الجزية كانت كافية لامتناع المسلمين عن القتال.

فالاسلام لم يؤسس علاقات المسلمين بغيرهم على أساس القتال والحرب.

لأن الآية الكريمة: «قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولاباليوم الآخر ...» تأمر المسلمين باستمرار مقاتلة طائفة صفتها أنهم لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وهم الذين سبق أن نقضوا العهد وانقضوا على الدعوة ، فعدم ايمانهم ليس سببا لقتال المسلمين اياهم ، بدلالة أن الآية فى بقيتها أمرت بقتالهم حتى يعطوا الجزية ،

---

(١) سورة التوبة الآية: ٢٩.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، جـ١٢ ص ٣٧ ، السيرة النبوية، لابن هشام، القسم الثانى، ص ٦٣٢، موطأ الامام مالك، جـ٢ ص ٢٩٧.

علاقة علي الخضوع واشتراكا فى دفع النفقات العامة واعباء الدولة ، ولو كان الكفر سببا فى قتالهم ، لجعلت غاية القتال اسلامهم ، ولما سمح لنا بقبول الجزية منهم فهم لايقاتلون لمجرد أنهم كفار ، بل لأنهم نقضوا العهد واعلنوا الحرب علينا مرة بعد الأخرى ، فوجب الاستمرار على قتالهم حتي يعطوا الجزية.

وفى كثير من أيات الكتاب واصول الدين ما يؤكد هذا المبدأ فى الاسلام وهو «الروح السلمية».

ويبعد أن يكون الأصل فى الإسلام هو اقامة علاقات المسلمين بغيرهم على الحرب الدائمة.

وأن يكون فرض الجهاد وشرع القتال على أنه طريق الدعوة إلى الدين لأن الله نفى ان يكون هناك اكراه على الدين وانكر أن يكره الناس حتى يكونوا مؤمنين.

ويقول الفخر الرازى: فى تفسير قوله تعالى: **﴿لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى﴾**[١].

أنه تعالى لما بين دلائل التوحيد بيانا شافيا قاطعا للعذر قال بعد ذلك «أنه لم يبق بعد ايضاح هذه الدلائل عذر للكافر فى الاقامة على كفره إلاأن يقسر على الايمان ويجبر عليه وذلك مما لايجوز فى دار الدنيا التى هى دار الابتلاء[٢].

إذ أن فى القهر والاكراه على الدين بطلان معنى الابتلاء والامتحان ونظير هذا قوله تعالى: **﴿ولو شاء ربك لأمن من فى الأرض كلهم جميا ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾**[٣].

ويؤكد هذا التأويل قوله سبحانه بعد نفى الاكراه فى الدين. **﴿قد تبين الرشد من الغى﴾** يعنى وهو أعلم قد ظهرت الدلائل ورشحت البينات ولم يبق

(١) سورة البقرة الآية: ٢٥٦.

(٢) انظر مفاتح الغيب «التفسير الكبير» للامام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن على الشيمى البكرى الرازى الشافعى، طبعة دار الفكر العربى، جـ٣ ص ٥٠٠.

(٣) سورة يونس الآية: ٩٩.

بعـدها الا طريق القسـر والالجـاء والاكـراه وذلك غيـر جـائز لانه ينافى التكليف والابتلاء[١].

وقد انتهى فضيلة الامام الاكبر الشيخ شلتوت الى ايجاز بحثه عن الاسلام والعلاقات الدولية فى السلم والحرب إلى الامور الآتية:

١- انه لاتوجد آية واحدة فى القرآن تدل أو تشير إلى أن القتال فى الاسلام فرض لحمل الناس على اعتناقه.

٢- أن سبب القتال ينحصر فى رد العدوان وحماية الدعوة وحرية الدين.

٣- ان الاسلام حينما شرع القتـال نأى به عن الطمع والاستـنـشـار واذلال الضعفاء وابتغاه طريقا إلى السلام والاطمئنان وتركيز الحياة على موازين العدل والمساواة.

٤- أن الجزية لم تكن عوضا ماليا عن دم أو عقيدة وانما هى دلالة الخضوع وكف الأذى والمشاركة فى حمل اعباء الدولة.

وأضاف فضيلة الامام الاكبر: «انه ليس لأحد بعد هذا أن يفترى على الاسلام أو يسئ فهم آيات القرآن فيزعم مايزعم الجاهلون من أن الاسلام قرر القتال طريقا لدعـوته ووسيلة للايمان به وانتشرت تلك الدعوة على أساس من الضغط والجبر والاكراه»[٢].

ويقول الامام محمد ابو زهرة: «اتفق جمهور من ا لعلماء على أن الباعث على القتال هو رد الاعتداء وقرروا ان مناط القتال الاعتداء ، فلايقتل شخص لكفر انما يقتل لاعتدائه على المسلمين أو على الاسلام[٣].

وخير الفضل ماشهدت به الاعداء ولقد جاء فى رسالة لسالازار الذى كان

(١) تفسير الفخر الرازى.
(٢) الاسلام والعلاقات الدولية في السلم والحرب، ص ٣٧ ، ٣٨.
(٣) المجلة المصرية للقانون الدولى، عدد ١٤ سنة ١٩٥٨، ص ١٠.

اسقفا لمانيلا عاصمة الفلبين وضعها عام ١٥٩٠م منددابالقوة التي لجأ إليها المبشرون الأسبان والبرتغال فيقول: «إن الوعظ والبندقية فى يد الواعظ وسيلة سيئة للتبشير والوسيلة المثلى ما يتبعه الوعاظ المسلمين فقد جاءوا بغير سلاح مزودين برسالة السلام والايمان والوداعة والقدوة الحسنة فاستقبلت الشعوب دين محمد أحسن استقبال».

وقول جيون «ان السلام الذى نشر لوائه بين المسلمين والمسيحيين اكثر من اربعة قرون كان مؤسسا على تسامح المسلمين وتعاليمه والخير والسلام»[١].

الفـــــرع الثانى

الرد على تصور المستشرقين للاسلام

إن المستشرقين يشككون فى مصادر التاريخ الاسلامى ولايدرسونه من خلال المصادر الاصلية ويرجع ذلك إلى المركزية الغربية التي تعتبر الآخرين هامشيين أمام تيارها الذى لايقاوم.

ومن ثم فان دراسة الغرب للإسلام لاتتفق مع المنهجية العلمية وتورث الخلاف.

ولايجوز أن يقف المسلمون من التراث الغربى حول الاسلام موقف اللامبالاه ، فهذه التصورات الغربية للاسلام والتى تغذى عقلية الأوربى وتصوغ تفكيره -تقتضى منا أن نأخذها مأخذ الجد بتشجيع الايجابى منها وتتبع ماتشتمل عليه من أخطاء وتصحيحها ونشر ذلك التصحيح على نطاق واسع باللغات التى انتشرت فيها هذه الافكار.

ومن أجل ذلك أرى أن هناك ضرورة ملحة لانشاء مركز أو مراكز لبحوث

---

(١) الشرق والغرب لمحمد على الفتيت، ص ١٧ ، اشار اليه، احمد مصطفى قوجه فى بحثه حقوق غير المسلمين وواجباتهم فى دار الاسلام فى الشريعة الاسلامية والنظم الوضعية دراسة مقارنة، ص ١٢٣.

الدراسات الاستشراقية وغيرها من دراسات غربية حول الاسلام ، وذلك على مستوي العالم الاسلامى على أن تتولى هذه المراكز مواجهة الكم الهائل من الدراسات الغربية حول الاسلام ببحوث تصحح مفاهيم الغرب عن الإسلام من ناحية وبحوث اسلامية مبتكرة من ناحية أخرى.

فمن الأمور الغريبة حقا أن يكون هناك فى أوربا وأمريكا اكثر من مائة معهد للاستشراق تهتم بتراثنا وعقيدتنا وتاريخنا كله ، ولايوجد فى العالم الاسلامى كله معهدا واحدا أو مركز علمى واحد يتكفل بدراسة مايكتب عنا ، مع أن انتاج المستشرقون وحدهم عن الشرق بدء من القرن التاسع عشر وحتي منتصف القرن العشرين قد بلغ ستين ألف كتاب.

ويضاف إلى ذلك مايجده المرء متناثرا فى كتابات الأدباء والفلاسفة وعلماء التاريخ والحضارة والاجتماع والكتب المدرسية فى أوربا وامريكا[١].

لقد نشأ رسول الله الذى أتي بالتشريع الاسلامى فى بيئة جافة من رمال وجبال جرداء تبعث على اليأس ، الماء والخضرة فيها استثناء ، وكان يتيما فى مجتمع لايقرأ ولايكتب ، ومع ذلك فقد جاءنا بعلوم القرآن فى التاريخ والفلك والطب والنبات والسلوكيات والتربية والعلاقات الاجتماعية والجنس والفلسفة والسياسة والحكمة والتشريع الاجتماعى والجنائى ، وأتى بصور بلاغية ثرية معجزة وفن قصصى متطور ووصف أحوال البحر ولم يركبه.

كما أتى بشعائر لدين متكامل ، ثم إنه أول من وضع الديانات السماوية الأخرى فى موقعها الحقيقى.

وجاء بنظرية اقتصادية صمدت امام النظريات التى تعانى من الازمات والاندثار ، كل هذا إلى جانب فكر لما وراء الطبيعة يتصف بالجدة والاتساع ، وليس هذا فقط بل أنه عاش حياة بشرية عادية رغم انه مارس القيادة الفكرية واللغوية والسياسية والعسكرية ، وحقق فى حياته كل ماتنبأ بأن يقع فيها رغم أن حياته كانت دائما معرضة لخطر القضاء عليها فى مواقف كثيرة ، وتوفى بعد أن

(١) حولة كلية اصول الدين العدد الرابع، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص ٢٢٣.

اكمل الرسالة التى أتى بها والكتاب الذى حمله ، وتم تسجيل ذلك فى الكتاب قال تعالى: ﴿اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا﴾[1].

إن التشريع الاسلامى يثبت كل يوم -أنه الطريق المستقيم الآمن على مر العصور مهما حاول كثير أو قليل من البشر أن يخرجوا عنه.

إن كل مجتمع وكل عصر ينبغ فيه أصحاب فكر وقواد رأى ، وكلما مضت القرون توافر بين أيدى هؤلاء من المعلومات الغزيرة والتجارب المدروسة الكثير كى يصبحوا اكثر ثراء فى الفكر ، واكثر عدة عند التشريع الذين يرجون من خلاله أن يصلوا بمجتمعاتهم الى الأمن والسعادة ، وقد يشعرون حينئذ بأنهم قد بلغوا النموذج الأمثل لتنظيم حياتهم ، فاذا اكتشفوا أن التشريع الذى يسيرون بهداه -بعد تجربته- غير مقنع لجمهوره بسلامته فانهم سرعان مايثورون عليه ، ويستبدلونه بما يبدو لهم أنه أفضل ، حتي يأتى الوقت الذى يغيرون فيه التشريع الجديد بحثا عن تشريع آخر يرون أنه اكثر وفاء باحتياجاتهم ، وهذا التبديل والتغيير المستمر هو ما سارت عليه المجتمعات التى لاتطبق الشريعة الإسلامية.

بينما نجد أن التشريع الاجتماعى الإسلامى الذى أتى به القرآن الكريم فى أوائل القرن السابع الميلادى ظل يمارس فى المجتمعات الاسلامية ثابتا بدون تغيير ، بل إننا نلاحظ أن هذه التشريعات الإسلامية قد تمتعت باحترام كبير على مدى التاريخ فى المجتمعات الاسلامية رغم أن السلوكيات الأخرى لبعض قطاعات هذه المجتمعات لم تكن اسلامية تماما ، ذلك أن هذه المجتمعات لم تشعر بأن التشريع الإسلامى كان قيدا عليها رغم متعة العصيان عند البعض.

ومن جهة اخرى نجد أن دولة مثل أسبانيا -رغم أنها قد تخلت عن الدين الاسلامى- إلا أنها احتفظت بأساسيات من نظام المواريث الاسلامى مثل عدم السماح بالوصية إلا فى حدود الثلث طبقا للمادة ٨٠٨ من القانون المدنى

(١) سورة المائدة الآية: ٣.

الأسباني[١]. فنحن كمسلمين لانخاف من دراسة المستشرقين للاسلام لأنه متين منظم دقيق لكننا نطالبهم بدراسة الإسلام بصدق والتحدث عنه بصدق

المطلـــــب الرابع

الرد على الابداع الأدبى الغربى المعاصر المناهض للاسلام فى مجال الروايات والقصص

اذا كان هنالك فى الوقت الحاضر من يعادى الإسلام فى بلاد الغرب ويعبر عن عدائه بكتابة قصة أو أبيات من الشعر فليس بالشئ الجديد فتاريخ الاسلام ملئ بمواقف معادية ضده من ذوى الديانات الأخرى ، والاسلام يدافع عن نفسه ، ولاخوف عليه حتى قيام الساعة ولذلك يجب على المسلمين أن يقابلوا كل مايثيره المغرضون ضد الاسلام ، بالهدوء وعدم التعصب ، وأن يواجهوا ذلك بالتعقل والهدوء ، حتى لاتؤدى التصرفات التشنجية أحيانا إلى أتساع رقعة المعادة ، كما كان الامر فى موضوع الكتاب الذى أطلق عليها «آيات شيطانية» وقد أدت التصرفات التشنجية من جانب احدى الدول الإسلامية ، إلى اشتهار هذا الكتاب وترجمته إلى العديد من اللغات الاجنبية ، بل قام بعض رؤساء الدول باستقبال كاتبه، واصبح هذا الزنديق فى نظر بعض الصحف والهيئات الدولية ضحية لبطولته فى حرية الرأى.

وأيضا رواية الكوميديا الآلهية :

هذه الصورة التى رسمها دانتى الذى يعد واحد ممن تصفهم أوربا فى مصاف عظماء الأدب فى العالم لنبى الإسلام محمد -ﷺ-.

والأمر المؤسف حقا أن تنحدر هذه العبقرية الأدبية فى تصويرها لنبى الاسلام إلى مستوى ذلك الخيال المريض الذى كان رائجا بين عامة الشعب ورعاعهم فى ذلك الزمان حيث كان الخيال ينغذى من الأساطير وينسج صورة من الخرافات والأوهام.

(١) مسيرة العالم الطويلة إلى التشريع الاسلامى، دكتور/ حافظ يوسف ، مطابع الاهرام التجارية - قليوب ، ص ٦.

وكلامه هنا عن سيد المرسلين محمد بن عبد الله الصادق الوعد الأمين مغلوط. لأن الرسالة المحمدية كلها رسالة خير وحب ورحمة وعدل.

واذا كان على المسلمين واجب الرد على كل مايقال ضد الاسلام ، فلا سبيل إلى هذا الرد إلا بطريقتين:

أولهما: القضاء على تصرفات من يدعون انهم مسلمون ويعيشون باسم الاسلام الفساد فى الأرض وينشرون الارهاب ضد المسلمين وغير المسلمين اذ ان هؤلاء هم أول من اساء إلى الاسلام وفتح باب الخصومة عليه.

ثانيهما: اتباع الاسلوب العلمى فى الرد على من يخاصم الاسلام ، وذلك عن طريق الاعلام المنظم باللغات الاجنبية المختلفة ، سواء أكان هذا الاعلام سمعيا أو بصريا أو كتابيا.

فاذا كان الاعلام كتابيا ، فينبغى أن تعد الكتابة فيه على يد متخصصين ، وأن تنشر كتبهم باللغات الاجنبية ، وتوزع على أوسع نطاق ، وخصوصا على المراكز والهيئات الثقافية والعلمية الاجنبية ، وإلا يكتفى بتكديسها فى بعض المكتبات الدبلوماسية أو السياحية حتى تصفر أوراقها.

ولابد أن نعترف بأن أسلوب وقدرة وكفاءة ولغة الدعاة العرب الموفدين إلى الخارج قاصرة عن تحقيق الغرض من ايفادهم ويجب اعادة النظر فى هذا الموضوع.

والمعروف أن هناك مراكز اسلامية فى كثير من دول العالم كتلك المراكز الموجودة فى نيويورك ونيوجرسى وغيرها ، بل هناك اذاعات إسلامية مثل اذاعة صوت الاسلام فى نيويورك ، وكل هذه المراكز والاذاعات فى حاجة إلى الى دعم مادى وعلمى من الدول الاسلامية حتي تستطيع اداء رسالتها على الوجه الأكمل.

وليتأكد المسلمون أنه لادفاع عن الاسلام الا بالحكمة والتعقل عملا بقوله تعالى: ﴿ادع إلى ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى

حسن﴾[١].

وعبر التاريخ القديم نجد الكثير من الشعراء:

الذين أبدعوا فيما قالوه من قصائد شعر فى الوصف والغزل والمدح والذم والهجاء ، لقد تفنن هؤلاء الشعراء عبر تاريخ الامة العربية فى الاتيان بمعان وصور جديدة من بيوت الشعر لم يسبقهم اليها أحد ، وبسببها خلدت اسماؤهم وحفظت ذكراهم آلاف من السنين ، وكان جزاء المدح كبيرا وعظيما ، وخصوصا اذا وجه إلى الحكام والملوك وبالعكس كان جزاء الذم والهجاء خطيرا اذا وجه لعظيم أو كبير. حتى لقى كثير من الشعراء حتفهم جزاء قول بيت من الذم أو قصيدة من الهجاء وكثيرا ما قامت الحروب بين القبائل العربية القديمة بسبب بعض أبيات تفاخر قالها شاعر يتباهى بقوم على ماعداه من الاقوام الاخرى[٢].

---

(١) سورة النحل الآية: ١٢٥.

(٢) الكلمة واثرها فى الأمم والشعوب ، مجلة منبر الإسلام، أ.د مصطفى شحاتة، العدد ١ السنة ٤٢ المحرم ١٤٠٤هـ اكتوبر ١٩٨٣م، ص ٩٤.

الفصـــل الثالث

كيفية تحسين الصورة السلبية
للاسلام والمسلمين فى الاعلام الغربى

تمهيد:

لاشك فى أن العبء الملقى على الفئة المثقفة فى الأمة العربي ةوخاصة القائمين على أمر الاعلام الاسلامى كبير حيث أنه يتمثل فى تحسين الصورة الذهنية السلبية عن الاسلام والمسلمين لدى غير المسلمين لاسيما فى ظل المتغيرات الدولية والمحلية التى تفرض نفسها على الساحة والتى تزيد فى مسئولياتهم الدقيقة ومهامهم الصعبة.

وهذا يتطلب من ا الدقة المتناهية والاخلاص الكامل والتفانى فى خدمة الاعلام الاسلامى لانه هو الطريق الامثل لإعلام الجميع بحقائق هذا الدين الحنيف وأسسه التى قام عليها والتى جعلته صالحا لكل زمان ومكان من خلال الكلمة الطيبة التى تصنع إعلام ناجع فى مجتمعنا المعاصر الذى تتغلغل فيه اجهزة الاعلام المختلفة فى حياة الناس وتشغل جانب لايستهان به فى مساحة الزمن اليومى للافراد.

كما يجب التنسيق بين مختلف الأجهزة التى تتحمل مسئولية الدعوة بخطط علمية متوازنة ومدروسة تحقق الانسجام والاتزان ، والتوافق لتحقيق الهدف المشترك والقضاء على الازدواج ، والتضارب بين برامج مختلف أجهزة الدعوة الإسلامية.

وإذا امكن للعالم الاسلامى أن ينهض باعلامه الدينى ويصل به إلى العالمية -وهو المطلوب يكون قد حقق المقصود منه واصبح له غاية وهدف يسعى اليهما بوسائل التقنية الحديثة التى جعلت العالم بقراراته وكانه قرية صغيرة يمكن السيطرة عليها إعلاميا فى دقائق محدودة.

واذا أردنا تحسين صورة المسلمين لدي الغرب. فيجب علينا أولا أن نحدث

توافق بين تعاليم الاسلام وأحكامه وبين تصرفات المسلمين وبالتالى تصبح الصورة حقيقية ومعبرة عن ديننا الحنيف لأن الصورة التى يتخيلها الغرب ويرسمها للمسلمين اليوم لاننكر أن فيها شئ غير قليل من الواقع الاسلامى.

وبالتالى فيجب علينا أن نبدأ بتحسين وضبط تصرفاتنا لكى تكون مطابقة لاحكام الشرع والدين.

وعلى كثرة ماقيل ويقال فى وصف حاضر المسلمين وتحديد مكوناته ، وعلى تعدد محاولات تشخيص الأزمة التى تواجه المسلمين المعاصرين.

يرى الاستاذ الدكتور/ احمد كمال أبو المجد[١] أن تلك الأزمة ترجع فى جزء كبير منها إلى علل ثلاثة وهى التى تشكل اليوم أبرز مظاهر الضعف وعناصر الأزمة فى حاضر المسلمين.

العلة الأولى: اضطراب فكرى ، وخلل ثقافى فى فهم الإسلام نفسه وتحديد مهمة المسلم فى الحياة ... وهو اضطراب أفقد الأمة وحدتها الفكرية والنفسية وحول اسلامها إلى مدارس ومذاهب وتيارات وحركات.

العلة الثانية: تفرق وتشرذم والتفات حول حدود اقليمية وقطرية ضيقة سقط معه من النفوس والعقول معنى «الأمة» واشتغل فيه كل أحد «بخلاقه الفردى» تاركا أمر «جماعة المسلمين» تحت رحمة الآخرين.

العلة الثالثة: عزلة عن العالم واستخفاف بمسيرة الحضارة ، ورفض للآخرين تحت شعارات «تميز المسلمين» واختلافهم عن سائر الناس ، وحاجتهم إلى المحافظة على «نقاء» دعوتهم أن يتسلل إليها أى شئ من حضارات الآخرين.

بناء الفرد المسلم في كل جانب من جوانب حياته:

لما كان الفرد المسلم هو الأساس فى عملية بناء المجتمع المسلم الفاضل ،إذ

---

(١) نظرة إلى مستقبل المسلمين، ص ٤.

أن المجتمع فى مجموعه إنما يتكون من أفراد فاذا صلح الفرد صلحت الجماعة.

وما ضعفت أمتنا فى العصور المتأخرة من حياة المسلمين إلا بالتفريط فى عملية إعداد هذا الفرد والخلل الذى تطرق إلى بنائه حتى صار خاويا بلا روح ومهملا بلا ضوابط وإنسانا بلا غاية يسعى لها ولا أهداف سامية يعمل على بلوغها ولا رسالة يواصل المسيرة لتحقيقها ، فمسلم اليوم ، يعيش فى اضطراب فكرى ، وخلل ثقافى فى فهم الإسلام نفسه وتحديد مهمة المسلم فى الحياة ... وهو اضطراب أفقد الأمة وحدتها الفكرية والنفسية وحول إسلامها إلى مدارس ومذاهب وتيارات وحركات.

وهذا كله أدى إلى تفرق وتشرذم والتفاف حول حدود إقليمية وقطرية ضيقة سقط معه من النفوس والعقول معنى «الأمة» واشتغل فيه كل أحد «بخلاقه الفردى» تاركا أمر «جماعة المسلمين» تحت رحمة الآخرين.

فقد خلف بعد المسلمين الصادقين خلوف ضائعة مستعبدة لأهوائها ممزقة من اعدائها تلهث وراء إشباع غرائزها فعاقبها الله بأن فتح عليها أبواب شهوات البطون والفروج حتى صار كل مايحصل عليه لايزيدها الا شرها ونهما وتكالبا ، فباعت بذلك كل رصيدها من عزة المؤمنين وكرامة المخلوقين ورسالة المصلحين ولاحول ولاقوة إلا بالله.

فاذا اردنا عودة صادقة إلى الله وتطلعنا إلى مقعد القيادة فى الحياة لقيادة الناس بالهدى فلا بد من الرجوع إلى منهج الله فى بناء الفرد المسلم السوى ، المؤمن فى ضميره الكامل باعداده الإنسانى فى تعامله ، والمميز فى خصائصه ، المؤثر فى مجتمعه ، القادر على القيام بمسئولياته فى المجتمع ومهامه فى الحياة ، الواعى لأهداف أمته ، العامل على تحقيقها فى واقع الممارسات اليومية ، القادر على التفكير السليم ، المستقل فى شخصيته المعتز بذاتيته ، الملتزم فى إنتمائه. المتوازن فى شخصيته وتصرفاته ، وتفكيره.

وهذا لايتم إلا اذا غذى بلبن هذا الدين فى مدارج نموه ، ومعارج ارتقائه ،

ومراحل عمره ، لأن أى مولود إنما يولد على الفطرة السليمة مهيئا للايمان متجها إلى الخير ، مزودا بالاستعدادات المتيقظة لقبوله.

ولكى نصل إلى اعلام اسلامى حقيقى وفكر إسلامى صحيح يحققان الهدف الاسمى وهو تحسين الصورة السلبية للاسلام والمسلمين لدى الغرب ويقضى على العلل السابق ذكرها.

اتحدث فى هذا الفصل عن مقومات وخصائص هذا الإعلام فى مبحثين كما يلى:

المبحث الأول: مقومات الاعلام الاسلامى.

المبحث الثانى: خصائص الاعلام الاسلامى.

المبحث الأول

مقومات الإعلام الإسلامى

تمهيد :

لقد ظلت الأمة الإسلامية واقفة موقف المتفرج على المتغيرات التى شملها النظام العالمى الجديد كأنه لايعنيها فى شئ ، واكتفت باصدار التوصيات وعقد الاجتماعات والمؤتمرات ، بينما تتعرض مصالحها للخطر ، بسبب تناقص الاقبال على المواد الأولية التى تنتجها ، والسلع الصناعية والزراعية التى تكون مواردها المالية واليد العاملة التى تستعين بعمالتها فى الخارج.

والضيق الذى أصبح يفرض على تجارتها وصناعتها ونموها الاقتصادى ، وانكماش قدرتها على مواجهة الاعلام الخارجى الضخم الذى يتسلل من كل جانب ، ويعبث ببعض تقاليدها وشئونها القومية ومقدرتها الوطنية.

والآن: كيف نمهد الطريق لتقديم عطاء الإسلام للبشرية فى عصرها الجديد بالصورة التى تتناسب وجوهر وقيمة هذا العطاء.

لقد قيل بأنه لايحق لدولة أن تدعى أنها مستقلة إذا كانت وسائلها الاعلامية تحت سيطرة أجنبية . إذ ظهر بوضوح أنه لايمكن أن يقوم استقلال حقيقى وشامل ، دون وجود وسائل اتصال وطنية مستقلة تكون قادرة على حماية هذا الاستقلال وتعزيزه. وتشير الخريطة الاعلامية الراهنة للعالم إلى أن التفاوت فى السلطة والثراء بين شمال العالم وجنوبه كان له إنعكاساته السلبية المباشرة على البنية الاعلامية والتدفق الاعلامى مماأدى إلى خلق أشكال متباينه من عدم المساواة والاختلال والتفاوت الاعلامى.

كما ازداد اتساع الفجوة بين من يملكون المعلومات ووسائل نشرها وتوزيعها وبين من يفتقرون اليها وكذلك تأكد الاختلال بين من يبثون المعلومات وبين من يتلقونها.

ومن ثم: فلكى نصل إلى اعلام اسلامى قوى يحقق الهدف الاسمى وهو تحسين صورة الاسلام والمسلمين السلبية لدى الغرب غير المسلم ويقضى على عللنا كلها.

اقترح اتباع عدة خطوات يمكن نظمها فى المطالب الآتية:

المطلب الأول: اختيار الكفاءات الاسلامية للعمل فى مجال الاعلام الاسلامى.

المطلب الثانى: تدريب الكفاءات الصالحة للعمل فى مجال الاعلام الاسلامى.

المطلب الثالث: استخدام تكنولوچيا الاتصالات فى خدمة الدعوة الاسلامية.

المطلب الرابع: كشف زيف الاعلام الغربى.

المطلب الخامس: اجراء الدراسات المستمرة للبلاد المختلفة للعمل على تحقيق وحدة المسلمين.

المطلب الخامس: ايجاد علاقات بين المراكز الاسلامية فى الخارج والوزارات والهيئات المعنية بالدعوة الإسلامية فى الداخل.

المطلـــب الأول

اختيار الكفاءات الإسلامية للعمل فى مجال الإعـــلام الاســـلامى

السؤال الذى يطرح نفسه بشدة: هو كيف نوفق بين الواقع الذى نعيش فيه ونلمسه بما فيه من مآس ونكبات وإهدار دم المسلم فى اجزاء من العالم كله ، وتدمير مقدرات المسلمين وتشويه السمعة ، وبين الصورة الجلية الناصعة للحضارة الإسلامية فى مثل هذا الجو المشوش.

إن الرسالة الاعلامية الاسلامية لكى تأخذ طريقها إلى الرأى العام العالمى يجب على القائمين عليها فهم آليات هذه الرسالة من خلال فهم خصائص النظام الاعلامى الجديد والجوانب التى تكتنفه حتى يمكن التعامل معه بذكاء وحذق وفق تخطيط علمى يأخذ فى الاعتبار كافة المتغيرات التى تفرض نفسها على الساحة الدولية لاسيما أن هذه الرسالة تختلف عن غيرها.

فهى رسالة منطقية تقوم على الحكمة وتستند إلى البرهان فى مخاطبة الجماهير المسلمة وغير المسلمة وتجعل العقل رائدها إلى ماجاء به رسول الإسلام محمد -ﷺ-.

قال تعالى: ﴿إدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾(١).

فالعمل فى مجال الدعوة الإسلامية والاعلام الاسلامى يحتاج إلى رجال لديهم الدقة المتناهية ومعرفة الدين وعلومه لكى يمكن نشرها من خلال كلمات متناسقة وموضوعات وبرامج هادفة لها مفعولها المقنع والمؤثر.

---

(١) سورة النحل الآية: ١٢٥.

خاصة وأن الرسالة الاعلامية الاسلامية رسالة بسيطة لاتثير أية مصاعب للفهم والاستيعاب وتخاطب أدنى المستويات الادراكية فى الانسان نظرا لخلوها من التداخلات والحيل النظرية أو اللاهوتية.

فبساطة تعاليم الاسلام ووضوحها تعد من أبرز العوامل الفعالة فى نشر الرسالة فى مختلف المجالات وبين مختلف الاوساط.

قال تعالى: ﴿وما ارسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾[1]. ولذلك يتطلب الاعلام الاسلامى اختيار الكفاءات الاعلامية للعمل به تتوافر لديهم الدراية بمتطلبات الدين الإسلامى والقضايا الفكرية التى يثيرها اعداؤه والجاهلين من ابنائه.

فيجب على وسائل الاعلام قصف قلاع الفكر المتخلف والتدين المغلوط.

كما يقول الشيخ الغزالى:

إن الفكر الدينى سمن ونما له «كرش» فى تلك القضايا التى أوجدها الفراغ أيام الفراغ وما تعوله صحته إلا اذا ذهبت هذه السمنة واختفى الكرش.

واشتغل المسلمون بعلوم الحياة التى ينصفون بها دينهم المحرج ، ويردون بها أعداء متوقحين[2].

إن من أهم اخطائنا المغالاة فى تقدير الجانب الغيبى من الدين على حساب الجانب العملى أو الواقعى.

ولن يتحقق هذا الفرض الا اذا تم اختيار رجال ذو كفاءه خاصة للقيام بهذه المهمة عبر وسائل الاعلام الاسلامى.

فيجب أن يتوفر فى الاعلامى المسلم الالمام بالثقافة الاسلامية والاحاطة التامة بمصادر التشريع الاسلامى المتفق عليها وهى الكتاب والسنة والاجماع

---

(١) سورة ابراهيم الآية: ٤.

(٢) مشكلات فى طريق الدعوة الإسلامية.

والقياس والمختلف فيها. مثل «الاصل ، الاستصحاب ، الاستحسان ، المصالح المرسلة ، سد الذرائع ، الاخذ باقل ماقيل ، الاجتهاد».

فمن يعمل فى حقل الاعلام الاسلامى يشترط فيه ان يكون متعدد المواهب ولديه سرعة توصيل المعلومات بطريقة سهلة بعيدة عن الغموض حتى تجعل المتلقى لايتسرب إليه الملل ليتمكن من تحقيق الهدف من الاعلام الاسلامى وهو نشر تعاليم الدين وتحقيق مصالح المسلمين جميعا فى كافة انحاء العالم.

إن قنوات الاتصال الدولية تستطيع أن تقدم الاسلام بصورته الصحيحة لهؤلاء الذين اساءوا فهم هذه العقيدة وناصبوها العداء دون فهم.

وإذا كان البعض يرى أننا غير مؤهلين حاليا لتقديم رسالتنا إلى من يتفوقون علينا علميا وتكنولوچيا واقتصاديا وعسكريا فان هذا رأى يجانبه الصواب ، فحين خرج الدعاة من بادية العرب لايملكون من متاع الدنيا إلا قوة الايمان. حقق الله على ايديهم مالم يتحقق على أيدى غيرهم ممن توافرت لهم اسباب القوة والمتعة والثراء.

لأن هذا الدين قد أقام العلاقة بين الافراد وبين الجماعات وبين الدول على مبادئ تقوم على الاسلام والامان والاخاء والحب وتقضى على روح الاستعلاء بالعنصر أو الدم أو الاقلية أو القوم وتفتح الطريق لاسلوب جديد من التعامل يقوم على أساس وحدة الخلق لأن الناس كلهم أخوة واصلهم واحد.

ولذلك فان رجال الاعلام الدينى بما يقدمونه من مواد ، هم فى حقيقة أمرهم دعاة ومبلغون ، وليسوا مجرد نقلة للأخبار أو بحاث عنها فهم مع مشاركتهم سائر الاعلاميين فى طبيعة العمل إلا إنهم يتميزون عن الكثير منهم بما يحقق قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين﴾[١].

ومن ثم فان الاعلامى المسلم ليس هو فقط قناة توصيل جيدة بين كل من

(١) سورة فصلت الآية: ٣٣.

رجال الفكر والعمل وبين الجماهير المتلقية ، بل إن له بحكم تميز رسالته الاعلامية دور اكثر ايجابية فى بلورة الفكر إلى الناحية الاسلامية ونشره بما يحقق الغرض المرجو منه فالإسلام -بقيمه العليا ومبادئه السامية- صالح لكل زمان ومكان محقق للآمال البشرية كلها.

ولكن فهم كيفية هذه الصلاحية يتوقف على فهم الاسلام كدين وشريعة وتحديد مهمة المسلم فى الحياة.

فهم الاسلام كدين وشريعة:

إن الجيل الذى يراد له أن يبنى حضارة المسلمين لابد أن يدرك أن المسلمين ناس كأمثال الناس وأن مهمتهم على هذا الكوكب مهمة بناء وتعمير ، وأن مقاطعة الحياة لايمكن ان تكون مسلكا اسلاميا مقبولا كما ان الاعراض عن الدنيا والتقاعس عن الضرب فى الأرض لايفضى إلا إلى تراجع شأن المسلمين وهوانهم على الناس ذلك أننا -نحن المسلمين- نعرف أن سنة الله فى الناس لاتتخلف وانه لايعفى من حكمها شعب ولا امة.

كما نعرف أن وعده بالنصر والاستخلاف فى الأرض وعد مشروط: ﴿**إن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم**﴾[١].

وانه سبحانه كتب فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عباده الصالحون ... وليس من الصلاح فى شئ أن يعجز المسلمون وأن يتكاسلوا أو يفنوا أعمارهم كلها يطحنون كلاما ويجترون ماضيا ويعتزون بأمجاد أمة قد خلت من قبل.

إن معنى هذا كله بلغة هذا العصر أنه لامكان للمسلمين على خريطة المستقبل إلا اذا تابوا عن خطيئة الكلام الكثير والعمل القليل وإلا إذا شمر كل واحد منهم عن ساعديه وتعبد لله فى ليله ونهاره بالعمل الكثير الذى يعوض ماضاع من عمر الأمة فى الجدل الطويل.

---

(١) سورة محمد الآية:٧ .

نعم إن المهمة الكبرى للمسلمين إنما تتمثل فى هداية الناس وارشادهم لقيم الهدى والعدل والاستقامة على أمر الله. ولكن الناس لايستمعون إلى هذه النداءات كلها اذا جاءت من كسالى عاجزين وارتفعت بها أصوات يكذب حالها مقالها وتنقض سيرتها شعارتها. لقد فتح الله سبحانه وتعالى على المسلمين أبواب ثروة هائلة بما أخرجه لهم من باطن الأرض من معدن سائل يحتاج إليه الآخرون فزاد الغنى. وتعظمت الثروة وتكدست الأموال . وسار فى وسع المسلمين ، لو احسنوا التصرف ووجهوا هذا المال إلى ماينفع الأمة أن يحققوا استقلالا سياسيا واقتصاديا يؤمن لهم مكانة كريمة على خريطة العالم الجديد[1].

إن اختيار الكفاءات للعمل فى مجال الاعلام الاسلامى سيؤدى دون تراخ أو تردد إلى دعوة المسلمين إلى احياء الوظيفة الاجتماعية والنهضوية للدين.

وسيؤدى إلى تنبيه الغافلين وايقاظ النائمين واستعادة وعى الأمة الغائب.

وهذا الأمر ليس من السهولة بمكان فمن الواضح أن الامر يحتاج إلى مزيد من الجهد والالحاح بل يحتاج إلى تضافر جهود مختلف المؤسسات المعنية بتشكيل الإدراك من إعلام وتعليم وتثقيف أى يحتاج تعاون اكثر من جهة.

لأنه لايكفى فى التقدم أن يصبح حلم فرد أو مجموعة أفراد لانه لكى ينجز لابد أن يصبح مشروع امة ومحور سياسة دولة.

هكذا فان غاية ماتطمح إليه اصوات الافراد أن تتحول إلى احجار تحرك المياه الراكدة أو شموع تضئ العقول والمدارك.

---

(١) حوار لا مواجهة، أ.د. احمد كمال ابو المجد، ص ٦٨.

المطـــلب الثانى

تدريب الكفاءات الصالحة
للعمل فى مجال الإعلام الإسلامى

إن الدعوة إلى اتباع دين الحق واتباع الصراط المستقيم ودعوة الناس إلى السير وفق نهج الإسلام لهو علم وفن فاذا كان القائمون عليه يفتقرون إلى التكوين الصلب والمهارات العالية والنظرة الثاقبة والبصيرة الايمانية القوية قد يفشلون فشلا ذريعا.

فكم من معارك كلامية استنفذت الطاقات واستنفذت الاوقات ، وكانت نتيجتها فى نهاية المطاف الصد بدل التقارب وضياع الحقيقة بدلا من تجليتها.

فاذا أردنا أن نصل إلى إعلام اسلامى قوى يظهر خصائص هذه الشريعة الإسلامية ومبادئها واركانها.

فيجب بالاضافة إلى اختيار الكفاءات للعمل بالاعلام الاسلامى أن يتم تدريبهم باستمرار عن طريق عقد الدورات التدريبية والقاء المحاضرات من المختصين وفى الاماكن المختصة كل فى مجاله حتى يكون الاعلامى الداعية على صلة بكل ماهو جديد على الساحة الدولية فيكون مستعدا للتوجيه وتبصير الناس به بدلا من اختلافهم وتخبطهم.

بل من الافضل أن يترك الاعلامى عمله بعض الأوقات ليتلقى مزيدا من العلم ثم يعود إلى عمله مرة أخرى.

قياسا على القضاء:

فمن الفقهاء من أجاز تخصيص القضاء بالزمان وعلل ذلك بأنه ينبغى على القاضى أن لاينسى العلم حتى لايقضى بين الناس على جهل ، ولذلك ينبغى أن تكون ولايته مدة معينة ، يعود بعدها للعلم ويدرسه ثم يجدد السلطان مدة ولايته مرة أخرى وقد أشار إلى ذلك صاحب لسان الحكام فقال «قال أبو حنيفة رحمه الله

-لايترك القاضى على القضاء إلا سنة واحدة لأنه متى اشتغل بذلك نسى العلم فيقع الخلل فى الحكم ، فيجوز للسلطان أن يعزل القاضى بريبة أو بغير ريبة ويقول السلطان للقاضى ماعزلتك لفساد فيك ، ولكن أخشى عليك أن تنسى العلم فاذرس العلم ثم عد إلينا حتى نقلدك ثانيا »[١].

ويجب على الاعلام الاسلامى ان يمتنع عن معالجة الموضوعات الماثلة امامه اذا كان المكلفون بذلك يفتقرون إلى المعطيات الدافعة لمعالجته لأن الإقدام على مثل تلك الممارسات يعد تهورا وسلوكا لايقبله الاسلام البتة.

قال تعالى: ﴿ولاتقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾[٢].

فقيام الاعلام الاسلامى بدوره التنويرى والدفاعى يتطب أعداد كوادر اعلامية قادرة على مخاطبة الرأى العام العالمى ، لأن تأهيل هذه العناصر يعد البداية الصحيحة لنجاح هذه الاستراتيجية الاعلامية كما يتطلب تقوية مضمون الرسالة الاعلامية الحالية وجود أجهزة الاتصال فى العالم الاسلامى كى تعمل على تحصين الجماهير المسلمة ضد سلبيات البث المباشر التى تحمله القنوات الفضائية وشبكة المعلومات الدولية ودرء الاخطار الناجمة عن هذه القنوات التى قد تخلط السم بالعسل وتقدمه للمتلقى المسلم مستخدمة فى ذلك كل أساليب التشويق والإثارة.

ولكى تتحمل هذه الكفاءات المسئولية التى ستلقى على عاتقها يجب القيام بتدريبها وإلمامها بكافة دقائق الأمور وإجراء اختبارات لها وافتراض مشكّلات للعمل على حلها وذلك بطريقة مستمرة ومتصلة تكون فى شكل لقاءات دورية. وللغة دورا بارزا فى هذا المجال ، والاختيار الدقيق ، والتدريب الجيد الفعال ، لأن العالم من حولنا تتعدد لغاته ونحن فى حاجة إلى هذا التعدد كى تعمل الاقلام

(١) لسان الحكام فى معرفة الاحكام، لأبى الوليد ، طبعة سنة ١٢٩٩، ص ٤ ، معين الحكام، ص١٤.

(٢) سورة الاسراء الآية: ٣٦.

بلغاتهـا المختلفـة من أجل هدف واضح ومشـترك ألا وهو «الدعـوة الاسـلامـيـة». والاقـتـصـاد الاسـلامى وكـيـفـيـة اسـتـثـمـار اموال المسلمين ليعـود بالنفع العـام على الشعوب الاسلامية التى تعانى الفقر والاحتياج.

ويجب أن يشـتـمـل التـدريب على بث الافكار والتـعـاليم الدينيـة من خـلال القـالب الادبى الذى كـاد أن ينتـهى من إعـلامنا رغم أنه كـان مـوجـودا فى عـهـد الامويين والعبـاسـيين وفى عصـر النهضـة الاخيـرة فى كـتـابات الرافعى والمنفلوطى. فـالادب الاسـلامى فى تراجع ولابد من النزول بالفكر الاسـلامى فى اشكال دراميـة تجذب الناس وتلبى احتياجاتهم التى اختلفت عنه فى الماضى.

أن المرحلة الراهنة التى يجب أن يستوعبها رجل الاعلام الدينى لم تعد تتطلب مجرد الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية دون عمل جاد ومشترك لتحديد وسائل ونظم تطبيق هذه الشريعة فى المجالات الانسانية المختلفة من تربية وقانون واقتصاد وغيرها.

ودون عـمل جاد ومشـترك للانتقـال بالمجتمعات الاسلامية من واقعها الحـالى إلى المسـتـويات التى يرتضـيـهـا تطبـيق شـريعـة الاسلام فى القـرن الخـامس عـشـر الهجرى.

إن هذه الاعـتـبـارات -جـمـيـعـا- تفـتـرض أن ينتـقـل الإعلام الدينى من حـدود المسـجد فى اتجاه المدرسـة والصـحـيـفـة والمصنع والنـادى الرياضى والجامعـات والبنوك وغيرها.

إننا فى حـاجـة إلى أن نسـتـأنف حـيـاة إسـلامـيـة كـاملة ... إلى تربيـة ونظم قانونية إسلامية، إلى إعلام إسلامى واقتصادى إسلامى وحياة اجتماعية فى رحاب الشريعة وهذا كله يمكن أن يتم بالفكر الدقيق والعمل البناء وفق الشريعة الغراء.

فالهدف الأسمى هو انتقال روح المسجد وتوجيهاته لتشمل جنبات الحياة كلها بأسلوب علمى ومـدروس، وفى ضـوء القـرآن والسنة النبـوية المطهـرة والأعـراف والتقـاليـد السـوية ولاشك أن هذا الهـدف يحتـاج لتحقـيقـة إلى تدريب القـائمن على

تنفيذه[١].

إن امتنا لاتنقصها الآراء ولا الأفكار والإمكانات المادية أو الطاقات البشرية فهى غنية بعقولها وعلمائها وخبراتها وقوتها الروحية.

ولكن يجب مصاحبة السرعة لتلك الامكانات فى اتخاذ القرار وارادة المشاركة الجادة الفعالة.

ان مقتضيات اليوم والغد تملى علينا ضرورة دعم مقومات هويتنا.

فيجب علينا أن نوظف هذه الأسباب لخدمة مصالحنا ، ويجب أن يتحد قادة الأعلام والمؤسسات الإعلامية الكبرى فى الدول الإسلامية على اختلافها وانواعها إلى التعاون والتضامن فى أداء هذه الرسالة.

إن ما يعانى منه عالمنا الاسلامى اليوم هو نتيجة لخمسة قرون من الاستعمار، الذى قام بنهب ثرواته البشرية والطبيعية.

ولاننكر هنا مسئولية البعض فى تحقيق ذلك التواطؤ والانسياق خلف بريق زائف لحضارة مادية مفلسة والا لما لجأت للقهر والقرصنة لفرض سلطانها.

إننا لسنا بحاجة إلى كلمات ... ومزيد من الكلمات لكننا بحاجة إلى سلطة تنفيذية لوضع رؤية شاملة لاستراتيجية اعلامية اسلامية تتصدى لهجمة الغرب بكافة مستوياتها والعمل على توحيد صفوف المسلمين.

علينا أن نبدأ بأنفسنا وأن نكف عن التواطؤ سواء بالصمت أم بالمشاركة ، وأن ننظر للتاريخ بتمعن إذلنا فيه موقفين لايمكن للغرب ان ينسى احداثهما هما:

١- توحيد صفوف المسلمين أيام الحروب الصليبية.
٢- توحيد صفوفهم أيام حظر البترول عام ١٩٧٣م.

(١) الإعلام الدينى هدف وغاية مقال للدكتور/ محمد محى الدين سالم، مجلة منبر الإسلام السنة ٥٧، العدد ٨، ص ٢٨.

فتذكير المسلمين بماضيهم العريق وما يجب عليهم ان يفعلوه الآن.

لايتم إلا عن طريق التدريب المستمر للقيادات الاعلامية الاسلامية عن طريق.

أ- انشاء ادارة للتدريب يتلقى فيها القائمين على العمل الإعلامي الاسلامي محاضرات شتى فى الدراسات الانسانية والاسلامية يلقيها كبار المفكرين والدعاة.

ب- عمل مسابقات دورية فى جملة من الكتب النافعة يتقدم اليها العاملين بحقل الاعلام الاسلامي ويمنحون عليها مكافآت مادية وادبية وتقتصر البعثات إلى الخارج على من يتفوق فيها.

جـ- تدريب الاعلامى الاسلامى على كيفية مخاطبة جميع المسلمين فى مختلف المستويات وفى جميع الاماكن ففيهم الأمى ، ونصف المتعلم والمثقف ثقافة عالية.

ويجب على الاعلامى الاسلامى تطويع الانماط المختلفة من الثقافات للمضمون الدينى حتي يكون هناك عائد من العملية الاعلامية وكل هذا لايتحقق الا بوضع خطة للتنسيق الشامل بين مختلف وسائل الاعلام وبين كافة الانشطة العلمية والفكرية والتربوية فى كل بلد اسلامى بحيث يتم استيعاب كل ماهو متصل بالعقل والقلب والسلوك فى اطار اسلامى يخدم قضايا المجتمع ويساعد الاعلام الدينى فى تأدية رسالته نحوها والتأكيد على أن الاسلام ليس رؤية اعتقادية فحسب وانما هو طريقة فى التفكير واسلوب فى العيش ، وخطة فى التعامل بل وله ايضا دور هام وفعال بالنسبة للتيارات الوافدة علينا فى كل بلد إسلامى فيما يسمى بالغزو الفكرى. وهذا هو معنى العبادة الواسع الذى يجب أن يفهمه الجميع.

فالعبادة هى طاعة قانون الله فى الحياة فى كل وقت وفى جميع الظروف والتخلص من الالتزام الذى قانون يتعارض مع القانون الالهى ويجب أن تكون حركاتنا وسكناتنا طبقا للحدود التى قررها الله.

المطلــب الثالث

استخدام تكنولوجيا الاتصالات
فى خدمة الدعوة الإسلامية

لايســتطيع أحــد أن ينكر دور العلم[١] الحــديث فى مــجـال الاتصــالات والتكونولوچيا الحديثة وأثرها فى خدمة الدعوة الإسلاميـة ونشر الوعى والثقافة الدينية.

والحديث عن دور الاعلام الاسلامى ومتطلباته فى الحاضر والمستقبل وفى ظل التـقدم العلمى الهائل حديث متجدد دائما وضرورى لخدمة قضايا الدين والأمة الإسلامية كلها.

ومن أجل مواجهة التحديات التى تفرض على المسلمين والاتهامات الظالمة التى تشاع عن الاسلام ذلك الدين الإلهى السامى والمتحضر.

ومن المعروف لدى العامة قبل الخاصة والقاصى قبل الدانى أن أخطر الاسلحة فى العـالم الآن هو سلاح العلم والعمل وعلى أساس هذين السلاحين تقوم حضارة المجتمعات فى العالم كله.

ولاتوجد فى الاسلام مشكلة بين الدين والعلم. فالقرآن يفرضه علينا قال تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾[٢].

---

(١) لفظ علم يطلق إصطلاحا ويراد به أحد معان ثلاث:
١- ادراك الشئ ومعرفته.
٢- نفس الشئ المدرك.
٣- الملكة التى تكون فى طالب العلم نفسه.
ويقول ابن عابدين فى حاشيته فى ذلك: «المعني الحقيقى للعلم هو الادراك ، ولهذا المعنى متعلق هو المعلم ، وله تابع فى الحصول يكون ذلك التابع وسيلة اليه فى البقاء وهو الملكة ، وقد أطلق العلم على كل منها إما حقيقة عرفية أو اصطلاحية ، أو مجازا مشهورا»، جـ١ ص ٢٧.

(٢) سورة المجادلة الآية: ١٤.

وقال تعالى: ﴿قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿انما يخشى الله من عباده العلماء﴾[٢].

بل إن العلماء فى الاسلام لأعلي مرتبة من الشهداء. قال تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾[٣]، وقول -ﷺ-: «يُشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء»[٤].

فالآيات القرآنية الكريمة مليئة بالعلوم والمعارف النافعة والضرورية لبناء العقل الإنسانى الحر ، وهى تحث على طلب العلم النافع المصحوب بالعمل الصالح والنفع العام والخاص.

العلم الذى من شأنه زيادة الحصيلة العلمية ، ومعرفة الحقائق فى مختلف فروع المعرفة ، ومجالات الحياة فى امور الدنيا ومسائل الدين.

فاذا كان الامر كذلك ، فلماذا يظل معظم العالم الاسلامى فى تخلفه العلمى والحضارى ، حتى أن أعلى نسبة للامية موجودة فى العالم الاسلامى؟!.

ولماذا يظل معظم العالم الاسلامى متخلفا عن ركب الحضارة؟!. هذا التخلف الذى أفقد المسلمين تقدير روح العصر ومتغيراته ، وجعلهم عاجزين عن التوفيق بين متطلبات الحضارة ومتطلبات الدين ، حتى ان بعضهم يزعم أن التحضر مناف للدين!.

ليس هناك ابتكار أو اختراع أو ابداع ينبع من العالم الاسلامى لقد اكتفى المسلمون باستيراد كل ذلك من مجتمعات غير اسلامية.

ومما يقير العجب أن علماء المسلمين لايشتهرون فى بلادهم ولكنهم يشتهرون فى البلاد الاجنبية التى تقدر العلم وتقدر العلماء.

(١) سورة الزمر الآية: ٩.
(٢) سورة فاطر الآية: ٢٨.
(٣) سورة المجادلة الآية: ١١.
(٤) جامع بيان العلم وفضله، جـ١ ص ١٥٠.

فلماذا يظل المسلمون فى المؤخرة ، مع وجود الطاقات والامكانات لديهم؟!.

إن المسلمين لن يستطيعوا مواجهة متغيرات العصر إلا اذا بلغوا القدر الذى يستحقونه من العلم والمعرفة والعمل والتحضر[١].

(١) وقد جاء فى مجلة منار الاسلام العدد العاشر السنة ٢٤ شوال سنة ١٤١٩هـ فبراير سنة ١٩٩٩م، ص ٩٨ مايلى:
إن محنتنا الإعلامية يرثى لها ، بعد أن تحول الفضاء إلى ساحة مفتوحة للمناقشة والتسابق والاستغلال فقد اصبحت اجيالنا وتعاليمنا بل إن شئت فقل ديننا ، مادة دسمة لكل سهام الغزو والتشويه والاستلاب.
فعلى صعيد الاعلام المرئى: تتحدث إحدى الدراسات عن حاجة القنوات العربية لبث اكثر من ٣٠٠ الف ساعة سنويا ، فى حين أن الانتاج التليفزيونى والسينمائى بمختلف اشكاله من الرياضة إلى البرامج الدينية مرورا بالاعمال الدرامية لايغطى اكثر من ٢٥٪ فقط.
وهذه التغطية شبه منفصله عن البحث العلمى ، بل وتساهم فى تكريس التوجه الاستهلاكى للإنسان العربى والمسلم.
وتؤكد بعض بحوث اليونسكو أن التلفزات العربية تستورد من أمريكا وبريطانيا وفرنسا والمانيا بحدود ٦٠٪ من مجموع البرامج ، ويبقى ٩٠٪ من هذه البرامج التى تعرض عبر الفضائيات العربية لتجسيد موضوعات تتعلق بالعنف والادمان على المخدرات والشذوذ الجنسى وطمس التاريخ وعولمة القيم الخاطئة وتقدر نسبة البرامة المخصصة للشباب والأطفال تحديدا بـ ٥٢,٣ فى المتوسط ولايتعدى مؤشر مجموع البرامج الثقافية درجة ١٠ - ١٥٪.
إن الدول الصناعية الكبرى تتحكم فى ٩٠٪ من الموجات الاذاعية فى العالم ، كمازن أربع وكالات فحسب تبث ٨٠٪ من أخبار العالم هى الأسوشيتدبرس «١٧مليون» كلمة يوميا واليوناتيدبرس «١١ مليون» كلمة ، وهما امريكيتان ، وأيضا رويتر البريطانية «مليونا ونصف» وفرنس برس «٣,٣٥١٠٠٠» كلمة + ٥٠ صورة ، وتخصص جميع هذه الوكالات العملاقة مامعدله ٢٠٪ فقط للعالم النامى كله.
أما وكالة أنباء الشرق الأوسط التى تعد من أقدم الوكالات العربتي فهى لاتبتث أكر من ١٥٨ الف كلمة فقط لكنه رقم غير زهيد أمام وكالة الانباء الاسلامية العالمية «إنبا» التي لايتعدى بثها ٢٠صفحة يوميا تترجم للانجليزية والفرنسية.
وفى عهد النظام العالمى الجديد يتصدر صوت امريكا باكثر من الف ساعة اسبوعيا بـ ٤٢ لغة فى العالم بينما تبث اذاعة الفاتيكان على ٦ موجات بـ ٣٠ لغة منذ عام ١٩٣١ ولها تعاون مع ٤٠ تنصيرية تبث فى مجموعها اكثر من ١٠٠٠ ساعة فى الاسبوع.
وفى الاعلام المقروء يمتلك اليهود والحركة الصهيونية العالمية اكثر من ٩٥٤ صحيفة ومجلة تصدر فى ٧٧ دولة منها ٢٤٤ فى الولايات المتحدة و ٣٤٨ فى اوربا و ١١٨ فى امريكا اللاتينية و ٤٢ فى افريقيا و ٣٠ فى كندا و ٥ فى تركيا و ٣ فى الهند بينما تبث صوت اسرائيل عبر محطات و١٥ موجة و١٦ لغة بمعدل ٣٠٠ ساعة اسبوعيا وبانتشار الانترنت تزداد المرارة حيث احتلت الطائفة القاديانية اسم الاسلام العظيم لنشر مبادئها الضالة.

إن التعاون الفضائى بين دول العالم الاسلامى اصبح اكثر ضرورة من ذى قبل لمواجهة مستجدات ثورة الاتصال التى يشهدها العالم. حيث تتعرض امتنا الاسلامية لاختبار شاق فى ظل التطور التكنولوچى السريع والمتلاحق.

فلا خيار لامتنا الاسلامية غير التقدم ومواكبة العصر حتى لانكون اسرى مفاهيم تقليدية لم تعد صالحة لزماننا ونحن على مشارف القرن الواحد والعشرين. إن امتنا الاسلامية اليوم فى أمس الحاجة -وخاصة فى ظل البث المباشر وماتحمله الاقمار الصناعية من برامج وافدة قد لايتفق محتوى بعضها مع عاداتنا- إلى وسيلة نعبر من خلالها عن ثقافة امتنا ونبل شخصيتنا الحضارية وتلقى الضوء على انجازاتنا والتصدى لما يشوه صورة ديننا الحنيف عن جهل أو عن قصد.

يجب ان يكون لامتنا دور فعال يرسخ علاقاتها ويخدم قضاياها ويجعلها فى مصاف الدول المتقدمة

فقد كانت المسافة بين كل قمر صناعى وآخر على المدار الاستوائى خمس درجات تضاءلت الآن وأصبحت ثلاث درجات فقط. وستصل قريبا إلى درجتين فقط فى المستقبل القريب. بمرور الوقت سوف تظهر مشكلة وهي تشبع هذا المدار المتزامن الذى يتمركز على ارتفاع ٣٦٠٠٠ كليو متر ماتخصص لمصر كموقع مدارى للقمر الصناعى المصرى لبثه المباشر عند سبع درجات غربا ومخصص لها القنوات القمرية التليفزيونية ٤ ، ٨ ، ١٢ ، ٢٠.

والدراسات التى تجرى حاليا للحصول على مدار متزامن على بعد ١١٣٠٠ كليو متر بالنسبة للأقمار الصناعية الثابتة. وقد بدأ استخدام الكابل البحرى **TAT 8** عبر المحيط الاطلنطى والكابل Tpc 3 والكابل **HAW** عبر المحيط الهادى تطبيقا للتكنولوچيا الحديثة المتقدمة للآليات البصرية والتى يمكن الاستعانة بها فى مجال البث التليفزيونى لنقل البرامج الدينية والثقافية المختلفة.

ومن هنا فاننا نتساءل فى ظل استخدام التكنولوچيا الحديثة فى مجال الاتصالات. **هل يجب انشاء قناة تليفزيونية دينية متخصصة.**

ففى عصر الاقمار الصناعية والسماوات المفتوحة أصبح العالم أشبه بقرية صغيرة تذوب فيها كل الحواجز والحدود ، وأصبح للكلمة المسموعة والصورة المرئية عبر القنوات الفضائية وقع السحر على الانسان. فى مختلف بقاع العالم.

ولأننا نعيش فى عالم القنوات المتخصصة بما تحمله من قيم غربية فى معظم الأحيان. فليس غريبا أن ينادى البعض بانشاء قناة دينية متخصصة فهل نحن حقا فى حاجة لهذه القناة وهل لدينا الكوادر الإعلامية المؤهلة لتولى هذه المهمة.

اختلفت الآراء حول هذا المطلب بين مؤيد ومعارض ولكل فريق وجهة نظره.

أولا: حجة المعارضين:

يقولون أننا لسنا فى حاجة لقناة دينية متخصصة لسببين:

السبب الأول:

أننا سنحصر من يشاهدون البرامج الدينية فى فئة معينة من الناس يسعون خصيصا لمشاهدة القناة الدينية فقط دون غيرها ونحن بحاجة كرجال دعوة لمخاطبة مختلف فئات الناس وخاصة فى القنوات الفضائية المتنوعة.

فلو اتيحت للبرامج الدينية فرصة التواجد فى مختلف القنوات المتخصصة وبفترات مشاهدة جيدة وغير ميتة سكون ذلك أفضل للبرامج الدينية ويتحقق لها أكبر نسبة من المشاهدة.

السبب الثانى:

ان المتحمسين لانشاء قناة متخصصة للبرامج الدينية ربما يظنون انها ستحقق نسبة كبيرة من المشاهدة والاقبال عليها. وهذا يحتاج لمراجعة ودراسة متأنية قبل الاسراع فى انشائها كما يحتاج للاعداد الجيد لكوادر اعلامية قادرة على القيام باعباء هذه القناة وانجاحها وذلك من حيث المذيعين والمخرجين ومعدى النصوص الجيدة وغيرهم من أعمدة البرامج الدينية الناجحة.

ثانيا: حجة المؤيدين:

استند هؤلاء إلى ما يلى:

١- ان الدين هو الركيزة الاساسية لكل الفضائل وجوهرها ومن خلال هذه القناة يمكن ان نبث جوهر الاسلام الصحيح بعيدا عن الخلافات والتشدد.

٢- تقديم ثقافة اسلامية حقيقية متنوعة عن رموز الاسلام في قوالب فنية عديدة من مسرح جيد وفيلم هادف واغنية راقية ومسلسل يحمل معانى اسلامية سامية. كل هذه الفنون مجتمعة نحن فى أمس الحاجة إليها بصورة مكثفة لملء الفراغ الدينى والثقافى.

٣- القناة الدينية المتخصصة تعمق ثقافة الانسان الدينية وتتابع اخبار العالم الاسلامى أولا بأول.

٤- تتبنى هذه القناة المتخصصة فكرة الدعوة للحوار بين الاديان على اعتبار أن الأديان السماوية كلها جاءت من مشكاة واحدة لخدمة البشرية وإسعادها.

وردا على مايقال بشأن عدم وجود كوادر إعلامية للعمل بهذه القناة أقول.

١- ان مصرنا الغالية غنية بالكوادر الاعلامية التى تنهض باعباء هذه القناة فى المجالات المختلفة من مخرجين ومذيعين ومعدى برامج وغيرهم.

٢- ستعمل هذه القناة المتخصصة على إعادة الصياغة الاعلامية لبرامج التليفزيون كلها على مختلف القنوات لتكون رسالتنا الاعلامية كلها مرتبطة بالمادة الثانية من الدستور وهى أن الشريعة الاسلامية المصدر الرئيس للتشريع.

٣- أن نسبة الأمية فى مصر وفى مختلف دول العالم الإسلامى كبيرة وهذا يؤكد ضرورة وجود هذه القناة كوسيلة للدعوة الإسلامية لان المشاهدة محببة إلى الأميين الذين لايجدون وسيلة للمعرفة إلا عن طريق المشاهدة والاستماع.

وبناء على ذلك أرى ضرورة إنشاء قناة فضائية متخصصة لنشر وتوضيح مفاهيم وتعاليم الفقه الإسلامى على غرار اذاعة القرآن الكريم.

وقد أجرى الاستاذ الدكتور/ محيى الدين عبد الحليم رئيس قسم الصحافة بجامعة الازهر دراسة ميدانية عن اذاعة القرآن الكريم.

اثبتت الدراسة أن اكثر الاذاعات استماعا فى مصر هى اذاعة القرآن الكريم، بالاضافة لدراسات اخرى اكدت انها الاكثر استماعا على المستوى العربى والعالمى.

وهذا مؤشر يدعونا للتفاؤل بنسبة الاقبال على القناة الدينية خاصة اذا تسمت بالتنوع فى البرامج التى تقدمها فى إطار المرجعية الاسلامية.

ولو اجرينا بحثا ميدانيا عن رغبة المواطنين فى انشاء هذه القناة المتخصصة سنجد أن اكثر من ٩٠٪ من المشاهدين يريدونها فلماذا لانلبى رغباتهم وخاصة أن الإعلام تعبير عن رغبات واهتمامات الناس واتجاهاتهم واحتياجاتهم الحقيقية التي تنهض بهم وبمجتمعهم(١).

خاصة وان هناك اذاعات افريقية تقوم ببث التبشير كل يوم وطول النهار والليل، فيمكن لهذه القناة الرد على هذه الرسائل والدفاع عن ديننا الحنيف.

ومن ناحية التكلفة المالية اللازمة لانشاء هذه القناة وتشغيلها فيمكن توجيه المال المخصص لسهم «فى سبيل الله» من مصارف الزكاة لهذا الغرض.

لان هذا السهم يصرف فى الجهاد أو الغزو أو الرباط فى سبيل الله ، وكل ما من شأنه نصرة دين الله تعالى ، وليس بالضرورة أن تكون هذه النصرة بالقتال.

فان مجاهدة الغزو الفكرى الذى يستهدف القضاء على الاسلام فى معقله ، بالدعوة الصادقة التي تذب عن دين الله تعالى. وتبين وجه الإسلام الصحيح ،

---

(١) جريدة الاخبار المصرية فى ٦٠/١٠/١٩٩٨م.

وتدعو إليه ، لاتقل أهمية عن الجهاد بالبنان ، بعد أن تبدل مفهوم الحفاظ على المجتمع فى زماننا من الاعتماد على القوة المسلحة إلى تعبئة الفكر لصد هجمات المغرضين ورد الدعوات الوافدة ، والمذاهب الدخيلة. التى تهدف إلى تقويض ركائز فكر هذا المجتمع وعقيدته وذلك يحتاج إلى إعداد فكرى قويم لترسيخ المفاهيم الصحيحة للفكر الذى يؤمن به المجتمع ، وتكوين دعاة يحملون عبء القيام بذلك يشرعون اقلامهم وألسنتهم للذود عن حمى هذا الدين ممن أراده أو أهله بسوء.

ويقول الاستاذ الدكتور يوسف القرضاوى:

إذا كان جمهور الفقهاء فى المذاهب الأربعة قد حصروا سهم فى سبيل الله فى تجهيز الغزاة والمرابطين على الثغور ، وإمدادهم بما يحتاجون إليه فنحن نضيف اليهم فى عصرنا أولئك الذين يعملون على غزو العقول والقلوب بتعاليم الاسلام والدعوة اليه فهؤلاء يرابطون بجهودهم والسنتهم واقلامهم للدفاع ، عن عقيدة الاسلام وشريعته ، اذا الجهاد كما يكون بالسيف والسنان يكون بالقلم واللسان ، فيكون فكريا أو تربويا أو اجتماعيا أو اقتصاديا أو سياسيا ، كما يكون عسكريا. وكل هذه الأنواع تحتاج إلى امداد وتمويل ، فكل جهاد اريد به أن تكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله[1] ومن أدلة شمول الجهاد لذلك.

ما رواه ابن مسعود عن النبى - ﷺ- أنه قال: «مامن نبى بعثه الله فى امة قبلى الا كان من امته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم انها تخلف من بعدهم خلوف ، يقولون ما لايفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل»[2].

ومن ثم فان سهم فى سبيل الله فى الصدقة يجب ان ينفق فى الوجوه التى يتحقق بها نصرة دين الله تعالى والدعوة اليه ، ومن هذه الوجوه مايلى:

---

(١) فقه الزكاة، أ.د. يوسف القرضاوى، ص ٦٣٥.

(٢) اخرجه مسلم فى صحيحه، جـ١ ص ٣٩ ، ٤٠.

إعداد القوة التى تدافع عن دين الله واهله ، ممن يريدون النيل منه أو منهم ومن ذلك.

* تمويل الجهود التى توقف المحاولات المستمرة التى يبذلها اعداء الاسلام لاستئصال هذا الدين من نفوس معتنقيه فى البلاد الاسلامية.

* تمويل طبع الكتب التى تبين وجه الاسلام الصحيح ، وتعاليمه القويمة ومبادئه السامية وارسالها إلى الاقليات المسلمة فى البلاد التى توجد فيها بلغاتهم التى يتحدثون بها.

* انشاء جميعات ومراكز اسلامية فى البلاد غير المسلمة للدعوة إلى الاسلام واظهار صفحته الناصعة ، وتثبيت أسس العقيدة الصحيحة فى نفوس معتنقية فى هذه البلاد ، ومنع الاقليات المسلمة فيها من الذوبان فى مجتماعتها وتحصينها ضد دعاوى الضلال والتحلل فى هذه المجتمعا مثل كوسوفو أو الشيشان أو الهند أو الفلبين أو كشمير أو فلسطين أو ارتريا أو اليابان أو دول الكومنولث الإسلامى.

* الانفاق على من يعمل فى مجال الابتكارات لاستخدام التكنولوچيا فى مجال خدمة الدعوة الإسلامية

المطلب الرابع

كشف زيف الإعلام الغربى

لقد لعب الإعلام الغربى دوره فى إقامة الصراع بين العروبة والإسلام وكان هدفه هو إذابة الشخصية الاسلامية والغاء خصائصها الذاتية من خلال حملاته الاعلامية المنظمة ليشوه الاسلام ويباعد بينه وبين الأمة حتى أصبحت لاتعى منه سوى اسمه وقادتها إلى صراح دائم بين ايديولوچيات مختلفة أما مفكريها فتقاسمتهم الفلسفات وكل منهم يطلب مذهبا فكريا يخالف ماعليه قومه بينما توحيد الأمة لاينبع إلا من وحدة الفكر.

فالاعلام الغربى الغير مسلم لايكف عن الحاق كل المساوى بالاسلام كدين وبالمسلمين كاتباع له.

وخاصة عند الحديث عن حقوق الانسان أو اختلافنا حول المذاهب الاجتهادية.

ووسط هذا الركام من التداعيات والتصدع الذى يحاول من ورائه أعداء امتنا وعقيدتنا أن ينفخوا فى رماد المؤامرات وأن يوسعوا الهوة بين الشباب والأنظمة القائمة وبين الشباب والدعاة والمصلحين.

وسط هذا الركام من التداعيات التىٰ وراءها أصابع الصهيونية ووراءها اعداء هذه الأمة الذين يذروا بذور الفرقة بيننا ، وللأسف استجاب لها من ينتمون إلى هذا الدين ومن يدعون الغيرة عليه فرأينا شروخا بين فصائل الشباب المسلم ، ورأينا كل فرقة تكذب أختها وتفسقها وتكفرها وتبدعها.

ووسط هذا الركام من التداعيات المسفهة التي تنأى بأمتناعن المنهاج الحق واجب الدعاة ، واجب الحكام ، واجب المصلحين ، واجب الأمة باسرها أن يتعاونوا على قلب رجل واحد ، فيحاربوا هذا الفكر المسموم وهذا التيار الإرهابى العدوانى الذى يمثل خطرا علي العقيدة والدعوة الاسلامية قبل ان يمثل خطرا على الانظمة القائمة أو المجتمعات البشرية ، فننشر هذا الدين لا أن نقف كالواقفين فى قفص الاتهام ندافع كل يوم وندرأ شبهة عن ديننا.

يجب أن يعلم الجميع ما يريد منا اعداؤنا.

الاجابة: يريد اعداؤنا أن يحصرونا فى هذه المنطقة من العالم بأن نقف دائما موقف الدفاع، والسبب هؤلاء الذين شقوا عصا الطاعة وخالفوا الجماعة.

ولكشف هذا الزيف والتضليل من جانب الإعلام الإسلامى نجد أن:

الطريق والمنهاج الحقيقى والصحيح هو الذى رسمه القرآن الكريم ... والقرآن الكريم وضع امامنا معالم.

هذه المعالم تتلخص فى:
أن نكون يدا واحدة لا أن نتفرق إلى فرق وجماعات قال تعالى **﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا﴾.**
التمثل بمبدأ الدعوة الذى يتسم بالحكمة والموعظة الحسنة **﴿وجادلهم بالتى هى أحسن﴾.**
فاذا استطعنا أن نوحد الصنف وإذا استطعنا ان نعرض من خلال وسائل الإعلام المختلفة محاسن هذا الدين ستنجح المسيرة ان شا ا لله ... لأن أمامنا المنهاج.

وأمامنا الدستور السماوى وهو القرآن ، وأمامنا مذكرته التفسيرية وهى سنة سيد الخلق عليه الصلاة والسلام وامامنا نماذج من القدوة ومن سلفنا الصالح ومن السيرة النبوية العطرة ... يبقى بعد ذلك ان نتجه إلى الاليات وإلى المجالات التى ننطلق إليها.

أما الآليات فهى المسجد ... عليه رسالة ، والمدرسة عليها واجب والجامعة عليها واجب ... ووسائل الإعلام التى اصبحنا فى ظلها الآن نعيش عصر السماوات المفتوحة وأصبح العالم قرية ، عليها أيضا واجب.

وليس أدل على صدق مقاصد الفقه الاسلامى الدقيق ، إلا ان تختبر عمليا وعلى أرض الواقع ، فالتطبيق الفعلى لنظرة الاسلام إلى حقوق الإنسان يظهر ، بشكل لايقبل اللبس ، مدى الالتزام باحترام حقوق الانسان المدنية والسياسية ، وحريته فى الاعتقاد والممارسة الدينية.

ولدينا فى أحداث التاريخ الاسلامى شواهد لاترد لاسيما فى المواقع التى شهدت تواجد أديان ومعتقدات اخرى.

مثل «الاندلس» التى تتميز باختلاف الأرض والسكان وطبيعة المعتقدات لدى أهلها عما ألفه المسلمون وقد تم فتحها فى العقد الأخير من القرن الأول الهجرى.

وكان لزاما على المسلمين أن يتعاملوا مع أهل الأندلس معاملة اسلامية لانهم كانوا يدركون دورهم ، ومغزى رسالتهم العالمية ، التى تؤكد على حقوق البشر كافة، ولاتميز فى هذه الحقوق ، الا بمقدار مايسمح به الشرع فلا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى. هذه هى القاعدة التى وصفها حملة راية الاسلام فى كل مكان نصب اعينهم ، وطبقوها بالتزام رائع يكاد يكون نموذجا لحرية الاعتقاد عند بنى البشر.

فعندما اراد القائد المسلم عبد العزيز بن موسى بن نصير ومن معه من المسلمين أن يتخذوا مسجدا فى أول عاصمة لهم بالأندلس «اشبيلية» لم يحولوا احدى كنائسها الكثيرة إلى مسجد بل اختار الوالى عبد العزيز بن موسى جزءا قريبا من باب كنيسة رينية أورفينة **Sant Raffina** وابتنى عليه مسجدا وذلك لقربه من القصر الذى يسكن فيه وظلت كنائس المدينة الأخرى دون أن يتعرض لها المسلمون. وهكذا سادت العلاقات الطيبة بينهم وبين أهل البلاد لأن المسلمين كانوا يدركون حقوقهم وحقوق غيرهم.

كما يجب اتباع الخطوات الآتية :

١- يجب على المسلمين ترك التناحر بخصوص المذاهب الاجتهادية الخلافية والأمور الفرعية وأن يتوقف كل واحد من هؤلاء المتناحرين عن محاولة الانتصار لنفسه أو فئته أو مذهبه وأن يعمل على توحيد الصف وتوحيد الصوت لان عدونا يريد أن يجتث شجرة الاسلام من جذوعها.

٢- يجب أن انشاء جهاز مركزى للدعوة الاسلامية يرسم تخطيطا للمستقبل

لاعطاء صورة واضحة عن الإسلام ويرد على مايقال لدى الغرب من دعاوى باستخدام دعاة مدربين ومتميزين فى الصفات واجادة اللغات وحسن السمعة والسلوك والإخلاص للرسالة والاندماج فى المجتمع بوضع حلول لمشكلاته.

ويمكن الاستعانة بالقنوات الفضائية الاسلامية ببث إرسال لساعة أو ساعتين للرد على مايشاع عن الاسلام من اتهامات ظالمة.

وهذا دور الدعاة للإعلام بالقرآن الكريم إضافة لجعل المسجد منارة اسلامية تشرح للناس الإسلام فى أى مكان فى العالم مع تشجيع الاجتهاد ليتناسب الفقه مع مستحدثات العصر.

كما يجب الاتفاق على الرسالة الاسلامية الواضحة البعيدة عن الخلاف بين الشراح.

وذلك عن طريق تجويد أساليب الدعوة وادراك أن عطاء الاسلام عملية تقوم على أساس الوعى بالذات وفهم العصر والأخذ بأساليب العلم وحسن استيعاب التراث والاستفادة منه وهذا الادراك شرط رئيسى لتقديم رسالة الاسلام للعالم والاسهام فى الحضارة الانسانية القائمة والبعد عن قضايا الخلافات المذهبية أو الكلامية.

ومن هنا فان مسئولية الاعلام الاسلامى مسئولية كبيرة وخطيرة فيجب عليه مواجهة الاكاذيب المضللة والمغرضة التى تريد تشويه صورة الاسلام. بالاضافة إلى توحيد توجهات الأمة للتنمية بجميع اشكالها والخروج بها من دائرة التكاسل والتراخى واللامبالاة إلى انطلاقة قوية متوثبة تستند على التخطيط العلمى والمواجهة بالمنطق الصحيح وتصحيح المفاهيم من أجل العودة إلى الطريق المستقيم من خلال السلوكيات الإسلامية الواعية الرشيدة.

فكل إعلامى إسلامى هو سفير للإسلام برأيه وكلامه ، بسلوكه وتصرفاته فيما يكتب أو يقرأ على الناس.

لقد آن الأوان فى ظل ثورة الاتصال والمعلومات أن يعرف العالم حقيقة هذه الرسالة التى قال عنها المستشرق الانجليزى «توماس ارنولد».

«إن الملاحدة ظلوا ينعمون فى ظل الحكم الاسلامى بدرجة من التسامح ليس لها مثيل فى أوربا ، وأن العقيدة الاسلامية تلتزم بهذا المنهج مع جميع اتباع الديانات الأخرى».

كماقال عنه البطريرك «عيشوايابه»:

«أن المسلمين يمتدحون ملتنا ويوقرون قسيسنا ويمدون المعونة إلى كنائسنا وأديرتنا وذلك انطلاقا من التفاعل والانفتاح بين هذا الدين وكل العقائد الأخرى»[١].

فيجب على الاعلام الاسلامى ان يظهر اهمية ومكانة الامة الاسلامية التى تشغل ثانى مجموعة بشرية على مستوي العالم امتدت حضارتها منذ القرن السادس الميلادى إلى مشارف عصر النهضة واسهمت فى التطور الإنسانى الذى كانت فيه أوربا ترزخ تحت عصر الظلام والتخلف.

أن مايشهده العالم الآن من تطور متلاحق وسريع فى وسائل الاتصال كان اخرها اطلاق القمر الصناعى المصرى «نايل سات» ليكون إلى جانب الاقمار الأخرى التي تمتلكها الأمة الاسلامية لتقضى علي حواجز المكان والزمان ولتقدم ارأونا إلى العالم.

فمن واجب الاعلام الدينى تسليط الاضواء على مختلف التيارات فى العالم وتقديم التراث الاسلامى فى مواجهتها وتبصير المسلمين فى دولهم باهمية جمع وتوحيد الصف والاعتصام بحبل الله ، وابراز الاخطار التى تهدد المسلمين بفرقتهم عن طريق اتباع الاعلام الغربى لسياسة «فرق تسد».

إلى جانب معايشة المشاكل وحسمها من الناحية الدينية بالحكمة والموعظة

(١) روح الدين الإسلامى، عفيف عبد الفتاح طيار، طبعة ١٩٧٧، ص ٢٨٥.

الحسنة تحقيقا للآية الكريمة: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا﴾[١]، ولقوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾[٢].

كما ان الاعلام الاسلامى مطالب بحث الدول الغربية على استحداث قوانين للرقابة على المؤلفات التى تسئ إلى الرسل والانبياء وتنال منهم بالجرح والطعن والامتهان وما يسببه ذلك من اساءة واستعداء لمشاعر المسلمين ، وبذلك يغلق باب من أخطر الأبواب التى يدخل منها الخلاف والعداء ، وذلك لأن حرية الفكر المطلقة هى التى تتيح لهم تحقيق هذا الغرض وتفسح المجال للكتاب الحاقدين للنيل من مكانة الانبياء باسلوب عار من الالتزام الادبى والحوار الفكرى ، والأمر الذى يثير المشاعر والعواطف ، ويجعل الساخطين يعبرون عن شجبهم واستنكارهم لمثل هذه المهانات بطريقة قد لاتتفق مع العقل الغربى فتسؤ العلاقات وتنشي نيران العداوة والخلاف بين الغرب المسيحى والشرق المسلم[٣].

---

(١) سورة العنكبوت الآية: ٩٦.

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٠٣.

(٣) الاعلام الدينى هدف وغاية ، مجلة منبر الاسلام، العدد ٨ السنة ٥٧، مقال د. محمد بهى الدين سالم، ص .

المطلـــب الخامس

اجراء الدراسات المستمرة للبلاد المختلفة
مع ضرورة تحقيق وحدة المسلمين

حتى لانكون فى معزل ومنأى عن مجريات الأمور والأفكار المشوهة يجب تكليف من يقع عليهم عبء الاختيار بدراسة المجتمعات التى يكتبون اليها حتى تتدارك الافكار والمفاهيم الاسلامية التى تشوهت ، والعمل على تصحيحها وإعادة رونقها حتي نسد الطريق على المتربصين لهذا الدين الحنيف كى تكون المفاهيم الاسلامية واضحة لاتحتاج إلى تأويل.

فى ضوء هذا الواقع فأنه لامجال للعداء بين العالم الإسلامى وأصحاب العقائد الأخرى ، وقد أكد علماء الاسلام ومفكروه هذه الحقيقة لأنه ليس من مصلحة المسلمين تعبئه المشاهر العدائية ضدهم دون مبرر لذلك.

والمسلمون لم يبدءوا بالعدوان على أحد فى أى مرحلة من مراحل تاريخهم ، بل انهم اقاموا نهضة شاملة كانت سببا وراء النهضة الأوربية التى تحققت بعد ذلك من خلال العطاء العلمى والفنى والثقافى والفكرى الذى قدموه إلى العالم فى ظل نظام عادل لم يعرف البطش والاستبداد والسلب والنهب الذى مارسه الآخرون ضدهم ولكنه وضع اساسا للعلاقة بين كل أفراد الجيش البشرى ، علاقة تقوم على المودة ، والاحترام ، ومساعدة الضعيف وانقاذ الملهوف ، والرفق بالانسان أيا كان دينه ومذهبه أو اصله أو لونه.

لاتستطيع الأمة الاسلامية تحقيق هذا الغرض وهو الاتصال المستمر مع الدول الأخرى إلا اذا اتحدت ارادتها ، وصفيت خصوماتها ، وتوحدت سياساتها وخلعت عن وجهها غطاء التناحر والتنافر.

ولايمكن ان يتحقق شئ من ذلك بمجرد عقد اجتماعات أو مؤتمرات ، أو بمجرد سرد تاريخ الامة الاسلامية دون اتخاذه قاعدة للانطلاق للمستقبل أو بمجرد الحديث والقاء الخطب بشأن الاخوة والمحبة والصداقة القائمة بين الرئاسات والقيادات

الاسلامية.

إنما بتحقق الارتباط الصحيح بين الدول الاسلامية بالواقع الذى يجب السعى بكل الوسائل لتحقيقه ، ومن هذه الوسائل الكف نهائيا عن دعاوى التفرقة المذهبية والسياسية والعقائدية ، وتنازل بعض الرئاسات الاسلامية عن ارادتهم المطلقة فى حكم بلادهم واعطاء الفرصة للشعوب الاسلامية للاقتراب بعضها من بعض دون توجيهات قهرية أو قسرية تفصل بين هذه الشعوب ، ودون اغتصاب لارادتها لمصلحة بعض الحكام ، ودون تمسك مثل هؤلاء الحكام بالصراع على السلطة ، ودون تمسك شعوبهم بأى صراع ايديولوچى أو عرقى.

ان على الامة الاسلامية ان تدرأ عن نفسها الصراعات والدسائس والمكائد وتبديد قوتها واضعاف وجودها وتدبير امكاناتها ، وان تعمل بالفعل لا بالقوة على ما أمر الله تعالى به فى قوله: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا**﴾[1]. وفى قوله تعالى: ﴿**ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**﴾[2].

ولكن للأسف الشديد وخاصة وأن هناك مجموعة من التحديات التى تواجه الامة الاسلامية.

وعلى رأس التحديات التى تواجه العالم الاسلامى ، ماتولد لدى بعض الشعوب الغربية من فكر خبيث بأن الاسلام أصبح من عوامل الشقاق والعداء بين الشعوب واصبح عائقا للتقدم والسلام ، الامر الذى دفع جماعات أو أفراد فى هذه الشعوب إلى القيام بحملات لبذر الحقد والكراهية ضد الاسلام واتهامه زورا بأنه مصدر القلق والاضطراب والارهاب فى بعض مناطق العالم ، سواء كانت هذه المناطق فى داخل المجتمع الاسلامى أو فى داخل المجتمعات الاجنبية الأخرى.

وربما كان تولد هذا الفكر الخبيث راجعا إلى تصرفات بعض الجماعات

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٣.

(٢) سورة الانفال الآية: ٤٦.

المتطرفة أو المنحرفة التى تدعى زورا أنها تعتنق وتحمى الاسلام الصحيح ، وتبرر -تحت هذا الادعاء- اعمال العدوان والقتل والسلب ، اما ضد طوائف المسلمين الآخرين أو ضد غيرهم من ذوى الاديان الاخرى واذا كانت الدول الاسلامية قد قامت بمناهضة مثل هذه الجماعات المنحرفة فان البعض الاخر يتهاون فى مقاومتها أو يسكت عن مقاومتها ، بل أن بعضا من هذه الدول قد اعتمد -مع الاسف- على هذه الجماعات فى تأييد الحكم فيها ، أو فى اتخاذ هذه الجماعات كسلاح مشهر فى وجه دول اسلامية أخرى.

ان على المسلمين جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها أن يتكاتفوا ضد اصحاب التيارات المتطرفة التى تستظل زورا براية الاسلام ويعبثون بأمن بلادهم أو بأمن البلاد الاخرى الاجنبية ، حتى تظل للاسلام صورته المشرقة التى تتصف بالوسطية والاعتدال والتعقل والتحضر ، والمساواة بين الناس ، والعدل بين البشر ، تلك الصورة التى يقول الله تعالى بشأنها: ﴿**يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا**﴾.

إن الامة الاسلامية واجهت التكتلات التى قامت حولها بانقسامات تزداد عمقا فيها ، وسياسات تتضارب ولا تتوافق ، واساليب للحياة لاتعبر عن روح العصر وظلت الأمية متفشيه فيها.

وانخفض فى معظمها معدلات النمو فى الصناعة ، والصناعة التحويلية ، والتكنولوجية ، وانخفض فيها مستوى الدخل واجتاح بعضها التصحر والجفاف والأوبئة ، والصراع الدموى الداخلى ، والتخبط القبلى أو المذهبى ، ولم تفلح فى علاج شئ من ذلك الاتحادات أو شبه الاتحادات التى قامت بين بعض الدول الاسلامية.

فهى إما اتحادات منهارة من أساسها لم تصمد مع الزمن ، واما اتحادات عقدها الحكام بمحض ارادتهم ، فقامت بقيامهم وزالت بزوالهم واما اتحادات أريد بها مجرد الاعلان والاعلام ، فقصرت فى نشاطها على عقد اللقاءات والمؤتمرات ،

وتيارات اجهزة الاذاعة والتليفزيون فى نقل مايدور فيها لمجرد الفرجة والتسلية وقضاء الوقت.

وهكذا ظلت الدول الاسلامية بصفة عامة على هامش التطورات الهائلة العالمية مثلها كمثل بقية العالم الثالث فى آسيا وأفريقيا ، وتراجع نصيبها فى التجارة والاستثمار ولم يعد يهيمن على اقتصادها الا الثروة البترولية فى بعض هذه الدول ، وهى ثروة طبيعية يعلم الله إلى متى تستمر.

يضاف إلى ذلك محنة الديمقراطية وحقوق الانسان فى معظم الدول الاسلامية تلك الديمقراطية اللازمة لكل نظام سياسى حتى ينتعش ويكتب له البقاء وتعتمد عليه الشعوب فى الانطلاق والابداع والتقدم.

وأخفقت معظم الدول الاسلامية حتى الآن فى انتهاز الفرص للاندماج فى النشاط الاقتصادى الجديد فى العالم ، ولم تستطع الاستفادة من التكتلات الدولية الجديدة ، بل أنها وقفت احيانا موقف العداء منها.

ومن ثم لكى يتحقق هذا الفرض يجب اتباع مايلى:

١- ضرورة اندماج الامة الاسلامية فى الاسرة العالمية ككل ، اذ لم يعد أى شعب من الشعوب قادرا على أن يعيش بنفسه ولنفسه ، وذلك بعد أن اصبح العالم كله قرية صغيرة لايمكن تجزئتها.

ولكن هذا الاندماج لايعنى أن تتنازل الأمة الاسلامية عن مقومات دينها وتقاليدها وقيمها ، انما يعنى أن الاسلام دين الوسطية وانه لكل زمان ومكان ، وانه يسر لاعسر ، وان تعاليم الاسلام تنادى بالتيسير لا بالتعسير وبالتبشير لا بالتنفير.

إن اندماج الامة الاسلامية فى الاسرة العالمية سيتيح لها أن تؤثر فى الحضارة العالمية وتتأثر بها ، وان تؤثر بتعاليم الاسلام فى ثقافة المجتمعات الاخرى، ثم هى تلتقط من ناحية أخرى -كنتيجة للاندماج - كل مايمكن الانتفاع به من

المبتكرات الجديدة للعلم والتكنولوجيا عن خبرة واقتناع ، دون الاكتفاء بقراءة ذلك فى الصحف والمجلات التي تنشره وذلك لأن مجرد القراءة لايفيد شيئا.

٢- بامكان الاكاديميين بناء مدرسة فكرية بديلة تتحدى وتواجه الصياغة السطحية التي تعطى صورة خاطئة عن الاسلام السياسى ، ودوره وطبيعة العلاقات الغربية بالمجمعات الاسلامية.

وأهمية اجراء حوار مستمر للتعرف على التطلعات والقواسم المشتركة والتفاهم والتعاون لتحقيق السلام الشامل والعادل فى الشرق الأوسط.

٣- يجب دعم وسائل الاعلام وأدواته المختلفة المسموعة والمقروؤة والمرئية فى البلاد الاسلامية ببرامج ثقافية منهجية عن الاسلام وعلومه وقيمة العليا ومبادئه السامية واظهار مكارمه ومزاياه وسماحته ووسطيته.

ويجب العمل على اصدار مجلة شهرية باللغات العالمية المعتمدة لدى الأمم المتحدة يشترك فى تحريرها الأزهر الشريف والمؤسسات الاسلامية والعالمية تقدم للمسلمين فى الدول الغربية حقائق الاسلام.

كما أنه من الضرورى أن يعرف الغرب أنه لاتعارض بين الرأى السياسى والرأى الفكرى.

فما زال الرأى السياسى فى الوطن العربى يهاب تعدد الأراء مع أن تعدد الآراء يعبر عن رؤى ثقافية متعددة تساعد على صنع القرار الذى يخدم الوطن العربى وتهيئة الأذهان لتقبله بحرية وتلقائية لتقارن بينها فتعرف أيها أكثر صلاحية فتتمسك به وتنفذه من خلال الجدل الفكرى والحوار السياسى.

على أن يخرج القرار من منطلق فكرى قوى له سنده الفكرى وشرعيته السياسية والقومية.

٤- تحتاج دول الكومونولث الى مجهود مكثف من الدول الاسلامية لحمايتها

من المؤثرات التى قد تحيط بها نتيجة المساعى المبذولة حاليا من الدول غير الاسلامية.

ولابد أن تضم تلك الدول إلى الدول الاسلامية لتكون قوة مضافة إلى قوتها، ولن يكون ذلك بمجرد ارسال مبعوثين إليهم أو استقبال موفدين فيهم ، أو بتيسير حصول بعض ابنائهم على منح دراسية ، أو غير ذلك ، انما يحتاج الامر إلى احتواء هذه الدول احتواء اقتصاديا وسياسيا وعلميا حتى لاتكون فى حاجة إلى معونة أو حماية من العالم الغربى.

المطلـــب السادس

ايجاد علاقة بين المراكز الاسلامية فى الخارج

من المعروف أن هناك مراكز اسلاميـة فى بعض دول العالم بل هناك اذاعات اسلامية مثل اذاعة صوت الاسلام فى نيويورك وغيرها.

وهذه المراكز تعمل فى مجتمع تعيش فيه وتواجه فكره وتعمل على تنمية ما هو صالح للتنمية من وجهة نظر اسلامية وتجنب ما هو باطل على قدر الإمكان.

لان اكثر هذه المجتمعات يحوطها الفساد بأنواعه من كل جانب وكل انواع الضلال والانغلاق الفكرى عن روح الاسلام وسماحته ولكى تقوم المراكز الاسلامية الموجودة فى بعض الدول الغير اسلامية بدورها يجب اتباع الآتى:

١- التوسع فى انشاء هذه المراكز فى كل دول العالم وامدادها بالعناصر البشرية الصالحة والقادرة على المساعدة في طريق الدعوة عن طريق هذه المراكز التى تعتبر مراكز اشعاع للثقافة الاسلامية ذات الطابع الايجابى للمجتمع الذى تعيش فيه.

٢- احداث تواصل وعلاقات مشتركة وتلاقى بين هذه المراكز لتلافى اوجه القصور وسد الفجوات من اجل دعوة اسلامية ايجابية ومفعاله لكى تستفيد كل المراكز من الخطوات التى تقوم بها المراكز الاخرى.

وعلى سبيل المثال فى ألمانيا ٢,٢ مليون مسلم. ورغم ذلك فانه من السهل على الرأى العام والمسؤلين السياسيين أن يتجاهلوا حاجاتهم الملحة إلى مساكن ومدارس لاطفالهم وقوانين تنظيم طرق الذبح وتحضير اللحوم طبقا للشريعة الاسلامية علاوة على مساجد ومدافن لموتاهم لأن نسبتهم لاتزيد على ثلث عدد الاجانب البالغ عددم نحو ستة ملايين أجنبى ، علاوة على أنهم كأجانب لايتمتعون بحق التصويت بالانتخابات العامة ومع أن المسلمين ناجحون اقتصاديا كأصحاب اعمال أو عاملين ، وبالرغم من ان ابناءهم يتخرجون من الجامعات بدرجات ممتازة

فانهم يبقون منعزلون اكثر عن غيرهم من الاجانب المسيحيين فاختلاف ديانتهم تظل عنصرا كافيا لاستبعادهم والنظر اليهم نظرة مختلفة.

اضف إلى ذلك أنه بالرغم من تحيز وتحامل الالمان المسيحيين الواضح فان المسلمين هناك يفتقرون إلى التكتل ورص الصفوف والاتحاد ، وهذا يعكس التنوع والاختلاف بين شعوب العالم الاسلامى بصفة عامة.

فاذا اردت اليوم على سبيل المثال أن تذهب إلى مسجد العاصمة الالمانية السابقة بون « ٣٠٠ الف نسمة» لكى تؤدى صلاتك ، فإن عليك أن تختار بين الذهاب إلى «قاعة صلاة» المغاربة ، أو مسجد الأتراك الذى كان من قبل ورشة أحد النجارين ، أو مسجد الأفغان الذى كان سوقا مركزيا ، أو مسجد مغربى آخر كان ورشة إصلاح سيارات سابقا ، أو مسجد البوسنين الجديد الذى كان مكتبا.

وبعد أن تم إنشاء أكاديمية الملك فهد التى تولت السعودية تكاليف إنشائها، فانك تستطيع أن تؤدى صلاتك فى مسجد هذه الأكاديمية(١).

وهكذا فان تنظيم هذه الجاليات وتوحيدها بات صعبا طالما أن كل جالية منها تميل إلى التقوقع والالتفاف حول بعضها بعضا ، وهذا الوضع ليس قاصرا على مدينة بون وحدها ، بل هو كذلك فى جميع المدن الالمانية ، حيث تجد أن كل جالية لها نواديها الخاصة ، واسلوب حياتها طبقا لثقافات بلادها التى وفدت منها ، بالرغم من أن هذا السلوك لايعد اسلاميا.

ولعل سبب موقف مسلمى المانيا هذا يرجع إلى مايدور بينهم من جدل حول ما إذا كانت الشريعة الإسلامية تبيح للمسلمين الانخراط فى منظمات وهيئات غير المسلمين.

ورغم ذلك فان هناك مؤشرات ايجابية فى المانيا. فقد لوحظ تعاون الجاليات الاسلامية حول القضايا السياسية فقط كما حدث عندما بدأ إقامة اسبوع

---

(١) مجلة الوعى الاسلامى، العدد ٣٩٩ السنة الخامسة والثلاثون - ذو القعدة ١٤١٩هـ فبراير مارس ١٩٩٩م، ص ٢٨، «المسلمون فى المانيا».

سنوى باسم «اسبوع الاسلام» فى احدى المدن الالمانيــة منذ ثلاث سنوات ١٩٩٦ مضت حيث القيت فيه بعض المحاضرات المهمة والندوات الثقافية المختلفة فى المساجد فالتوجهات الجديدة للمسلمين الألمان هى المؤشر الايجابى.

فاغلبية المسلمين فى المانيا الآن يرون ضرورة العمل والمشاركة السياسية مع غيرهم فى المجتمع الألمانى ، ربما بسبب انتشار البطالة فى المانيا حاليا.

وفى بريطانيا، نرى الجيل الثالث من المسلمين هناك يشارك فى الاحزاب السياسية القائمة فى بريطانيا.

٣- امداد هذه المراكز والاذاعات بالدعم المادى والعلمى عن طريق الكتب والمجلات والدوريات من الدول الاسلامية. حتى تستطيع اداء رسالتها على الوجه الأكمل.

المبحث الثانى

خصائص الاعلام الاسلامى

تمهيد:

ان الاعلام الاسلامى يعد نظرية قائمة بذاتها تتميز بخصوصياتها ومقاصدها وقيمها ، وهو يختلف عن الملل الاعلامية السائدة اليوم فى العالم فى نظرته للاشياء وفى مبادئه وغاياته ، فهو اعلام يلتزم عبر انشطته الجمة - الممتدة من الخبر البسيط ، إلى التحقيق المعقد. وكذا الصورة الاعلامية والكاريكاتير -بمبادئ الدين الاسلامى الحنيف ، وحيث ينهج نهجه ، ويسرى وفق رؤيته ويسعى مخلصا إلى تحقيق رسالته.

وهو علاوة على ذلك - عفيف الأسلوب ، صادق القول ، أمين فى نقل الواقع، ُخلقه القرآن رقيبه الله ، يهدى للتى هى اقوم واصلح ، ويدعو لعبادة الله والتأمل فى مخلوقاته.

وقد يقول قائل ، وهل يعرف الفقه الاسلامى قواعد تحكم عملية الاعلام بأنواعه المتعددة. والاجابة بكل قوة نعم.

لقد رسم القرآن الكريم معالم الإعلام الإسلامى الصالح المستمد من دستوره الجامع فى الدعوة والبيان والبلاغ والارشاد.

فقد ورد فى القرآن الكريم نحو « ١٧٠٠ » آية فى الاعلام فى مادة -قول- فقط.

وذلك ادراكا لخطورة الاعلام والدعوة والبلاغ وضرب فى ذلك الامثال للإعلام الصالح والإعلام المفسد بقوله تعالى: ﴿الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، تؤتى اكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ، ومثل

كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار﴾[١].

فالاعلام الاسلامى كما يقول المرحوم الشيخ محمد الغزالى: «وثيق الايمان برسالته عظيم المغالاة بها وان الصبغة الدينية والعبادية لايمكن أن تنفك عن أعماله، ووسائله المختلفة ، وأجهزة الاعلام عندما تؤدى دورها والحال هذه -هى ميادين جهاد ومساجد صلاة ومدارج تقوى ورضوان.

وبما أن الاعلام الاسلامى مطالب بخدمة الدعوة ، فانه ملزم بتحديد أدواته ومنهجه بدقة حتى يتسنى لافكاره أن تتغلغل بسهولة فى عقول الناس. وقد تحدث ابن قيم الجوزية عن هذا الأمر قائلا: «إن الله سبحانه جعل مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق. ١- فالمستجيب القابل الذكر الذى لايعاند الحق ولا يأباه يدعى بالحكمة. ٢- والقابل الذى عنده نوع غفله وتأخر يدعى بالموعظة الحسنة وهى الأمر بالمعروف والنهى المقرون بالرغبة والرهبة ، ٣- والمعاند الجاحد يجادل بالتى هى أحسن وبذلك يكون المنهج كما احتوى على تبيان الفكرة والهدف حوى أيضا وسيلة تحقيقه واسلوب الدعوة اليه».

إن اعلامنا يقرر ماعنده كله وسيكون هناك خلاف بين مايقرره وما تقرره ملل ومذاهب أخرى كثيرة ، وهنا لابد من ابراز الشخصية الاسلامية دون افراط أو تفريط إبرازا يؤكد شرعيتها ووجهتها ومنهجها.

ولما كانت هناك قوى تعارض فكرنا وتكره شعارنا وتثير الشك ضد قضايانا وتحاول بكل طريقة النيل منا فنحن مضطرون أن نلحظ ذلك فيما نقول ونفعل !! لانرد ردا مباشرا بل لنبنى عرضنا على نحو يكشف فى هدوء ماقد يثار ضدنا ويشرح بلطف تفاهته وضعفه[٢].

ويبدو ذلك بمعنى اكثر وضوحا من خلال استعراض أهم أسس وخصائص الاعلام الاسلامى من وجهة نظر الفقه الاسلامى والتى تجعله يحوز على ثقة

(١) سورة ابراهيم الآية: ٢٤/٢٦.
(١) الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر، تأليف الشيخ محمد الغزالى.

المستمعين ويتمتع بقوة وفاعلية يظهر تأثيرها الايجابى على سلوكهم وعبادتهم.

ويمكن الحديث عن هذه الخصائص فى المطالب الآتية:

المطلب الأول: أنه اعلام مسئول.

المطلب الثانى: أنه حق لكل مسلم ومسلمة.

المطلب الثالث: أنه يعتمد على مخاطبة العقل واعمال الذهن.

المطلب الرابع: يعمل على اعداد المسلم على منهج الله.

المطلب الخامس: أنه عامّ وعلنى.

المطـــلب الأول

الإعلام الإسلامى إعلام مسئول

أى ملتزم فلا مجال فيه للإسفاف أو اللجوء إلى السباب والتجريح.

وقد حرمت الشريعة الاسلامية القذف[١] لما فيه من تطاول واجتراء واعتداء على الأعراض التى حافظت عليها الشريعة وعملت على صيانتها.

كما ان فيه إضعاف ثقة الناس فى أنسابهم والحاق العار بهم وإشاعة للفاحشة بينهم ، كمـا انه يؤدى إلى قطع الصلة بين الناس وإهانة المقـذوف امـام اهله وبنى وطنه.

من أجل هذا كله فان الله سبحـانه وتعـالى حرمه اشد تحريم وأوجب له من العقـوبة مـا يناسبـه ويقطع السنة المفتـرين وهى جلد القـادف ثمـانين جلدة ووسمـه بالفسق ورد شهادته أبدا قال تعالى: ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شـهداء فـاجلدوهـم ثمـانين جلدة ولاتقـبلوا لهم شـهـادة ابدا واولئك هـم الفـاسـقون إلا الذين تابوا من بـعـد وأصلحـوا فـان الله غفور رحيم﴾[٢].

---

(١) والقذف لغة: هو الرمى بالحجارة. يقال قذف بالحجارة قذفا «أى» رمى بها وشرعا هو - الرمى بالزنا فى معرض التعبير.
فاذا لم يكن الرمى بالزنا ، كأن يكون بسرقة أو نحوها فانه لايعد قذفا بل شتما أو سبا يوجب التعزير.
ولمن سبه شخص أن يسبه بمثل ما سبه به بشرط أن لايكون كذبا ولاقذفا نحو يا ظالم واحمق لأنه لايخلو أحد عنهما ، ولايجوز سب أصله ولافرعه.
وإن انتصر بسببه فقد استوفى ظلامته وبرئ الآخر من حقه ولكن عليه إثم البدء ولاتعزير عليهما لكثرة وقوع ذلك.
يراجع قليوبى وعميرة، جـ٤ ص ١٨٤ ، مغنى المحتاج، جـ٤ ص ١٥٥ ، المهذب، جـ٢ ص ٢٧٢ ، وأحكام جرائم العرض فى الفقه الإسلامى، أ.د. محمد فهمى السرجانى، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧، ص ١١٢.

(٢) سورة النور الآية: ٤ ، ٥.

ولاشك أن ماكانت عقوبته كذلك يكون محرما ، فدل هذا على أن حكم القذف هو التحريم وهذا يعم الرجل والمرأة ولكن ذكر المرأة هنا لأنها أهم ورميها بالفاحشة اشنع واذكى فى النفوس لأنه كما يقول الشاعر:

جراحات السنان لها التئام   ولايلتئم ماجرح اللسان

والدين الاسلامى كذلك يطالب القائمين على أمور الاعلام بالبعد عن التهويل أو طمس الحقائق.

دور الاعلام فى حماية القيم والحفاظ على الاسلام:

إن وسائل الاعلام بكافة انواعها لها دور خطير وهام نظرا لخطورة الكلمة التى تخرج منها والتى يكون لها الأثر الكبير فى تأليف القلوب واصلاح المجتمع فلقد ضرب الله مثلا للكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة بالشجرة فقال تعالى: **﴿ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء﴾ ، ﴿وضرب الله مثلا كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار﴾**.

فيجب ألا يسمح لكاتب أيا كانت مكانته أو ثقافته أن يتحدى مشاعر الناس عامة والمسلمين خاصة فيصدمهم فى عقائدهم الراسخة السليمة وأخلاقياتهم القويمة بكتابات مسمومة وموتورة فى آية صحيفة أو مجلة أو كتاب وأن يتم ذلك دون حجر لرأى صائب أو فكر مستنير.

إن الإذاعة المرئية والمسموعة ، يجب الا تخرج منها الا الآراء البناءة والمناظر والافلام النافعة والهادفة والمفيدة للشباب ... والتى تنمى فيهم روح الإنتماء لديننا الحنيف ولوطننا الحبيب وليست تلك التى تثير غرائزهم وتحرك المشاعر والأحاسيس الجنسية فيهم ولاتخاطب فيهم غير هذا وكفى بذلك ترفيها وتسلية لهم.

ولقد نادى الكثيرون من كبار كتابنا وأدبائنا ومفكرينا وتحدثوا فى ذلك كثيرا حتى بحت أصواتهم ولكن دون جدوى أو فاعلية وكلها تنادى بتحسين مستوى

الأداء فى الافلام والمسلسلات العربية وعدم تقديم التافه والمتواضع.

فليس من المعقول أن لايقبل المنتجون دولا كانوا أم أفرادا أو شركات إلا الأعمال التى لاتفكر إلا فى التسلية ، وقتل الوقت قتلا ساذجا ، دون أدنى محاولة لبث فكرة رفيعة أو خلق نبيل أو معنى شريف.

لاشئ سوى أن يجلس المتفرجون أمام الشاشاة فاغرة أفواههم ، بلهاء نظرتهم، جاحظة عيونهم ، تخفق منهم القلوب وتجرى الدماء وتعمل على أعضاء أجسامهم إلا العقول التى تجد نفسها فى غير حاجة إلى العمل.

وفيم تعمل والذى يعرض عليها لايخاطب العقول وإنما يخاطب فضول الإنسان وتشوقه أن يصل إلى آخر القصة وفيم تعمل العقول وهى واثقة أن الذى يعرض عليها حين تكتمل احداثه لن يكون له معنى يحتاج إلى اعمال عقل أو فكر.

فدور السينما لم تقم بدورها فى الاعتلاء والارتفاع بأذواق الناس وإفادتهم.

لقد بلغ من سوء ماتعرضه السينما أن الجماهير المثقفة قد لزمت بيوتها واعتادت عدم الذهاب إلى دور السينما وإن كان الفيلم قمة وذلك أصلا من اختلاف نوعيات المترددين على دور السينما عما كان عليه سابقا.

لقد كتب الدكتور مصطفى محمود مقالا بعنوان «جريمة سب علنى» قال فيه[١]: «السينما فى بلادنا لم تعدفنا بل فضيحة ... بل وصمة عار على كل من يعمل فيه ممثلا أو منتجا أو مخرجا . لقد أصبحت شاشة كبيرة تروج فيها الغواية والعهر والفحش ويظهر فيها شعب مصر ونساء مصر وبيوت مصر بما لايليق بعد الكفاح والصبر والألم لايرون فيها إلا الفحش والاختلاس والسرقة والتسول ... والحق أن هؤلاء المؤلفين ما رأوا الا أنفسهم فهم المخدرون وماقالوه عن بلادنا هو الفحش والتزوير بعينه ومصر بريئة مما قالوا وصنعوا وصوروا وأخرجوا ولا أدرى كيف لايندى جبين هؤلاء الممثلين الكبار خجلا حينما يرون أنفسهم على الشاشة سبة

---

(١) جريدة الاهرام فى ١٩٨٤/٣/٢٦م.

لبلادهم وأى كسب مادى يعوض ما جرحوا به أهليهم وأخوتهم.

يجب أن يكون للاعـلام دورا اكـثـر حـيـوية وأوسع نشـاطا فى نشـر الفكر والثقافة بين الشباب وخاصة فى دول نامية مثلنا ، فان حاجة الشباب الى الثقافة الموسـوعيـة والعلم النافع والفكر الجاد لاعظم بكثـيـر من حاجـتـه إلى تلك الافلام التافهة التى لاغنى فيها ولافائدة منها.

وذلك بأن تعمل الدولة جاهدة على دعم سعر الكتاب حتى يتسنى للشباب أن يقرأ ويطالع أحدث ما وصل إليـه العـالم من تقدم ورقى حضـارى ولابد وأن يشعر الشـبـاب بالأمن فى يومـه والأمـان على مـسـتـقـبله ، وذلك بأن تقوم الدولة -بكل تنظيماتها وهيئاتها- على توفير ماديات الحياة ، فلا يضيع عمر الشباب وهو يبحث عن شقـة أو مـا إلى ذلك من المطالب المادية اللازمـة والتى لاغنى عنهـا لأى شـاب فى مقتبل عمره وبداية حياته.

إننى لموقن تمام اليـقين من أنه لو صـدقت النيـات وصـحت العـزائم وشـحذت الهـمم وتكاتفت الأيدى وتعـاون أولوا الأمر فى مـخـتـلف الهـيـئـات والمؤسـسـات فى الدولة ، فسـوف يكون هناك -باذنه تعالى- التـوفيق والسـداد لأن هذا وعد من الله لعـبـاده اليـس هو القـائل جل شـأنه: ﴿وعـد الله الذين آمنوا منكم وعـملوا الصـالحـات ليـسـتـخلفنهم فى الأرض كـمـا اسـتـخلف الذين من قـبلهـم وليـمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليـبدلنهم من بعد خـوفـهم أمنا يعبـدوننى لايشركـون بى شيـئا﴾[1]. نعم فـالله مطلع وعـالم بأحـوال خلقـه ، لايغيب عنه شئ ويجازى إن خيرا فخير. وان كان غير ذلك فهو سبحانه يمهل ولايهمل واليه وحده المرجع والمآب[2].

ويجب على الصـحف عدم نشـر الصـور الخليـعـة والحـوادث المثـيـرة والماجنة

---

(١) سورة النور الآية: ٢٥٥.

(٢) نظريات الغرب وحضارته، للاستاذ/ ماهر خليل، ص ٤٦.

وقصص الجنس وما شابه ذلك سواء كان بصورة سافرة أو بالغمز واللمز لأن القاعدة الإسلامية واضحة جلية.

يقول الله تعالى: **﴿قل إنما حرم ربى الفواحش ماظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق﴾**(١).

الاعلام الاسلامى ونقل الشائعة:

يقول الله تعالى: **﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولوردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليك ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا﴾**(٢).

هذا الأسلوب فى معالجة نقل الشائعة والبلبلة الفكرية يعصم الاعلام الاسلامى من أن يتحرك إلى أداة بلبلة للرأى العام(٣).

موقف الإعلام الإسلامى من مدرسة الإثارة:

يقول الإمام الغزالى فى «الطاقات»: «أن النفوس مائلة إلى الغريب ومستلذة له. لذلك ينبغى على رجل الإعلام المسلم ألا يلجأ إلى الإثارة والغرائب، وانما عليه أن يجسد الحقائق، ويضعها فى اتجاه التعقل والتقدم. إن الاستناد إلى الحقائق اعتماد على العقل، والميل إلى الاثارة اعتماد على خيال مريض كوساوس الشيطان».

وفى ذلك يقول ابن مسعود فيما رواه مسلم: «ما أنت بمحدث قوما حديثا لاتبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»(٤).

ولعل أبلغ تعبير عن أهمية وضوح الفكرة وجلائها ما أورده الإمام الغزالى فى **«الإحياء»** حيث يقول: «من قال إن الحقيقة تخالف الشريعة، والباطن يخالف

---

(١) سورة الاعراف الآية:٣٣.

(٢) سورة النساء الآية: ٨٣

(٣) المسئولية الاعلامية، أ.د. محمد سيد محمد، ص ٢٧٥.

(٤) تيسير الوصول إلى جامع الأصول، جـ٣ ص ٢٠٣.

الظاهر فهو إلى الكفر أقرب».

كل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصولة.

إن الشريعة والحقيقة لايتفارقان عند أهل الحقيقة ولايتصادمان. والتصادم إنما نشأ من عوامل خارجية ترجع إلى ابتداع الشكل التعبيرى الموهم على أصحابه(١).

وقال تعالى: ﴿ ذروا ظاهر الإثم وباطنه﴾(٢). وقال على بن أبى طالب حدثوا الناس بما يعرفون.

الاعلام الاسلامي وقول الزور:

والاعلام المبنى على التصور الاسلامى الصحيح للكون والحياة والانسان يعالج الأخبار وينشر المعلومات ويجرى التحقيقات ويحلل الاحداث ويعلق عليها مترفعا عن قول الزور ، ولايقر الإساءة إلى الآخرين حتى لو كانوا من اعداء الدين: ﴿ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم﴾(٣).ولايجهر بالسوء من القول: ﴿لايحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم﴾(٤).

كذلك السب غير وارد فى الدعوة على أية حال. لأن نص القرآن الكريم واضح قال تعالى: ﴿لاتسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم﴾.

ويقول بعض المفسرين «إن أبا جهل قال لرسول الله - ﷺ- يامحد لتتركن سب آلهتنا أو لنسبن إلهك الذى تعبد فنزلت الآية. فكف الرسول - ﷺ- عن سب آلهتهم وجعل يدعو إلى الله(٥).

---

(١) الرموزية الصوفية فى القرآن الكريم، د. سيد عبد التواب عبد الهادى، دار المعارف، ١٩٨٠، ص ١٠.

(٢) سورة الانعام الآية: ١٢٠.

(٣) سورة الأنعام الآية: ١٠٨.

(٤) سورة النساء الآية: ١٤٨.

(٥) تفسير القرآن العظيم للامام ابن كثير، المكتبة التوفيقية، جـ٢ ص ١٦٨.

والغمز واللمز غير وارد فى الدعوة بنص الآية: ﴿ويل لكل همزة لمزة الذى جمع ماله وعدده﴾(١).

دقة النقل:

من الاسس الهامة التى ينبى عليها الاعلام الإسلامى دقة النقل. قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين﴾(٢). وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم﴾(٣). وقال تعالى: ﴿وإن قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿واجتنبوا قول الزور﴾(٥).

وهنا يركز الإسلام بصفة خاصة على قول الزور ويحذر من الأخبار الزور ، عن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه قال: «كنا عند رسول الله -ﷺ- فقال الا انبئكم باكبر الكبائر ؟ ثلاثا: قلنا بلى. قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وكان متكئا فجلس فقال: ألا وقول الزور، وشهادة الزور. فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت»(٦).

ويقول الصحابى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ليس العلم كثرة الحديث، ولكن العلم الخشية.

الاعلام الاسلامى ومصادر المعلومات:

من المبادئ التى تزيد فى تدعيم مكانة الاعلام الاسلامى بين النظريات الاعلامية الاخرى ، نجد مسألة احترام مصادر المعلومات وعدم التعالى عليها مهما

---

(١) سورة الهمزة الآية: ١.
(٢) سورة الحجرات الآية:٦.
(٣) سورة الاحزاب الآية: ٧٠.
(٤) سورة الانعام الآية:١٥٢.
(٥) سورة الحج الآية: ٣٠.
(٦) تيسير الوصول إلى جامع الاصول، جـ٤ ص ١٨٤.

كان وضعهم الاجتماعى ومركزهم الوظيفى والوفاء بالعهود وحفظ الاسرار ، واتقان العمل والثقافة الاكيدة الواسعة.

كما يجب على الإعلام الاسلامى فى منطلق مسئوليته:

* تناول أمجاد المسلمين وسرد إسهاماتهم فى الحضارة الغربية التى باتت من الأمور المعترف بها بفضل العديد من الأمناء من الباحثين الغربيين أو الشرقيين ، رغم جهود المستشرقين لطمس معالمها أو لتشويهها.

* **أن يكون له دور تربوى** فيعد منهجا لبسط الدين الاسلامى عبر وسائل الاعلام والاتصال وذلك باعتماد القيم الآتية:

* قيمة التحاكم الى الله ورسوله والانعتاق من سلطان الأهواء والنزوات.

* قيمة صرف أوجه النشاط والتنافس على العبادة وبذل القربات لا التهالك على الحكام.

* قيمة اعلاء موازين الحق والعدل والمساواة عوضا عن بطر الحق وغمط الناس والسعى فى الأرض بالخراب.

* قيمة أخذ العفو والأمر بالمعروف والاعراض عن الجاهلية بدلا من الإنغماس فى الخصومة والشقاق والمنافرة.

فاذا احسنت وسائل الاعلام استخدام تلك القيم فانها تحيلها إلى مشاهد ومواقف ومقاطع تنبض بالحركة ، وتفيض بالحيوية وتنطق بالصدق فتشد الفكر وتوقظ الوجدان ، وتسمو بالروح وستكون النتيجة الطبيعية تأثرا يعقبه انقياد يثمر تمثلا وتطبعا يستجيبان لدواعى الفطرة وبواعث الايمان.

فمسئولية الاعلام الاسلامي هي توضيح معالم وأركان ومبادئ الدين الإسلامى. وإظهار الفقه الاسلامى متجددا دائما فقد كان من الممكن أن يكون العقل الاسلامى فى زماننا هذا افضل بكثير مما هو عليه الآن.

لو أن ماينادى به المصلحون من زمن طويل عمم على الناس من خلال وسائل الاعلام المرئى منها والمسموع ، ولم يكن مقصورا على الكتب والمقالات التى تنشرها بعض الصحف.

ومما قاله المصلحون:

فى أمة يكره دينها الأمر الفرط

لماذا ينتشر التسيب فى إدارتها ؟

فى امة يبنى فقهها على النظافة

لماذا تنتشر القمامة والوساخة؟

إن تقاليد الرياء تقتل الرجال والنساء فى أكلهم وشربهم ولباسهم وزواجهم وأحوالهم كلها. اين السهولة والاخلاص والبساطة وديننا أساسه الفطرة.

إن الامة الاسلامية الآن فى أشد الحاجة إلى نوعين من الفقه تفتقدهما بشدة. ويجب على الاعلام الإسلامى العمل على اظهارهما[١].

أحدهما يتعلق «بالموازنات».

والثانى يعنى «بالأولويات».

والمقصود بفقه الموازنات:

هو المفاضلة بين المصالح بعضها وبعض أو بين المفاسد بعضها وبعض أو المفاضلة بين المصالح والمفاسد اذا تعارضتا.

بحيث يعرف متى يقدم درء المفسدة على جلب المصلحة ومتى تغتفر المفسدة من اجل المصلحة.

وما هو الاساس الذى يتم بمقتضاه الاختيار بين شرين.

إنه من السهل على الفقيه أن يفتى بالنفى أو التحريم فى كل أمر يحتاج إلى اعمال فكر واجتهاد ولكن من شأن ذلك أن يغلق الكثير من أبواب السعة والرحمة.

(١) يسألونك عن التخلف، مقال الاستاذ/ فهمى هويدى، جريدة الاهرام المصرية فى ١٩٩٩/٢/٢م.

ومن خلال فقه الموازنات فان هناك سبيلا للمقارنة بين وضع ووضع ، والمفاضلة بين حال وحال والموازنة بين المكاسب والخسائر على مختلف المستويات. ونختار بعد ذلك ما نراه أدنى لجلب المصلحة ودرء المفسدة.

أما فقه الأولويات فغيابة يمثل أهم مشكلات التدين المعاصر الأمر الذى أدى إلى التخليط المشهود ، حين يهتم الناس بالفروع قبل الأصول - وبالجزئيات قبل الكليات - وبالنوافل قبل الفرائض - وبالمختلف فيه قبل المتفق عليها.

فعلى سبيل المثال انظر الى افراط البعض فى اداء الحج والعمرة وتجاهلهم لأمراض المجتمع ومشكلاته.

إن نفقات الحج فى عام واحد يمكن أن تنقذ افريقيا من المجاعة ، أو تغطى تكاليف محو الامية فى العالم العربى والاسلامى ، أو توفر قيمة انتاج مصنع للطائرات يلبى احتياجات امتنا المنكسرة والمهزومة.

انه عندما يخيم التخلف وتتراجع الأمة حضاريا فان النزوع الى التقدم يصبح بدوره من أفضل الاعمال وأجل القربات[١].

إن شئنا أن نذهب إلى أبعد فى المصارحة. فثمة اعتراف ينبغى أن نسوقه وأن نتحدث عن أوجه أزمة التدين فى زماننا.

فلابد ان نقر بأن أسئلة زماننا لم تنشغل بها عقول عامة المتدينيين بما فى ذلك اكثر الجماعات التى نرفع الراية الاسلامية ومن اولئك المتدينيين من لم يبلغه خبر تلك الأسئلة المعاصرة.

فى القرآن عدة آيات تبدأ بكلمة «يسألونك» **مرة عن الروح ، وأخرى عن الساعة «يوم القيامة» وثالثة عن الأهلة ورابعة عن ذى القرنين، وخامسة عن المحيض وسادسة عن الخمر والميسر إلى غير ذلك من الأمور التى شغلت مجتمع المسلمين** قبل اربعة عشر قرنا من الزمان.

---

(١) فى فقه الاولويات، أ.د. يوسف القرضاوى، مكتبة وهبة، ص ٢٧ وما بعدها.

وللأسف الشديد مازالت عقول أغلبية المتدينين تتحرك فى ذات الدوائر ، فهى لم تغادر آفاق الغيب ، والمنكرات ، والطهارة وهى الأمور التى حسمت واستقرت واصبح متعينا على أجيال المسلمين اللاحقة أن تتجاوزها.

وتطرح أسئلتها الجديدة وتنشغل بالاجابة الصحيحة عنها.

وإذا جاز لنا أن نستعير لغة الخطاب القرآنى فى الحديث عن شئون زماننا فسوف نقول.

يسألونك عن التقدم والديمقراطية والشفافية وحقوق الانسان والتنمية ، وتلوث البيئة وغزو الفضاء.

إن أملنا فى التقدم لن يتحقق إلا اذا تبلور لدينا «فقه العمل واخلاقياته».

إن المرجعية الاسلامية حافلة بالنصوص والتعاليم التى تحث على العمل والابداع والاتقان والإنضباط والوفاء بالوعد واحترام الوقت ... الخ.

إننا فى حاجة إلى أمرين:

أولهما: تجميع واغناء تلك القيم بحيث تصبح حزمة واحدة يصاغ منها العقد الفريد الذى يجود الاداء ويرشده.

ثانيهما: تربية المجتمع وناشئيه بوجه أخص على الالتزام بتلك التعاليم بحسبان ذلك من مستلزمات الالتزام الدينى «باعتبار انها من فروض الكفايات».

ومن ثم اعتبار الاخلال بها من المنكرات والفواحش المنهى عنها شرعا الأمر الذى يستدعى توسيع مفهوم «المنكرات والفواحش» بحيث لاتقتصر على الاخلاق الخاصة وانما تشمل ايضا مختلف القيم والاخلاق العامة[1].

---

(١) يسألونك عن التخلف، مقال الاستاذ/ فهمى هويدى، جريدة الأهرام.

المطلب الثانى

الاعلام الاسلامى
حق لكل مسلم ومسلمه

لايستطيع أى فرد أن ينكر الرسالة الكبرى للإعلام الاسلامى والاهمية العظمى التى يقوم بها لتوجيه المسلمين وتكييف سلوكهم وايجاد الرأى العام المستنير باحكام الشرع ، وتعاليم الدين ، ليشق الناس طريقهم فى هذه الحياة على هدى من كتاب ربهم وسنة نبيهم ، فلا تنحرف بهم الاهواء ولاتضل بهم السبل.

قال تعالى: ﴿وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعو السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾(١).

ومن هنا يبرز الدور الخطير الذى يقوم به الاعلام والقائمين عليه وتظهر المهمة الكبرى التى يحملونها فى اعناقهم لارشاد الأمة وتهذيب نفوس العامة وجمعهم على كلمة سواء. وخاصة بالنسبة للمسلمين المقيمين فى دول غير إسلامية.

ولايستطيع ان يلمس مدى هذه الخطورة وصعوبة هذه المهمة إلا من عمل فى هذا الميدان.

إن الاعلام الاسلامى يستهدف الوصول إلى الانسان أيا كان لونه أو لسانه ليستنقذه لاليستهويه ، وليعينه على تحقيق رسالته فى الحياة فى ظل مناهج الدين والحق ، لاليستغل جهده ويسلب منه حبات عرقه ، وليستثمر فيه القيم لا ليثير فيه كوامن الشهوة وجوامح الغريزة واسباب البغى.

كما يسعى إلى بيان الحق وتزيينه للناس وإلى إطلاع شعوب العالم قاطبة على مبادئ الاسلام ومحاربة كل الآفات الاجتماعية وكل مظاهر الظلم والطغيان والعبودية وكل ضروب هدر كرامة الإنسانية.

(١) سورة الانعام الآية: ١٥٦.
وانظر وظائف الاعلام الاسلامى، للاستاذ/ محمد يونس، ندوة الاعلام الدولى وقضايا العالم الإسلامى، ص ٧.

فيجب على المجتمع أن يقوم باعلام الفرد «كحق من حقوقه» وتغذية عقله كما يوفر له الطعام والأمن والدواء.

لدرجة أن البعض فى محاولة بيان خصائص الإعلام الإسلامى يصل إلى المطابقة بينه وبين كل خصائص الحق وان كل صفة يوصف بها الحق لغة وشرعا يمكن أن نصف بها الاعلام الاسلامى فهو ايمانى وعليم وعادل وصادق ومنصف وجميل حسا ومعنى وشامل ويستجيب لفطرة البشر[١].

فحتى نصل إلى اعلام اسلامى قوى يظهر ويؤكد صلاحية الشريعة الاسلامية لكل زمان ومكان. ويصل إلى كل مسلم ومسلمه يلزم وضع استراتيجية إعلامية لتحقيق هذا الهدف والاهتمام بالبحوث العلمية لتطوير العمل الإعلامى واستثمار المعطيات المعاصرة وثورة المعلومات لتحقيق أوسع انتشار للرسالة الاسلامية من خلال وسائل الاعلام الحديثة لتغطى هذه الرسالة اكبر مساحة ممكنة على هذا الكوكب. الذى يقطنه المسلمين فى كل مكان خاصة ونحن ندخل إلى الألفية الثالثة.

فالاعلام وسيلة سريعة ومقنعه لنقل المعلومات التى يجهلها كل مسلم ومسلمة خاصة ان اكثر الناس لايميلون إلى قراءة كتاب ، بل يفضلون الاستماع ويفضلون اكثر الاستماع مع المشاهدة.

وبناء على كون الاعلام الاسلامى حق لكل مسلم ومسلمه فانه يجب أن يسعى إلى:

أ- توضيح وتثبيت العقيدة الاسلامية.
ب- تبليغ الدعوة عن طريق نشر الخبر الصادق.
جـ- بيان الحق ودفع الباطل عن طريق الاخلاص فى النصيحة.

واشير بشئ من التفصيل إلى هذه الأهداف.

---

(١) الاعلام الاسلامى، المفهوم والحقائق، د. سيد محمد ساداتى، طبعة دار المسلم، ص ١٢.

أ- توضيح وتثبيت العقيدة الإسلامية:

لقد اهتم التشريع الاسلامى ببيان الركن الأول والاساسى فى الاسلام وهو الايمان بالله وتوحيده ونبذ عبادة الاصنام وان الله هو الخالق الرازق القادر على كل شئ.

وانه هو الذى احياهم ويميتهم وقد أقام الاسلام الدعوة إلى هذا كله على أساس من الأدلة الفعلية والتاريخية وكلها كثيرة متوافرة.

وقضية الايمان والكفر هى قضية الانسانية عامة ، لأنها تتصل بعلاقة الانسان بربه والاساس الذى يقوم عليه الايمان هو الاعتقاد بوجود الله وبوحدانيته التى لايشاركه فيها أحد ، والاعتقاد بان محمد رسول الله وخاتم النبيين. وهذا هو الاساس الذى يتممه الاعتقاد ببقية الرسل والكتب المنزلة واليوم الآخر وتأكيدا لهذه الحقيقة يحدد الله سبحانه المهمة المشتركة والتى من اجلها ارسل الرسول. قال تعالى: ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى اليه أنه لا إله إلا انا فاعبدون**﴾[1]، ويقول: ﴿**ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**﴾[2]. والطاغوت هو الباطل مطلقا فى العقائد وغيرها.

وإذا كانت الامم والدول والجماعات تقوم اكثر ماتقوم علي مجموعة العقائد والأفكار التى تسمى اليوم بالايدلوچيات والتى على ضوئها تتحدد الصلة بينها قربا أو بعدا ، اتفاقا أو اختلافا ، سلما أو حربا فان هذا يبرز اهمية العقيدة ودور الايمان فى هذا المجال.

ومن أجل هذا لابد أن يكون الحديث عن الايمان والكفر حديثا دقيقا يعتمد على الأدلة اليقينية والمنطق الصحيح وعلى وضوح الرؤية لكل مظهر من مظاهر القول والعمل خاصة ما يتصل منه بالعقيدة بوجه عام[3].

---

(١) سورة الانبياء الآية: ٢٥.
(٢) سورة النحل الآية: ٣٦.
(٣) قضية الايمان والكفر: وزارة الأوقاف، ص ٧.

وللإسلام اسلوب ، خاص وطريقة فريدة فى تعريف الناس بربهم وخالقهم. اسلوب بعيد عن الغموض ، بعيد عن التعقيد ، اسلوب يقوم على ايقاذ البصائر. واحياء الضمائر ولفت الانظار إلى مافى الكون من شواهد وآثار - تدل وحدها على وجود الله -الواحد القهار-.

وبذلك ينتزع الإسلام الأدلة من واقع الحياة التى يحياها الناس ويعيشون فيها ويلمسون احوالها بأنفسهم ، فالاسلام يدعو الناس إلى النظر والتأمل والتفكير الطويل فيقول عز وجل: **﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناهم ومالها من فروج والأرض مددناها والقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصره وذكرى لكل عبد منيب﴾**(١).

وقد يتجه الإسلام إلى نفس الانسان فيجعله مجالا للنظر والتأمل والتفكير لينتزع الأدلة من كيانه ومن تركيبه ومن الاطوار التى مر بها فيعرض الوضع فى صراحة ووضوح قال تعالى: **﴿فلينظر الانسان مما خلق ، خلق من ماء دافق، يخرج من بين الصلب والترائب انه على رجع لقادر﴾**(٢).

بل ان الإسلام قد يتجه بالانسان اتجاها آخر فيعرض الأمر من زاوية أخرى ليلمس الانسان الامر بنفسه بعد ان يمعن النظر ويطيل التفكير والتأمل فيقول عز وجل: **﴿فلينظر الانسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعا لكم ولأنعامكم﴾**(٣).

فهذا الكون البديع بما فيه من عجائب دليل قاطع على وجود صانع مقتدر خلاق لايعجزه شئ فى السماوات ولا فى الأرض ولذلك لو جال الانسان فيه ببصره امكنه ان يصل إلى هذه الحقيقة الكبرى **﴿ان فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس**

(١) سورة ق الآية: ٦ ، ٨.
(٢) سورة الطارق الآية: ٥ : ٨.
(٣) سورة عبس الآية: ٢٤ ، ٣٢.

وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابه وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾[١].

إن ديننا الاسلامى العظيم يدعونا فى كثير من آيات القرآن الكريم إلى التأمل فى آيات الله وخلقه ، يلفت النظر إلى تدبر عجائب قدرته ، فى آفاق الكون وسفينة الحياة ، وأغوار النفس: **﴿سنريهم آيتنا فى الأفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾[٢].**

وكثيرا ماتأتى اللفتات الكريمة فى القرآن الكريم إلى آيات الله ، وعظيم صنعه ، وكريم لطفه وإحسانه ثم تذيل الآيات بقوله تعالى: **﴿أفلا تعقلون - أفلا تتذكرون - أفلا تتفكرن - أفلا تتقون - وإن فى ذلك لآيات لأولى الألباب﴾.**

والاسلام يهدف فيما يهدف إليه إلى تحقيق العبودية الخالصة لله فى نفوس البشر وردهم إليه فى كل شأن من شئون حياتهم فى الدين والدنيا فى الحياة والآخرة وأن يكون الدين كله لله فى أمره ونهيه وخيره ووعده ووعيده ، فى أعماق الضمير ومظاهر السلوك ومآرب النفس ، فى العقيدة والشريعة والعبادة والآداب وغيرها والتزام ذلك ظاهرا وباطنا سرا وعلنا ، وأن تكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فيظهر الدين كله ولو كره المشركون.

وإذا كانت ممارسة الوظائف العقلية تعد واجبا دينيا فانها من ناحية أخرى مسئولية حتمية لايستطيع الانسان الفكاك منها ، وسيحاسب على مدى حسن أو إساءة استخدامه لها مثلما يسأل عن استخدامه لباقى وسائل الإدراك الحسية وفى ذلك يقول القرآن الكريم: **﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾[٢].**

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٦٤.

(١) سورة الإسراء الآية: ٣٦.

والاسلام يعتبر عدم استخدام العقل خطيئة من الخطايا وذنبا من الذنوب. يقول الله تعالى حكاية عن الكفار يوم القيامة. ﴿**وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير ، فاعترفوا بذنبهم**﴾[١].

ولهذا كانت دعوة القرآن الكريم للإنسان لاستخدام ملكاته الفكرية دعوة صريحة لاتقبل التأويل. وهكذا يجعل الاسلام التفكير -الذى هو وظيفة العقل- واجبا مقررا وفريضة دينية. يقول الله تعالى: ﴿**وسخر لكم مافى السموات وما فى الأرض جميعا منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون**﴾[٢].

والعقل -كما يقول أبو حامد الغزالى- «أنموذج من نور الله» وقبس من نور الحق سبحانه ، أو كما يقول الجاحظ هو: وكيل الله عند الانسان[٣].

ومن هنا كانت أول كلمة من الوحى الإلهى نزلت على محمد -ﷺ- هى «إقرأ» تتجه إلى مخاطبة هذا العقل. وقد تكررت مرتين فى الآيات الخمس الأولى من الوحى ، كما وردت فى هذه الآيات أيضا كلمة ، القلم وكلمة العلم. وهذا تأكيد على أهمية القراءة والتدوين بالقلم فى سبيل الوصول إلى العلم وحفظه من الضياع وذلك من المهام الأساسية للعقل الإنسانى[٤].

فدعوات الانبياء والرسل والمصلحين عبر التاريخ البشرى القديم قامت على اكتاف الرجال. الذين قاموا بتوجيه الناس نحو خالقهم ، ويبعدونهم عن الكفر والطغيان ، وكانت دعواتهم بالاتصال المباشر مع الناس قولا وعملا ، مع دعم مكتوب من الكتب السماوية التى يبلغونها بالقول والكلام. فقليل من الناس استجاب وقبل الدخول فى هذه الدعوات والكثير منهم رفضها. بل قاومها ووصل

---

(١) سورة الملك الآية: ١٠ ، ١١.

(٢) سورة الجاثية الآية: ١٣.

(٣) دور الاسلام فى تطور الفكر الفلسفى، أ.د. محمود حمدى زقزوق، مكتبة وهبة بالقاهرة، ص٧.

(٤) العقيدة الدينية وأهميتها فى حياة الانسان، أ.د. محمود حمدى زقزوق، كتب صغيرة هدية مجلة الأزهر، لشهر رجب، ١٤١٥هـ.

بهم العناد والكفر إلى محاربتها وقتل من يدعو إليها بل ومحاولة القضاء على كل اثر لها والكتب الدينية حافلة بامثلة عديدة لمثل هذه الدعوات وما حدث لها من تصديق أو تكذيب.

ب- تبليغ الدعوة عن طريق نشر الخبر الصادق:

من أول أهداف الاعلام الاسلامى «الاخبار» وهناتظهر أول خصيصة للاعلام الاسلامى وهى الصدق فى الاخبار ﴿**اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾[١].

فالصدق فى الخبر التزام دينى وخلق اعلامى وهذا الهدف يميز الاعلام الاسلامى الموجه إلى الدول الغير اسلامية عن الاعلام الدولى عامة الذى يستبدل المصلحة والهوى والغرض بالصدق.

إن الاعلام فى العصر الحاضر على رأس الأركان المهمة لأنه عصب الدولة وجانبا هاما من جوانب القوة الإسلامية لأن الاعلام الاسلامى يعتبر طريقا لاصلاح كثير من المسلمين كما انه يعد سندا هاما لقضاياهم.

ولذلك يجب على من يعمل بالإعلام الإسلامى أن يكون مهيأ لحمل هذه الأمانة حافظا للقرآن الكريم فاهما للسنة النبوية والفقه وأساليب اللغة العربية.

فالاسلام يلزمنا بالتمسك بالصدق والاخلاص فى الرأى والنصيحة والعمل على ارساء قيم العدل ونشر السلام واستبعاد كل ما ينشر مخلا بالقيم.

والتمسك بالصدق والاخلاص فى الرأى والنصيحة هو الذى يؤدى إلى القضاء على ظاهرة العنف الاجتماعى التى ظهرت فجأة فى المجتمع الاسلامى واشير اليها وإلى كيفية علاجها فيمايلى.

ظاهرة العنف الاجتماعى:

إن مشكلة العنف الاجتماعى تحتاج إلى وقفة لماذا. لأنها تتصل أوثق اتصال

(١) سورة البقرة الآية: ١٦٤.

بالفرد المسلم الذى يتكون منه المجتمع ولأن الغرب يتخذ منها ذريعة لالحاق التهم بالإسلام الحنيف ولذلك فالاسلام له توصياته الواضحة «للفرد» بمعنى أن العلاج والتصدى والمواجهة لهذه الظاهرة ليست مسئولية الدول فقط ولاالسلطات وحدها وانما يتطلب الأمر أيضا المشاركة العامة من الجماهير وتقديمها لكل العون والمساعدة للدولة ، فلا يكفى امتناع الفرد أو عدم دخوله نطاق الظاهرة الاجتماعية السلبية وانما يقتضى الأمر أن يتكامل وعى الفرد بتلك الظاهرة التى تهدد مجتمعه الذى يعيش فيه. والتى تسئ إلى دينه الذى ينتمى إليه.

وأن يشارك طبقا لامكانياته وقدراته فى واجب شرعى «هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر».

فالإسلام لايعرف السلبية الفردية وهو كذلك يدين السلبية الاجتماعية إزاء الظواهر الاجتماعية الضارة وصدق الله حيث قال: ﴿واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾(١).

ويقول الرسول - ﷺ-: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم» والمقصود بالاهتمام العمل والمشاركة.

موقف الإسلام من العنف الاجتماعى:

يكفى أن نعرف أن أول تعارف بين الناس فى المجتمع الاسلامى يبدأ بكلمه السلام فى تحية الإسلام بين الناس فى حياتهم اليومية.

وقد جعل الرسول - ﷺ- التعرض لأحد من الناس بالأذى بقول فسوق أى خروج على أحكام الدين وجعل التعدى عليه كفرا فيقول الرسول عليه السلام: «سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر»(٢).

كما جعل الاحتكام إلى القوة فى أمور الحياة بالنسبة للمجتمع المسلم مآله الخسران.

(١) سورة الانفال الآية: ٢٥.
(٢) اخرجه الترمذى فى الجامع الصحيح، جـ٥ ص ٢١ حديث رقم ٢٦٣٥، ط دار الحديث.

وهذا معناه أن السلام فى المجتمع هو أصل كلى فى الاسلام دلت عليه آيات القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة وقطعت به كأصل لايصح الخروج عليه.

والمقصود هنا السلام بين الناس بحيث يعيش كل فرد امنا على نفسه وماله وعرضه بغض النظر عن العقيدة التى يؤمن بها.

ولايقصد بنبذ العنف من المجتمع كوسيلة من وسائل الوقاية أو العلاج للمشكلات الفردية أو الاجتماعية ، أن تسود فى المجتمع ظواهر سلبية أو تظهر فيه انحرافات سلوكية لاتجد من يتصدى لها أو يقاومها والسلام بين الناس كأساس للعلاقات ولحل الخلافات ، لايمنع من أستخدام العنف فى مواجهة الانحراف الفردى أو العام ولكن الاسلام يجعل هذا العنف محكوما بحيث لايمارسه أى فرد وانما يمارسه ولى الأمر فى مواجهة الافراد طبقا لقواعد الشريعة الاسلامية واصولها التى تعطى ولى الأمر سلطة توقيع العقوبة أو تنفيذها ، كما أن الفرد فى الاسلام يستطيع استخدام العنف دفاعا عن حقه فى الحياة وسلامة بدنه حين يعتدى عليه بغير حق والدفاع عن ماله إذا اريد اغتصابه ، وهذه الصور من استخدام العنف مقررة فى الشرع لصالح الأفراد ويعد وقاية وعلاجا وصيانة للسلام الاجتماعى. - -

إن المشرع يدين العنف الاجتماعى كظاهرة لايصح أن توجد فى مجتمع مسلم بمعنى أن يتحاكم الناس عند اختلافهم فى امور الدين أو الدنيا إلى العنف والقوة بكل صورها سواء كان باستخدام القوة أو التهديد باستخدامها وسواء كان العنف فى صورة اعتداء بدنى أو ارهاب فكرى بالتخويف من إبداء الرأى المخالف واعلانه ، كما أن الشرع لايجيز أيضا للسلطة ذاتها أن تمارس العنف لأن استخدام القوة الجبرية ضد الافراد بقواعد شرعية لايصح تجاوزها مطلقا سواء للافراد أو للسلطات لأن سيادة الشريعة على الجميع تعنى التزام الافراد والسلطة ايضا بهذه القواعد.

ما هو الطريق لوضع حد للعنف الاجتماعى؟ أو التقليل منه حتى لايصبح ظاهرة وان تضيق مساحته.

إن الطريق لوضع حد للعنف الاجتماعى يتطلب الكثير من الخطوات:

أولها: القضاء على أسبابه وفى مقدمتها ادمان المخدرات والمسكرات وهذا يستلزم أن ترتبط البلاد الاسلامية بميثاق دفاع اسلامى عن مجتمعها من هذا الخطر. يبدأ بالاتفاق على اسلوب التوعية بهذا الخطر وهذه التوعية يجب أن تكون فى مرحلة مبكرة وأن ترتكز على أساس دينى.

ثانيا: ضعف الروابط الأسرية حيث كانت قيم الاسلام وآدابه فى التعامل داخل الأسرة وفى الدائرة القريبة لدائرة الجوار تتميز بالثبات والرسوخ ولكنها فى السنوات الاخيرة أصابها التغيير وهو أمر خطير ينبغى التنبيه اليه إذ أن تدعيم الروابط الأسرية يسهم إلى حد كبير فى تخفيف ظاهرة العنف الاجتماعى ، وكذلك تنمية القيم الاسلامية الاصيلة مثل بر الوالدين والاحسان بين الزوجين ومع الابناء.

ومراعاة حقوق الجوار وحق الطريق ، وحق الغير فى ابداء رأيه وفى توجيه النصيحة كغيره وكل هذه القيم الاسلامية الاصيلة والتى تعد جوهر الاخلاق الاسلامية يجب ترسيخها فى المجتمع الاسلامى ونشرها فى التعامل وتشجيعها فى سلوك الأفراد قبل بعضهم.

ولاشك أن احياء القيم الاسلامية فى النفوس يعين المجتمعات الاسلامية على التخفيف من ظاهرة العنف الاجتماعى إلى أقل حد ممكن. ذلك أن الاسلام دعا المؤمنين جميعا إلى الدخول فى السلم.

النظام التعليمى:

ان النظام التعليمى فى الامم الاسلامية ينبغى ان يركز على تنمية القيم الاسلامية وربطها بمقاصد الدين ومصالح الدنيا وبث الوعى بها منذ الصغر فى نفوس المسلمين لان ذلك يعصمهم من ممارسة العنف أيا كانت الأسباب ضد هؤلاء الذين أوصى الاسلام بالاحسان اليهم داخل الاسرة وخارجها وفى علاقات المجتمع كله وان يكون للدعوة إلى تنظيم هذه العلاقات وترسيخها فى نفوس المسلمين. مكان كبير فى الخطبة بالمساجد ، وفى الدرس الدينى ، وفى كل تجمع يتوجه إليه الخطاب الدينى فى المجتمع.

حـ- بيان الحق ودفع الباطل عن طريق الاخلاص فى النصيحة :

كما وردفى الحديث الشريف «الدين النصيحة»[١] ولما كان الاعلام يخاطب الأمة والحاكم والمحكوم كان لزاما عليه أن يلتزم بالنصيحة المخلصة للناس وأولياء الأمور وائمة المسلمين وعامتهم فالإعلام الاسلامى يتميز بالاخلاص فيما يقدم من نصيحة.

وهذا الجانب الهام والهدف الكبير يظهر أثره فيما ينشره الاعلام من اراء أو تحليلات للأحداث والوقائع فيلزم ان يكون رائده فى ذلك أيا كان المخاطب به هو اخلاص النصيحة.

فالاعلام الاسلامى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فى كل مايقدمه من خبر أو رأى أو نصيحة أو معلومة وذلك أصل اجتماعى فضلا عن الواجب الدينى ومن الطبيعى أن يتقيد به الإعلام الاسلامى.

وذلك الأصل الذى يعد من فرائض الإسلام الاجتماعية يغيب تماما عن الاعلام غير الاسلامى والذى يستهدف المصالح الخاصة أو العامة وحدها بغض النظر عن حكمها شرعا كما يعمد إلى الاثارة والابهار بقصد الكسب والتربح من العمل الإعلامى[٢] وهذا مخالف لما ورد عن رسول الله - ﷺ-

(١) سنن الترمذى، جـ٥ ص ٣٥.
(١) الإعلام الإسلامى ودعم سياسات التضامن، أ.د. جمال الدين محمد محمود، ص ٩.

المطلـــب الثالث

الاعلام الإسلامي يعتمد على مخاطبـة العقـول واعمـال الذهـن

الانسـان كائن عـاقل ومفكر ، كلما عـصر ذهنه واطلق ملكات فكره ، كلما توصـل إلى أفكار وآراء جـديدة ، وعندمـا يتـكلم تخـرج هذه الأفكار والآراء كـلامـا يسمعه الناس، فـاذا كان هذا الكلام قولا جديدا أو فكرا غريبا. كان له تأثير كبير عليهم. واستجابات متفاوتة بينهم ويكون له رد فعل بسيط أو عنيف يتبعه بالتالى تحولات دينية أو اجتـمـاعـيـة أو سيـاسـيـة تؤثر فى حياة الشعـوب وقد تغير مـجرى التاريخ.

فاذا استمع الناس لقول لم يقله أحد من قبل ، تأثروا به كثيرا ، وقد ينفعلوا معـه بشـدة ويندفـعون إلى تأييده والاستـمسـاك به . بل يضحـون بكل رخيص وغـال للدفـاع عنه وحمـاية صاحبه. وقد يكون رد فعل الناس عكس ذلك تمامـا ، فمـا أن تعرض عليهم هذه الأقوال الجديدة حتى يعارضونها ثم يحاربونها. ويتـمادون فى الغى فيضطهدون قائلها وكل مصدق لها.

وقـد تكون اسـتـجـابة الناس بين هذا وذاك. فـلاهم يؤمنوا بهـا ولايـكذبونهـا ، ولكنهم يعرضوا عنها ولايصدقوها.

ويوجد إتفـاق فى أغلب المؤتمرات العلمـيـة العـالميـة -على أن السـلاح المطلق القادم فى القرن الحادى والعشرين هو سلاح العقل.

ومن هنا يطرح السـؤال العـريض الهـام: ومـاذا عن القـرن القـادم؟ تكاتف سكانى بشرى وتكاتف فى الرغبات الاستهلاكية ، كل يريد مزيدا من الاستهلاك ، ومزيدا من التمتع بمعطيات العصر من شقة وسيارة وباقى معدات وأدوات الرفاهية الأخرى. فضـلا عن نقطة أخرى تطرح وهى: تراجع القيـم والمثل العليـا فى مـواجهـة السلوك الرائد بما فى ذلك الانتمـاء والولاء والخوف من الله ومحبة الآخرين وبصفة عـامة كل مافيـه تسـامى الانسان ومنع تفـكك وانهيـار العواطف الأسرية أمام طغيـان

المادة وتحكمها فى كل أبعاد الإنسان.

وما يهمنا هنا يعينيا بالنسبة لمجتمعنا -ماذا نفعل وكيف نستقبل هذا القرن الجديد ، هل نتسلح بمزيد من المشروعات والامكانات الاقتصادية باسم التنمية الشاملة- أم نتسلح بالاطار القيمى والعودة إلى استعادة الذات وخصوصياتها وتأصيل الانتماء ولو كان الثمن التخفيف عن الطموحات لانجاز كل شئ فى وقت قياسى.

نحن نميل إلى هذا الرأى الأخير باعتبارنا أمة وسطا وكان رأسمالها عبر التاريخ «الانسان» وقدرات الانسان بما قدم من قدرات ذهنية أثرت البشرية وعلى مستوى الانسان باعتبارها ستكون المآل إلى هذه الدفعة الهائلة من التطور الذى لايحمل أى عنوان وهنا يتأكد لنا أن القرن القادم سلاحه الرائد هو عقل الإنسان وليست الأشياء وماهو فتاك باسم امكانات الانسان وهذا يعني إعطاء أولوية لما هو مفيد.

وفى تصورى أن مصر كشقيقتها العربيات تعى هذه التناقضات التى تمارس فى الكون وتعطى أهمية مطلقة لبناء الطفل الذى هو نصف اليوم كل والغد وهو الأساس فى ايجاد اجيال صالحة وعقول ناجحة ومتفتحة.

ويمكن هذا الآن بتنشئة واعية ستؤمن لنا تجاوز العديد من المشاكل فى هدوء وبلاضوضاء بدءا من المشكلة الديموجرافية والاقتصادية وبقية المشاكل الأخرى ، لان هذا الطفل الذى شينشأ بطريقة واعية سيتحرك بدوره فى بيئة واعية أو بيئة قادرة أو نزيهة بعيدا عن المماذقه وافتعال المشاكل(١).

ولقد كرم الله سبحانه وتعالى الإنسان بعقله وبه فضله على باقى مخلوقاته وبه تعبده فى الأرض والقى إليه التكاليف الشريعة إذ جعل مناط التكليف العقل فبه يفكر ويعمل ويعرف النافع من الضار والخير من الشر ، فاذا ما اعتدى على هذا العقل بسكر يخامره ويغيبه أصبح وجوده كعدمه حيث أن المجنون يرى البعيد

---

(١) وجهة نظر للاستاذ / حسين الشاعر، جريدة الاهرام القاهرة فى ١٩٩٩/٣/٢م.

قريبا والقريب بعيدا ، ويذهل عن الواقع الذى يعيش فيه ويتخيل ماليس بواقع واقعا ، ولذلك أمر الله بالمحافظة على هذه الجوهرة التى هى سر من أسرار الله فى خلقه وخص بها الإنسان.

كما حرم الاعتداء بما يضر بالعقل من تناول المسكرات أو المخدرات وذلك لأن الانسان اذا ما أصيب بآفة فى عقله أصبح عبئا على المجتمع ومصدر شر وأذى على الجماعة والواجب أن تكون أعضاء المجتمع سليمة تمده بالخير وتصله بكل عناصر القوة والمنفعة.

فمن أجل الحفاظ على العقول ومايترتب على سلامتها من مغانم وعلى تلفها من اضرار وخبائث شرعت عقوبة السكر وبتطبيقها يسلم المجتمع صغيرا كالاسرة أو كبيرا كالأمة من اضرار كثيرة فى الأرواح والاعراض والاموال وفى غيابها يتعرض المجتمع صغيرا كان أو كبيرا لاضرار باهظة فى الارواح والاعراض والاموال والواقع خير شاهد على ذلك.

وقد ورد تحريم الخمر فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه﴾[١].

وقال - ﷺ -: «كل مسكر خمر وكل مسكر حرام»[٢].

وفى القرآن الكريم دائما يخاطب رب العالمين العقول ، قال تعالى: ﴿افمن يخلق كمن لايخلق افلا يتذكرون﴾[٣].

ولقد جاهد النبى - ﷺ - طويلا لكى يحمل القبائل العربية على قبول هذا المبدأ لأن روح القبلية وعدم اعمال الفكر كانت سائدة غلابة بينهم . لذلك كان من العسير عليهم أن يتقبلوا -فى البداية- مبدأ التفكر فى انفسهم ومخلوقات ربهم والنعم الكثيرة التى انعم الله بها عليهم.

(١) سورة المائدة الآية: ٩٠.
(٢) سبل السلام، جـ٤ ص ٣٣.
(٣) سورة النحل الآية: ١٧.

قال تعالى: ﴿والله اخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون﴾(١).

وقال تعالى: ﴿إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿أفعيينا بالخلق الأول بل هم فى لبس من خلق جديد﴾(٣).

ولم يكلف سبحانه إلا الإنسان العاقل البالغ الذى يعى مايفعل ويدرك ما يقول.

وحينما يستخدم الاعلام أسلوب العقل ولأن المعنى الموهذا الالعبادة يجد أنها إكراه أو قهر لأنه لاينتشر بالقوة وإنما ينتشر بالحكمة والموعظة الحسنة. وعموما فمبدأ الإكراه ممنوع فى كل أمور الدين الإسلامى بما فيها الإعلام. قال تعالى: ﴿لا أكراه فى الدين﴾.

ومن الأدلة على مخاطبة الإسلام للعقل أنه قد لفت نظر الانسان إلى مافى الكون من شواهد وإلى نفسه كيف خلقت.

وهكذا عن طريق الإسلام نجد أن الانسان قد وجد مايربطه بالحياة المتحركة من حوله فيفتح قلبه وعقله ليشاهد صنعا بديعا وتنظيما دقيقا وأمورا تجل عن الوصف يطول فيها الفكر ويحتار فيها العقل فلا يجد الانسان أمامه بعد التفكير الطويل وربط الاسباب بمسبباتها والوسائل بغاياتها والمقدمات بنتائجها ، إلا أن يعترف بالحقيقة الكبرى. بنفس المنهج ونفس الاسلوب فيقول فى صراحة تامة «أن البعرة تدل على البعير وآثار القدم تدل على المسير فهذه سماء ذات ابراج وارض

(١) سورة النحل الآية: ٧٨

(٢) سورة الأنعام الآية: ٩٥ - ٩٦.

(٣) سورة ق الآية: ١٥.

ذات فجاج وبحار ذات أمواج أفلا تدل على اللطيف الخبير».

بهذا التفكير المنطقى تنهار الاسطورة الخرافية التى سيطرت على القلوب المظلمة والعقول المتحجرة التى تاهت فى بيداء الضلالة فترة من الزمان يوم ان قال الانسان فى جهل دون أن يستحى ودون أن يخجل «ماهى إلا أرحام تدفع وارض تبلع وما يهلكنا إلا الدهر».

وميزة الإسلام انه لم يعمد إلى التعقيد أو الغموض بل سلك طريقا واضحا فتح فيه ابواب التأمل والنظر من كل جانب ليصل الناس بانفسهم إلى الهدف المقصود ومن هنا نجد القرآن الكريم واضحا فى ذلك حينما يفتح باب التأمل والنظر فيقول عز وجل: **﴿أولم يتفكروا فى أنفسهم ماخلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وأن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون﴾**[١].

بل إن الاسلام يخاطبهم فى صراحة فيقول لهم: **﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لاترجعون﴾**[٢].

ثم إن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فى كثير من آيات القرآن والأحاديث النبوية ، تحتاج إلى اعمال الرأى فى فهمها ، وكيفية تحقيق مراد الله فى نصوص شرعه ، فى واقع الحياة وتنزيلهما على الحوادث ، وهذا كله من شأنه تنمية العقل بزيادة العلوم والمعارف ، والكشف عن الحقائق العلمية. والتربية على طرائق التفكير المنظم ، الذى يلاحظ الظاهرة فيدرسها بالطريقة العلمية السليمة ، ويصل إلى النتائج ، ويطبقها علي المواقف المتشابهة ، وهو إلى جانب هذا يزوده بالآيات المعينة على نضوج العقل ووصوله إلى النتائج المحددة وهو بهذا انما يعد الشخصية المسلمة إعدادا عقليا ، يتلاءم مع المهام الجسيمة التى تنتظره فى الحياة وحمل الرسالة التى اختار الله هذه الأمة لها فكانت بها خير امة اخرجت للناس.

---

(١) سورة الروم الآية: ٨.

(٢) سورة المؤمنون الآية: ١٥.

إن خطاب القرآن الكريم لنا يمثل مولد العقل الاستدلالى. فهو لايكف عن مناشدة العقل والاصرار على النظر إلى الكون وتأمل الطبيعة وحركتها الدائبة. والاستقراء هو الطريقة الوحيدة الموصلة إلى اليقين. وهكذا قام المنهج التجريبى القائل بأن الملاحظة والتجربة هما أساس العلم وأصله وليس التفكير النظرى المجرد، كما يتضمن القرآن -من ضمن مايتضمنه- بذور المذهب التاريخى والعناية بالتاريخ على أنه مصدر من مصادر المعرفة الإنسانية ، بل لقد وضع الاسلام قاعدة من أهم قواعد النقد التاريخى وهى أن اخلاق الراوى عامل هام فى الحكم[١].

إن من مظاهر الخلل الثقافى فى حياتنا أن عنايتنا بعلوم المنقول لاتزال تشغل الأمة عن علوم المعقول ... وأن الرواية فى وعى أجيال متعاقبة من شبابنا ورجالنا أوشكت أن تحجب العقل عن علوم الدراية.

لقد ضاع من حياة أمتنا وقت هائل طويل فى مقابلات مغلوطة بين العقل من جانب والنصوص من جانب آخر وقلنا الذى سنظل نردده فى ذلك أن النقل رواية عن واهب العقل وأن صريح المنقول لايمكن أن ينقاض صحيح المعقول إذ لايمكن لليقين أن يصادم اليقين ﴿والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا﴾[٢].

ولنذكر فى صراحة وشجاعة أنه إذا كانت آفة الدنيا من حولنا أن الأرض قد أخذت زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها وتصوروا أن العقل يستطيع -بعيدا عن النقل أن يهدى إلى الرشد فان أفتنا نحن المسلمين أننا عطلنا العقول وركنت عامتنا وخاصتنا إلى المنقول ، فتوقف كثيرون عن السعى ، واختلط التوكل بالتواكل وامتزجت القناعة بالخمول ، وتداخلت فى فهم الكثيرين نعمة الإبداع مع رزيلة الابتداع ، كما تداخلت فريضة الاجتهاد مع فاحشة الرجم بالظنون والأهواء فتقدم الناس -بسبب ذلك كله- وتأخرنا وتحركت الدنيا وتحجرنا وأنزل العقل عن عرشه فى حياتنا كلها.

---

(١) تجديد الفكر الدينى فى الإسلام، محمد اقبال، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م، الطبعة الثانية.

(٢) سورة آل عمران الآية: ٧.

المطلـــب الرابع

الاعلام الاسلامى يعمل على إعداد المسـلم علـى منهـج اللـه

لايستطيع أحد أن ينكر دور الإعلام الإسلامى فى إعداد الشخصية المسلمة ، الواعيـة لمهمتـهـا فى الحيـاة ، المدركة لمركزها فى الوجـود ، العـاملة بالدور الذى ينتظرها فى المستقبل ، المحافظة لرسالة هذه الأمة فى الأرض ، العاملة على تحقيق أهدافـهـا العليـا وغـايتـهـا السـامـيـة ، من النـاحيـة الروحيـة والعـقليـة والجسـدية والاجتماعية.

حتى تكون قـادرة على مزاولة مسئولياتها والقيام بوظائفها بفاعلية وتأثير يؤهلها لدورها القيادى المنتظر.

ومن ثم فـان منهج الإعـلام الاسـلامى فى العـرض والنقل والنقـد والبـلاغ والشهادة ينبغى أن يكون .

أ- مثله فى ذلك منهج القرآن الكريم لأن الاعلام الاسلامى يسعى إلى بيـان الحق وتزيينه للناس وإلى التـعـريف بمبـادئ الاسـلام لشـعـوب العـالم قـاطبـة ، وإلى حمـاية وترقيـة الثـقـافة الاسـلامـيـة ، ومحـاربة كل الآفات الاجـتمـاعـيـة وكـل مظاهر الظلم والطغيان والعبودية وكل ضروب هدر كرامة الإنسانية.

ب- يجب على الاعلام الاسلامى أن يتحلى بخلق التبصر الذى هو من أخلاق القـرآن الكريم ، ومن فـضـائل الاسـلام والذى.يجـعل منه إعـلام تدبر وتفـكيـر وتمهل ونموذج رزانة فـلا يحكم على الاشيـاء من خلال مظاهرها بل يسبر اغوارها لاستجلاء حقائقها، ولاسيما فى الوقت الراهن الذى يتميز باحتدام الصراع الفكرى والعقائدى.

والتـبـصـر من شأنه أن يعصم الإعلام الاسلامى من الوقـوع فى الاخطاء التى تؤدى إلى التقدير غير الصائب الواقع ، وإلى فقدان المصداقية.

جـ- ويـسـتـمـد الإعـلام الاسـلامى اصـوله ومـبـادئه من القـرآن الكريم والسـنة

النبوية كمصدرين أساسيين ، حيث يتحتم الالتزام بهما فى كل مايبث من مواد ومضامين إذاعية وتليفزيونية والهدف منها.

إن ارتباط الاعلام الاسلامى بمبادئ الدين الاسلامى ليس ارتباطا واهيا أو هشا بل هو ارتباط عملى من خلال عمله باخلاص على تطبيق التعاليم والتوجيهات الربانية فى شتى الأنشطة التى ينهض بها.

ومن الأمور التى لاينبغى أن يختلف فيها اثنان ان الإعلام الاسلامى لابد أن يستمد مبادئه من مصدرين اساسين وهما: **القرآن** ، والسنة النبوية المطهرة ، ثم نتاجات السلف الصالح وان ينهل من أنظف وأطيب ما انتجته الحضارات الأخرى.

إذن لابد أن يكون الإعلام الاسلامى متأدبا بآداب الاسلام ملتزما بأوامره منتهيا عن نواهيه ... وإن يقوم على الكلمة كما يرتضيها الاسلام فكرا واسلوبا ومنهجا وغاية.

وعدم مخالفة ذلك الاصل أو حتى مجرد الانسياق إلى الشبهات وهذا الاستمداد الذى يعد من اهم خصائص الاعلام الاسلامى حيث يجعله إعلام ذو طبيعة خاصة فهو يمثل أمة لها خصوصية حضارية مميزة فى الدين والتشريع والثقافة والتراث ، وايضا المصالح فالاعلام الاسلامى لايندرج تحت مطلق الإعلام - إذا عد من العلوم - أو الفن إذا عد من الفنون- فالإعلام الإسلامى له خصائصه فى الجوانب النظرية وفى الممارسة والتطبيق.

فالإعلام الإسلامى يلزم القائمين عليه اتباع كل ما ورد فى الكتاب والسنة من أوامر ونواهى.

والاسلام عبارة عن عقيدة دافعة وعبادة رافعة وخلق يعيش به المسلم بين الناس فكل مسلم مطالب بتطبيق تعاليم دينه قولا وفعلا.

واذا كان الغرب غير المسلم قد نسب تخلف المسلمين إلى الإسلام فقد رد القرآن الكريم على شبهات أعداء الاسلام فى هذه الناحية عن طريق والوحى لرسولنا

الكريم فنجد أن الكلمات «قل ، وقالوا» قد تكررت فى القرآن الكريم اكثر من ١٥٠٠ مرة ، وايضا نجد فى القرآن عدة آيات تبدأ بكلمة «يسالونك» مرة عن الروح واخرى عن الساعة «يوم القيامة» وثالثة عن الأهلة ورابعة عن ذى القرنين وخامسة عن الحيض وسادسة عن الخمر والميسر إلى غير ذلك من الامور التى شغلت مجتمع المسلمين قبل اربعة عشر قرنا.

وكأن الرسول - ﷺ- فى ساحة إعلامية وأمامه الذين يحاربون وهو يجادلهم والله يعطيه السلاح.

وهناك مسألة طبيعة:

أن من يعادينا لابد وأن يقول عنا ماليس فينا:

فلا بد من محاربة الاعداء بالاسلوب المنطقى كما قال رب العالمين: ﴿**بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه**﴾[1] ومن هذا المنطلق نجد أن القرآن الكريم على مدار ١١٤ سورة يدافع ويرد على كل الشبهات والقضايا التى يثيرها أعداء هذا الدين وخاصة مايتصل باعداد الشخص المسلم لتحمل مسئوليته.

فمثلا سورة الانعام فقد نزلت دفعة واحدة وتتحدث عن قضايا خمس هى وحدانية الله ، وصدق الرسول ، ويوم القيامة ، وصدق القرآن والرد على الشبهات، وهكذا نجد سور القرآن الكريم.

والاعلام هو السفير وهو المعبر بالقول عن الرسالة الإسلامية وهو الذى يعمل على تنشئة المسلم على القيم والاخلاق الاسلامية ، يحمل النظرية والنموذج والمثل الأعلى إلي العالم ، يدلل على صدقها ويثير الاقتداء بها ، ويحسن توظيفها لخير البشرية والحاق الرحمة بالعالمين استجابة لقوله تعالى وهو يحدد الغاية من النبوة: ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾[2].

---

(١) سورة الأنبياء الآية: ١٨.
(٢) سورة الأنبياء الآية: ١٠٧.

والقرآن الكريم اعتبر القول من الرسول هو الوسيلة الصحيحة لتبليغ الرسالة واحكام الشريعة واصول الدين الى جميع الناس.

فنجده فى مواضع كثيرة من القرآن يوجه الكلام للرسول بكلمة «قل» ويتكرر ذلك عشرات المرات ، وذلك لأن القول باللسان هو الأبلغ والأقوى فى الوصول إلى عقول الناس وبهذا القول الملهم من الله أمكن للرسول أن يبلغ القرآن كله بالقول لاصحابه.

بل انه كان ينصحهم ويوجههم ، ويرشدهم بأحاديثه فى كل مناسبة وظروف ، حتى تجمعت لدى المسلمين حصيلة كبيرة من الاحاديث التى قالها الرسول طوال حياته. وبهذا يصبح كل ماقاله الرسول فى الاسلام هو أساس الدعوة الاسلامية[١].

وعموما فالعمل الحضارى يستوعب الاهداف السامية التى دعا إليها الاسلام لذلك يجب إعادة بناء الانسان المسلم على أساس من عقيدته وحضارته وتوجيهه نحو معايشة عصره والاستفادة من منجزاته العلمية والحضارية لتنمية العالم الإسلامى تربويا وعمليا وثقافيا بالوسائل المجدية المشهود لها بالكفاءة والاقتداء وذلك بتضافر جهود العلماء ورجال الفكر والعاملين فى حقول الثقافة والاعلام والتربية والتعليم.

والواقع أن اعداد الشخصية الاعلامية المسلمة ينبغى أن يشمل جميع جوانب النفس البشرية كلها حتى يكون تأثيرها على المشاهدين تأثيرا ذا قيمة فى حياته وحياة مجتمعه ، وحتى يكون مؤهلا ومعدا لتحمل تبعات ما سيلقى اليه من مهام جسيمة ، فى مستقبل حياته فيما يتعلق بمسئوليته عن دينه وما يتعلق بدنياه.

ومن أمثلة هذه الجوانب التى ينبغي أن يركز عليها الاعلام الاسلامى فى اعداد المسلم الذى يعمل به[٢].

(١) الكلمة واثرها فى الامم والشعوب منبر الاسلام، العدد ١، السنة ٤٢، ص ٩٥.

(٢) من أهداف الاسلام، الدكتور/ عبد الله بن محمد العجلان، ص ٢٩٦ ، مجلة البحوث الاسلامية - الرياض - العدد الثانى عشر - ربيع الأول - ربيع الثانى - جمادى الأولى - جمادى الآخرة ١٤٠٥هـ.

١- الاعداد الروحى:

يجب اعداد الاعلامى الاسلامى إعدادا روحيا داخليا يتناسب مع ماينتظر منه فى الحياة المعاصرة لكى يندفع برؤية وحكمه فى عملية ، بناء النفس وتعمير الأرض ، واستثمار خيراتها.

ولكى يتم هذا البناء الروحى للنفس البشرية ، يجب أن يتلقى الاعلامى قواعد شرع الله ومنهاج رسوله ، إذ انه سبحانه وحده الذى يملك ذلك. ولذا فان من أهم متطلبات الشخصية المسلمة ، ارضاعها مع لبانها ، وتعاهدها فى مختلف مراحل نموها ، بالقرآن العزيز وآياته الكريمة والسنة النبوية المطهرة ، والسيرة العطرة. وحياة السلف الصالح. والقادة العظام الذين رعوا هذا الدين ، واستجابوا لدعوته ، ووضعوا نصوصه واهدافه موضع التنفيذ فى اصول العقيدة ، وقواعد الشريعة فى الطاعة والعبادة ، والعادات والآداب والسلوك. ونمو شجرة الايمان العطرة فى النفوس بتكرار هذه الآيات والمعجزات ، حتى عمرت بها النفوس واكتمل بها بناء الجانب الروحى الذى يعد من أهم جوانب النفس ، الباعث الى العمل وفق ماشرعه الله لعباده.

٢- الإعداد الجسمى:

الجسم يعد وعاء الروح والعقل ، وهو الوسيلة لتحقيق تطلعاتهما فى الواقع، ومن ثم فله أهميته البالغة فى نظر الإسلام ولذا فانه يأخذ بكل وسيلة أو خبرة تزيد فى نمو الجسم وسلامته وقوته. مثل الممارسات البدنية والمزاولات اليدوية ، التى تزيد الجسم قوة وصلابة ، وتباعد بينه وبين الترهل والخمول والدعة والهبوط ثم أنه من ناحية أخرى يزوده بالحقائق العلمية والمعارف التى من شأنها الأخذ بأسباب الصحة العامة ، وقواعد التغذية السليمة والعادات الكريمة فى الأكل والشرب والحركة والراحة والنوم وغيرها.

ومعرفة طرق الوقاية من الأمراض على اختلاف أنواعها ، وتعدد أسبابها وآداب الرسول - ﷺ- فى ذلك معروفة ، وكلها تهدف إلى بناء الشخصية المسلمة فى كل مكان ، إعدادا جسديا ، يتلاءم مع رسالته فى الناس والمستقبل الذى

ينتظره ، فان العقل السليم فى الجسم السليم.

وكما ورد فى الحديث الشريف: «المؤمن القوى خير واحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير»(١).

والقوة كما ينبغى أن تكون فى النفس والعقل والوجدان ، ينبغى أن تكون كذلك وبطريق الأولى فى بناء الجسم واعداد التراث.

٣- الإعداد الوجدانى:

ويتم هذا الاعداد للاعلامى الاسلامى عن طريق شريعة الله الخالدة ، وهى صادرة من العليم الخبير ، تمنح الفرد قوة إيمانية دافعة وطمأنينة مطلقة فى نفسه ، وسحرا وجدانيا فذا إيمانا يجعله على يقين بأن ماهو عليه حق لايتطرق اليه الشك ، ويورثه الثقة فى نفسه ومنهج حياته وطمأنينة لايتطرق إليها القلق أو ينفذ اليها الخوف فيمارس الصراحة فى القول والقوة فى النفس ، والثقة بأنه يسير فى طريق سلام العالم ، وسلام النفس ، ويتحرر من العبوديات والتبعات لغير الحق وتتكون عنده رباطة الجأش وقوة الشكيمة.

إن الإعداد الوجدانى ، يتمثل فى أننا جميعا عندما نذهب إلى المسجد لأداء الصلاة وخاصة يوم الجمعة نبحث عن غذاء روحى ، ونتزود من يوم الجمعة هذا إلى يوم الجمعة الذى يليه بغذاء جديد يدفعه قوية.

إن من يذهب إلى المسجد يوم الجمعة يريد أن يستمع إلى الآيات القرآنية بقراءة صحيحة وتفسير واضح لهذه الآيات ثم يستمع إلى بعض القصص القرآنى الذى يشده إلى متابعة السلف الصالح ومعرفة كيف كان يفكر ويتغذى على ذلك حتى يكون سلوكه انعكاسا لهذا(٢).

٤- الإعداد الإجتماعى:

الاسلام وهو يعد الفرد إنما يعده على أساس أنه فرد فى جماعة ولنبة قوية

(١) جامع الأحاديث، للسيوطى، جـ٦ ص ٦٧١.

(٢) من أهداف الاسلام – المقالة السابقة بمجلة البحوث الإسلامية. ص ٢٩٧.

فى صرح شامخ البناء لاينفك عنه ولايحيا بدونه. ولذا فانه يعده فردا مسلما يتحلى بالاخلاق الاسلامية الاجتماعية الفاضلة ، التى تتسم بالاستقامة وحياة الضمير ، وينقى الوجدان ويربيه على الأمانة والصدق ، وعفة اللسان وطهارة اليد والبعد عن كل رذيلة اجتماعية أو نقيصة خلقية.

فديننا الاسلامى دين معاملة مثلما هو دين عبادة وكثير من المعاملات تغيب عن أذهان بعض المسلمين وأيضا عن أذهان كثير من الدعاة أو الاعلاميين

مثل قضية استغلال الموارد المائية وعدم الإسراف فى المياة ، ومن المعلوم أن التليفزيون أو الاذاعة حينما يتحدث عن قضية كهذه لن يأتى بنتائج جيدة مثلما يتناول هذا الموضوع خطيب الجمعة من منظور دينى حيث يتحقق الأثر المرجو للمجتمع فاذا اراد الاعلامى التأثير فى المستمع أو المشاهد فعليه أن يستند فى كل اقواله إلى الكتاب والسنة ومصادر التشريع.

وكذلك هناك قضايا سلوكية كثيرة وعصرية تحتاج إلى التركيز عليها لتحسين صورة المسلمين وهى قضايا تتعلق بالأمن وأهداف المرور واحترام حقوق الآخرين وعدم التعدى على حقوق المواطنين فى الشارع أو الحدائق أو البحار والانهار.

فيجب على جميع المسلمين عدم التفرقة بين العبادة والعمل لأن العمل عبادة وفعل الخير عبادة.

والقرآن الكريم مملوء بالآيات التى تحث على ذلك قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير﴾[1]. وقال تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾[2]. وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولانساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولاتلمزوا انفسكم ولاتنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم

---

(١) سورة الحج الآية: ٧٧.

(٢) سورة المائدة الآية: ٢.

الظالمون﴾(١). وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾(٢).

وغير ذلك من الآيات الكفيلة باعداد الشخصية المسلمة الاجتماعية التى تتعامل مع المجتمعات ، وتأخذ بمجامع قلوب اصحابها بما يتحلى به المرء من فضائل الأعمال ومحاسن الآداب ، وطهارة النفس ، وسمو الأخلاق فيكون بسيرته داعية إلى منهج الله وشرعه ، اكثر من الدعوة بقوله ولسانه ، ومثلما جاء فى القرآن الكريم فان السنة النبوية المطهرة قدوة فى القول والفعل ، بالحث والعمل ، فالرسول الكريم - ﷺ- نموذج فريد فى السلوك الاجتماعى يجب على المسلمين الاحتذاء به فى جمع اعماله.

٥- الإعداد المهنى:

من متطلبات إعداد الشخصية المسلمة والتى يقع على الاعلامى الإسلامى القيام بها أن يزود المستمع والمشاهد ببعض الخبرات العلمية ، والمهارات اليدوية ، التى تكون ضمانا لكسب عيشه ، من عمل شريف ، وإعفاف نفسه وولده عن المسألة وإبعاد غائلة الحاجة وسطوة الجوع عنهم ، وضمان عيش كريم لهم. هذا من جهة ومن جهة أخرى فان المسلم بمزاولته لأى مهنة شريفة ، يكسب بها عيشه ، إنما يقدم بها خدمة جليلة لأمته ، فاذا أتقنها وصدق فى تعامله فيها مع الناس ، وبعد عن الجشع والطمع والاستغلال ، كان بذلك داعيا لدين الله بعمله ، مستغنيا به عن أعدائه.

والله سبحانه وتعالى لم يخلق الإنسان عبثا وإنما خلقه لغاية ... وهى عبادته سبحانه وتعالى حيث قال فى كتابه الكريم: ﴿وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾(٣).

ولكنه سبحانه وتعالى يقول فى موضع آخر: ﴿هو انشأكم من الأرض

(١) سورة الحجرات الآية: ١١.
(٢) سورة التوبةالآية:١١٩.
(٣) سورة الزاريات الآية: ٥٦.

واستعمركم فيها﴾[1]. وقال تعالى: ﴿هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾[2].

ويستفاد من هذه الآيات الكريمة ، أن الإنسان مكلف من قبل الله سبحانه وتعالى بعمارة الأرض ، لكنه لايجب تصور وجود أى تضارب بين هاتين المعلومتين، لأن المعنى المستفاد منهما أن غاية الله سبحانه وتعالى للإنسان هى عبادته من ناحية ، وأنه مكلف امامه سبحانه وتعالى بعمارة الأرض من ناحية أخرى ، بل على النقيض من ذلك ، فان التدقيق فى طبيعة كل منهما يكشف عن توافق تام بينهما. وهذا التوافق ينتج من كون عمارة الأرض ذاتها موضوع للعبادة فالذى يمحص فى العبادة يجد أنها تشمل كل عمل طيب يقصد به وجه الله سبحانه وتعالى -ومعظم إن لم يكن كل الأعمال التى تتكون منها العبادة تسهم فى عمارة الأرض.

وباختصار فان العبادة تشمل عمارة الأرض ويتدرج الأمر بعمارة الأرض من قوله تعالى: ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل اله ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾[3].

مرورا بكل صور عمارة الأرض حتى قوله - ﷺ-: «مامن مسلم يزرع زرعا فيأكل منه طير ، أو إنسان أو بهيمة إلا كان له بها صدقة»[4].

والله سبحانه وتعالى سخر لنا ما فى السموات وما فى الأرض بقوله تعالى: ﴿وسخر لكم ما فى الأرض جميعا منه﴾[5].

وذلك ليعمر الإنسان الدنيا ويحييها لينعم بخيراتها ويسبح بحمد الله تعالى ولذلك يمكننا القول بأن عمارة الأرض تشكل وظيفة أساسية للإنسان فى الحياة الدنيا.

---

(١) سورة هود الآية٦١.
(٢) سورة الملك الآية: ١٥.
(٣) سورة الجمعة الآية: ١٠.
(٤) الجامع الصغير، جـ٢ ص ١٥٢.
(٤) سورة الجاثية الآية: ١٣.

ومفهوم عمارة الأرض مفهوم شامل يتسع لكافة نواحى النشاط الإنسانى فى الحياة ابتداء من الدعوة للدين مرورا بمحاربة الاستضعاف ونشر العدل وإشاعة الأمن والسلام وإنتهاء بعمارة الأرض فى شكلها المادى مثل اعمال الزراعة والصناعة والتجارة وما يتولد عنها من أنشطة وحرف ... الخ.

ولم يكتف الاسلام بحث الانسان على العمل والانتاج بقوله تعالى: ﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**﴾[1].

وقول الرسول عليه السلام: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»[2].

وإنما اعتبر العمل وزيادة الانتاج عبادة فيقول تعالى: ﴿**ويستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله**﴾[3].

ويقرن الله تعالى السعى للرزق مع الجهاد فى سبيل الله فيقول سبحانه: ﴿**وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله**﴾[4].

وقد كان نبى الله داود عليه السلام يأكل من عمل يده وعرق جبينه[5] قال تعالى: ﴿**وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم تشكرون**﴾[6].

وقال - ﷺ -: «من أمسى كالا من عمل يديه أمسى مغفور له يوم القيامة»[7]، وغير ذلك من الأدلة الكثيرة التى تدل دلالة قاطعة على قيمة العمل فى الإسلام.

---

(١) سورة التوبة الآية: ١٥٠.
(٢) المستدرك للحاكم، جـ٢ ص ٤٦١، مكتبة النصر الحديثة بالرياض.
(٣) سورة الشورى الآية: ٢٦.
(٤) سورة المزمل الآية: ٢٠.
(٥) تيسير الوصول إلى جامع الأصول، جـ٤ ص ١٦٦.
(٦) سورة الانبياء الآية: ٨٠.
(٧) رواه الطبرانى فى الأوسط.

وقد استخدم الإسلام كافة الوسائل الممكنة فى التوجيه إلى العمل بكل أنواعه ومن ثم فيجب على من يعمل بحقل الإعلام أن يشير إليها دائما وتتمثل هذه الوسائل فيما يلى:

١- إثارة الوازع الدينى بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد كقول النبى - ﷺ- على سبيل الوعد: «من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له»[١]. وقوله: «من طلب الدنيا حلالا وتعففا عن المسألة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره ، لقى الله ووجه كالقمر ليلة البدر»[٢]. وقوله على سبيل الوعيد على ترك العمل: «أشد الناس حسابا يوم القيامة المكفى الفارغ» أى العالة الذى لاعمل له وقوله: «اليد العاطلة فى النار».

٢- إثارة الباعث الطبيعى: بتشجيع الجهود الشخصية ، وتحريك الحافز الفردى ، ببيان فوائد العمل ومضار الخمول والكسل وتقرير أن الجزاء على قدر العمل ومما ورد فى إثارة الحافز الشخصى قوله تعالى: ﴿ولكل درجات مما عملوا﴾ ، وقوله تعالى: ﴿للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن﴾ ، وقول النبى - ﷺ-: «إن الله يعطى العبد على قدر همته ونهمته «أى عزيمته وحاجته».

٣- إشراف الدولة واستعمال نفوذها بمطاردة البطالة والتسول والتوجيه إلى العمل بقوة السلطان. يدل على ذلك ما رواه أنس أن رجلا شكا إلى النبى - ﷺ- الفاقة ، فقال يا رسول الله: لقد جئتك من أهل بيت ما أرانى أرجع اليهم حتى يموت بعضهم من الجوع ، فقال: «انطلق هل تجد من شئ» ، فانطلق فجاء بحلس وقدح فقال يارسول الله: هذا الحلس كانوا يفترشون بعضه ويلبسون بعضه أى يتغطون ببعضه ، وهذا القدح كانوا يشربون به ، فقال رسول الله - ﷺ- «من يأخذهما منى بدرهم» فقال رجل: أنا يا رسول الله ، فقال رجل آخر: أنا آخذهما باثنين ، فقال «هما لك». ثم دعا صاحبهما فقال له «اشتر فأسا بدرهم وبدرهم طعاما لأهلك» ،

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط والاجتهاد عن ابن عباس.
(٢) الاحياء للغزالى.

قال ففعل ثم رجع إلى النبى - ﷺ- فقال: «انطلق إلى هذا الوادى فلا تدع حاجا ولاشوكا ولاحطبا ، ولا تأتينى خمسة عشر يوما» ، فانطلق فأصاب عشرة دراهم ثم جاء إلى النبى - ﷺ- فأخبره فقال: «فانطلق فاشتر بخمسة دراهم طعاما وبخمسة كسوة لأهلك» ، فقال يا رسول الله لقد بارك الله لى فيما أمرتنى به، قال: «هذا خير من أن تجئ يوم القيامة فى وجهك نكتة المسألة ، إن المسألة لا تحل إلا لثلاثة لذى دم موجع ، أو غرم مفظع ، أو فقر مدقع»[١].

فهذا الصنيع من رسول الله - ﷺ- وهو المشرف الأعلى على الدولة يدل على أن الدولة من واجبها التوجيه إلى العمل ومكافحة البطالة والتسول ، ومن واجبها أيضا تهيئة أسباب العمل للقادرين عليه.

إن العمل شرف لايحط بقدر صاحبه مهما كانت منزلته ومهما كان نوع العمل الذى يزاوله حتى لو كان جمع الحطب أو ما هو دونه[٢]. وذلك لأن العمل مصدر العيش ووسيلة التملك الرئيسية.

ولقد أباح الإسلام كل وسيلة كريمة للكسب ، فللمرء أن يباشر من الأعمال ماتعينه عليه طبيعته ، وما يهديه إليه عقله وبهذا سار الإسلام باهتمامه بالنواحى المادية من حياة الإنسان جنبا إلى جنب مع اهتمامه بالجوانب الروحية تمثل ذلك بقوله تعالى: **﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا﴾**[٣].

وضرب القرآن المثل بالأنبياء والمرسلين من ناحية مزاولة الوان النشاط الاقتصادى أو المادة. فقد كان سيدنا نوح عليه السلام رائدا فى صناعة بناء السفن وكان داود عليه السلام وسليمان قدوة فى صناعة الحديد ، وكان سيدنا ابراهيم واسماعيل من الرواد فى صناعة البناء ، وتفوق سيدنا يوسف فى أمور التدبير

(١) عون المعبود ، جـ٥ ص ٥٣.
(٢) أضواء من السنة على مشاكل الحياة ، أ.د. محمد السيد ندا ، ص ٨١ ، ط ١٣٩١ ، سنة ١٩٧١.
(٣) سورة القصص الآية: ٣٧.

الاقتصادى وكان ذو القرنين وأهل سبأ من المبرزين فى إنشاء السدود ، واشتغل نبينا - ﷺ- بالرعى والتجارة.

فالعمل سر الوجود وأساس المعيشة ورسالة الإنسان فى الحياة وعليه يتوقف وجوده فقد استخلفه الله فى الأرض وربط حياته بالبحث فيها واستنباط خيراتها. فالعمل الصالح من أجل زيادة الانتاج هو أهم أثر لفكرة الاستخلاف.

ومن الآثار الايجابية لفكرة الاستخلاف فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية أنها تحد من طغيان أصحاب المال وتدفعهم إلى القيام بتقديم العون إلى الضعفاء والمساكين ، وتسهل على من بيده المال قبول الأوامر والتوجيهات والقوانين الشرعية المتعلقة بتنظيم المال لأنها توجيهات رب المال ومالكه الأصلى.

فعن انس بن مالك قال أتى رجل من تميم إلى رسول الله - ﷺ- فقال يارسول الله إنى ذو مال كثير وذو أهل ومال وحاضرة فأخبرنى كيف أصنع ، وكيف انفق ، فقال رسول الله - ﷺ-: «تخرج الزكاة من مالك فانها طهرة تطهرك ، وتصل أقرباءك وتعرف حق المسكين والجار والسائل».

ومن ثمرات الاستخلاف ايضا انها تعطى الجماعة المؤمنة حق الرقابة على الغنى فيما يحوزه من أموال وتجعل لها عليه سلطانا إذا هو لم يرع حدود الوكالة الممنوحة له فأفسد وأتلف فان مالك المال الأصلى قد خولها حق الحجر عليه وغل يده عن التصرف فى مال الله عنده وفى هذا جاء قوله تعالى: ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا﴾[١].

وقد عرف الفقه الإسلامى فى أبواب المعاملات باب الحجر وقد يكون حجرا لحق الغير كالحجر على المدين والمفلس لحق غرمائه ، وقد يكون حجرا لحق صاحب المال نفسه كالحجر على السفيه ، وهكذا ففكرة الاستخلاف لها آثار ايجابية عديدة تنفع المجتمع المسلم وتنهض به[٢].

(١) سورة النساء الآية: ٥.

(٢) دور القيم والاخلاق فى النشاد الاقتصادى، أ.د. يوسف القرضاوى، ص .

ومن خلال هذا العرض يتضح لى أن الإعلام الإسلامى يمكن أن يقوم بدور كبير فى اعداد المسلم والمسلمة كما يلى:

دور وسائل الاعلام فى اعداد الشخصية المسلمة:

تأتى وسائل الاعلام اليوم فى مقدمة وسائل الإعداد للشخصية المسلمة فهى ذات أثر بالغ الأهمية والخطورة ، سلبا وايجابا فى تنشئة الأفراد وتوجيه الأجيال وتكوين الرأى العام.

ولهذا فان وسائل الاعلام ينبغى أن يكون هدفها الأساسى هو الإعداد السليم ومساندة البيئة والأسرة والمدرسة والمجتمع ، فى تكوين شخصيات الأفراد وإعدادهم وعدم خروجها على وسائل التربية المقصودة والمبرمجة ، لأن ذلك يحقق الانسجام والتعاون بين وسائل الاعداد.

أما اذا كانت وسائل الاعلام تنطلق من منطلقات الترفيه والتسلية ، وقتل الوقت وغير ذلك ، من الأغراض الهابطة ، فان كثيرا مما تتقبله النفوس المريضة ، فى مجال الترفيه والتسلية ، يتناقض مع ماتقرره العقيدة السليمة وثقافة الأمة التى عادة ماتعد المناهج فى المدارس والجامعات والمعاهد لخدمتها ، وتعريف الناشئة بها وطبع نفوسهم عليها.

وهذا التناقض بين وسائل إعداد الناشئة فى الأمة الواحدة ، ينجم عنه اهتزاز فى القيم وازدواجية فى التفكير.

واذا كانت الصحافة تطالع الجيل فى كل يوم بجديد من المقالات والتحاليل السياسية ، والخبر والصورة وغيرها . فى صورة جذابة واخراج متقن يشد القارئ فانه بقدر ماتكون هذه الأخبار صادقة ، والمقالات هادفة والتحاليل الاخبارية تطرق من وجهة نظر صادقة وسليمة ، يكون رافد المعرفة وثمرة الخبرة فى إتجاه سليم أو طريق خاطئ ، فاما أن يساند الاعداد الجيد أو يناقضه.

أن الأمة الواعية هى التى تساعد وسائل الإعداد فيها ، على إعداد أفرادها

إعدادا يتلاءم مع متطلعاتها ، ويدفع إلى للسعى لبلوغ غاياتها.

والتليفزيون يأتى فى مقدمة وسائل الاعلام وأشدها خطرا وأبعدها اثرا فى حياة الناشئة ، إذ أنه يجمع بين جمال الصورة ، وحسن الصوت ، وإتقان الاخراج ، فى صور متغيرة وجذابة ، ويتم اعداد برامجه وفق دراسة واعية للأوقات والمناسبات.

وما يناسب كل فئة من فئات المجتمع من الوقت والمادة وطريقة العرض.

لهذا فان الامة الواعية التى ترغب فى إعداد ناشئتها اعدادا صحيحا هى التى تستعمل هذه الوسيلة أداة للتربية السليمة والتوجيه السليم.

فاذا انحرفت هذه الوسيلة فى أية أمة كان ذلك مؤشرا على سوء الإعداد ونذير خطر على الناشئة ، وبالتالى ذهاب الريح والاندثار.

ولهذا يجب على الأمة أن تكون حارسة لعقيدة أبنائها ، عاملة على تجميع كل الجهود والوسائل ، لاعداد افرادها وعدم السماح لأى وسيلة بأن تنحرف عن المسار الصحيح والمنهج القويم ، فى أى صورة من الصور سواء كان ذلك فى صحيفة أو إذاعة أو تليفزيون أو غيرها.

وهذا الاعداد والتكوين له خصائص ومقومات ينفرد بها عن مناهج التربية المعهودة على وجه الأرض المستمدة من غير شرع الله ، وله وسائل متعددة منها النظرى ومنها العملى ، فى حياة الرسول - ﷺ - وحياة الانبياء والرسل من قبله وفى حياة الرعيل الأول من هذه الأمة المجاهدة.

ولكى يعطى هذا الإعداد ثماره اليانعة وعطاؤه المثمر فانه يتطلب أن يتم فى مناخ ملائم وتربة خصبة قابلة للإنبات أو مجتمع يشم فيه الفرد عبير الحرية ويعطية بعدا كافيا فى نفسه وفى شخصيته فى مجتمعة.

هذا وامتنا المسلمة اليوم وقد جربت مناهج الأرض كلها وطبقت كل التجارب الأرضية والأفكار والنظم العلمانية. فنزلت بها إلى الدرك الأسفل ، وبقيت مثخنة

بجراحها ، تئن من سوء واقعها حتى فقدت الأمل فى كل ماكانت ترجو النجاة عن طريقه ، وأصابها شعور مزيج من اليأس والأمل واليأس من أنهم ممن لايستحقون نصر الله والأمل فى النصر من عند الله ، إذ أنه سبحانه وحده هو المأمول لكشف البلاء وابدال الذل عزة والهزيمة نصرا. مصداقا لقوله تعالى: ﴿حتى اذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولايرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾[1].

---

(١) سورة يوسف الآية: ١١٠.

المطلب الخامس

الإعلام الإسلامي عام وعلني

الاعـلام الاسلامي عـام لكل الناس وليس سريا أو خاصـا بفـئـة دون أخـرى فالعمومية والعلانية متلازمان في الاعلام الاسلامي.

وذلك انعكاسا للعقيدة التي توصف بأنها المحجة البيضاء والتي تخلو من أي وساطة بين الله وبين البشر.

وهذه العلانية توجب على علماء الأمة الإسلامية أن ينهضوا للدفاع عن دينهم عن طريق الرد المفصل على كل مايثيره اعداء الدين على شبكة «الانترنت» أو غيرها من وسائل الإعلام ليطلع عليه من شاء من اصدقاء واعداء لكي يقطع هذا المنطق العلمي السنة المتربصين المفتئتين على سيدنا رسول الله -ﷺ-.

ولهذا لاينبغي أن يغيب عن أذهان المسلمين أنهم مأمورون من الله تعالى بالمرابطة في سبيل الله تعالى للتصدي في أي حين لأعدائنا الذين يتربصون بنا وذلك في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾[1].

والمرابطة والرباط في معناها الواسع هما إشعار العدو أنك مستعد دائما للقائه عسكريا عن طريق الحروب وفكريا عن طريق وسائل الإعلام.

«لأن الرباط ليس هو الاستعداد بالخيل أو بالسلاح المناسب لكل عصر فحسب، بل إن المرابطة معناها الإعداد لكل مايمكن أن يرد عن الحق صيحة الباطل وإن من المرابطة اعداد الناشئة الاسلامية للتصدي لوافدات الالحاد قبل أن تأتي لأن غذو الفكر قد يتسرب إلى النفوس من حيث لاتشعر.

والعمومية والعلانية توجب مخاطبة العالم الخارجي الغير اسلامي لاقناعهم بمبادئ هذا الدين الإسلامي العظيم وتصحيح مفاهيم خاطئة راسخة في اذهانهم كما يلي:

---

(١) سورة آل عمران الآية: ٢٠٠.

كيفية الخطاب الاسلامى فى ظل العولمة:

يقصد بكلمة الخطاب والمخاطبة فى اللغة: كالمه وحادثه. أى وجه اليه كلاما ويقال خاطبه فى الأمر: حدثه بشأنه ، والخطاب: الكلام والرسالة.

وفصل الخطاب ماينفصل به الأمر من الخطاب قال تعالى فى شأن سيدنا داود عليه السلام: ﴿**وشددنا ملكه واتيناه الحكمة وفصل الخطاب**﴾[1].

قال المفسرون «إن فصل الخطاب هنا معناه: الكلام البين الذى يفهمه من يخاطب به ، أو البيان الفاصل بين الحق والباطل»[2].

ويقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب**﴾[3].

أى غلبنى فى الخصومة ، وشدد على فى القول وأغلظ ، فالخطاب ليس مجرد كلام يقال بل هو تبادل الكلام مع الآخرين ، وهو فى الوقت نفسه ليس مجرد كلام يقال فحسب ، بل لابد من انتظار رد فعل أو نتيجة بشأنه ، والخطاب كلام معتدل ومتوازن ليس فيه اختصار مخل ولا إسهاب ممل[4].

والخطاب فى أحد تعريفاته الإجرائية هو عبارة عن وصف المضمون الفكرى الذى تشير إليه لغة فرد أو جماعة ، ومايحمله هذا المضمون من رسالة إلى الآخرين، ويتضمن هذا الوصف فى العادة تحليل اللغة المستعملة فى الخطاب ، ومدى وضوح دلالتها عند المخاطبين ومدي الاتساق الداخلى لاصحاب الخطاب

---

(١) سورة ص الآية: ٢٠.

(٢) تفسير القرطبى.

وكلمة «الخطب» وهي تعنى: الحال والشأن قال تعالى: ﴿**قال فما خطبكم أيها المرسلون**﴾ سورة الذاريات الآية: ٣١ ، أى ما شأنكم الخطير الذى لأجله أرسلتم أيها الملائكة الأبرار ، وعلى هذا فالخطب يعني الأمر الشديد الذى يكثر فيه التخاطب.

(٣) سورة ص الآية: ٢٩.

(٤) وقد استعمل لفظ الخطاب فى علم أصول الفقه عند تعريف الحكم الشرعى على أنه «خطاب الله تعالى المتعلق بافعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع».

الواحـد ، ومدى توافق هذا الخطاب مع المواقف العـمليـة لأصـحـابه ، ومـسـتـوى الاختلاف والتميز الذى يحققه هذا الخطاب على أشكال الخطاب الأخرى.

والخطاب المستـمد من القرآن الكريم والموجه لغير المسلمين والذين يتحدثون لغة غير عربية ينبغى أن يكون بلغاتهم حتى يؤتى ثماره. وبالتالى ابين حكم ترجمة معانى القرآن الكريم.

حكم ترجمة معانى القرآن الكريم:

هناك جدل قـديم وحديث يدور حـول ترجـمـة القـرآن ومـعـانيـه إلى اللغـات الأجنبية.

وهنا أشير بشئ من التفصيل إلى هذه القضية.

اولا: تحرير محل النزاع:

الحق الذى لامحيص عنه ولاخلاف عليه بين الفقهاء أنه لايحل الاقدام على ترجمـة القرآن إلى غير اللغة العربيـة كما لايحل الاقـدام على تبديل أية كلمة من كلمـاته الشريفة بما يرادفهـا فى اللغـة العربيـة ، ولاعلى نقل أية كلمـة أو آية من موضعها إلى موضع آخر من آياته وسوره.

ويقصـد بترجمة القرآن الكريم هنا «التـرجمة الحرفيـة» أى أن تحل الترجـمة مـحل الأصـل المنزل على رسـول الله -ﷺ- ، وأن تقـوم مـقـامـه فى الصـلاة بهـا ، والتعـبد بتلاوتها ، والاحتجاج بمعتاها كما تحل الترجمة الرسمية فى المواد القانونية مـحل الأصل وتقوم مـقـامه فى الاحـتجاج والاحترام القـانونى فذلك مـالا سـبيل إليـه بحال من الأحوال ، وهو ما أجمع ائمة الفقه الاسلامى على تحريمه التحريم البات.

كما أجمعوا على:

أ- تحريم قراءة القرآن بغير العربيـة وبغيـر النظم العربى المبين الذى نزل به الروح الأمين على قلب محمد بن عبد الله -ﷺ-.

ب- تحريم ترجمة القرآن الكريم إلى آية لغة اعجمية.

ج- تحريم كتابة المصاحف بهذه التراجم.

د- تحريم تداول هذه التراجم بين من يحسن العربية ومن لايحسنها من عامة المسلمين فى أقطار المعمورة.

أما ترجمة معانى القرآن الكريم «الترجمة التفسيرية» إلى اللغات الاجنبية الأخرى فمحل خلاف بين الفقهاء والمجتهدين.

والفرق بين الترجمة الحرفية والتفسيرية عملا وقصدا ظاهر جلي. فان صناعة الأولى تكون باستحضار معنى لفظ الاصل المترجم وابداله بما يدل عليه من ا للغة الاخرى حسبما تقتضيه اوضاعها وقواعدها وصناعة الثانية تكون بفهم معنى الأصل وشرح غامضه وتوضيح مافيه وتفصيل مجمله بألفاظ وجمل تدل على ذلك من اللغة الاخرى، فالترجمة فى هذا النوع ليست ترجمة للفظ الأصل بل لمعناه وشرحه وتفسيره، والمترجم تفسير الاصل ومعناه المشروح لانفس الأصل، ولذا يجب أن تكون عبارة الترجمة محاذية ومطابقة لعبارة التفسير المترجم بحيث لاتختلف عنها إلا فى أن هذه بلغة وتلك بلغة أخرى وحكم الترجمة التفسيرية هذا محل خلاف بين الفقهاء.

فذهب فريق من الفقهاء إلى القول بتحريم ذلك ، وقال آخرون بجوازه ، ولكل من الفريقين أسانيد يعتمد عليها وأشير فيما يلى الى هذين الرأيين.

أولا: رأى القائلين بالتحريم ومنهم - ابن جزىء فى «القوانين الفقهية».
واستدلوا على مدعاهم بما يلى:

أولا: إن اباحة الترجمة تعتبر بدعة وكل بدعة ضلالة[١] يترتب عليها ضرر ومفسدة[٢].

(١) فقد ذكر أن من لم يحسن تلاوة القرآن وقراءته -ان كان لم يتعلمها وجب عليه تعلمها أو الصلاة وراء من يحسنها ، فان لم يجد فقيل يذكر الله ، وقيل يسكت ولايجوز ترجمتها. القوانين الفقهية، جـ ٢ .

(٢) روى عن سيدنا رسول الله - ﷺ- عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله قال: من أحدث فى امرنا هذا ماليس منه فهو رد» ، وعن العرباض بن سارية أن رسول الله - ﷺ- قال: «اياكم والامور المحدثات فان كل بدعة ضلالة» ، سنن ابن ماجة، جـ١ ص ٧ ، حديث رقم ١٤، طبعة عيسى الحلبى، بدون تاريخ ، تصحيح وترقيم محمد فؤاد عبد الباقى ، وسنن ابن ماجة، جـ١ ص ١٦ ، حديث رقم ٤٢.

إذ يترتب على ترجمة معانى القرآن إلى اللغات الأجنبية أن يترك المسلمون من غير العرب تعلم اللغة العربية ويقتصرون فى تعلم القرآن ودراسته وتلاوته على الترجمة ، وهذا هو ماجعل السابقون الأوائل يحجمون عن ترجمة معانى القرآن الكريم ، لأن احجامهم هذا أدى إلى انتشار اللغة العربية حتى عمت جميع الأقطار الإسلامية ، فتحقق للمسلمين من وراء انتشارها مزايا كثيرة: اجتماعية ، وعمرانية وسياسية ، فاتحدت ممالك الاسلام. لغة كما اتحدث دينا ونشأ عن ذلك اتحادها فى المجتمع وزوال تنافرها ومن رأيهم أن الممالك الداخلة فى الاسلام ، لوأنها اشتغلت بترجمة معانى القرآن إلى لغاتها ، ورأت أن ذلك جائز أو واجب ، ما كانت مصر والعراق الشام وتونس والجزائر والمغرب الأقصى مجالا للعروبة فى تاريخنا ، ولبقيت على عجمتها متفرقة اللسان والتكفير والثقافة والأدب ، ولآل ذلك فى نهاية الأمر إلى الافتراق فى الدين أيضا فعدول السابقين عن الترجمة -برغم يسرها عليهم- وتحمل هؤلاء الأعاجم عبء تعلم اللغة العربية ، وإحلالها محل لغاتهم الأصلية دليل قائم علي عدم جواز ترجمة معانى القرآن.

ثانيا: **النظم المعجز للقرآن** جزء من ماهية القرآن فهل فى امكان اللجنة التى ستقوم بالترجمة ان تترجم معنى القرآن. بما فيه هذا الجزء.

فهذا التساؤل لامحل له: لان من المتفق عليه ان اللفظ المعجز يستحيل ترجمته وأن التعبير عن المعنى لايتضمن اعجازا.

وأيضا عند الحديث عن المختلفات الاسرائيلية الموجودة فى التفاسير «هل اللجنة ستترجم هذه المختلفات إلى أوربا أو تحذف تلك القصص منها فتكون الترجمة لبعض القرآن دون بعض؟».

ومن ثم فيجب على العلماء أن يدعو المسلمين من الأعاجم إلى فهم القرآن من طريق اللغة العربية. ذلك لأن القرآن الكريم يدعو المسلمين جميعا إلى تعلم اللغة العربية. ويدعو إلى الوحدة فى اللغة.

فأصحاب هذا الرأى يقولون: «ونحن لانمنع أحد أن يعبر عما يفهمه من

أية واضحة المعنى أو آيتين كذلك شفويا لراغب طالب الارشاد رجاء هدايته أو لانذاره ، وانما الممنوع هو أن تترجم معانى القرآن كله أو جملة منه لراغب وغير راغب ولمسلم وغير مسلم».

ثالثا: إن معانى القرآن كثيرة ، فلا يمكن لأى مترجم أن يحيط بها ، حتى يترجمها ترجمة دقيقة ، تحمل طابع القرآن فى إعجازه اللفظى والمعنوى فترجمة معانى القرآن الكريم ونقله إلى لغات العالم مهما كانت دقيقة ستكون قاصرة فهى لاتستطيع مطلقا أن تحمل حقيقة ماتعنيه الفاظه على تركيبها المعجز ، ولو هى أدت معانيه كما يفهم أهل العصر ، بقى منها ما ستفهمه العصور الأخرى ....

وعلى سبيل المثال: إن أشهر وأدق ترجمة لمعانى القرآن فى اللغة الفرنسية ، ترجمت فيها هذه الآية: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾[1].

فكانت الترجمة هكذا: هن بنطلونات لكم وانتم بنطلونات لهن ... وكيف يمكن أن تترجم هذه الكنايات الدقيقة بشرح وبسط تؤدى فيه الكلمة الواحدة بجمل طويلة.

كما أن امثال هذه الكنايات هى وجه من وجوه إعجاز القرآن للغات العالم كله.

وأيضا قوله تعالى وهو يخاطب الكافرين ويجادلهم سائلا أآلهتهم خير أم الله خالق السموات والأرض ﴿أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون﴾[2].

فغير المدرك لمدلولات اللغة العربية عموما ولمدلولات لغة القرآن خصوصا حين يقرأ أو يسمع هذه الآية ، فانه سيفهم حسب سطحية معرفته بالعربية - أن الذين

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٨٧.

(٢) سورة النحل الآية: ٦٠.

يقولون بوجود إله آخر شريك مع الله هم قوم عادلون منصفون ، وحاشا لله أن يكون المعنى كذلك وإنما معنى ﴿يعدلون﴾ فى هذا السياق القرآنى هو: يميلون عن الحق، أى أن الذين يقولون بوجود إله شريك لله هم مائلون منحرفون عن الحق متجهون إلى الباطل فى قولهم واعتقادهم هذا.

وأيضا هناك أمثلة كثيرة على قصور الترجمة لفهم مدلولات الفاظ القرآن الكريم فى سياقها القرآنى فما بالك بمعانى الآيات وأسباب نزولها وأحكامها.

فمثلا فى قوله تعالى على لسان العبد الصالح الخضر عليه السلام فى معرض تعليله لسيدنا موسى عليه السلام رقه سفينة البحارة الفقراء: ﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا﴾[1].

فمثلا كلمة ﴿وراءهم﴾ فلو أن الكلمة هنا لها المدلول المعروف فما الحاجة لهؤلاء المساكين أن يخرق الخضر سفينتهم مادام الملك ورجاله خلفهم ولن يصلوا إليهم؟ ولكن معنى ﴿ورائهم﴾ فى هذه الآية هو ﴿أمامهم﴾ أى أن الملك ورجاله ينتظرو مرور السفن أمامهم فما وجدوه صالحا منها اغتصبوه دون رحمة أو شفقة.

وفى القرآن كلمات كثيرة اختلف فيها أهل العلم ، فمنهم من يقف دون تفسيرها فيؤمن بأن لها معانى صحيحة ويدع تعيين هذه المعانى إلي علم الله وحده، ومنهم من يأخذها بالتأويل ويذكر لها معانى معقولة ، ويذهب هذا الفريق فى التأويل مذاهب يحتاج ترجيح احدها على غيره إلى ذوق فى لغة العرب سليم ونظر فى فهم اصول الدين المستقيم ، وهذا مايسمونه آيات الصفات فى قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾[2].

رابعا: ويمكن الرد على من يقول بأن الترجمة ستساعد على تبليغ رسالة القرآن إلى الناس كافة وفيهم غير العرب.

---

(١) سورة الكهف الآية: ٧٨.

(٢) سورة طه الآية: ٥.

بأنه يمكن الاكتفاء بتبليغ مجمل ما جاء من أصول الدين والعقائد والعبادات والمعاملات كالايمان والاقرار والشهادتين وأحكام الصلاة والصوم والزكاة والحج والأحوال الشخصية ... الخ.

ويرون أنه لايتعين إبلاغ القرآن كله لكل الأمم ، بل يقولون إن من واجب تلك الأمم أن تتعلم اللسان العربى حتى يمكن تبليغ رسالة القرآن إليها بنصها العربى.

ومنهم من يقول: «إن بعض علماء الكلام ينصون على أن معرفة الله بالبرهان واجبة ولايمكن التوصل إلى ذلك إلا بتعلم اللغة العربية ، إذ القرآن واللسان عربيان، وبهما تعرف الأدلة وما لايتوصل للواجب إلا به فهو واجب.

خامسا: إن ترجمة معانى القرآن الكريم تعتبر كارثة دينية لأنها حلقة فى سلسلة الهدف من ورائها هو القضاء على الاسلام فى مصدره الأول[1].

والاجيال المقبلة ستفقد الصلة بالنص العربى ولن تجد المرجع الذى تحتكم اليه عندما تتضارب الترجمات مع بعضها البعض.

إن ترجمة معانى القرآن الكريم ستؤدى إلى ضياع جميع أوصاف القرآن الكريم التى ذكرها أئمة الدين فى تعريفه من العربية ، والاعجاز ، والانزال ، والنقل المتواتر ، والثبوت فى المصاحف.

كيف نرضى بضياع تلك الاوصاف عما يقرؤه المسلمون بدل القرآن.

ان ترجمة معانى هذا الكتاب العظيم المقدس سوف يؤدى إلى ضياع وحدة كتابهم وحلول التشتت والتفرق محلها. وحلول الضعف مكان القوة.

---

(١) صدر هذا الكلام عن الشيخ «مصطفى صبرى» آخر شيخ للاسلام فى الدولة العثمانية وقد سجل رأيه هذا فى كتاب بعنوان «مسألة ترجمة القرآن» طبع المطبعة السلطانية عام «١٣٥١هـ - ١٩٣٢م».

وقد اصدر كتابه هذا بمناسبة صدور ترجمة للقرآن الكريم إلى اللغة التركية. وقد كان لهذا الحدث صدى غير طيب فى البلاد الاسلامية لأنه جاء بعد الغاء الخلافة وصاحبه تشريعات يبدو فيها العداء الصريح لكل الظواهر التى تربط الشعب التركى بدينه.

والخلل الذى يمكن ان يقع فيه المترجم أن يكون اللفظ ذا معنيين أو معان تحتملهما الآية ، فيضطر المترجم إلى أن يضع بدله من اللغة الأجنبية اللفظ الموضوع لما يختاره من المعنيين أو المعانى حيث لايجد لفظا يشاكل اللفظ العربى فى احتمال تلك المعانى المتعددة.

ومن الخلل الذى يدخل الترجمة الحرفية أن يستعمل القرآن اللفظ فى معنى مجازى فيأتى المترجم بلفظ يرادف اللفظ العربى فى معناه الحقيقى.

ومن هذا القبيل أن يطلق القرآن لفظا عاما ويريد به خاصا ... فيأتى المترجم بما يرادف العام دون الخاص.

ومن هذا الباب أن يستعمل القرآن الكلمة ومعناها لايظهر إلا بملاحظة متعلق محذوف ويكون هذا المتعلق قريب المأخذ فى النظم العربى دون لغة الترجمة.

ثانيا: أدلة القائلين بجواز الترجمة :

ذهب إلى جواز ترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية وحض عليه ورغب فيه كثير من الفقهاء[(١)] والامام الشاطبى[(٢)]

(١) يرى الإمام أبو حنيفة جواز ترجمة معانى القرآن الكرين ، بل يقول بصحة الصلاة بتلك الترجمة ويقول الحنفية اذا ترجم القرآن فمن كان عاجزا عن القرآة باللفظ العربى وجب عليه وحصت له القراءة بالألفاظ الاجنبية المترجم اليها ، وذلك هو أقوى الآراء عندهم. أما اذا كان القارئ الأعجمى قادرا على تحريك لسانه باللفظ العربى فقد اختلفوا فى امره فمنهم من يرى الزامه بالقراءة فى الصلاة وغيرها بالألفاظ العربية ما دام ذلك قد صار فى مقدوره ، ومنهم من تجيز له أن يقرأ بالترجمة الأجنبية التى يعى معانيها ويدرك مقاصدها.
وللحنفية فى هذه المسألة تفاصيل وفروع ولكنها جميعها تتفق على جواز ترجمة معانى القرآن إلى اللغات الأجنبية.
واستدل بعض الفقهاء على جواز قراءة القرآن بالفارسية ، لأن الله سبحانه وتعالى حكى فى القرآن الكريم قول الأنبياء كقول نوح وموسى وعيسى ويوسف وسائر الأنبياء عليهم السلام بلسان القرآن وهو لسان عربى مبين مع أن السنتهم ليست بعربية.

(٢) نقل عن الامام الشاطبى: أن للغة العرب من حيث هى الفاظ دالة علي معان نظرات أحدهما: من جهة كونها الفاظا وعبارات مطلقة دالة على معان مطلقة ، وهى الدلالة الأصلية ، «وهى فى ذلك تشترك فى جميع الألسنة». والثانى: من جهة كونها الفاظا(=)

والبخـــارى[١] وابن بطال[٢]، وكثيرا من علماء العصر الحديث.

وقد استدل أصحاب هذا القول بالكتاب والسنة والقياس والمعقول.

أما الكتاب فأيات كثيرة منها:

أ- قوله تعالى: ﴿لأنذركم به ومن بلغ﴾[٣].

ب- قوله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾[٤].

جـ- قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾[٥].

وجه الدلالة من هذه الآيات الكريمة:

إنذار أى امة من الناس وتوجيه النصح لهم لايمكن له ان يؤتى ثماره إلا اذا كان بلسانها حتى يقع لهم الإنذار.

والنبى -ﷺ- بلغ العرب بلسانهم وبلغ غير العرب أيضا. فبلغ هرقل ،

(=) وعبارات مقيدة دالة على معان خادمة ، وهي الدلالة التابعة «رهى فى ذلك تتميز عن الألسنة الأخرى».

ويقول الامام الشاطبى: «وقد نفى ابن قتيبة امكان الترجمة فى القرآن ، يعنى على هذا الوجه الثانى ، فأما الوجه الأول فهو ممكن ، ومن جهته صح تفسير القرآن وبيان معناه للعامة ومن ليس لهم فهم يقوى على تحصيل معانيه ذلك جائز باتفاق أهل الاسلام ، فصار هذا الاتفاق حجة فى صحة الترجمة على المعنى الأصلى . الموافقات.

(١) قال الحافظ ابن حجر: «فمن دخل الاسلام أو اراد الدخول فيه فقرئ عليه القرآن فلم يفهمه فلا بأس أن يعرب له لتعريف أحكامه أو لتقوم عليه الحجة فيدخل فيه» فتح البارى، باب مايجوز من تفسير التوراة وكتب الله بالعربية.

(٢) قال ابن بطال: «إن الوحى كله متلو وغير متلو انما نزل بلسان ا لعرب ولايرد على هذا كونه -ﷺ- بعث إلى الناس كافة عربا وعجما وغيرهم ، لأن اللسان العرى نزل عليه به الوحى عربى وهو يبلغه إلى طوائف العرب وهم يترجمون لغير العرب بالسنتهم».

(٣) سورة الانعام الآية: ١٩.

(٤) سورة المائدة الآية: ٦٧.

(٥) سورة ابراهيم الآية: ٤.

قيصر الروم ، باللسان العربى وهرقل لسانه رومى ، وكسرى فارس ، والنجاشى ملك الحبشة والمقوقس عظيم القبط فى هذه الرسائل التى بعث بها رسولنا محمد -ﷺ- إلى الملوك اشعار بأنه -ﷺ- اعتمد فى ابلاغه مافى كتبه اليهم علي من يترجم عنه بلسان المبعوث اليه ليفهمه ، والمترجم المذكور هو الترجمان ، وكذا وقع.

فكل هذا واضح الدلالة على جواز ترجمة معانى القرآن لغير العربية وخاصة أن كتاب النبى -ﷺ- مشتمل على أية قرآنية وهى: ﴿**يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سوآء بيننا وبينكم**﴾[١]. فقد كتب النبى -ﷺ- بها للنجاشى ملك الحبشة أيضا ولملك الفرس كذلك والثلاثة أعاجم لايعرفون العربية.

ولايخفى أن فى ذلك إذن ضمنى منه -عليه الصلاة والسلام- فى ترجمة معنى هذه الآية للغات المذكورة كلها ، وقد جاء فى الصحيح عن أبى سفيان بن حرب، أن هرقل لما جاءه الكتاب أحضر ترجمانه فترجمها له ، وما جاز فى آية واحدة يجوز مثله فى سائر القرآن على الإطلاق[٢].

وقال تعالى: ﴿**فأتوا بالتوراة فاتلوها**﴾[٣].

وجه الدلالة:

أن التوارة بالعبرانية ، فقضية ذلك الإذن فى التعبير عنها بالعربية وعكس ذلك يجوز أيضا بحكم قياس المساوئ فيجوز التعبير عن القرآن العربى بالعبرانية وغيرها ، إذ لافرق ... بل قد يقال: إن القرآن أولى لأن رسالته عامة ، فالضرورة قاضية بترجمة معانيه ، بخلاف التوراة فترجمتها للحاجة أو للكمال لا للضرورة لعدم عموم رسالة موسى عليه السلام[٤].

---

(١) سورة آل عمران الآية: ٦٤.
(٢) فتح البارى.
(٣) سورة آل عمران الآية: ٩٣.
(٤) صحيح البخارى.

السنة:

أورد البخارى بسنده أيضا حديث ابن عمر قال: أتى النبى -ﷺ- برجل وامرأة من اليهود قد زنيا ، فقال لليهود: ماتصنعون بهما؟ قالوا نسخم وجهيهما وتخزيهما ، قال: فاتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ، فجاءوا بها ، فقال لرجل ممن يرضون يا أعور ، اقرأ ، فقرأ حتى انتهى إلى موضع منها فوضع يده عليه ، قال يعنى النبى -ﷺ- -ارفع يدك- فرفع يده ، فاذا فيه آية الرجم تلوح ، فقال «أى اليهودى القارى» إن عليهما الرجم ، ولكنا نكاتمه بيننا ، فأمر بهما فرجما ، فرأيته يجنا[١] عليهما الحارة.

والبخارى يستنبط من ذلك كله جواز ترجمة معانى القرآن إلى لغات الأعاجم أخذا بالقياس على ترجمة التوراة.

وأورد البخارى أيضا ما رواه محمد بن بشار مرفوعا إلى أبى هريرة ، قال: كان اهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله -ﷺ- «لاتصدقوا أهل الكتاب ولاتكذبونهم» ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما انزل إلى ابراهيم واسماعيل وإسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾[٢]..

ثانيا: اقوال وأفعال الصحابة والتابعين:

أمر عمر بن الخطاب قواد جيوشه باتخاذ التراجمة مع من لم يعرف العربية من شعوب الأقطار التي فتحها المسلمون كفارس ، والروم ، ومصر ، والسودان ، وبرقة وطرابلس.

وقد كان أبو جمرة ترجمانا لعبد الله بن عباس حين كان واليا على البصرة.

---

(١) جنأ: أكب ، وجدب ، أى أشرف كاهله على صدره ، واجتنأ عليه اكب عليه يقيه.

(٢) سورة البقرة الآية: ١٣٦.

وكانت دفاتر الخراج ودواوين الأموال تكتب فى كل قطر بلغة أهله ويتولاها كتاب من الفرس أو الروم أو القبط أو غيرهم على حسب مايقتضيه لسان كل اقليم، واستمر الحال كذلك إلى زمن عبد الملك بن مروان حين كثر من أبناء الموالى من أتقنوا اللغة العربية ، ووجد من أبناء العرب من عرفوا ألسنة الاعاجم ، فأمر بنقل دواوين الخراج والمحاسبة جميعها فى سائر الأقطار إلى اللغة العربية.

ثالثا: القيــــاس:

من عدة وجوه:

أ- استدلوا على جواز ترجمة معانى القرآن الكريم بالقياس على ماهو حاصل من إجماع الأمة على تفسيره للعامة[1] ومن ليس له من الفهم مايقوى على إدراك كل معانيه الدقيقة ، وما الترجمة الا تفسير وايضاح لغير العرب حتى يفقه القرآن وأحكامه ويتدبر معانيه ومقاصده.

فترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية أمر لابد منه لأن القرآن الكريم ﴿ذكر للعالمين﴾[2] فرسالته عامة لجميع الأمم ، لأن النبى - ﷺ- أرسل

---

(١) يقول الامام الشاطبى: «ان اهل الاسلام أجمعوا على جواز تفسيره للعامة ، هذا اجماع منهم على جواز ترجمته . وبيان هذا أن التفسير قد يطول وقد يقصر ، وهو تعبير بألفاظ تبين معانى القرآن وأغراضه ، وليست هى الفاظ القرآن ، وقد يكون المفسر مخطئا فى بيان معانى المفردات ، وقد يكون مخطئا فى بيان المعانى التى يدل عليها التركيب ، ولايمكن ان تدعى العصمة لمفسر أيا كان ، ومع هذا فقد احتمل جواز هذا الخطأ ، فيجب ان يحتمل جواز الخطأ فى الترجمة كمل احتمل فى التفسير ، اذ لافرق بين المفسر والمترجم إلا زن هذا يضع فى بيان معنى اللفظ لفظا عربيا وذاك يضع لفظا أعجميا.. واذا وجد المترجم نفسه أمام لفظ مشترك يدل على معان مختلفة او امام لفظ متضاد كلفظ «القرء» الذى يدل على الحيض والطهر ، أو وجد نفسه امام جملة يختلف معناها باختلاف ارتباط الظروف ، أو باختلاف أوجه الاعراب ، وجب عليه ان يختار معنى واحدا من معانى الاسماء المشتركة والمتضادة ومعنى من معانى التركيب ، ثم ينقل المعنى بعد فهم الآيات إى اللغة التى يترجم بها ، وربما كان المعنى الذى اختاره هو المراد لله تعالى وربما كان غيره ، ولكن هذا لايمنع جواز الترجمة ، فانه قد اجيز للمفسر أن يختار معنى من معانى الأسماء المشتركة ، وان يختار معنى مما يحتمله التركيب ، فوجب ان يجاز هذا للمترجم»، المرافعات، جـ ص .

(٢) سورة يوسف الآية: ١٠٤.

﴿للعالمين نذيرا﴾[١].

قال -ﷺ-: «أعطيت خمسا لم يعطهن نبى قبلى .. الى أن قال وكان النبى يبعث فى قومه خاصة ، وبعثت للناس عامة»[٢]، وقال تعالى: ﴿لأنذركم به ومن بلغ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿قم فأنذر﴾[٤].

ويلزم من عموم الرسالة المحمدية جواز ترجمة معانى القرآن لأنه دستور الإسلام لسائر الأمم.

القياس على ترجمة التوارة إلى العربية وقد تم ذلك بحضرة النبى -ص-.

فقد روى البخارى فى باب مايجوز من تفسير التوراة وكتب الله بالعربية وغيرها هذا الرأى استنادا لقوله تعالى: ﴿فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين﴾[٥].

وذكر ما اخبر به ابن عباس عن أبى سفيان بن حرب أن هرقل دعا ترجمانه ليقرأ كتاب النبى -ﷺ- ويترجمه إليه ، ونص الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم «من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل "يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولانشرك به شيئا ولايتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون"»[٦].

فقرأ الترجمان الرسالة وترجمها إلى هرقل ليعيها ويفهم ما جاء بها.

رابعا: المعقـول:

من وجوه:

أ- يجب على العرب أن يبلغوا رسالة الإسلام لغيرهم من الأمم نيابة عن

(١) سورة الفرقان الآية: ١.
(٢) تيسير الوصول إلى جامع الأصول، جـ٣ ص ٢٩٧.
(٣) سورة الانعام الآية: ١٩.
(٤) سورة المدثر الآية: ٢.
(٥) سورة آل عمران الآية: ٩٣.
(٦) سورة آل عمران الآية: ٦٤.

النبى - ﷺ- ولذا قال لهم «بلغوا عنى ولو آية» والتبليغ لجميع الأمم لايمكن أن يكون فى العادة شاملا لجميع أفراد الشعب إلا اذا كان بالترجمة إلى لغاتهم وما دامت أمة من الأمم لم يترجم معنى القرآن إلى لغتها ففرض الكفاية بالتبليغ لم يؤد، ولم يحصل القيام به من الأمة كما يجب(١).

المعقول، إن ترجمة معانى القرآن الكريم تعد من فروض الكفاية، التى يجب على الأمة القيام بها ، فاذا قام بها البعض سقط عن الباقين القيام بها ولم يكن عليهم حرج ، وإن لم يقم بها أحد أثم الكل.

ودليل ذلك، أن القرآن تبليغ عن رسول الله - ﷺ- وأنه هو القائل فى خطبته المشهورة غداة فتح مكة ، وفى خطبته فى حجة الوداع «فليبلغ الشاهد منكم الغائب»(٢) وهو القائل أيضا «بلغوا عنى ولو آية».

ومن المعقول، كان المسلمون فيما سلف يقتحمون للسيادة كل وعر ، ويركبون لاظهار دين الله كل خطر ، ويلبسون من برود البطولة والعدل وكرم الأخلاق مايملأ عيون مخالفيهم مهابة واكبارا.

وكانت اللغة العربية تجر رداءها أينما رفعوا رأيتهم وتنتشر فى كل واد وطئته أقداهم فلم يشعروا فى دعوتهم إلى الاسلام بالحاجة إلى نقل معانى القرآن إلى اللغات الأجنبية ، وربما كان عدم نقلها إلى غير العربية وهم فى تلك العزة والسلطان من أسباب اقبال غير العرب على معرفة لسان العرب حتى صارت أوطان أعجمية إلى النطق بالعربية.

ذلك الأمر الذى جعل اللغة العربية تتغلب فى البلاد ، والقرآن يدرس باللسان الذى نزل به فى كل واد ، قد سكنت منذ حين ريحه ، وتقطعت اسبابه ، وغشيت المسلمين نتن ، وناموا عن واجب الدعوة إلى سبيل ربهم ، فخسروا مظاهر

---

(١) ترجمة معانى القرآن الكريم بين التأييد والتحريم ، السيد/ احمد ابو الفضل عوض الله، مجلة البحوث الاسلامية ، الرياض ، العدد الثانى عشر، ص ٣١٠.

(٢) تيسير الوصول إلى جامع الأصول، جـ١ ص ٢٧.

عزهم ، وفقدوا الوسائل التى كانت تسعد اللغة العربية فتنطلق بها السنة المخالفين ويدخلون منها إلى الاطلاع على مافى القرآن من بلاغة وحكمه.

أصبحنا أمام أمر واقع هو عدم استطاعتنا لنشر اللغة العربية فى غير بلاد اسلامية يرأسها مسلم طاهر السريرة ، وابلاغ دعوة الاسلام إلى الشعوب غير الاسلامية فريضة لاتسقط الا حين يسقط غيرها من الفرائض ، فلا بد لنا من ابتغاء الوسيلة إلى القيام بهذه الفريضة وليس فى يدنا اليوم وسيلة الا نقل معاني القرآن إلى السنة من نريد دعوتهم إلى شريعته الغراء[1].

ومما يدعو اليوم إلى نقل معانى القرآن الكريم إلى بعض اللغات الأجنبية على وجه التفسير أن كثير من الأوربيين -ومنهم قسس- قد ترجموا القرآن الى لغاتهم تراجم مملوءة بالخطأ ، وانما يكفى شر هذا الفساد قراءة أصحاب تلك اللغات معانى القرآن على وجهها الصحيح.

مناقشة أدلة المانعين لترجمة معانى القرآن الكريم:

يمكن رد ادلة من قال بعدم جواز ترجمة معانى القرآن بما يلى.

أولا: قولهم بأن اباحة ترجمة معانى القرآن الكريم بدعة[2] وكل بدعة ضلالة يترتب عليها ضرر ومفسدة .ومن الافضل عدم ترجمة معانى القرآن إلى اللغات الأخرى حتى نعمل على تشجيع غير المسلمين على تعلم اللغة العربية مردود لما يلى:

---

(١) نقل معانى القرآن إلى اللغات الاجنبية لفضيلة الشيخ «محمد الخضر حسين» العدد الثانى من المجلد الثانى لمجلة نور الاسلام عام ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م «وهى مجلة الازهر قبل تغيير اسمها»ي، ص ١٢٩.
اشار الى هذا المقال الدكتور احمد ابراهيم مهنا فى كتابه «دراسة حول ترجمة القرآن الكريم»، ص ٣٨ مطبوعات الشعب.

(٢) البدعة ما استحدث فى الدين وغيره ، البدع الامر الذى يفعل أولا. يقال ما كان فلان فى ذلك بدعا وفى القرآن الكريم ﴿كل ما كنت بدعا من الرسل﴾ وابتدع أتى ببدعه، المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، طبعة وزارة التربية والتعليم، سنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ص ٤٠.

أ- اباحة ترجمة معانى القرآن ليست بدعة بل هى سنة حسنة. وكما قال -ﷺ-: «من سن فى الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة»(١).

ب- إنه لمن الدلالات القاطعة بفساد ما دعا إليه القائلون بعدم جواز الترجمة وإلزام الأمم بتعلم اللغة العربية ، أنهم لن يستطيعوا أن يقيموا على ما ذهبوا إليه أى دليل نقلى أو عقلى ... فالدلالات النقلية تعوزهم ، والدلالات العقلية المنطقية تسفه رأيهم ، وليس أدل على ما نقول من قوله تعالى: ﴿ومن اياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين﴾(٢).

ولقد ثبت أن الرسول -ﷺ- كلم أهل اليمن بلغتهم ، كما جاء فى كتاب «الشفاء» وغيره.

ثم إنه لاختلاف ألسن العرب ولهجاتهم اقتضت حكمة الله أن يكون نزول القرآن على سبعة أحرف ليقرأ العرب ماتيسر لهم منه ، وما كان ذلك الا تسهيلا عليهم كى لايلزموا بلغة خاصة .

فاذا كان بنو تميم وهوازان وعرب اليمن لم يلزموا بتعلم لغة قريش لغة القرآن بل أبيح لهم أن يقرؤه بحروفهم ولحونهم مع أنه من السهل عليهم أن يروضوا السنتهم على لسان قريش. فغير العرب أولى وأحرى بأن لايلزموا بتعلم العربية حتى يتسنى لنا تعليمهم الدين والقرآن -طبقا لما يقول به مخالفونا فى الرأى- بل يجب أن يفسر لهم تفهم القرآن بلغاتهم وألسنتهم ، وبذلك نكون قد بلغناهم الرسالة وألزمناهم الحجة.

ولقد كان النبى -ﷺ- يأمر الصحابة بتعلم اللغات الأعجمية ليبلغوا عنه ، فقد أمر زيد بن ثابت بتعلم لغة اليهود ولغة الريان ، فكان يبلغ عنه إليهم ، ويبلغ

---

(١) اخرجه الترمذى فى الجامع الصحيح، جـ٥ ص ٤٣ حديث رقم ٢٦٧٥ طبعة دار [illegible]

(٢) سورة الروم الآية: ٢٢.

عنهم إليه - ﷺ -(١).

ويمكن الرد على قولهم بأن معانى القرآن كثيرة ، فليس فى مقدور مخلوق أن يحيط بها فيترجمها ، بان الله سبحانه وتعالى نزل القرآن وهو حافظ له : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾(٢).

فلا يمكن أن تنشأ من تعدد الترجمات اختلاف فى القرآن كما وقع فى التوراة والانجيل ، لأن القرآن نزل على محمد - ﷺ- وقد أوحى اليه بلفظه ونصه واسلوبه، واما غير القرآن من كتب الشرائع السماوية فقد أوحى بها إلي اصحابها بمعانيها دون ألفاظها وأساليبها.

ولذلك فان القرآن لايمكن أن يتطرق إليه تغيير أو اختلاف أو تبديل ، أما الترجمات المختلفة لمعانى القرآن فهى تفسير لمعانيه ، ومن التيسير على أئمة المسلمين وعلمائهم أن يقابلوا الترجمة على الأصل العربى المنزل، فيقبل الموافق للنص وينبذ المخالف.

ويمكن الرد على قولهم بالاكتفاء فى التبليغ بمجمل ما جاء به الدين لأن قوله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾(٣).

يتبين منه أن المراد تبليغ عموم القرآن والسنة النبوية.، وهذا ما اوصانا به رسولنا الامين محمد - ﷺ- حينما قال لنا: «تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى ابدا كتاب الله وسنتى»(٤).

ويرد على قولهم بأن النظم العربى للقرآن له من الروعة والطلاوة والتأثير فى النفوس مالايمكن أن يوجد فى الترجمة بأنه لاينكر أحد ممن يتذوق طعم العربية مسلما كان أو نصرانيا أو يهوديا ، ما لنظم القرآن العربى من الطلاوة و التأثير

(١) ترجمة معاني القرآن الكريم بين التأبيد والتحريم ، المقال السابق الاشارة اليه، ص ٣١٢.
(٢) سورة الحجر الآية: ٩.
(٣) سورة المائدة الآية: ٦٧.
(٤) جامع بيان العلم وفضله لأبى عمر يوسف بن عبد البر، جـ٢ ص ١١٦١ ، دار ابن الجوزى تحقيق أبى الاشبال الزهيرى.

فى النفوس.

ولذلك نقول: أنه يجب على كل مسلم يعرف العربية ويفهمها الا يحيد عن قرادة النظم العربى إلى قراءة احدى التراجم فان ذلك عبث واستهزاء ، ولكن من لنا بأن نعرب الأمم الاعجمية الاسلامية لتنال هذه الروعة وتقع تحت هذا التأثير ولايمكن الادعاء بان النظم العربى يؤثر وتكون له لذة وطلاوة عند فارسى أو تركى أو صينى لايفهم العربية.

فالأمم الاسلامية التى لاتفقه العربية ليست الآن واقعة تحت تأثير طلاوة النظم العربى حتى تكون قراءة التراجم مانعة عنهم هذه الطلاوة وهذا التأثير.

وعلى العكس ، فان قراءة التراجم تجعلهم يحصلون على طلاوة المعانى ولذتها وتأثيرها ، ومن الخير أن نوفر لهم الحصول على بعض هذه المقاصد اذا فاتتهم المقاصد كلها وليس يخفى على أحد من الناس أن ينبوع المعارف الالهية هو معانى القرآن المدلول عليها بنظمه العربى ، واذا ذهبنا إلى ان المعارف الالهية مرتبطة بالالفاظ صرنا إلى شئ من اللغو لايقوله قائل.

ويرد علي قولهم بأنه قد تتضارب الترجمات مع بعضها البعض أن اختلاف التراجم وتغايرها لايمكن أن ينسحب على القرآن وهو النظم العربى المعروف المحفوظ بوعد الله سبحانه.

وهذا النص هو النص الرسمى الذى يجب الرجوع إليه دائما عند الاختلاف ، وهو الذى يرد كل شئ إى نصابه ، وهو الحاكم على كل ترجمة توحد ، وهو الميزان العدل لكل شئ يقال والتراجم لايصح أن تسمى القرآن ، ولكن سلب هذه التسمية لايستلزم سلب جواز استخراج الأحكام منها ، بل يجب أن يصح استخراج الأحكام منها ، لأن الاحكام تستفاد من المعانى التى هى مدلولات الالفاظ العربية والمعانى يصح نقلها إلى اللغات الاخرى[١].

ويرد على قولهم أن ترجمة معانى القرآن الكريم تعوق انتشار اللغة العربية

(١) دراسة حول ترجمة القرآن، الدكتور/ أحمد ابراهيم مهنا - مطبوعات الشعب، ص ٦٣.

فى بلاد المسلمين الذين لايتكلمونها ويرون وجوب تعريب هؤلاء.

يقول صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ/ محمد مصطفى المراغى: «فى الحق أننا ننظر إلى الأمم بعين الخيال ، ولانعتبر الواقع وطبيعة الناس ، فهذه دولة الفرس دخلت فى الاسلام فى عهد شبابه ، ولكنها لم تنسلخ عن لغتها ، والأمة التركية كانت دولة الخلافة فيها ، وكانت حامية الاسلام ، واختلطت بالأمم العربية، ومع ذلك فهى باقية على لغتها ولايوجد فيها من يجيد العربية الا أفراد يوجد مثلهم فى الأمة الألمانية وغيرها من الأمم الغربية ، وفى اسوان فى القطر المصرى اجناس مختلفة لهم لغات مختلفة والمحاكم تحتاج إلى مترجمين لاقوالهم عند النظر فى خصوماتهم ... كل هذا حاصل والناس طامعون بعد فى تعريب الأمم المختلفة من هنود وجاويين ويابانيين وصينيين واتراك ومراكسة وطامعون فى أن يصيروهم علماء فى اللغة العربية يصلون بعلمهم إلى الاجتهاد والاستنباط من نظم الكتاب العربى حتى ينالوا نعمة استعمال العقل والفهم والأجر على هذا الاستعمال[1].

الرأي الراجح:

لقد شغل الناس أيما شغل بالكلام فى ترجمة القرآن ، وقام الجدال عنيفا بين الطرفين ، واتسعت أطرافه بقيام أشياع ومناظرين لكل فريق.

وأن اكبر عامل فى تشعب مسالك البحث وتعاصى اجتماع أطراف الكلام هو اغفال تحرير محل النزاع ... فلعله اذا تحرر محل النزاع نجد كلا منهما يسلم لصاحبه بما يقول ... وأنه لتحرير محل النزاع فى هذه المسألة يجب كشف الغطاء عن معنى كلمتى «ترجمة» و «تفسير» وبيان ما يريده الناس بهما فى تفاهمهم على العموم وفى هذه المسألة بنوع خاص. ومن ثم فانه لكى يتبين الرأى الراجح يجب التفرقة بين نوعين من الترجمة للقرآن الكريم:

أولا: ترجمة القرآن ترجمة حرفية «بالمثل» عن طريق ابدال اللفظ العربى بلفظ من لغة اجنبية يقوم مقامه فى الدلالة على مايفهم منه عربية.

---

(١) دراسة حول ترجمة القرآن الكريم، ص ٦٤.

فهذه الترجمة غير معقولة ولامقدورة ، وليست محل اختلاف. بل محل اتفاق على عدم امكانها فضلا عن وقوعها.

فكثير من آيات القرآن الكريم لايمكن ترجمتها على هذا الوجه ترجمة صحيحة فترجمة القرآن من فاتحته إلى منتهاه غير متيسرة ولو بالنظر إلى المعانى الأصلية ، فان الآيات المحتملة لوجوه متعددة لايمكن نقلها إلى لغة اخرى الا على وجه واحد ، وهذا ليس بترجمة ، وانما يصح ان يسمى تفسيرا ، اذ يجوز نقل معانى القرآن إلى اللغات الاجنبية على انها تفسير لا على أنها ترجمة مطابقة للاصل.

ولابد فى نقل معانى القرآن الى اللغات الاجنبية من اشعار القارئين بأن هذا النقل تفسير لاترجمة.

ومن طرق التنبيه جمل تكتب فى حواش الصحائف يبين بها ان هذا أحد وجوه أو ارجع وجوه تحتملها الآية.

ثانيا: ترجمة معانى القرآن الكريم «الترجمة التفسيرية» أى الترجمة على معنى التفسير.

وهى الترجمة المعنوية والتى تكون أقرب إلى الصحة من الترجمة الحرفية متى أفاد بها المترجم معنى الآية فى اسلوب من أساليب اللغة الاجنبية لازيادة ولانقصان.

فهذا النوع من الترجمة أرى جوازه لأن نشر الدين الاسلامى والدعوة الى الشريعة الاسلامية تتطلب هذه الترجمة وهذا الرأى ليس فيه ابتداع ، بل أنه واجب الاتباع ويعد من المشروعات العملاقة الهامة لخدمة الدعوة الاسلامية.

ويجب أن يتم مشروع الترجمة هذا من فريق متكامل يتضمن علماء فى علوم القرآن والتفسير والحديث والفقه ومترجمين لجميع اللغات لكى يستشرد المترجم اثناء ترجمته لمعانى القرآن. بأسباب نزول الآيات والأحكام الفقهية التي تتضمنها الآية.

كما يشترط فيمن يتعرض لترجمة معانى القرآن الكريم أن يكون دارسا للثقافة الاسلامية -دراسة عميقة- ، وان يكون على معرفة باللغة الاجنبية التى يترجم اليها معرفة تامة بالقدر الذى يمكنه من تقديم معانى القرآن فى ثوب صحيح سليم.

ويشترط فى ترجمة معانى القرآن الكريم أن تكون مستمدة من الأحاديث النبوية الصحيحة وعلوم اللغة العربية والاصول المقررة فى كتب الشريعة الاسلامية.

ويلزم وضع تعريف شامل يتضمن أن الترجمة ليست قرآنا ، وليس لها خصائص القرآن ، وليست هى ترجمة كل المعانى التى فهمها العلماء وأنه ستوضع الترجمة وحدها بجوار النص العربى للقرآن الكريم وبناء على هذا.

فان معانى القرآن قد ترجمت إلى كثير من لغات العالم ، فقد ترجمه العالم المحقق إسماعيل حقى والشيخ سعدى إلى اللغة الفارسية وترجمه كذلك العالم الهندى شاه ولى الله إلى الفارسية ، وترجمه إلى اللغة الاردية أفراد من بنى شاه ولى الله ، وشاه رفيع الدين ، وشاه عبد القادر.

وهناك تراجم أخرى إلى هذه اللغة وضعت حديثا. وقد ترجم معانى القرآن أيضا إلى لغات البوشتو والترك والجاوة والملايو والجوجراتى والبنجالى والهندى والجرموتى ... الخ.

وكان أول من حاول ترجمة معانى القرآن إلى اللاتينية من الأوربيين الانجليزى ، روبرتس رتينيز ، والمانى ، اسمه هرمان من دلماسيا ، وكان ذلك فى عام ١١٤٣م بأمر من بطرس زاعى دير كلاجنى ، ولكن الترجمة لم تنشر إلا بعد أربعة قرون أى فى سنة ١٥٤٣م على يد تيودور بيلباندر ، ثم ترجم إلى الايطالية والالمانية والهولندية بعد ذلك.

وأقدم ترجمة إلى الفرنسية قام بها دى ريبيه فى باريس عام ١٦٤٧م ثم نشرت لمعانى القرآن ترجمة باللغة الروسية فى سان بطري برة «لينيجرادعام ١٧٧٦م».

وأول ترجمة انجليزية لمعانى القرآن قام بها اسكندر روسى وقد نقلها عن الترجمة الفرنسية «١٦٤٩ - ١٦٨٨» وكذلك نشرت ترجمة سيل الشهيرة عام ١٧٣٧م.

وطبعت ترجمة رودويل عام ١٨٦١م ، ونشرت ترجمة بالمر من كلية كمبردج عام ١٨٨٠م.

وفى القرن العشرين قامت الجمعية الاحمدية بلاهور فى الهند بترجمة معانى القرآن إلي اللغات الأوربية ، فترجمته إلى الانجليزية والهولندية والألمانية عام ١٩٥١م[١].

وكانت أول ترجمة يكتبها مسلم لمعانى القرآن الكريم إلى اللغة الانجليزية هى تلك التى قام بها فى النصف الأول من القرن الميلادى الحالى. «محمد مارمادرك بكثال» بمعاونة عدد من علماء الأزهر.

وفى عام ١٩٩٦م ظهرت ترجمة لمعانى القرآن الكريم كتبها مصرى هو الاستاذ الدكتور/ محمد محمود غالى وساعده فى هذه الترجمة التى استغرق الاعداد لصدورها خمسة عشر عاما[٢].

ومسك الختام فى هذا الموضوع ما قاله فضيلة الشيخ ابراهيم الجيالى حيث قال: «إذا نظرنا إلى المقصود من انزال القرآن الكريم على محمد - ﷺ- سنجد أن الهدف هو مقصدين عظيمين أساسين هما:

الأول: هداية الناس إلى مافيه صلاحهم فى معادهم ومعاشهم وبعبارة أوضح لتنظيم علاقة الأنسان بربه وعلاقته بنفسه وبأخيه الانسان وبالكائنات.

والمقصد الثانى: أن يكون آية للنبى - ﷺ- شاهدة بصدقه فيما يبلغ عن

(١) ترجمة معانى القرآن الكريم بين التأييد والتحريم ص ٣١٣.

(٢) نعم لنقل المحتوى القرآنى ودلالات القرآن الكريم ، جريدة الأهرام الصادرة يوم ١٩٩/٤/٢٣م، ص ١٠.

ربه ، وذلك بكونه معجزا للبشر.

فاما المقصد الثاني فلايمكن تأديته بالترجمة اتفاقا.

واما المقصد الأول وهو هدايةالناس إلى مافيه سعادتهم في الحياتين الدنيوية والأخروية ، وذلك باستنباط الاحكام والارشادات منه وهذا يرجع الكثير الغالب منه إلى المعاني الاصلية الأولية التي يشترك في تفاهمها وأدائها كل الناس وتقوى عليها اللغات عربيها وعجميها ، وهذا النوع من المعاني لايشك في امكان ترجمته واستفادة الاحكام والارشادات منه.

ولكن هل للأساليب البلاغية والمعاني الثانوية دخل في استفادة بعض الأحكام أيضا كما استفيد اكثر الاحكام من المعاني الأولية.

ومن هذا يعلم أن المقصد الأول وهو الهداية يرجع بعضه أو اكثره إلى المعاني الأولية ، وبعضه يؤخذ من خواص التركيب التي لايمكن نقلها.

ومما سبق يتضح أن الاعجاز لايمكن تحصيله في الترجمة ، كانت الترجمة مفوته أحد المقصدين برمته ومفوته شطرا من المقصد الثاني فلايمكن أن يؤتى بترجمة تقوم مقام الأصل في تحصيل كل مايقصد منه.

والخلاصة أن الاتيان بما يسد مسد القرآن في كل ماقصد منه لا أحسب مسلما يدعيه ، والاتيان بما يفيد كثيرا مما افاده القرآن لا أحسب عاقلا ينكره ففيما يدعيه.

وهناك مرتكزات أساسية لهذا الموضوع هي:

أولا: إن ديننا «قرأننا وحديث رسولنا» مادامت لغتهما هي اللغة العربية ، فإن من المؤكد والمنطقي ان لاتفسر نصوصهما وتفهم إلا من خلال روح هذه اللغة ، ومدلولاتها وطبيعة استخدامها.

ثانيا: يتضح ذلك إن أدركنا كيف تلقاهما العرب الذين نزل القرآن بلغتهم

وخاطبهم النبى - ﷺ- بلسانهم العربى كذلك.

وهكذا فإن دلالة الألفاظ ضمن سياق النص يجب أن تفهم تماما كما فهمها العربى الذى خاطبه كتاب الله تعالى وكلمة رسوله -ﷺ-.

ولم يبق إلا نقطة واحدة وهى:

هل الكلام الذى أتى على شئ من معانى القرآن ولم يقم مقامه فى ايفاء كل ماقصد منه يسمى ترجمة.

وهل يصح أن يحل محله ويكتفى به طائفة من المسلمين مستغنين به عن القرآن.

والجواب عن الأول:

أن أمر التسمية أصغر من أن يأخذ هذه الضجة ، لأن الناس لايعرفون الترجمة على معنى أنها ترجمة إلا فيما يفى بكل مايقصد من الأصل.

والجواب عن الثانى:

ان احلال الترجمة محل الأصل تسجيل لحرمان تلك الأمة من منبع هداها ومن وجود الآية التى تستند اليها شريعتها استنادا دائما بينها واذا كان من البعيد عن الصواب أيضا أن نحرمهم من تفهم كتابهم بالقدر الميسور لهم وتقريبه إلى افهامهم بصوغ المستطاع منه بلغتهم فنقول هذا صحيح.

فلنحصله بما لايجر إلى ضرر آخر ، وذلك بأن نكتب القرآن العربى ونأتى معه بتفسيره بأية لغة على أنه تفسير لاترجمة ، وحبذا لو فسر بالعربية اولا واردف بالترجمة[١].

---

(١) دراسة حول ترجمة القرآن، ص ٤١.

النتائج والتوصيات

أولا: أهم نتائج البحث:

١- الاسلام هو دين الله الخالص وشريعته الباقية الذى ارتضاه الله لخلقه وهو يعنى فيما يعنيه إسلام النفس لخالقها واستعمالها فى طاعته فى كل شأن من شئون الحياة وفق ما اراد الله لاتشذ فى ذلك ولاتحيد.

٢- الكلمة التى تخرج من الانسان سواء كانت -مسموعة- أو مقروءة - ليست لفظا ومعنى وحسب. انما هى مع هذا جيوش زاحفة أو مصانع قائمة ، أو مخترع مذهل ، فالكلمة الطيبة قد تصلح مجتمعا بأسره ، وقد تقيم دولة بكل أسباب مقوماتها ، والكلمة الخبيثة قد تفسد مجتمعا كاملا وقد تهوى بامة إلى مهاوى الضياع والهلاك.

٣- الأمة العربية اليوم فى أمس الحاجة لمراجعة حساباتها وتصفية خلافاتها ليجلس الجميع على مائدة مفاوضات ليتصالحون ويتصارحون لكى يشعر الجميع بالأمن والأمان ويعمل الكل من خلال هدف واحد حتى تتوحد كلمتهم وتقوى شوكتهم.

٤- نحن نعيش عصرا تتجمع فيه الشعوب وتتوحد فيه الأفكار وتندمج فيه الكيانات الصغيرة فى وحدات اقليمية كبرى ويضحى فيه حكام تلك الشعوب بالكثير من مظاهر سيادتهم وسلطانهم حتى يبلغوا المدى فى توفير الأمن والأمان لشعوبهم ورعاية مصاحلها ، وما أمر الوحدة الأوربية عنا ببعيد فقد تراجعت مظاهر السيادة فى اقطارها وأوشكت الحدود أن ترتفع وتزول وظهرت عملة موحدة جديدة وجوازات سفر موحدة جديدة وتشريعات موحدة جديدة كل ذلك حتى تثبت هذه الشعوب فى مواجهة تجمعات أخرى تنشأ فى آسيا وأمريكا.

٥- ليس للعرب رسالة غير الإسلام ، فهو ولى نعمتهم جمعهم وأقام دولتهم. وأنشأ حضارتهم ووضعهم فى صدر قافلة البشرية واستوعبوا ثقافات الأقدمين كلها

وترجموها فكانت كالروافد فى نهر الحضارة الإسلامية العظيم بلا تعصب ، وعباءة الإسلام أوسع وأرحب شملت كل الاجناس وكل اللغات وكل الالوان ونعم الكل بالتسامح والمساواة. فأبدع الكل ونهضت الحضارة الإسلامية بالدنيا كلها.

يجب علينا ان نصدر تعاليم الاسلام فالعالم يحتاج إلى الاسلام بقيمه الداعية إلى التوحيد والمساواة والكرامة حيث لاسجود إلا لله رب الناس وخالقهم من طين. فليفهم العرب ذلك والا ذلك أو الطوفان ثم الابادة والهلاك. ثم يأتى الله بغيرنا والكافرون هم الطاغون.

واذا كان الاسلام قد انتشر بطريق فردى قديما فان الامر قد اختلف اذا اختلفت الحاية واصبح الوعظ لايكفى اذ لابد من وجود مؤسسات تعمل على حماية الأقليات فنحن نرى المسلمين فى كافة بلدان العالم تتخاطفهم أيدى الدول الكبرى كالبوسنة والهرسك ، وكوسوفا وغيرها من الدول.

فيجب على الدول الإسلامية دعم تلك المناطق ماديا واجتماعيا واعلاميا فالاعلام الاسلامى يعرض الافكار الاسلامية عرضا صحيحا وأن تقوم اذاعة القرآن الكريم بعرض فكر الاسلام باللغات المختلفة حتى يتعرف المسلم على أخبار وحقائق الإسلام بلغته التى يفهمها.

٦- قضية تصحيح صورة الإسلام فى الغرب وفى العالم كله لن تتم وتكتمل الا بتغيير أحوال المسلمين أنفسهم فطالما هم على حالهم هذا ستظل الصورة كما هى.

أما اذا قوى جانبهم فكريا وعلميا وروحيا واقتصاديا وعسكريا فسيفرضون احترامهم على العالم كله. فالكرة الآن -كما يقول رجال الرياضة- فى ملعب المسلمين ، والمبادرة فى أيديهم لتغيير أحوالهم.

فالنقد الذاتى هو الخطوة الأولى نحو تصحيح أوضاعنا وتصحيح صورتنا فى أعين الآخرين واستعادة احترامنا أمام العالم كله.

فيجب علينا أن نراقب الله فى كل تصرفاتنا حتى لاتتخذنا أبواق الدعاية

والتشهير مضفة فى الأفواه وتتطاول على الإسلام القويم الذى حباه الله سبحانه وتعالى بالكمال الصالح لكل زمان ومكان

٧- يمكن للقائمين على امور الاعلام و الفكر الاسلامى أن يتحملوا مهمة التوحيد والتآخى بين الدول الإسلامية ، وتحسين الصورة الذهنية عن الإسلام لدى الغرب وغير المسلمين فى كل مكان.

وبالنظر فى مبادئ الفقه الإسلامى وقيمه ومثله نجد مايساعد رجال الاعلام فى تحقيق هذا الهدف الذى نسعى إليه جميعا والذى نتحرك لتحقيقه وسط عالم يموج بالمتغيرات والتطورات المتلاحقة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا مما يدعونا نحن شعوب الدول الإسلامية وحكوماتها أن نعى هذه المتغيرات ونتعامل معها وننفعل بها فى اطار من التمسك بالقيم الأصلية والتوازن الدقيق بين الأصالة والمعاصرة وفى تحرك سليم ومحسوب لنشر الدعوة الإسلامية.

٨- النظام العالمى الجديد أو «العولمة» اذا كان لها من سلبيات فى نظر البعض فان لها ايجابيات كثيرة اقتصادية وسياسية وثقافية فهى تفتح باب التنافس العالمى على اوسع نطاق كما تفتح آفاقا واسعة لاحداث تغيرات جذرية فى النظم السياسية والاقتصادية والثقافية فى العالم الإسلامى.

أى أننا نستطيع أن نستفيد من الواقع العلمى الجديد بصورة افضل إذا خلصت النوايا وأعددنا العدة ، ووضعنا الخطط وسرنا وفقا للاصول والمناهج العلمية التى لاتتعارض مع قواعد الفقه الإسلامى.

٩- الاعلام الإسلامى هو ذلك النوع من الاعلام الذى يتخذ من الفكر الإسلامى ومصادره الاساسية منهجا للعمل باستخدام وسيلة البث المسموع أو المرئى لخدمة الإسلام وقضاياه واسلوبا للتخاطب مع الافراد والجماعات فى الدول الإسلامية.

١٠- رسولنا الكيس الفطن محمد - ﷺ- كان يدرك أهمية اعلام غير

المسلمين بحقائق الإسلام ولذلك اتخذ خطوات هامة لتحقيق هذا الغرض منها:

- عرض نفسه على القبائل العربية.
- اقامة العلاقات الودية مع اليهود.
- البعثات ارسال إلى الامراء والملوك.

١١- للمسجد فى الاسلام رسالة كبرى. وأهمية عظمى ، فى توجيه المسلمين المقيمين فى الغرب وتكييف سلوكهم. وايجاد الرأى العام المستنير باحكام الشرع ، وتعاليم الدين ليشق الناس طريقهم فى هذه الحياة على هدى من كتاب ربهم وسنة نبيهم فلا تنحرف بهم الاهواء ، ولاتضل بهم السبل.

١٢- لقد أسهمت الأوقاف الإسلامية اسهاما كبيرا فى دعم مسيرة الدعوة الإسلامية لايصالها إلى جميع شعوب الأرض ، وفى مقدمة هذه الأوقاف الوقف على المساجد واعمال الجهاد والوقف على اهتداء غير المسلمين ومقاومة الغزو العسكرى والفكرى والتنصيرى التي تعرض لها العالم الإسلامى فى العصور المتأخرة.

١٣- موضوع المسئولية كما تصورة آيات القرآن الكريم. ونصوص السنة النبوية فى غاية الأهمية لأنه من الأسس والدعائم التى أرساها الإسلام لابنائه ومعتنقيه ليهيديهم إلى الطريق المستقيم فى كل ميادين الحياة النافعة ، من الصدق فى القول والإخلاص فى العمل والتحلى بصفة الأمانة وغيرذلك من الأسس والدعائم المحكمة الدقيقة والتى بها ترقى الأمم وتنهض بها الحضارات.

١٤- معرفة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر اليوم من أهم الأمور التى يجب علي كل مسلم معرفيتبه لحاجتنا الشديدة إلى تحديد المرتكزات المعاصرة ومشكلاته. وحدود كل مسلم فى هذه الضية سواء كان محتسبا ومكلفا بهذا الأمر أو متخصصا فى دفع المنكر وزرع المعروف واشاعة الخير بين الناس.

١٥- ظهرت العولمة كمصطلح جديد منذ أواخر عقد الثمانينات من هذا القرن ومنذ ظهور هذا المصطلح وبرز على الساحة الدولية لم يلبث أن تحول من النظرية

إلى التطبيق بسرعة مذهلة.

وقد ظهرت «العولمة» كمفهوم فى أدبيات العلوم الاجتماعية الجارية كأداة تحليلية لوصف عمليات التغيير فى مجالات مختلفة يتحاشى بعض فلاسفتها ومروجيها ادخال الدين ضمن تلك المحاولات ، فهم يحصرونها فى مجال السياسة والاقتصاد والثقافة والاتصال وأنها تقوم على أربع عمليات اساسية هى:

١- المنافسة بين القوى العظمى.
٢- الابتكار التكنولوجى.
٣- انتشار عولمة الانتاج والتبادل.
٤- التحديث.

١٦- العولمة تعنى أن تصير بلدان العالم المختلفة خاضعة لنظام عالمى مسير بقوانين حتمية. فتنصهر فيه اقتصاديات هذه البلدان بلاسياسات قومية وبما يحقق مصالح الجميع.

هذا هو ما يفهمونه أو ربما مايريدونه من العولمة فى العالم الغربى الذى يقود قاطرة الحضارة فى عصرنا الحاضر.

١٧- الدين وضع الهى سائق لذوى العقول باختيارهم إلى الصلاح فى الدنيا والفرح فى الآخرة. ويطلق على ملة كل نبى ، وقد يختص بالإسلام ، والدين يضاف إلى الله لصدوره عنه وإلى النبى لظهوره منه وإلى الأمة لتدينهم به وانقيادهم له.

١٨- ثبت بالاستقراء أن اللغة العربية هى أصل كل اللغات لأنها من عند الله ، ولقد تحدى الحق تبارك وتعالى عباده فى زمن الرسول - ﷺ- وبعده إلى أن تقوم الساعة فيقول: ﴿أم يقولون افتراه كل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات﴾.

١٩- عالمية الاسلام حقيقة أولية دليلها النص القرآنى والممارسات الواقعية أما النظام العالمى الجديد فهو نظام وليد نشأ بعد انهيار النظام القديم ووصفه

بالعالمية جاء من قبل من يريدون له البقاء والاستمرار تحقيقا لمصالحهم الخاصة.

٢٠- النظام ا لعالمى الجديد «العولمة» لم ينشأ من فراغ ، انما نشأ نتيجة عوامل متعددة مثل التقدم التكنولوجى ، والتحول فى توازن القوى الدولية ، وقيام التكتلات الاقتصادية الضخمة وظهور مفهوم جديد للأمن الدولى ، التنامى المطرد للاهتمام بالبيئة.

٢١- الموارد المتاحة للمسلمين ، وأعلى مراتبها فى العقيدة التى يؤمنون بها من شأنها أن تجعل لهم وزنا مرموقا فى الموازنات والمعادلات التى تشغل واضعى الاستراتيجيات العالمية فى هذه المرحلة التاريخية ومن شأنها أيضا أن يتطلع الكثيرون إلى صداقتهم. وان يوجد كذلك تيار فكرى ينادى بكسر شوكتهم قبل أن يستجمعوا أسباب القوة وتكتمل لديهم عناصر النفوذ على المستوى العالمى.

٢٢- الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان والدلائل النقلية والعقلية والعملية التى تدل على ذلك كثيرة.

٢٣- الأدلة الشرعية لاتنافى العقول ، لأنها مصونة فى الشريعة لتعرف بها الأحكام ، وتستنبط منها فلو نافتها لغات المقصود منها ، كما أن الاستقراء دل على جريان الأدلة على مقتضى العقول ، بحيث تقبلها العقول السليمة وتنقاد لمقتضاها.

٢٤- القرآن الكريم معجز للبشر جميعا ومن جوانب اعجازه الذى يظهر بوضوح تناوله للاحكام فقد سلك القرآن الكريم فى طلب الفعل أو الترك أو التخيير مسلكا حكيما تلين معه القلوب المتحجرة ، ويبعث الرغبة والرهبة فى النفوس فتقبل على الفعل أو الترك طمعا فى المثوبة وخوفا من العقوبة وابتغاء ماعند الله تعالى فان تكرار الأمر والنهى يدعو إلى النفور والمخالفة.

٢٥- النظام العالمى الجديد غير صالح لكل زمان ومكان لأنه قام لخدمة مصالح الكيانات الاقتصادية الكبيرة القائمة بين دول العالم المتقدم ومن ثم فهذا النظام لايراعى مصالح الدول الصغيرة التي تعانى من بعض المشاكل والمعوقات

لديها والتى لاتمكنها من مسايرة الدول المتقدمة.

٢٦- ليس غريبا أن يكون الإسلام أول نظام ظهر على الأرض يهدف فى المقام الأول إلى تحقيق المجتمع الإنسانى والسمو به.

بل انه النظام الوحيد الذى صنع ذلك وطبقه بلا حدود تتصل بالجنس أو باللون ، بالقبيلة أو الدولة أو الأمة ، بالمكانة السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية.

حقا إنه نظام يرتقى فوق كل هذه الحدود ، ويمزق بين بنى الانسان ما اصطنفوه من سدود وقيدو ، ويأخذهم برحمته إلى مجتمع الوحدة والتآلف والمحبة.

٢٧- لقد نظمت احكام الشريعة الإسلامية مسألة الحرب والسلم واقامت نظام الدولة ووضعت اصول الاقتصاد علي أساس العدالة المطلقة التى تنشد سلام الانسانية وتوادها وتراحمها وتعاونها من غير قهر أو استعباد سواء كان للمال أو الانسان أو الآلة.

٢٨- التشريع الاسلام كنظام عالمى قام على أسس ثلاثة هى:

- رعاية مصالح الناس ودرء الاضرار والمفاسد عنهم.
- تحقيق العدالة بين الناس جميعا.
- رفع الحرج وقلة التكاليف.

وهذه الأسس لايعرف عنها النظام العالمى الجديد شئ ولايضعها فى اعتبارهم السادة القائمين علي تطبيقه.

٢٩- الفقه الإسلامى كدين «عقيدة وشريعة» لايتعارض مع النظام العالمى الجديد ولكن يجب أن يعلم الجميع إن الفقه الإسلامى ذو خصائص فريدة ومتميزة كانت وستظل تجعل للنظام الإسلامى السبق والاستقرار والتقدم.

٣٠- رغم الصورة السيئة للعالم الإسلامى فى وسائل الاعلام الغربية فان

هناك بين الحين والآخر نسمع صوت عاقل يمدح الإسلام كدين مثل قول السير روبين كوك وزير خارجية بريطانيا «الغرب فى حاجة للإسلام كصديق فى ظل التحديات المعاصرة. ومن الظلم أن يلصق الارهاب بالأسلام لأنه دين السلام.

٣١- لايستطيع أحد أن ينكر أن الانترنت سلاح ذو حدين ، فقد تحوى هذه الشبكة الحق الصحيح من علوم ومعارف ... وقد تحوى الباطل المزيف من اتهامات وتشكيكات بحقائق راسخة وبخاصة فى مجال العقيدة الإسلامية.

٣٢- الاصولية فى مفهومها عند الغرب ، حركة جمود تنظر إلى النصوص بحرفية وتعادى العلم والعقل.

٣٣- التغريب فى المفهوم والفكر الغربى يعنى تحويل الحضارات والمجتمعات إلى النمط الغربى ويتم فرضه لضمان سهولة السيطرة علي هذه المجتمعات وامتصاص مواردها الطبيعية اعتمادا على القوى العسكرية والحداثة.

٣٤- الحداثة فى الفكر الغربى تعنى صيغة للحضارة تعارض جميع الثقافات السابقة للعصر.

والتنوير يعنى اقامة قطيعة معرفية مع الثقافة الموروثة وخاصة الدينية وهو ماحدث فى الغرب فى القرن السابع عشر بسبب موقف الكنيسة المتعنت ضد العالم وعموما فالتنوير يراد به الحداثة فى الفكر الغربى.

٣٥- الطفل الاوربى يغذى ابتداء من المدرسة الابتدائية حتي المرحلة الجامعية بمعلومات خاطئة عن الإسلام تظل راسخة فى اعماقه طول حياته وهذه المعلومات مبنية على تراث استشراقى بالدرجة الأولى - له جذور تمتد فى اعماق الفكر الغربى.

٣٦- لقد رسم القرآن الكريم مناهج الإعلام الإسلامى الصالحة المستمدة من دستوره الجامع فى الدعوة والبيان والبلاغ والارشاد.

فقد ورد فى القرآن الكريم نحو « ١٧٠٠ » آية فى الإعلام فى مادة - «قول» فقط.

٣٧- الاعلام الإسلامى اعلام مسئول ، أى ملتزم فلا مجال فيه للاسفاف أو اللجوء إلى السباب والتجريح.

وقد حرمت الشريعة الإسلامية القذف لما فيه من تطاول واجتراء واعتداء على الاعراض التى حافظت عليها الشريعة الإسلامية وعملت على صيانتها.

٣٨- الغزو الثقافى ظاهرة إنسانية تاريخية تتمثل فى تلك العلاقات التفاعلية التأثيرية من جانب واحد والتى تمارسها دول متقدمة حضاريا «علميا وعسكريا واقتصاديا» على ثقافات دول أدنى منها حضاريا فى الأبعاد السابقة وصولا إلى اختراق تلك الثقافات الأخيرة واحداث الازدواجية الثقافية بها تمهيدا لاحتوائها ومسح هويتها الثقافية وخصوصياتها الحضارية وادماجها تدريجيا فى ثقافات الدول المرسلة لمفردات الغزو الثقافى بشقيه الفكرى والمادى.

٣٩- لايوجد فى القرآن الكريم أو السنة النبوية نص واحد يعارض أو يصادر حرية الفكر والرأى فقد حث الدين الإسلامى على التفكر والتدبر والاجتهاد لكن ما نأخذه على البعض هو ارتداء عباءة حرية الرأى للمساس بالثوابت والأحكام مما يؤثر على البعض فى وقت نحن أحوج ما تكون فى فيه إلى تقوية العقيدة للوصول بالمجتمع الإسلامى إى التقدم والرقى.

٤٠- لقد اعطى الإسلام الناس الحرية من خلال نفى عبودية الإنسان لغير الله عز وجل وعلم الناس حرية الرأى والفكر فدعاهم إلى قول كلمة الحق وأوصاهم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ودعاهم الإسلام إلى طلب العلم وتحصيله والتفكير والتدبر فى كل شئون الحياة ، وأوجب علينا حفظ الدين عقيده وشريعة ، وقرآنا وسنة لأنهما معا المصادر الأساسية للاحكام فى الاسلام.

٤١- الذين يحاولون تضليل المسلمين بابعادهم عن شريعة ربهم وسنة نبيهم

ورسولهم - ﷺ- يريدون أن يخدعونا أيضا حتى نظن أنهم يدافعون عن حرية الفكر والرأى وهم لايستحقون هذا الشرف.

٤٢- بعض الناس لايدافع إلا عن كل من يتهجم على الإسلام حتى ولو كان زائفا وخطأ من الناحية العلمية بدعوى أن ذلك من قبيل حرية الرأى والفكر وهم بذلك يحاولون تخويف وإرهاب أهل العلم بالدين من الرد على اباطيلهم واثبات انحرافهم وسوء مقاصدهم والنقاش فى العقائد وثوابت الدين لايكون إلا بين علماء الدين ولقد حذرنا القرآن الكريم حتى من التهجم والتعدى على المعبودات الباطلة كالاصنام . حتى لايتجرأ المبطلون على سب المعبود بحق وهو اله عز وجل كما حافظ علماء المسلمين على المشاعر الدينية لغير المسلمين فلم يتناولوا عقائدهم الا بالمهنج العلمى ومع مراعاة حقوقهم فى العبادة والاغتقاد وحسن المعاملة ولم يثيروا ذلك بين العامة.

٤٣- اختار المجلس الأعلى للشئون الاسلامية كتاب «المنتخب فى تفسير القرآن الكريم» لكبار علماء الأزهر المتخصصين فى التفسير لترجمته إلى اللغات الحية نظرا لوضوحه ويسره ووفائه بما يحتاج اليه القارئ المتلهفى على تفسير كلام الله تعالى وقد قام المجلس بترجمة معانيه إلى لغات عديدة وهى: اللغة الانجليزية عام ١٩٩٣م والفرنسية ١٩٩٧م والالمانية عام ١٩٩٨ والروسية عام ١٩٩٨م.

ثانيا: أهم التوصيات:

في بداية هذه التوصيات أقول:

أين مكاننا فى هذا العالم ...

هل لنا فيه مكان ...

لاننسى أننا بالمعايير السائدة فى علم الاقتصاد اعتبرنا من دول العالم الثالث -فهل إلى اللحاق بالعالم الأول من سبيل؟ وهل يسمح ويؤذن لنا بهذا اللحاق. لأن القوة الوارثة ستشغل منذ الآن بحماية مصالحها الكبرى.

وقد تجمع حتى الآن عدد كبير من دول العالم الأول فى وحدات ثلاث ، هناك اوربا . وهناك أمريكا وكندا والمكسيك بما تم بينهم من اتفاق وهناك النمور الأسيوية بقوتها الاقتصادية العملاقة.

هذه القوى الثلاث كانها تدير حربا اقتصادية بينها ، وكل تشريع أو تنظيم أو اتفاق يحمى فى المقام الأول قوة من القوى الثلاث ، أو صورة التوازن بين القوى الثلاث أما الضعفاء الذين لم ينضموا إلى قائمة ، فيخشى ألا تقوم لهم قائمة.

ينبغى لكل مصرى وكل مصرية وكل عربى وكل مسلم وكل منتم لبلدان العالم الثالث أن يدرك أننا على خطر عظيم وأننا مقبلون على مرحلة جديدة.

إن من الفلسفات الشائعة فى الغرب على سبيل المثال ، أن تنمية افريقيا أمر باهظ التكلفة فدعوها تسقط وتموت ، والافارقة يعانون من هذا الأمرين ومايحدث فى انجولا وفى الصومال وفى غيرها ينبئ بهذا المصير المخيف الذى ينتظر الضعفاء فى عالم مايسمى «النظام العالمى الجديد»(١).

ولذلك أوصى بما يلى:

---

(١) أ.د. احمد كمال ابو المجد، منبر الإسلام، السنة ٥٢ العدد ٩ ، رمضان ١٤١٤هـ، ص ٥٢.

اولا: بالنسبة للدول الإسلامية:

١- يجب علينا نحن المسلمين أن نقترب ونتواصل ونتلاحم فيما بيننا وأن نعمل من أجل إعلاء كلمة الإسلام فى أعين العالم أجمع وسيعلى الله سبحانه وتعالى من قدرنا ويقوى أمتنا وييسر أحوالنا.

٢- يجب على الأمة الإسلامية الا تتقوقع فى مكانها من العالم وأن تهب بكل طاقاتها للتعايش مع النظام العالمى الجديد والا فانها سوف تتخلف عن الركب العالمى وتظل تعيش فى مجاهل الماضى دون أن تتقدم خطوة واحدة للأمام.

٣- يجب على ولاة أمور المسلمين العمل على عدم انسلاخ الشعوب الإسلامية من جلدها والانضواء تحت جناح الحضارة الغربية واظهار أهمية مشاركة المسلمين فى بناء الحضارة المعاصرة ولايقف دورهم عند حد إعارة الشعوب الأوربية لأسس حضارتهم فى عصر النهضة.

٤- لايجوز أن يقف المسلمون من التراث الغربى حول الإسلام موقف اللامبالاه فهذه التصورات الغربية للإسلام والتى تغذى عقلية الأوربى وتصوغ تفكيره - تقتضى منا أن نأخذها مأخذ الجد بتشجيع الايجابى منها وتتبع ماتشتمل عليه من أخطاء وتصحيحها ونشر ذلك التصحيح على نطاق واسع باللغات التى انتشرت فيها هذه الافكار.

٥- يجب انفاق مايخص سهم فى سبيل الله من الزكاة فى الوجوه التى يتحقق بها نصرة دين الله تعالى والدعوة اليه ومن هذه الوحوه مايلى:

- إعداد القوة التى تدافع عن دين الله وأهله ممن يريدون النيل منه أو منهم وهذه القوة يمكن أن تكون قوة التكنولوچيا أو القوة الاقتصادية أو القوة البشرية تنفيذا لقوله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما إستطعتم من قوة﴾.

- تمويل الجهود التى توقف المحاولات المستمرة التى يبذلها أعداء الإسلام لاستئصال هذا الدين من نفوس معتنقيه فى البلاد الإسلامية.

- تمويل طبع الكتب التى تبين وجة الإسلام الصحيح وتعاليمه القويمة ومبادئه السامية وارسالها إلى الاقليات المسلمة فى البلاد التى توجد فيها بلغاتهم التى يتحدثون بها.

٦- يجب على الدول الإسلامية أن تعمل على منع ذوبان الاقليات المسلمة فى الدول غير الإسلامية فى مجتمعاتها وتحصهينا ضد دعاوى الضلال والتحلل فى هذه المجتمعات مثل كوسوفو أو الشيشان أو الهند أو الفلبين أو كشمير أو فلسطين أو إرتيريا أو اليابان أو دول الكمنولث الإسلامى.

٧- العمل على عودة نظام الوقف الإسلامى ليقوم بالدور الذى لعبة فى الماضى فقد كان للوقف دور بارز فى تنمية العمل فى مجال الدعوة الإسلامية فقد هيأ لهم أسباب الجهاد المسلح ضد الطامعين -الحاقدين والمتربصين ، وكان له دور فى حماية المهتدين والذين إرتضوا الإسلام دينا.

وفى عصر الهمجية الإستعمارية أدى رسالته فى مقاومة سياسة الغزو الفكرى ، والتبشير التنصيرى ومن ثم كان له أثره الواضح فى الحفاظ على الأصالة الإسلامية بكل خصائصها.

٨- إعادة النظر فى المناهج الدراسية الدينية فى مرحلة التعليم قبل الجامعى لتكون التربية الدينية مادة أساسية وأن تكون مادة الثقافة الإسلامية ، مادة أساسية فى التعليم الجامعى.

٩- الاهتمام باللغة العربية وقواعدها وآدابها فى وسائل الإعلام المختلفة.

١٠- ضرورة عقد لقاءات متكررة بين القائمين على أمور الدعوة الإسلامية فى الخارج وقيادات وزارة الأوقاف والأزهر الشريف والوزارات الخاصة بالدعوة فى الدول الإسلامية ورابطة الجامعات الإسلامية للتأكيد على أسلوب الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة وإحاطة الدعاة بما ينبغى أن توجه اليه العناية من قضايا المجتمع وإطلاعهم على ماقد يكون خافيا عنهم مما لابد من معرفته من الحقائق حتى لايتأثر بشائعات مغرضة ولاينال منهم ذوى الأهواء مايرجون من أهوائهم.

١١- انشاء دار نشر لإصدار الكتب والمجلات والابحاث والصحف التى تعبر عن قيمنا وحقيقة قضيتنا بعيدا عن التقييم والتوجيه اليهودى الذى يتمثل فى القاء الضوء وتلميع وصنع بعض الكتاب والفنانين والعلماء وفرضهم فرضا على صدارة حياتنا الفكرية والثقافية.

١٢- انشاء شركة الكترونيات لعمل برامج كمبيوتر وبرامج العاب للأطفال تتناسب مع الروح الإسلامية بعيدا عن العنف والجريمة وتدمير رموز المسلمين ، ولتغذية الانترنت بمعلومات صحيحة عن الإسلام.

١٣- رصد الجوائد العالمية القيمة مع الترويج لها لتكون فى أهمية جائزة نوبل لأفضل الأعمال الفكرية التى تخدم الاسلام كدين والمسلمين كأتباع آخر الديانات لانهم خير أمة اخرجت للناس.

ثانيا: بالنسبة للعاملين فى حقل الإعلام:

١- يجب أن يتم اختيار من يعمل فى أجهزة الإعلام بعناية ودقة لأن حسن اختيارهم مسئولية يتعاظم خطرها بالنسبة لمن يقع عليه الاختيار ولمن يهمهم هذا الاختيار.

كما أن اختيارهم أمانة لأن الأمانة فى نظر الشارع واسعة الدلالة وهى ترمى إلى معان شتى مناطها جميعا شعور المرء بتبعته فى كل أمر يوكل إليه وإدراكه الجازم بأنه مسئول عنه أمام ربه على النحو الذى فصله الحديث الشريف وأخرجه الإمام البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن النبى -ﷺ- أنه قال: «ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالأمير على الناس راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهى مسئولة عنهم ، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته».

فالأمانة هى الحقوق المتعلقة بالمكلفين سواء أكانت لله أم للعباد ، وسواء أكانت فعلية أم قولية ، أم إعتقادية أم مادية.

٢- تشكيل لجنة لإعداد ميثاق شرف إسلامى إعلامى أساسه الالتزامات الخلقية والممارسات المهنية فى مجال الدعوة والإعلام.

٣- يجب على الاعلامى إظهار محاسن الإسلام ومن أهمها أن تعاليم هذا الدين لاتتعارض مع العلم وإنما تزيده ليؤكد أنه دين القوة الصالح لكل زمان ومكان وليس دينا متأخرا يدعوا اصحابه للتأخر.

٤- يجب على الاعلامى الإسلامى بيان جوانب الاقناع الصحيح بواحدانية الله وأن يبين أن العبادات موصلة لتلك الواحدانية وأن يعمل لنشر الثقافة الدينية لربطها بالبيئة وأن لايلجأ إلى الوسائل الخلافية فضلا عن الأشياء قليلة القيمة ، كما يجب عليه الابتعاد عن القصص الخرافية المنفرة للناس.

٥- يجب على الاعلامى أن يؤكد على أن الإسلام عالمى الدعوة وأن يرد على الدعاوى التى تقول بغير ذلك والتى تدعى انه دين خاص بالعرب ومدهم.

٦- يجب أن يشتمل تدريب الإعلاميين على بث الافكار والتقاليد الدينية من خلال القالب الادبى الذى كاد أن ينتهى من إعلامنا رغم أنه كان موجودا فى عهد الأمويين والعباسيين وفى عهد النهضة الأخيرة فى حكايات الرافعى والمنفلوطى، فالأدب الإسلامى فى تراجع ولابد من النزول بالفكر الإسلامى فى أشكال درامية تجذب الناس وتلبى احتياجاتهم التى اختلفت عنه فى الماضى.

ثالثا: بالنسبة للدعاة:

١- يجب على الداعية فى الدول غير الإسلامية إبراز نفسه بصورة الناصح وأن يقصد هداية المتلقى وأن يبين أن الشريعة الإسلامية إختيار ليس إجبار **﴿لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى﴾** وأن يتصدى لما يروجه أعداء الإسلام من شبهات تهدف إلى إظهار الخوف منه كدين لصرف الناس عن الايمان به بالحكمة والموعظة الحسنة.

٢- يجب أن يكون الداعية على علم وليس كل من عرف بعض الكلمات الإسلامية يصلح لمجال الدعوة إلى الله قال تعالى: **﴿قل هذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن إتبعنى﴾** فشرط الدعوة أن يكون القائم لها على بصيرة حافظا لكتاب الله يؤديه بالقراءة التى أمر الله بها. عالما بالفقه الاسلامى متبعا لسنة رسول الله فى منهجه.

٣- عقد حلقات تدريبية على مستوى الدول لتزويد الدعاة العاملين بالخارج بالمعلومات وتجديد أفكارهم ومدهم بالنماذج والمراجع وتدريبهم على استخدا الكمبيوتر وشكبة الانترنت واجادة اللغات الاجنبية.

٤- الخلاف فى الرأى يجب أن يكون خلاف أفكار وبرامج لايهدف إلى الاثارة والتشكيك والتجريح والاستفزاز بل يجب ان يهدف إلى البحث فى السبل المثلى لتحقيق الأهداف الوطنية التى يرتضيها ديننا.

٥- مهمة الدعوة الإسلامية فى مجتمعنا هى الدعوة إلى عبادة الله وهذه العبادة تشمل البناء والتعمير ، والبناء يشتمل على بناء النفوس وتزكيتها وتهذيب سلوكها وهدايتها إلى الصراط المستقيم وردها عن الانحراف إلى الجادة.

رابعا: بالنسبة للبحث العلمي:

١- لاجدال فى أننا نشهد تأزمات فى حركة الفكر الإسلامى فى عصرنا الحاضر وهذا التأزم يقتضى تكاتف الجهود العلمية فى سبيل الخروج من الازمة التى يعانيها هذا الفكر فى شتى مجالاتها ، لذلك أوصى بتنشيط حركة البحث العلمى فى تلك المجالات حتى لايجْمد هذا الفكر ويتخلف عن الركب ويعزل نفسه عن متغيرات العصر.

٢- ضرورة انشاء مركز أو مراكز لبحوث الدراسات الاستشراقية وغيرها من دراسات غربية حول الإسلام وذلك على مستوى العالم الإسلامى على أن تتولى هذه المراكز مواجهة الكم الهائل من الدراسات الغربية حول الإسلام ببحوث تصحح المفاهيم لدى الغرب غير المسلم من ناحية وبحوث إسلامية مبتكرة من ناحية أخرى.

٣- الانفاق على من يعمل فى مجال الابتكارات لاستخدام التكنولوجيا فى مجال الدعوة الإسلامية.

٤- الاستفادة بكل الرسائل العلمية التى ينال بها اصحابها الدرجات العلمية فى الجامعات ومراكز البحث العلمى وخاصة التى تكتب فى مجال الفقه الإسلامى بكل فروعة.

٥- التوسع فى حفظ كتب التراث والفكر الاسلامى فى اجهزة الكمبيوتر والميكروفيلم وغيرها من الوسائل الحديثة.

٦- تدوين كل كتب الاحاديث النبوية فى اجهزة الكمبرتر حتى يسهل تخريج الاحاديث على كل الباحثين فى الشريعة الاسلا..

خامسا: بالنسبة لأجهزة الإعلام:

١- إعادة بناء وتنظيم البنية الأساسية للنظم الإعلامية فى الدولة الإسلامية ودعم وتقوية المنظمات الإسلامية وفى مقدمتها اتحاد اذاعات الدول الإسلامية واتحاد وكالات الانباء الإسلامية.

٢- ضرورة انشاء منظمة إسلامية للإعلام لتحقيق التوازن الإعلامى وإقرار وثيقة خاصة بميثاق الشرف الإعلامى لمواجهة افتراءات القائمين على نشر النظام العالمى الجديد.

٣- العمل على ترجمة معانى القرآن الكريم إلى اشارات ورموز حتى يمكن للصم والبكم فهمها وبالتالى فهم أمور دينهم واحكامه لأن الصم والبكم لهم عالمهم الخاص الذى يحتاج فهمه والتعامل معه إلى مهارات خاصة لاجتياز جدران الصمت والسكون المضروب حولهم فان هذا الامر من الحقوق المعروضة لهم على المجتمع باعتبارهم فئة محرومة لها احتياجات خاصة.

٤- العمل على تكملة ترجمة تفسير القرآن الكريم إلى بقية اللغات التى لم يترجم إليها حتي الآن.

٥- يجب الاستعانة بالقنوات الفضائية لبث ارسالها لساعة أو ساعتين للرد على مايشاع عن الإسلام من إتهامات ظالمة.

٦- يجب انشاء قناة دينية تليفزيونية لنشر وتوضيح مفاهيم وتعاليم الفقه الإسلامى على غرار اذاعة القرآن الكريم باعتبارها ضرورة إسلامية ووطنية من شزنها توجيه شأنها ومواجهة التطرف والقضاء على الأمية الدينية.

٧- العمل على انشاء معهد لاعداد الكفاءات والكوادر الإعلامية والاسلامية فى شتى المجالات والصور الإعلامية من صحافة وتمثيل واخراج واعداد للمذيعين والمذيعات وسائر الفنون الإعلامية لشتى الجنسيات واللغات.

٨- إنشاء شركات انتاج لانتاج افلام وبرامج عالمية ليس بالضرورة إسلامية

ولكنها تحمل القيم والمبادئ الإسلامية التي لاتتعارض مع أى دين أو فطرة سوية بعيدا عن العنف والجريمة والفجور والسطحية والاهداف التافهة مع الاستعانة بالعناصر الاعلامية من المعروفين بحسن السمعة والسلوك ومن خريجي معهد المؤسسة الإعلامية نفسها - مع الاستعانة بكبار المخرجين العالمين وإنتدابهم للتدريس بالمعهد ... ولانتاج الافلام التسجيلية التى تفضح ماعليه الاعلام الغربى والتصدى لسلبياته ، وكذلك لانتاج أفلام الكرتون للاطفال والمسلسلات والافلام الموجهة لهم والتى تتضمن قصص الانبياء وحياة الحيوان والنباتات.

وغير ذلك من مخلوقات الكون التى تثبت قدرة الله سبحانه وتعالى.

أهم مراجـــع البحث

بعد القرآن الكريم

١- **التفسير القرآني للقرآن:** عبد الكريم الخطيب.

٢- **إستراتيجية العمل الإسلامي المشترك في مجال الدعوة الإسلامية:** إعداد لجنة الخبراء المنبثقة عن لجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك بمنظمة المؤتمر الإسلامي.

٣- **الرسالة الإعلامية بين العالمية والعولمة:** أ.د. محي الدين عبد الحليم، ورقة مقدمة إلى ندوة الإعلام الدولي وقضايا العالم الإسلامي ، القاهرة ، رابطة الجامعات الإسلامية ٢٨ ، ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٩٨.

٤- **العلاقات العامة:** أ.د رشاد أحمد عبد اللطيف،، دار المعرفة الجامعية..

٥- **العلاقات العامة:** .د السيد حنفي عوض، طبعة ٣ /١٩م.

٦- **الإعلام الإسلامي الأصول والقواعد والأهداف:** أ.د. محيي الدين عبد الحليم، مؤسسة إقرأ الخيرية، طبعة ١٩٩٢م.

٧- **المسئولية الإعلامية في الإسلام:** د. محمد سيد أحمد، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٨- **النظرية الإسلامية للإعلام:** أ.د. محمد كمال إمام، طبعة ١٩٨١م.

٩- **الفتاوى الإسلامية:** لابن تيمية، الطبعة الأولى.

١٠- **الاعلام والاتصال بالجماهير:** د. إبراهيم إمام.

١١- **الإعلام في صدر الإسلام:** د. عبد اللطيف حمزة، طبعة دار الفكر.

١٢- المصباح المنير: .

١٣- المعجم الوسيط .

١٤- الاختيار لتعليل المختار: مجد الدين الموصلى، طبعة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٥- الشرح الصغير: سيدى أحمد الدردير، طبعة ١٩٨٦م..

١٦- احكام الاحكام شرح عمدة الاحكام: لابن دقيق العيد، نشر الكتب العلمية - بيروت.

١٧- الكافى فى فقه الإمام احمد: لابن قدامة، نشر المكتب الإسلامى، طبعة ١٤٠٨هـ.

١٨- احكام الوصية وموجز احكام الوقف فى الفقه الإسلامى والقانون: أ.د. محمود بلال مهران، طبعة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ، دار الثقافة العربية.

١٩- الزكاة عن الاموال الوقفية وموقفها من المحاسبة الضريبية: أ.د. محمد أحمد جادو، بحث مقدم إلى ندوة التطبيق المعاصرة للزكاة، مركز صالح كامل.

٢٠- المسئولية المدنية والجنائية فى الشريعة الإسلامية: للاستاذ الإمام الأكبر محمود شلتوت، مطبعة الأزهر..

٢١- الوسيط: للسنهورى.

٢٢- الامانة فى ضوء القرآن الكريم: د. فتحى محمد محمد غريب، حولية كلية أصول الدين بالقاهرة، العدد الثالث عشر.

٢٣- الامانة والإيمان: مقال للشيخ إبراهيم الدسوقى، مجلة منبر الإسلامى .

٢٤- إحياء علوم الدين: طبعة المعرفة، بيروت.

٢٥- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:** أ. د. نشأت عبد الجواد ضيف، القاهرة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٢٦- **الحكم الشرعي التكليفي:** أ. د. صلاح زيدان ، طبعة دار الصحوة للنشر.

٢٧- **القضايا الثلاث:** أ.د. محمد رأفت عثمان ، دار الإمارات العربية، ١٤٠١هـ - ١٩٨٩م.

٢٨- **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الإعتقاد:** لإمام الحرمين الجويني ، مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٥٠.

٢٩- **الخطاب الإسلامي في ظل العولمة:** مقال د. عبد الصبور فاضل، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٣٨٨.

٣٠- **العقيدة الدينية وأهميتها في حياة الإنسان:** أ.د. محمود حمدى زقزوق.

٣١- **الفقه الإسلامي مراحل ومبادئ ومشروعات:** أ.د. محمد أنيس عبادة ، طبعة أولى سنة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

٣٢- **الإسلام دين الإنسانية:** د. عبد الرشيد سالم، مكتبة التراث الإسلامي.

٣٣- **الدين العالمي ، وصف تفرد به الإسلام:** مقال للمستشار محمد عزت الطهطاوى، مجلة الأزهر ربيع آخر ١٤١٨هـ - أغسطس ١٩٩٧م

٣٤- **الإعلام الإسلامي وتكنولوجيا الإتصال في مجال التليفزيون :** أ. د. إنشراح الشال.

٣٥- **الإسلام دعوة الحق والخير وكسف شوه المغرضون جمالة:** دار الفتح الشارقة.

٣٦- **الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان:** لشيخ الإسلام محمد الخضر حسين، نهضة مصر للطباعة والنشر.

٣٧- **الإم للامام محمد ابن إدريس الشافعي:** طبعة سنة ١٣٨٨هـ - ١٩٩٨م مطبعة دار الشعب.

٣٨- **المدخل للعولم القانونية والفقه الإسلامي:** **مستشار على منصور.**

٣٩- **المستصفى من علم الاصول:** الإمام أبى حامد الغزالى، الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية.

٤٠- **ابجدية الحوار بين الحضارات:** د. زينب عبد العزيز ، بحث مقدم إلى مؤتمر المنعقد بقسم الفلسفة بآداب القاهرة من ٦/٢٦ إلى ١٩٩٣/٦/٢٨م.

٤١- **النظام الدولى الجديد والموقف الإسلامى المعاصر:** د. أحمد كامل ، ورقة مقدمة إلى ندوة الإعلام الدولى وقضايا العالم الإسلامى.

٤٢- **الإتجاهات الحديثة فى بحوث الصورة الذهنية للعالم الإسلامى عند الغربيين:** د. مرعى مذكور ورقة عمل من بحوث ندوة الإعلام الدول وقضايا العالم الإسلامى.

٤٣- **إستراتيجية التنصير فى العالم الإسلامى:** د. محمد عمارة، مركز دراسات العالم الإسلامى.

٤٤- **الإعلان العربى الأوربى وقضايا الهوية الثقافية:** أوليفيه دالاج ، ورقة مقدمة إلى مؤتمر البحرين.

٤٥- **المسئولية الإعلامية فى الإسلام:** د. محمد سيد محمد، الناشر مكتبة الخانجى بالقاهرة - دار الرفاعى بالرياض.

٤٦- **القصاص فى النفس فى الفقه الإسلامى دراسة مقارنة:** أ.د. على حسين، كرار طبعة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، دار الإتحاد العربى للطباعة.

٤٧- **العلاقات الخاصة بين المسلمين وغير المسلمين:** أ.د. بدران أبو العينين بدران.

٤٨- **الإعلام الدينى حق وغاية:** مقال الدكتور/ محمد محيي الدين سالم، مجلة منبر الإسلام، عدد ٨.

٤٩- **أضواء من السنة على مشاكل الحياة:** أ.د. محمد السيد ندا، سنة ١٩٧١م.

٥٠- **بحوث في الوصية والوقف:** أ.د. محمد الشحات الجندى، دار النصر للتوزيع ، النشر.

٥١- **بلوغ المرام من أدلة الأحكام:** للإمام ابن حجر العسقلانى، طبعة ١٩٨٠م.

٥٢- **بحوث فى الاقتصاد الإسلامى:** الطبعة الأولى للمؤلف.

٥٣- **تنمية المجتمع وقضايا العالم التربوى:** أ.د. رشاد أحمد عبد اللطيف، دار المعرفة الجامعية.

٥٤- **تاريخ الخلفاء:** عبد الرحمن ابن أبى بكر السيوطى، الطبعة الرابعة، مطبعة الفجالة الجديدة.

٥٥- **تاريخ التشريع الإسلامى:** أ.د. حسن على الشاذلى، دار الإتحاد العربى للطباعة.

٥٦- **تجديد الفكر الدينى فى الإسلام:** محمد إقبال، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٨م الطبعة الثانية.

٥٧- **ترجمة معانى القرآن الكريم بين التأييد والتحريم:** مقال للسيد/ احمد ابو الفضل عوض الله ، مجلة البحوث الإسلامية ، العدد الثانى عشر.

٥٨- **جريدة التايم:** الصادرة فى ١٦/٤/١٩٩٥م.

٥٩- **حولية كلية أصول الدين:** العدد الرابع ، **الإسلام فى تصور أدباء وفلاسفة الغرب**، أ.د. محمود حمدى زقزوق.

٦٠- **حاشية التلويح على التوضيح:** لأحمد ابن إدريس المشهور بالقرافى سنة ٦٨٤هـ الطبعة الأولى ١٣٤٦هـ.

٦١- **حرية الصحافة:** د. السيد حنفى عوض، طبعة ١٩٨٣م.

٦٢- **حوارات روما:** د. محمد سليم العوا ، الأهرام الدولى ، قضايا وآراء.

٦٣- **حرية الإعلام بين الالتزام والانفلات ، رؤية إسلامية:** أ.د. محمد الشحات الجندى، بحث مقدم إلى المؤتمر الثانى كلية الحقوق، جامعة حلوان ١٩٩/٣/١٥ من الاعلام والقانون.

٦٤- **دور الإعلام فى التنمية:** محمد عبد القادر أحمد.

٦٥- **دور الوقف فى تنمية العمل فى مجال الدعوة الإسلامية:** مقال أ.د. محمد الدسوقى، مجلة الوعى الإسلامى، العدد ٤٠٢ ، صفر ١٤٠٢هـ - مايو ١٩٩٩م.

٦٦- **دور الإعلام العربى الأوربى فى مواجهة العنف من الإرهاب والنمطية:** محفوظ نحتاج، ورقة مقدمة إلى المؤتمر الدولى السادس حول الإعلام العربى والأوربى فى الفترة من ٢٢ - ٢٥ من فبراير سنة ١٩٩٨م البحرين .

٦٧- **دراسة حول القرآن الكريم:** د. محمد مهنا.

٦٨- **روح الدين الإسلامى:** عفيفى عبد الفتاح طيار، طبعة سنة ١٩٧٧م.

٦٩- **سيرة ابن هشام:** مطبعة حجازى بالقاهرة طبعة سنة ١٩٣٨م تحقيق محيي الدين عبد الحميد.

٧٠- **صحيح البخارى:** طبعة دار الشعب ، طبعة الأميرية.

٧١- **صحيح مسلم:** طبعة عيسى الحلبى.

٧٢- **صحيفة أخبار اليوم القاهرية:** الصادرة فى ١٩٨٩/١٢/١٦م.

٧٣- **ضوابط الإعلام فى الشريعة الإسلامية وانظمة المملكة العربية السعودية:** أ.د. يوسف قاسم.

٧٤- **علم النفس الإجتماعى:** أ.د. حامد عبد السلام، عالم الكتب، ١٩٨٤م.

٧٥- **عالمية الإسلام:** حقيقة أولية، أ.د. رؤف شلبى ، كتيب صغير هدية ، مجلة الأزهر المجانية ربيع أول ١٤٠٩هـ.

٧٦- **فقهنا الإسلامى بين الاصالة والتجديد:** مقال أ.د. على أحمد مرعى ، مجلة كلية الشريعة والقانون، العدد العاشر.

٧٧- **فقه الزكاة:** أ.د. يوسف القرضاوى.

٧٨- **قضايا التبعية الإعلامية والثقافية فى العالم الثالث:** د. عواطف عبد الرحمن.

٧٩- **قضية الإيمان والكفر:** من مطبوعات وزارة الأوقاف.

٨٠- **لباب التأويل فى معانى الترتيل للخازن** ، دار المعرفة ، بيروت.

٨١- **لسان العرب:** لابن منظور.

٨٢- **لسان الحكام فى معرفة الاحكام لابى الوليد:** طبعة سنة ١٢٩٩.

٨٣- **مشاعل على الطريق:** عبد الرحيم فودة.

٨٤- **موقف الإسلام م غير المسلمين فى المجتمعات الإسلامية وموقف المجتمعات الغربية من المسلمين:** أ.د. صوفى حسن أبو طالب، بحث مقدم فى المؤتمر العام التاسع للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية المنعقد فى القاهرة، فى الفترة من ١٩٩٧/٧/١٣م إل ١٩٩٧/٧/١٦م.

٨٥- **مجلة الوعى الإسلامى:** مقال أ.د. محمد الدسوقى.

٨٦- **مسند الإمام أحمد ابن حنبل:** الطبعة الثانية ، دار الفكر ، ١٩٧٨م.

٨٧- **من فقه السنة فى الحدود:** أ.د. محمد نبيل غنايم، دار النصر للتوزيع والنشر.

٨٨- **مختار الصحاح:** .

٨٩- **مظاهر التيسير فى التشريع الإسلامى . قسم العبادات:** أ.د. عبد العزيز محمد عزام ، الطبعة الأولى.

٩٠- **مسيرة العالم الطويلة إلى التشريع الإسلامى:** د. حافظ يوسف ، مطابع الأهرام التجارية، قليوب.

٩١- **نظرة إلى مستقبل المسلمين:** أحمد كمال أبو المجد ورقة عمل مقدمة لمؤتمر حاضر العالم الإسلامى ونظرة للمستقبل.

٩٢- **نحو سياسة إقتصادية موحدة للعالم الإسلامى فى مواجهة العولمة:** أ.د. عبد الرحمن يسرى ، ورقة العمل السابق الإشارة إليها.

٩٣- **وظائف الإعلام الإسلامى:** أ.د. محمد أحمد يونس، ورقة مقدمة إلى ندوة الإعلام الدولى وقضايا العالم الإسلامى، القاهرة ٢٨ - ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٩٨م.

٩٤- **وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية:** محمد صالح عثمان ، منشور جماعة الإمام محمد بن مسعود.

٩٥- **وجهة نظر للأستاذ حسين الشاعر:** جريدة الاهرام القاهرية، ١٩٩/٣/٢م.

٩٦- **نيــل الأوطار:** للشوكانى، طبعة عيسى الحلبى.

٩٧- **شهوة الكرسى بين عبء المسئولية وضلالة الإغراء:** الدكتور السيد رزق الطويل، مجلة منبر الإسلام.

٩٨- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور:** للحافظ جلالالدين بن عبد الرحمن السيوطى، الطبعة الأولى،و ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٩٩- **فـــتح البارى:** شرح صحيح البخارى.

١٠٠- **كشف الأسرار:** شرح أصول عز الإسلام.

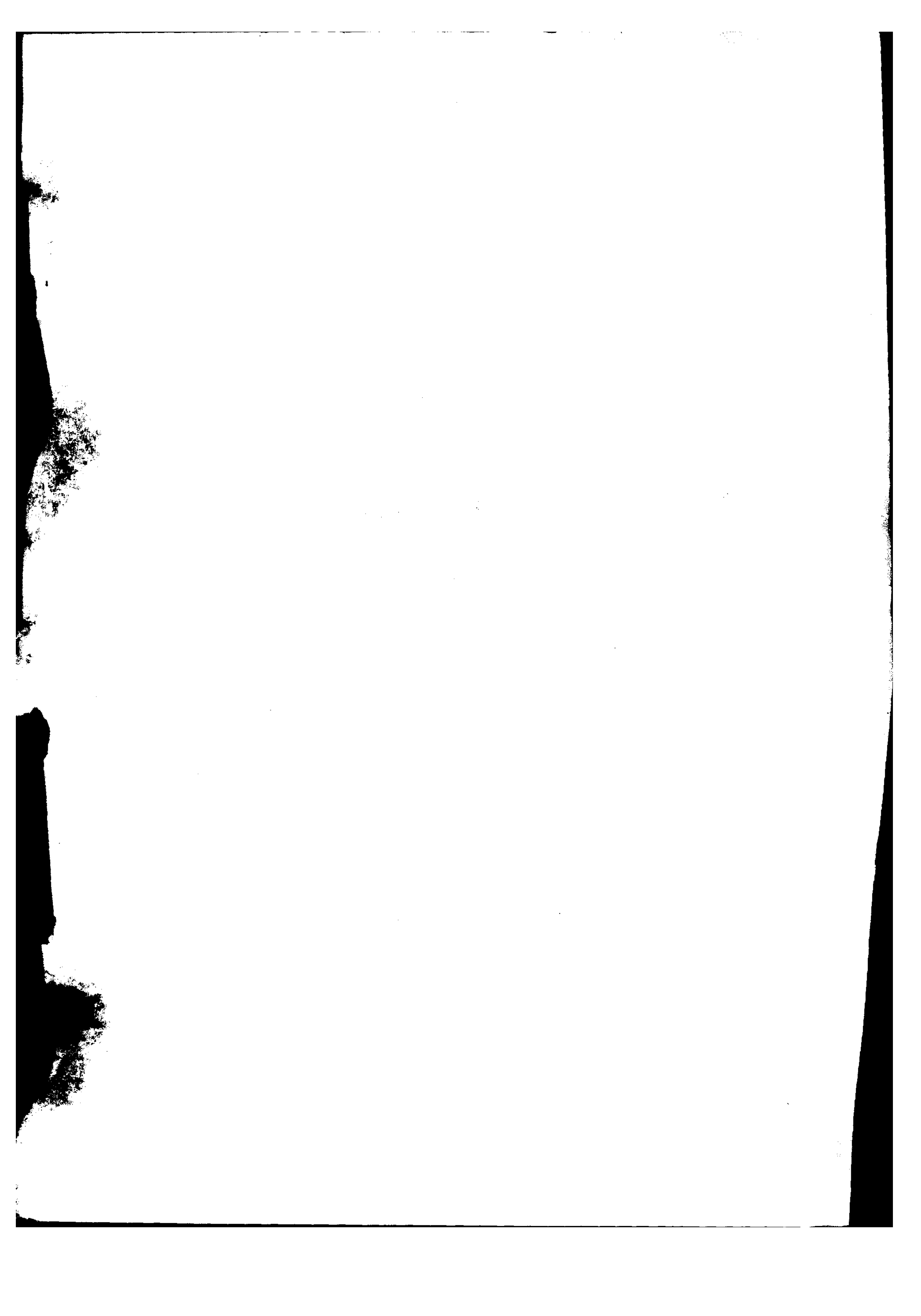
١٠١- **مصداقية النظام الدولى الجديد:** قاسم خضير عباس، دار الأضواء.

١٠٢- **فعاليات الإعلام الإسلامى:** أ.د. محمد كمال إمام، ندوة الإعلام الدولى وقضايا العالم الإسلامى.

١٠٣- **لعبة الفن الحديث بين الصهوينية - المساونية وامريكا :** أ.د. زينب عبد العزيز ، الزهراء للأعلام العربى، القاهرة ١٩٩٠م.

فهرست الموضوعات

الموضوع | الصفحة



رقم الإيداع بدار الكتب
٢٧٨٠/ ٩٩
ترقيم دولى I.S.B.N
977-10-1227-4

الايمان للطباعة
تليفون: ٤٢٦٣٩٦٠